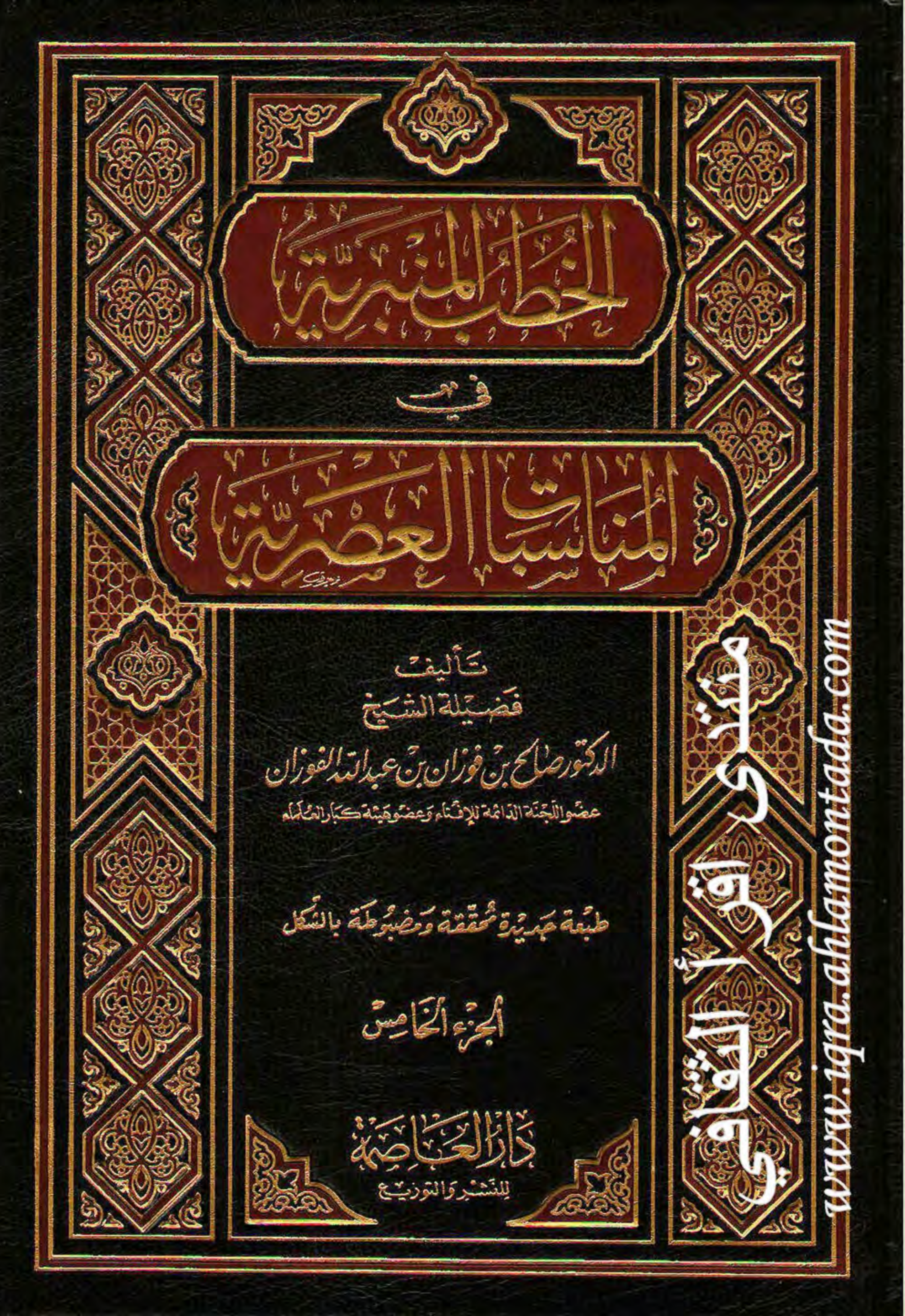
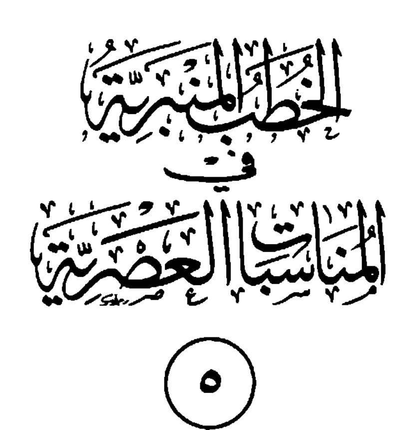

الخطب المنبرية
في
المناسبات العصرية
تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء
طبعة جديدة محققة ومضبوطة بالشكل
الجزء الخامس
دار العاصمة
للنشر والتوزيع
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com


الخطب المنبرية
في
المناسبات العصرية
٥

ⓒ دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان

الخطب المنبرية في المناسبات العصرية ./ صالح بن فوزان الفوزان .

- الرياض ١٤٢٦ هـ

٦ مج

ردمك : ٠-٠٠-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٠٥-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج ٥)

١- خطبة الجمعة أ - العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٦/٢٠٤

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٢٠٤

ردمك : ٠-٠٠-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٠٥-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج ٥)

جميع الحقوق محفوظة

لدار العاصمة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤



تأليف

فضيلة الشيخ

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

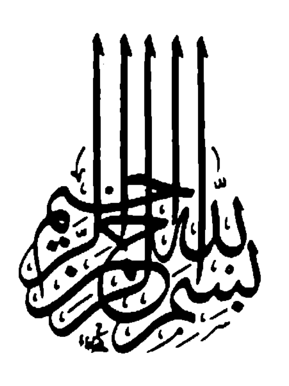
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

طبعة جديدة محققة ومضبوطة بالشكل

الجزء الخامس

دار العاصمة

للنشر والتوزيع



في فضلِ الإسلامِ ووجوبِ التمسُّك به

الحمدُ للهِ على نِعَمِهِ الظاهرةِ والباطنةِ، وأ جَلُّها وأَعْظَمُها نعمةُ الإسلامِ، وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في رُبُوبيتهِ وإِلَهيتهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ العِظامِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسولُهُ، المبعوثُ رحمةً للأَنَامِ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الكرامِ، وسَلَّمَ تسليماً على الدَّوَامِ.

أمّا بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى وتمسَّكُوا بدينِ الإسلامِ الذي ارتضاهُ اللهُ لكم، وأَتَمَّ عَلَيْكُمْ بِهِ النعمةَ، فقالَ تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢]، فَمَنْ ماتَ على الإسلامِ فإنَّهُ يكونُ مُفْلِحاً ناجياً مُكَرَّماً عِنْدَ اللهِ سبحانَهُ وتعالى، ومن مَاتَ على غيرِ الإسلامِ فإنَّهُ يكونُ مِنَ المَرْدُودِينَ المَخْذُولينَ الأَشْقِياءِ المُعَذَّبين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

إنَّ الإسلامَ هو الاستسلامُ للهِ جَلَّ وَعَلا بالتوحيدِ، والانقيادُ لَهُ بالطاعةِ، والخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ. وهذا التعريفُ. مأخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «الإسلامُ: أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزكاةَ، وتَصُومَ رمضانَ، وَتَحُجَّ بَيْتَ اللهِ الحرامَ إنِ استطعتَ إليه سبيلا»[1]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ وإقامِ

---

(١) رواه مسلمٌ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٨).

الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصومِ رمضانَ، وحجِّ البيتِ إنِ استطعتَ إليه سبيلا»[١].

فَهَذِهِ المَبانِي العَظِيمَةُ الخَمْسَةُ هي أركانُ الإسلامِ التي لايتحققُ وُجُودُهُ إلا بوُجُودِهَا، والإسلامُ ليسَ مَقْصُوراً على هذهِ الخَمْسِ. وإنَّما هذه أَرْكَانُهُ وَمَبَانِيه، ولَكِنَّهُ يتناولُ كُلَّ العباداتِ وكُلَّ الطاعاتِ التي شَرَعَها اللهُ سبحانه وتعالى، فإنها من الإسلام، وهي مُكَمِّلَاتٌ لَهُ ومُتَمِّماتٌ له. لَكِنْ بِدُونِ هذهِ الخَمْسِ الدعائمِ والأركانِ فإنَّ الإنسانَ لايكونُ مُسْلِماً بدونها مَهما عَمِلَ مِنَ العباداتِ، لأنَّهُ فَقَدَ الأرْكانَ التي يقومُ عَلَيْها بِنَاءُ الإسلامِ، والشيءُ إنَّما يقومُ على أركانِهِ وعلى مبانِيهِ، فالإسلامُ دينٌ شاملٌ لجميعِ الطاعاتِ وَتَرْكِ المُحَرَّماتِ، قال ﷺ «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونَ مِنْ لسانِهِ ويَدِهِ»[٢].

وقال اللهُ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ يعني: في الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾ يعنى: بِجَمِيعِ شَرَائِعِهِ وأوامِرِهِ ونواهِيهِ، فمن جَحَدَ شيئاً مِنْ أركانِ الإسلامِ فإنَّهُ يكونُ كافِراً، ومَنْ تَرَكَ شيئاً غيرَ الأركانِ مِنْ غيرِ جُحُودٍ فإنَّ إسْلاَمَهُ يَنْقُصُ نَقْصاً شديداً، وقد يَزُولُ إسلامُهُ بزَوالِها.

وهذه الأركانُ إذا تَأَمَّلْتَها وَجَدْتَها تَشْتَمِلُ على مَعَانٍ عظيمةٍ فشهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ هما الرُّكْنُ الأولُ، وهذا الركنُ يَتَضَمَّنُ إخلاصَ العبادةِ للهِ عَزَّ وجلَّ، وهذا هو مَعْنى شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وهو عِبادتُهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وتَرْكُ عِبادَةِ ما سواهُ، ويتضمنُ المُتَابَعَةَ للرسولِ ﷺ، فإنَّهُ المُبَيِّنُ لهذا

---

(١) البخاري (٨)، ومسلم (١٦) والترمذي (١٨١٦)، ورواه أيضاً أحمد والنسائي.
(٢) رواه مسلم (٤١) عن جابر رضي الله عنه، وبمعناه البخاري (١١).

الإسلامِ والموضِّحُ له، فلا إسلامَ إلاَّ باتباعِ هذا الرسولِ ﷺ، الذي أَرْسَلَهُ اللهُ ليبيِّنَ للناسِ وُيبلِّغَهُمْ ما أُنزِلَ إليهم مِنَ رَبِّهم، وهذا يَقْتَضِي تَجَنُّبَ البِدَعِ والمُحْدَثَاتِ التي لا أَسَاسَ لها مِنَ الدينِ، فإنَّها مُخالَفةٌ للإسلامِ، قالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيس عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[١] وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضَلَالَةٍ في النَّارِ»[٢]. وهذا الرَّكْنُ العظيمُ يلازِمُ المسلمَ في كُلِّ حَيَاتِهِ، لا يتخلَّى عَنْهُ أبداً، فالمُسْلِمُ لايزالُ في جميعِ أحْوَالِهِ يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رَسُولُ اللهِ، قولاً وعملاً واعتقاداً.

وأما الركنُ الثاني: وهو الصلواتُ الخمسُ في اليومِ والليلةِ تِلكُمُ العبادَةُ العظيمةُ التي شَرَعَهَا اللهَ وفَرَضَهَا على عبادِهِ، وجَعَلَهَا تتكَرَّرُ عليهم في اليومِ والليلةِ خَمْسَ مراتٍ وأَوْجَبَهَا سبحانه وتعالى على العبادِ في جميعِ الأحوالِ، فالصلاةُ لاتَسْقُطُ عنِ المسلمِ بحالٍ من الأحوالِ مادامَ عَقْلُهُ بَاقِياً، ولكنَّهُ يصلِّي على حَسَبِ حَالِهِ، فَشَرَعَ سبحانه وتعالى للمسلمِ المقيمِ أنْ يقيمَ الصلاةَ كاملةً بما شَرَعَهُ اللهُ فيها مِنَ الأَقْوَالِ والأفعالِ والمقاصِدِ يقيمُ الصلاةَ كما شَرَعَهَا اللهُ سبحانه وتعالى في مواقيتها، ومع جماعةِ المسلمين، وبالطهارة الكامِلةِ مِنَ الحَدَثَيْنِ الأصغر والأكبر، وبالخشوع لله عز وجل.

وأوجبها أيضاً على المسافرِ، فالمسافرُ لايتركُ الصلاةَ، وإنْ كانَ في سَفَرِهِ مَشَقَّةٌ وفيه أشغالٌ، فإذا جاءتِ الصلاةُ فإنَّهُ يَجِبُ عليهِ أنْ يصلي، لكنَّهُ خَفَّفَ عنه سبحانَهُ بأنْ أَبَاحَ لَهُ الجَمْعَ بينَ الصَّلاتينِ في وقتِ إحْدَاهُما، ورَخَّص لَهُ في

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

(٢) أبو داود (٤٦٠٧).

القَصْرِ بأنْ يصلي الرباعيةَ ركعتينِ ركعتينِ، وهذا من التخفيفِ، وفيهِ الدلالةُ على أنَّ الصلاة لا تَسْقُطُ عنِ المسلمِ، لا في حالةِ الحَضَرِ ولا في حالةِ السَّفَرِ، وكذلك أوْجَبَها على المريضِ أنْ يصلي على حَسَبِ حالِهِ، قَالَ ﷺ: «صَلِّ قَائِماً، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فقاعِداً، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فعلى جَنْبٍ»[1]، وفي رواية: «فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَمُسْتَلْقِياً» فيصلي المريضُ على أي حالٍ كانَ مَرَضُهُ، وعلى أي حالٍ استطاعَ أنْ يؤدِّيَ الصلاةَ، قائماً، أو قاعداً، أو على جَنْبٍ، متوضِّئاً، أو مُتيمماً إذا كانَ لايستطيعُ استعمالَ الماءِ لمرضٍ أو لعَدَمِ الماءِ، ومِنْ غيرِ وُضُوء ولا تيمم إذا عدم الماء والتراب أو عجز عن استعمالهما، فلا تسقُطُ الصلاةُ عن المريضِ بحال، ولكنَّهُ يصلِّي على حَسَبِ حالِهِ.

وكذلكَ ماهو أشَدُّ مِنَ ذلك، وهو حَالَةُ الخَوْفِ، ففي حالةِ الخوفِ من العَدُوِّ الذي وَاجَه المسلمينَ يُريدُ القضاءَ عليهم بأسلحتِهِ ومَكْرِهِ وحِيَلِهِ، فإذا حضرتِ الصلاةُ فإنَّ المسلمينَ يُصَلُّونَ صلاةَ الخوْفِ ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، فيصلي المسلمونَ صلاةَ الخوفِ وهم مُقَابِلُونَ للعَدُوِّ المُسَلَّحِ الذي يريدُ أنْ ينقضَّ عَلَيْهِمْ، ولايتركونَ الصلاةَ، مع المُرَاقَبَةِ لحركاتِ العدوِّ وتحركاتِهِ وهُمْ في الصلاةِ، يلتفتون إليه ويراقبونَهُ وهم يُصَلُّونَ، هذا في حالةِ الخوفِ غير الشديد.

أمّا في حالة الخوف الشديدِ، فإنَّ اللهَ أوْجَبَ الصلاةَ على المسلمِ على

---

(١) رواه البخاري (١١١٧)، والترمذي (٣٧٢) وغيرهما.

حَسَبِ حالِهِ، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٨ـ٢٣٩]، ﴿فَرِجَالًا﴾ يعني: وأنتُمْ تمشونَ أَوْ تركُضُونَ على أَرْجُلِكُمْ ﴿رُكْبَانًا﴾ على دَوَابِّكُمْ، أو على مُدَرَّعاتِكُمْ وَسَيَّارَاتِكُمْ، فيصلي المسلمُ الهاربُ مِنَ العدوِّ إذا حانَتِ الصلاةُ، وإن كانَ يَعْدُو على قَدَمَيْهِ، أو كانَ راكباً على آلَةِ الجِهادِ، يصلي مُسْتَقْبِلَ القبلةِ أو غَيْرَ مُستَقْبِلَ القبلةِ، حَسَبَ حالتِهِ وَحسَبَ مَقْدِرَتِهِ.

فدلَّ هذا على أنَّ الصلاةَ لاتَسْقُطُ عن المسلمِ بحالٍ من الأحوالِ مادامَ عَقْلُهُ ثابتاً، لا في حالةِ الحَضَرِ ولا في حالةِ السَّفَرِ، ولا في حالةِ الصحةِ ولا في حالةِ المَرَضِ، ولا في حالةِ الأَمْنِ ولا في حالةِ الخَوْفِ؛ لأنَّها عَمُودُ الإسلامِ، وهي الركنُ الثاني مِنْ أركانِ الإسلامِ بَعْدَ الشهادتين، وأَوَّلُ ما يُحَاسَبُ عَنهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيامةِ من أعمالهِ.

وفي الزكاةِ: مُوَاسَاةٌ للفقراءِ، وتَنْمِيةٌ للمالِ، وحِفْظٌ لَهُ مِنَ الآفاتِ، وفيها تَطْهِيرٌ للنَّفْسِ مِنَ الشُّحِّ والبُخْلِ، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣].

وفي صيام رمضانَ: تَرْبِيَةٌ للنَّفْسِ، وفِطَامٌ لها عَنْ شَهَوَاتِها، وإِيثَارٌ لِرِضَا اللهِ وطاعَةِ اللهِ على هَوَى النَّفْسِ.

والصيامُ أيضاً كما تعلمونَ شَرَعَهُ اللهُ بِحَسَبِ حالةِ المُسْلِمِ فالمسلمُ المُقِيمُ الصَّحِيحُ يَصُومُ رمضانَ أداءً ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والمريضُ والمُسافِرُ يُفْطِرانِ ويَقْضِيانِ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر. ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]،

والكَبيرُ الهَرِمُ والمريضُ المُزْمِنُ يَفْديانِ عن الصيامِ بإطعام مسكينٍ عن كُلِّ يَوْمٍ.
﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

والحَجُّ: وهو الرِّحْلَةُ إلى بيتِ اللهِ، وقد تكونُ مِنْ مسافةٍ بعيدةٍ مِنْ مشارِقِ الأرضِ أَوْ مَغَارِبِها، ويَتْرُكُ المُسْلِمُ الأولادَ والأموالَ ويذهب إلى بيتِ اللهِ العتيقِ، لأداءِ عِبَادَةِ الحجِّ حَوْلَه وفي المشاعِرِ المقدَّسَةِ، في أيام مَعْدُوداتٍ. وفيه من الفوائدِ والمصالحِ ما لايَعْلَمُها إلا اللهُ، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

فَمَنْ كانَ يستطيعُ الحَجَّ بَدَنِيًّا وماليًّا بأنْ يُطِيقَ السَّفَرَ بِبَدنِهِ، ويستطيعهُ ماليًّا، بحيثُ يَتَوفَّرُ لَهُ الزادُ والرَّاحِلَةُ والمَرْكُوبُ الذي يُبَلِّغُهُ إلى بيتِ اللهِ، ويَتَوفَّرُ أيضاً لأهلِ بيتِهِ ومَنْ يمونهم نفقتهم إلى رُجُوعِهِ إلَيْهِمْ، وَجَبَ عليه الحَجُّ مَرَّةً واحِدَةً في العُمرِ، وما زادَ عَنِ الواحدةِ فإنَّهُ تَطَوُّعٌ.

ومَنِ استطاعَ الحَجَّ ماليًّا، ولكنَّهُ لايستطيعهُ بَدَنيًّا، كالشيخِ الهَرِمِ، والمريضِ المُزمِنِ الذي لايستطيعُ الحَجَّ في مُسْتَقْبَلِ حياتِهِ، فإنَّهُ يُوَكِّلُ ويُنِيبُ مَنْ يَحُجَّ عَنهُ.

وأمَّا إذا استطاعَ الحَجَّ بدنيًّا ولكنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْهُ ماليًّا، فليسَ عليهِ حَجٌّ حتى يستطيعَ بمالِهِ؛ لقوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. قال ابن عباس: السبيل: الزاد والراحلة وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

فهذا مِنْ تَيْسيرِ اللهِ سبحانه وتعالى على هذه الأُمَّةِ، فاشكرُوا اللهَ على هذا الإسلامِ الذي مَنَّ اللهُ بِهِ عليكُمْ وهَدَاكُمْ لَهُ، واسْأَلُوهُ الثَّبَاتَ عليه إلى المماتِ،

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

باركَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ على فَضْلِهِ وإحْسَانِهِ، وأشهدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الداعي إلى رضوانِهِ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يومِ الدين.

أمَّا بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى واعلَمُوا أنَّهُ يَجِبُ على المسلمِ أنْ يكونَ مسلماً في جميعِ الأحوالِ، وفي جميعِ الأوقاتِ، وفي جميعِ الأمكنةِ، وفي جميعِ الأزمنةِ، فيكون مُسْلِماً للهِ في أي مكانٍ وزمانٍ، ولا يكونُ مسلما للهِ إذا كان في زمانٍ دونَ زمان، وفي مكانٍ دونَ مكانٍ، كَحالةِ المنافقينَ الذين قالَ اللهُ تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (البقرة: ١٤)، فالذي يُظْهِرُ الإسلامَ أمامَ الناسِ أو في بلدٍ معينٍ، ثم إذا خَلاَ عَنِ الناسِ أَوْ ذَهَبَ إلى بلدٍ كافرٍ فإنَّه يَتَخَلَّى عن الإسلامِ، فهذا هو المنافقُ الذي هو مِنْ أهلِ الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النارِ، ولَنْ تَجِدَ له نَصيراً.

وكذلكَ يكونُ المسلمُ مسلماً في حالةِ الرَّخاءِ والشدةِ، لايَتَخَلَّى عن إسلامهِ مَهْمَا بَلَغَ به الأمرُ والكَرْبُ والشِّدَّةُ، يَتَمَسَّكُ بالإسلامِ ولا يَتَخَلَّى عنهُ قَيْدَ أُنْمُلَةٍ، ولا يكونُ مِنَ الذين قالَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ

فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ (العنكبوت: ١٠، ١١).

فالإنسان الذي لايكون مسلماً إلا في حالةِ الرخاءِ، وإذا اشتدَّ بِهِ الأمْرُ تَخَلَّى عن دينِهِ، يكونُ مِنْ هذا الصِّنْفِ المنافقِ النفاقَ الأكبرَ، والعياذُ باللهِ، فالمسلمُ لايُسَاوِمُ على إسلامِهِ، ولايَتَنَازَلُ عَنْ دينِهِ، مهما بَلَغَ بِهِ الكَرْبُ، قال ﷺ: «لاتشركْ باللهِ وإنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ»، المسلمُ لايَتَخَلَّى عن دينِهِ مهما بلغ به الأمرُ والكربُ، ولَنْ يَبْلُغَ بِهَ الأمرُ ما بَلَغَ بإبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ الذي أُوقدتْ له نارٌ عظيمةٌ تُطَاوِلُ الجبالَ بِلَهَبِها، وأُلْقِيَ فيها مِنْ بُعْدٍ بواسطةِ المَنْجَنيقِ، ولَمْ يتخلَّ عن دينِهِ، ولَمْ يَقُلْ إلاَّ ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾، [الأنبياء: ٦٩]، وهذه نتيجةُ الإيمانِ والتمسُّكِ بالإسلامِ، وأنَّ الإنسانَ لايتخلَّى عَنْ دينِهِ أبداً مهما بَلَغَ بِهِ الحالُ، أو بَلَغَتْ به الشِّدَّةُ.

كذلكَ يكونُ المسلمُ مسلماً في جميعِ الأحوالِ، أمَّا الذي يكونُ مسلماً إذا وَجَدَ في الإسلامِ ما يَرْغَبُ فِيهِ من شهواتِهِ، ثُمَّ يَتَخَلَّى عن الإسلامِ إذا لاحَتْ لَهُ شهوةٌ أو طَمَعٌ دنيويٌّ، فهذا من الذينَ قالَ اللهُ سبحانه وتعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، تمسَّكُوا بإسلامِكُمْ.

كذلكَ يكونُ المسلمُ مُسلماً في جميعِ الأزمنةِ، فإن بعضَ الناسِ يكونُ

مسلماً في رمضانَ، فإذا انتهى شهرُ رمضانَ تخلَّى عن الإسلامِ وعادَ إلى ما هو عليه من الإعراضِ عن دين الله عز وجل، ويظُنُّ أن رمضانَ يَكْفِيهِ عن بقيةِ الشهورِ، وهذا من غُرُورِ الشيطانِ وخداعِ النفسِ.

فاتقوا اللهَ في دِينِكمُ، فإنَّ هذا الإسلامَ عَظِيمٌ ونعمةٌ كبيرةٌ، لكنَّ المسلمَ قد يُبْتَلَى وقد يُمتَحَنُ، وقد يَشْتَدُّ بِهِ الحالُ، امتحاناً مِنَ اللهِ عز وجل، ليتبينَ المسلمُ الصادقُ من المنافقِ.

بسم اللهِ الرحمن الرحيم: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ـ٣].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واشكرُوهُ على أنْ مَنَّ عليكُمْ بهذا الدينِ، وتَمَسَّكُوا بِهِ إلى المماتِ، ولاتَمُوتُنَّ إلا وأنتُمْ مُسْلِمونَ.

واعلَمُوا أنَّ خير الحديثِ كتابُ الله.. إلخ.

* * *

خططُ أعداءِ اللهِ للقضاءِ على الإسلامِ

الحمدُ لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمدُ في الآخرةِ، وهو الحكيمُ الخبيرُ. يعلمُ ما يَلجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها وما ينزلُ مِنَ السماءِ وما يعرجُ فيها وهو الرحيمُ الغفورُ. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ وله الحمدُ يُحيي ويميتُ، وهو حَيٌّ لايموتُ، بيَدِهِ الخيرُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أَهْلِ الجدِّ والتَّشْمِيرِ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واعلموا أنَّ أعداءَ الإسلامِ قديماً وحديثاً مازالُوا يريدونَ القضاءَ على الإسلامِ والقضاءَ على المسلمين مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، كما حذَّرنا الله مِنهُمْ، قالَ اللهُ جل وعلا: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة: ٢].

إنَّ أَعْداءَ الله، مُنْذُ أنْ بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ محمداً ﷺ، وهم يَكِيدُونَ لهذا الإسلامِ، ولكنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى يُحْبِطُ مَكْرَهُم ويُفشِّلُ خُطَطَهم، كما قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

إنَّ مِنْ خِطَطِ أعداءِ اللهِ للقضاءِ على الإسلام: ما يُنَادُونَ بِهِ الآنَ، لَمَّا عَجزُوا

عن القضاءِ على الإسلامِ بالسلاحِ، أخَذُوا يَغزُونَهُ بالأفكارِ، ويَغْزُونَهُ بالحِيَلِ والمَكْرِ والكَيْدِ، ولكنَّ اللهَ جلَّ وعَلاَ لَهُمْ بِالمِرْصَادِ.

فَمِمَّا يُنَادُونَ بِهِ الآنَ للقضاءِ على الإسلامِ أُمُورٌ كثيرةٌ، لاتَخْفَى على أَهْلِ البصائرِ، ولكنها قد تَنْطَلِي على بعضِ قاصِرِي النظرِ والجُهَّالِ مِنَ المسلمين.

ومِنْ ذلك: قَوْلُهُم بالحِوَارِ بينَ الأديانِ، والمؤاخاةِ بينَ الأديانِ، وحريةِ العقيدةِ، وأنَّها كُلُّها أديانٌ سماويةٌ، وكُلُّها تَدُلُّ على الإيمانِ باللهِ، اليهوديةُ والنصرانيةُ والإسلامُ كُلُّها أديانٌ سماويةٌ يَجبُ أنْ تتَعَايَشَ ويَجبُ أنْ تتَآخَى، وهُمْ يُريدُونَ بذلكَ القضاءَ على الإسلامِ؛ لأنَّه بَعْدَ بَعْثَةِ النبيِّ ﷺ ليسَ هناكَ دينٌ يَجبُ اتِّباعُهُ غَيْرُ الإسلامِ الذي جاءَ بِهِ رسولُ اللهِ ﷺ، قالَ جلَّ وعلاَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلامُ هو ما جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ عليهم الصلاةُ والسلامُ مِنْ أوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ، وبَعْدَ بَعْثَةِ محمدٍ ﷺ، صارَ الإسلامُ هو ما جَاءَ بِهِ دُونَ ما سِوَاهُ؛ لأنَّ ما سِوَاهُ مِنَ الأديانِ السابقةِ: إمَّا مَنْسُوخٌ بالإسلامِ، إنْ كانَ باَقِياً على ما هو عَلَيْهِ، وإمَّا أنَّهُ مُحَرَّفٌ ومُغَيَّرٌ، كَمَا عندَ اليهودِ والنصارى مِنَ التحريفِ والتغييرِ وإدخالِ الكُفْرِيَّاتِ والضَّلاَلاَتِ في دِيَاناتِهِمْ، ونِسْبَتُها إلى الرُّسُلِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ، وهُمْ بريئونَ منها. ولكنَ على فَرْضِ أنَّها سليمةٌ فإنها منسوخةٌ بدينِ الإسلامِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١ـ٣٢]، فالذي لايَتَّبِعُ هذا الرسولَ كَافِرٌ، سواءٌ كانَ يهوديًا أو نصرانيًا، قالَ ﷺ: «لاَيَسْمَعُ بِي يَهُودِيٌّ ولانَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لايُؤْمِنُ بالذي

جِئْتُ بِهِ إلا دَخَلَ النَّارَ»[(١)].

وقالَ اللهُ سبحانه وتعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ فيما أَنْزَلَهُ عليه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، يعني: القرآن ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧ـ١٥٨].

هَذَا حُكْمُ اللهِ سبحانه وتعالى الذي لهُ مُلْكُ السمواتِ والأرضِ، والذي يَشْرَعُ لعبادِهِ مايشاءُ سبحانه، وهو أَعْلَمُ بما يُصْلِحُهُمْ، وقد شَرَعَ لهم اتِّبَاعَ هذا الرسولِ ﷺ وتَرْكَ ماسِوَاهُ، ولكنْ يَأْبَوْنَ إلا أنْ يَبْقَوْا على كُفْرِهِمْ وإلحَادِهِمْ، ويُعَانِدُونَ ويُبْغِضُونَ الإسلامَ، فَلَمَّا عَجَزُوا عن القضاءِ عليهِ بالسلاحِ عَادُوا عليهِ بالمَكْرِ والخَدِيعَةِ لِيُبْطِلُوهُ، ومِنْ ذلكَ: مُنادَاتُهُمْ بتَوْحِيدِ الأديانِ والمؤاخاةِ بينَها، وكَيفَ يَتَوَحَّدُ دينٌ باطلٌ يقولُ: إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة، أو: إنَّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ، أو: المسيحُ ابنُ اللهِ، أو: عُزَيرٌ ابنُ اللهِ، كما عندَ اليهودِ، والنَّصارَى؟! كيف يَتَآخى هذا مَعَ دينِ اللهِ الذي جاءَ بِهِ محمدٌ ﷺ؟! إنَّهُ الباطِلُ،

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).

لايَتَآخَى مَعَ الحقِّ، ولايتساوى مع الحقِّ أبداً، فهذهِ مَكِيدَةٌ خَبِيثَةٌ كادُوها واغْتَرَّ بِها بعضُ المسلمينَ، حتى إن بعضاً مِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ إلى العِلْم والدَّعْوَةِ يُنادِي بالمؤاخاةِ بينَ المسلمينَ واليهودِ والنصارى، ويقول: هُمْ إِخْوَانُنا، لكنَّهُمْ في الحقيقةِ إِخْوانُهُ هو، أمَّا المسلمونَ فَلَيْسُوا إخوانَهم؛ لأنَّ اللهَ سبحانه يقولُ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١].

ومِمَّا مَكَرُوا في عهدِ النبيِّ ﷺ: أنَّهم أَرَادُوا أنْ يَدْخُلُوا في الإسلامِ في أَوَّلِ النهارِ، ثُمَّ يَرْتَدُّوا في آخِرِهِ، حَتَّى يَتَّبِعَهُمُ الناسُ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٧٢ ﴾ [آل عمران: ٧٢]، هذا مِنْ مَكْرِهِمْ.

ومَكْرُهُمُ الآنَ مِثْلُ ما سَبَقَ، قالُوا: آخُوا بينَ الأديانِ، وسَاوُوا بينَها، وقالوا: بحريةِ العقيدةِ، يعني حريةِ الكُفْرِ والإلحادِ، مَعَ عقيدةِ التوحيدِ والإيمانِ باللهِ عز وجل، وهل هناكَ حُرِّيَّةٌ للعقيدةِ، وأنَّ كُلَّ إنسانٍ يعتقدُ مايَشاءُ، لو كان كذلك لَمَا أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ وأنزلَ الكُتُبَ وأَمَرَ بالجهادِ، ولَتَرَكَ الناسَ على ماهم عليهِ، كُلٌّ يعتقدُ مايشاءُ ولكنَّ اللهَ سبحانه يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلا دينَ إلا ما شَرَعَهُ اللهُ سبحانه وتعالى وهو دينُ التوحيدِ وعقيدةُ التوحيدِ التي جاءتْ بها الأنبياءُ، ثم جَاءَ بِها محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ وأَمَرَ اللهُ النَّاسَ كُلَّهُمْ باتباعِهِ والدُّخُولِ في دينِهِ، قالَ ﷺ «واللهِ لَوْ كَانَ أَخِي مُوسَى حَيًّا مَاوَسِعَهُ إلاَّ اتِّبَاعِي»[1] وفي آخِرِ الزمانِ إذَا نَزَلَ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ، كما تَوَاتَرَ ذلكَ في الأدلةِ، إذا نَزَلَ فإنَّهُ يكونُ تابعاً لمحمدٍ ﷺ، ويَحْكُمُ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (رقم ٢١٣٥) وهو حسن لغيره.

بِشَرِيعةِ الإسلامِ التي جاءَ بها رسولُ اللهِ ﷺ، فهو تَابعٌ للنبيِّ محمدٍ ﷺ، فكيفَ تَبْقَى أديانُ الكُفْرِ وأديانُ الإلحادِ قرينةً للإسلامِ وأَخوَاتٍ للإسلامِ كما يزعمون؟!

كذلكَ مِنَ مَكْرِهِمْ وكَيْدِهِمْ: الذي يُنادُونَ بِهِ الآنَ: حقوقُ الإنسانِ، وهم يُرِيدُونَ بالإنسانِ: الإنسانَ الفَاجِرَ الكافرَ المُلْحِدَ، يقولونَ: هذا لَهُ حقوقٌ، مع أنَّ هذا عنْدَ اللهِ ليسَ لَهُ حقوقٌ، فالكافرُ والملحدُ والخارجُ عَنْ طاعَةِ اللهِ ليسَ لَهُ حقوقٌ؛ لأنَّهُ هو الذي نَزَلَ بِنَفْسِهِ عن الإنسانيةِ إلى أَحَطَّ مِنَ البهيمةِ، لما كَفَرَ باللهِ عزَّ وجلَّ واتَّبَعَ هواهُ، فقد انحطَّ مِنَ الإنسانيةِ إلى أَنْزَلَ مِنْ درجةِ البهيمةِ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝﴾ [التين: ٤، ٦].

اللهُ سبحانهُ وتعالى هو الذي كَفَلَ حُقُوقَ الإنسانِ المسلم والمعاهد، ودينُ الإسلامِ هو الذي كَفَلَ حقوقَ الإنسانِ، لا أن أديانَ اليهوديةِ والنصرانيةِ والمجوسيةِ والإلحاديةِ هي التي كَفَلَتْ حُقُوقَهُ، بل اللهُ هو الذي كَفَلَ حقوقَ الإنسانِ، الذي خَلَقَ الإنسانَ هو الذي كَفَلَ حُقوقَهُ، إذا آمَنَ باللهِ ورَسُولِهِ، فقد شَرَعَ اللهُ سبحانه وتعالى حَدَّ الردَّةِ؛ صيانةً لعقيدةِ الإنسانِ المؤمنِ، وهذا أعظمُ الحقوقِ، وشَرَعَ اللهُ سبحانه وتعالى قَتْلَ القاتِلِ عُدْوَاناً وظُلْماً؛ حمايةً لحياة الإنسانِ المؤمنِ. ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وشَرَعَ سبحانه وتعالى حَدَّ الرَّجْمِ وحَدَّ الجَلْدِ للزَّاني، وشَرَعَ قَتْلَ اللُّوطِيِّ وشَرَعَ حَدَّ القَذْفِ؛ حمايةً لأعراضِ المسلمينَ، حمايةً لِعِرْضِ الإنسانِ، وَشَرَعَ حَدَّ السَّرِقَةِ؛ حمايةً لمالِ الإنسانِ، وشَرَعَ حَدَّ المُسْكِرِ؛ حمايةً لِعَقْلِ الإنسانِ، وشَرَعَ حَدَّ الحِرَابَةِ؛ حمايةً لأَمْنِ الإنسانِ، فاللهُ جل وعلا كَفَلَ حَقَّ الإنسانِ بهذه الحماياتِ العظيمةِ.

أمّا الذي كَفَرَ باللهِ وخَرجَ عن طاعةِ اللهِ، وارتكبَ مَاحَرَّمَ اللهُ، فهذا فَاجِرٌ

ملحد، قد يكونُ مُهْدَرَ الدَّمِ، ليس لَهُ حقوقٌ في الإسلام، وليسَ لَهُ حقوقٌ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، إلا النَّارَ والعذابَ الأليمَ. لكنَّ الكَفَرَةَ يجعلونَ المُجْرِمَ هو الإنسانَ، ويجعلونَ المسلمَ غَيْرَ إنسانٍ، ولذلكَ هُمْ يَتَبَجَّحُونَ بحقوقِ الإنسانِ بينَما يقتلونَ المسلمينَ بالآلافِ، ويَهْدِمُونَ عليهم بُيُوتَهُمْ بالقاذِفَاتِ والصواريخ، ويُهلِكُونَ الأُسَرَ الكاملةَ بما فيهم كبارُ السِّنِّ والأطفالِ والنساءِ، يهلكونَهُمْ جميعاً، لا لشيءٍ إلا لأنَّهم مسلمونَ.

ويقولونَ بحقوقِ الإنسانِ! ماهو الإنسانُ عندَهُمْ؟! الإنسانُ عندهُمْ هو الكافِرُ، هو الفَاسِقُ، هو المجرمُ، هو الظالمُ، هذا هو الإنسانُ عندَ الكفار! فإذا سمعتم بحقوقِ الإنسانِ عِنْدَهُم فهم يُريدونَ هذا الإنسانَ الخارجَ عن طاعةِ اللهِ عز وجل، أما الإنسانُ المسلمُ الموحِّدُ المُتَّقِي للهِ عز وجل، هذا عندَهُمْ ليسَ بإنسانٍ، وإنَّما يسمونَهُ: إرهابيّاً، أو يسمونه: مُتَشَدِّداً، أو يُلَقِّبُونَهُ بأبشعَ الألقابِ، تنفيراً مِنْهُ، وتحريضاً عليه، لالِجُرْمٍ ارْتَكَبَهُ إلا أنَّهُ تَمَسَّكَ بدينِ الإسلامِ، وأبى أنْ يقبلَ دينَ الكُفْرِ.

ومِمّا يُنادُونَ بِهِ الآن: حريةُ المرأةِ، والمرادُ بحريةِ المرأةِ عندَهُم: أنْ تَخْرُجَ عاريةً تاركةً للسِّتْرِ، وأنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِها عاصيةً لِزَوْجِها متمردةً على وَلِيِّها مضيعةً لأَوْلادِها، تخرجُ إلى الشوارعِ، إلى المسارحِ، إلى بيوتِ الدعارةِ، تسافرُ إلى أينَ شاءتْ مِنْ غيرِ رقيبٍ ولاحسيبٍ، تُزَاحِمُ الرِّجالَ في مَجَامعِ الرجالِ، تكون خَادِمةً في المطاراتِ وفي الطائراتِ وفي المكاتبِ، وتكونَ عاملةً في المصانعِ، تلهثُ الليلَ والنهارَ، ولايرحمونَ ضَعْفَها، ولا يرحمونَ أُنُوثَتَها، هذه حقوقُ المرأةِ عِنْدَهم، وهَذه حريتُها، بينما الإسلامُ جَاءَ بإِكْرَامِها، وجاءَ بِحفظِ حقوقِها، وجاءَ بصيانَتِها، وجاءَ بالمحافظةِ عليها. وهم يريدون خلاف ذلك،

يريدون تضييعَ المرأةِ، تضييعَهَا خُلُقِيًّا ودينيًّا وبدنيًّا. وأنْ تكُونَ سِلْعَةً رخيصةً بينَ ذئابِ البشرِ يَتَقَاذَفُونَها، فإذا مَاكَبُرَ سِنُّها وصارتَ لاتَصْلُحُ للشهوةِ، رَمَوْها بأضيقِ مكانٍ، وتَركُوها تعيشُ حَسِيرةً كَسِيرةً، ليسَ لها مَنْ يَرْعَاها ويقومُ بشُؤُونها. هكذا حريةُ المرأةِ عندهم التي ينادُونَ بها الآن، ويَغْترُّ بها بعضُ المنتسبينَ إلى الإسلامِ، أو بعضُ المُغْرضينَ.

المرأة تعيشُ في الإسلامِ عِيشَةًكريمةً، عيشةً مَصُونَةً، تعيشُ أمًّا، وتعيش زَوْجَةً، وتعيش أُختاً، وقريبةً، مُكَرَّمةً مُعَزَّزَةً، رَبَّةَ أُسْرَةٍ، وراعيةَ بيتٍ، وأمينةً على أموال وأسرارِ زَوْجِها ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ [النساء: ٣٤]، هم لايريدونَ ذلك، يريدونَ أنْ تُسْلَخَ كُلُّ كرامَتها وحقوقِها، وتعيشُ مُتَقَاذَفَةً بينَ البشرِ وبين ذئابِ الإنسانِ، يتمتعونَ بها المتعةَ المُحَرَّمَةَ، فإذا ماكَبُرَ سِنُّها رَمَوْها وَقَذَفُوها في الزِّبالةِ! هذهِ حقوقُ المرأةِ عِندَهم، وهذهِ حريةُ المرأةِ عندَهم، قَبَّحهُمُ اللهُ، أنَّى يُؤْفَكُون! فهم يعقِدونَ مؤتمراتٍ لإفسادِها! يسمونها مؤتمرات السكان.

وكذلكَ ممّا غَزَوْا به الإسلامَ: الفضائياتُ ووسائلُ الإعلامِ، الفضائياتُ التي يَبُثُّونَ فيها كُلَّ كفر، وكُلَّ إلحادٍ، وكُلَّ إباحيةٍ، وكُلَّ فُسُوقٍ، يَبُثُّونَها في هذهِ الفضائياتِ، وتَصُبُّ في بيوتِ كثيرٍ من المسلمين بواسطةِ هذه الدشوشِ أو بواسطةِ هذه الشاشاتِ تصبُّ في بيوتِ بعضِ المسلمينَ بينَ أولادِهِمْ ونسائِهِمْ وذَرَارِيهم، عُهْراً وكُفراً وإلحاداً ومجونًا وعُرْياً وتَفَسُّخاً، كُلُّ هذا في بيتِ هذا المسلمِ المَخْدُوعِ، يصبحُ بيتُهُ كأنَّهُ سوقُ دَعَارةٍ، وسوقُ كلابٍ وخنازيرَ، ولايَتَّقِي اللهَ، ولاَ يَسْتَحِي، ولايخافُ مِنَ اللهِ عز وجل، بل يسهرُ هو وأولادُهُ وذُرِيَّتُهُ تحتَ هذه الشاشةِ، كما يعكف عباد الأصنام عند الأصنام ويبقون عندها ليلهم ونهارهم،

يعكف عند هذه الشاشة الخبيثةِ وما تصبُّهُ في بيتِهِ مِنَ الخُبْثِ والإجرامِ، ويدَّعي أنَّ هذا من الاطِّلاعِ، وهذا من الثقافةِ، وهذا من مُعَايَشَةِ العَصْرِ!

يا سبحان اللهِ! يُدْخِلُ النارَ في بيتِهِ ويُدْخِلُ السلاحَ المدمرَ في بيتِهِ، ويرضَى بذلك ويدَّعي أنه مسلم، وأنه محافظ، وأنه وأنه!! نعم هو كانَ مسلماً، لكن يتمادى به الأمر شيئاً فشيئاً حتى يَخْرُجَ من الإسلامِ، ويتمادَى به الأمرُ والشهواتُ والمناظرُ الخبيثةُ حتى يخرجَ مِنْ دينِهِ، ومِنْ عَقْلِهِ، ومن حيائِهِ، ومن سِتْرِه، ويكونَ تلميذاً لهذه الشاشاتِ الخبيثةِ التي تَصُبُّ في بيتِهِ، إنَّ هذهِ الشاشاتِ سلاحٌ مُدَمِّرٌ، أشدُّ منَ سلاحِ القاذفاتِ والصواريخِ، وأشدُّ منْ السلاح الذرِّي المدمِّرِ.

كذلك: سَلَّطُوا على المسلمينَ، وعلى شبابِ المسلمينَ بالخُصوصِ، هذه المخدراتِ ـ والعياذُ باللهِ، هذه المخدراتُ يزرعونها ويصنِّعونها ويعبِّؤونها ويصدِّرونها لبلاد المسلمين ويستأجرون لها مِنَ المجرمين من يؤدِّيها إلى بلادِ المسلمينَ بالمبالغِ الطائلةِ، ويخسرونَ الأموالَ الطائلةَ على إيصَالِها إلى بلادِ المسلمينَ، لا لشيءٍ إلا لِتُدَمِّرَ شبابَ المسلمينَ، ويصبحَ شبابُ المسلمينَ عالةً على مُجتمعِهم وعلى آبائِهم، كما تعلمونَ عنْ أحوالِ المتعاطينَ للمخدراتِ، إلى ماذا آل بهمُ الأمرُ؟ وهمْ يريدونَ هذا، يريدونَ أنْ يُهلِكُوا نَسْلَ المسلمينَ، أشاعُوا بينَهم تحديدَ النسلِ، لأجلِ تَقْليلِ عددِ المسلمينَ، فلمّا لَمْ يُفْلِحوا لَجَؤُوا إلى هذه المخدراتِ، التي هي سلاحٌ فَتّاكٌ تقضي على شبابِ المسلمينَ، فليتبصَّرِ المسلمونَ لعدوِّهم ومَكْرِه وخِدَاعِهِ واحتيالِهِ، ويكونُوا على حَذَرٍ مِنْهُ.

أعوذ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨]، ﴿هَٰٓأَنتُمْ

أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١١٩، ١٢٠]، تصبِروا على دِينِكُمْ، وتتمسَّكوا به، وتتقوا الله سبحانهُ وتعالى ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠]، أمَّا إذا لم تَصبِروا ولم تتقوا فإنه يَضرُّكم كَيْدُهم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعنا بما فيهِ منَ البيانِ والذِّكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ ولجميعِ المسلمينَ مِنْ كلِّ ذنبٍ، فاستغفروهُ إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الداعي إلى رضوانِهِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ وأصحابِهِ وإخوانِهِ وأعوانِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى.

ومنْ مكائِدِ العدوِّ لكم: محاولةُ إفسادِ مناهجِ التعليمِ، يحاولُ العدوُّ الكافرُ إفسادَ مناهجِ تعليمِ أولادِ المسلمينَ، بأنْ يجعلَها مناهجَ خاويةً، مِنَ الإيمانِ، وخاويةً منَ العقيدةِ، ويجعلَها جوفاءَ لَيسَ فيها فائدةٌ، أو يدُسُّ فيها من الكفرِ والإلحادِ باسمِ الحريةِ وباسمِ الاطلاعِ، يدسُّ في مناهجِ المسلمينَ من الانحرافِ، ويدسُّ فيها من أفكارِ الكفرِ ما يُغَيِّرُ عقائدَ شبابِ المسلمينَ، فهم يحاولونَ الغزْوَ للمسلمينَ منْ طريقِ وسائلِ الإعلامِ كما سبقَ، ومنْ طريقِ مناهجِ التعليمِ، ولكنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى لَهُمْ بالمرصادِ، يُقَيِّضُ لهم من يقف في نُحُورِهِم من المسلمينَ

حتى يَبوؤُا بالفشلِ والخسارِ، كما باءَ مَنْ قَبْلَهم مِنْ أُمَمِ الكفرِ والطغيان.

والإسلامُ لايزالُ عزيزاً، لايزالُ الاسلامُ ـ ولله الحمدُ ـ قويًّا بنَفْسِهِ، ولكنَّ الخطرَ على أهلِهِ، فالإسلامُ ليسَ عليهِ خَطَرٌ؛ لأنَّهُ محفوظٌ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]، ولكنَّ الخطرَ على المسلمينَ، على أهلِ الإسلام، أنْ ينحرفُوا عنه، وأنْ يتركُوهُ، واللهُ جلَّ وعَلا يقولُ: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم ۝٣٨ ﴾، [محمد: ٣٨]، فالله جل وعلا يَغارُ لدينِهِ، ويَغارُ لشريعتِهِ، فإذا تركَها قومٌ يَسَّرَ اللهُ لها قوماً آخرينَ يقومونَ بِها، فالخطرُ إنَّما هو على المسلمينَ، وأمَّا الدينُ والشرعُ والإسلامُ فإنَّهُ محفوظٌ بحفظِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى، يَنْزِعَهُ مَنْ قومٍ ويَمْنَحُهُ قوماً آخرين، إلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٤٥]، فعلينا أنْ نخافَ أن يُنزَعَ مِنَّا الإسلامُ، وأنْ يُنزَعَ الإيمانُ من ديارِنا وأنْ يذهبَ إلى غيرِنا.

فلنحذرْ يا عبادَ اللهِ مِنْ عَدُوِّنا، وأنْ لا نأْمَنَ عَدُوَّناأبداً، هو عَدُوٌّ دائماً وأبداً، وإنْ تظاهرَ بالصداقةِ، تظاهرَ بالتعاونِ، تظاهرَ بكذا وكذا، فنحن لا نَنْخَدِعُ بِهِ أبداً؛ لأنَّهُ دائماً يحاولُ القضاءَ على المسلمين.

نسألُ اللهَ أنْ يوفقَ المسلمينَ ـ رعاةً ورعيةً ـ للحذرِ منْ مَكْرِ أعدائِهِم، وأنْ يجعلَ الإيمانَ في قلوبِهم، والثباتَ في مواقفهم حتى يكونوا في نُحُورِ أعداءِ اللهِ وأعداءِ رسولِهِ ﷺ، وأن يَبْقَى لهم دينهم ويبقى لهم أمْنُهم واستقرارُهُم، نَسْأَلُهُ سبحانَهُ وتعالى أن يُصْلِحَ فَسَادَ المسلمينَ، وأنْ يجمعَ كلمةَ المسلمينَ على الدين. ثم ـ عباد الله ـ أن أحسن الحديث كتاب الله. وخير الهدي هدي محمد.. إلخ الخطبة.

في وجوبِ طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسُولِهِ ﷺ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، أمر بطاعتِهِ وطاعةِ رسولِهِ، ورَتَّبَ على ذلكَ الخيرَ والفلاحَ والصلاحَ والفوزَ في الدنيا والآخرةِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ ولانِدَّ ولا ظهيرَ ولا مثيلَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنير، صلى الله عليهِ وعلى آله وأصحابه ومَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً..

أما بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، يقولُ اللهُ سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩]، في هذه الآيةِ الكريمةِ ينادِي اللهُ عبادَهُ المؤمنينَ بِأَعَزِّ أوصافِهِم وأَشْرَفِها، وهو الإيمانُ؛ لأنَّ الإيمانَ يَقْتضِي الامتثالَ، ويأمرهُم بطاعته وطاعة رسولِهِ، فيما أمرَوا بِهِ فيمتثلُونَهُ، وفيما نهوا عنهُ فيحذرُونَهُ ويجتنبونه، كما قالَ تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر: ٧]، فأمَرَ بطاعتِهِ سبحانه وطاعةِ رسولِهِ، أمراً مُطْلقاً لا استثناءَ فيهِ، فكُلُّ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أو أمَرَ بِهِ رسولُهُ ﷺ، فإنَّهُ يجبُ امتثالُهُ.

وأمّا طاعةُ أُولي الأمرِ، فإنَّها واجبةٌ ما لَمْ يأمرُوا بمعصيةٍ، كما قالَ ﷺ: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ»[1] وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ «إنَّما الطاعةُ

---

(١) بهذا اللفظ رواه أحمد والحاكم، ومعناه في الصحيحين.

بالمعروفِ»[(١)]، ثم أَمَرَ بردِّ النزاعِ والاختلافِ إلى الكتاب والسنة، لأنَّ الناسَ لابدَّ أنْ يَحْصُلَ بينَهم شيءٌ منَ النزاعِ والاختلافِ، فأمَرَ بردِّ ذلكَ إلى كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ ﷺ، ثم الصُّدُورُ عنْ حكمِهما وتركُ ما خالَفَهما، وبيَّنَ أنَّ ذلكَ خَيْرٌ لهُمْ في الدنيا والآخرةِ، وأَحْسَنُ عاقبةً، وأحسنُ مآلاً.

والردُّ إلى اللهِ هو: الردُّ إلى كتابِ اللهِ، والردُّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ هو: الرجوعُ إليه في حياتِهِ عليه الصلاةُ السلامُ والردُّ إلى سُنَّتِهِ بَعْدَ وفاتِهِ، كما قالَ ﷺ: «إنِّي تاركٌ فِيكُم مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ يَضلُّوا بعدِي: كتابَ اللهِ وسُنَّتِي»[(٢)].

فهذا هو واجبُ المسلمِ نحو أوامرِ اللهِ ونواهيهِ: الإصغاءُ والامتثالُ. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فإذا بلغكَ أمرُ اللهِ، أو أَمْرُ رَسُولِهِ ﷺ، فإنّه لا خِيارَ لكَ في أنْ تَمْتَثِلَ أَوْ لاتمتثلَ بَلْ يجبُ عليكَ الامتثالُ، والسمعُ والطاعةُ، والمبادرةُ إلى طاعةِ اللهِ ورسولِهِ؛ لتَحْظَى بهذا الوعْدِ الكريمِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، فإذا أطعتَ اللهَ وأطعْتَ رسولَهُ ﷺ، كُنْتَ مَعَ خيرةِ الخَلْقِ، وإذا عصيتَ اللهَ ورسولَهُ، صِرْتَ مع شِرارِ الخَلْقِ ـ والعياذُ باللهِ ـ مِنَ الكَفَرةِ والمشركينَ والفسَقَةِ والمنافقينَ.

عبادَ الله: كم تَبْلُغُنا أوامرُ الله وأوامرُ رَسُولِهِ ﷺ، فيما نقرأُ مِنْ كتابِ اللهِ، أو نسمعُ مِنْ كتابِ اللهِ، وفيما نقرأُ مِنْ سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو نَسْمَعُ مِنْ سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وفيما نسمعُ في الخُطَبِ والمحاضراتِ والدروسِ والبرامجِ

---

(١) البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠) بلفظ «في المعروف».
(٢) رواه الترمذيُّ (٣٧٩٠).

الدينيةِ في وسائل الإعلام، كَمْ نسمعُ ونسمعُ، ولكنْ أينَ الامتثالُ؟! أينَ السمعُ والطاعةُ؟! إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى.

فالذي عندَهُ فَسَادٌ في عقيدتِهِ، وعندهُ شِرْكٌ باللهِ، وهو يدَّعِي الإسلامَ، لا يمتثلُ أوامرَ اللهِ وأوامرَ رسولِهِ ﷺ، في الأَمْرِ بالتوحيدِ، وإخلاصِ العبادَةِ للهِ، والنهي عنِ الشِّرْكِ، والرجوعِ مِنَ الباطلِ إلى الحقِّ، قليلٌ مَنْ يمتثلُ هذا ويَبْنِي دينَهُ على أَصْلٍ صحيحٍ، وعقيدةٍ خالصةٍ، واتباعٍ للرسولِ ﷺ.

المضَيِّعُ للصلاةِ: والمتهاونُ بِها يسمعُ أوامرَ اللهِ وأوامرَ رسولِهِ ﷺ، ولايزالُ مضيعاً للصلاةِ، ولايزالُ متساهلاً في شأنِ الصلاةِ، كأنَّ الأوامرَ والنواهِيَ لم تَصْدُرْ إليه ولم تَبْلُغْهُ، وكأنَّها لاتعنِيهِ وإنما تعني غيرَهُ.

المتعاملُ بالمعالاتِ المحرَّمةِ، مِنْ رِباً ورِشْوَةٍ، وغِشٍّ وخديعةٍ، وغيرِ ذلكَ، كَمْ تَبْلُغُهُ أوامرُ اللهِ وأوامرُ رسولِهِ ﷺ، بِأَخْذِ الحلالِ وتَرْكِ الحرام، ولايزالُ مُصِرًّا على معاملاتِهِ المحرَّمَةِ، لايتزحزحُ عنها قَيْدَ شَعْرَةٍ، كأنَّهُ لَمْ تبلغْهُ الشريعةُ، أو كأنَّها لاتعنيهِ في شيءٍ.

كم نسمعُ مِنْ أوامرِ اللهِ ونواهيهِ في تركِ استماعِ الباطلِ والنَّظَرِ المحرَّمِ واللهوِ واللعبِ، ولايزالُ الكثيرُ منا مُصِرِّينَ على هذه الأمورِ، يَنْصِبُونَ الدُّشوشَ على سُطُوحِهِم، وَالإنترنتَ في بُيُوتِهِم، ويستقبلونَ القنواتِ الفضائية بما فيها مِنْ شرورٍ وإباحيةٍ، وبما فيها مِنْ فسادٍ، وكسادٍ، وبما فيها من تدميرٍ للأُسَرِ، ويسمعونَ النصيحةَ، ولكنْ لا يمتثلونَ، بَلْ شَرُّهُم يزيدُ، وإقبالُهم على وسائِلِ الفتنةِ يشتدُّ ولاحولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

كم تسمعُ النساء من النهي والتحذيرِ عن التبرجِ والسفورِ والاختلاطِ بالرجالِ، وغيرِ ذلكَ مما يُحَذِّرُهُنَّ اللهُ ورسولُهُ، ولايَزَلْنَ على سُلوكِهِنَّ

المنحرفِ والخَاطِىء، إلا مَنْ رحمَ اللهُ منهن، فأينَ هو الامتثالُ والسمعُ والطاعةُ؟! كأنَّ هذه النصوصُ أو هذه الأمورُ لاتعنينا وإنَّما تعني غيرَنا!.

إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أَمَرَكَ بالمبادرةِ بالامتثالِ حتى ولو كَرِهَتْ نفسُكَ، فإنَّ العاقبةَ حميدةٌ، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩]، فإنَّ الله جلَّ وعلا لايَأْمُرُكَ إلا بِما فيهِ الخيرُ والصَّلاحُ، ولَوْ لَمْ يتبينْ لَكَ وَجْهُ ذلكَ في الوقتِ الحاضِرِ، لكنْ في العاقِبَةِ والمآلِ تجد الخَيْرَ في ذلكَ، لقد كانَ السلفُ الصالحُ يبادرونَ إلى امتثالِ أوامرِ اللهِ، واجتنابِ نواهِيهِ، وهاكُمْ نماذجَ:

كان المسلمونَ يُصَلُّون إلى بيتِ المَقْدِسِ في أَوَّلِ الهجرةِ، ثمَّ إنَّ اللهَ حوَّلَ القِبْلَةَ إلى الكعبةِ، فاستقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ الكعبةَ، وبقي أناسٌ يصلونَ إلى بيتِ المقدسِ؛ لأنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُمُ الخبرُ، فبينَما هم يصلونَ جاءَهُم رَجُلٌ صلى مع رسولِ اللهِ ﷺ صلاةَ العَصْرِ، فقال: أَشْهَدُ لَقَدْ حُوِّلَتِ القبلةُ إلى الكعبةِ المشرفةِ، فاستدارُوا وهم في صلاتِهِم واستقبلُوا الكعبةَ المشرفةَ، امتثالاً لأمرِ اللهِ سبحانه وتعالى، ومبادرةً إلى طاعتهِ.

رأى رسولُ اللهِ ﷺ رجلاً في يده خاتمٌ مِنْ ذَهَبٍ، وقد حَرَّمَ اللهُ الذهبَ على الرجالِ، فقالَ ﷺ: «يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إلى جَمْرَةٍ منَ النارِ فَيَضَعُهَا في كَفِّه»[1]، ثم أَخَذَ ﷺ الخاتم وطرحهُ في الأرض، فلما قامَ رسولُ الله ﷺ قالَ الحاضرونَ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٠٩٠).

للرجلِ: خُذْ خاتَمَكَ أنتَفعْ بهِ، قال: لا واللهِ، لا آخُذُهُ وقد طَرَحَهُ رسولُ اللهِ ﷺ. هذا هو الامتثالُ والإيمانُ.

ولما أَمَرَ اللهُ نساءَ المسلمينَ بالحِجابِ في قولِهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، خرجَ نساءُ الأنصارِ إلى الصلاةِ مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ لَفَفْنَ رُؤُوسَهُنَّ ووجوههن بالخُمُرِ كأنَّما على رُؤُوسِهِنَّ الغِرْبانُ لا يعرفهن أحد؛ امتثالاً لأمر اللهِ ورسولِهِ.

وعلى العَكْس: فإنَّ النبيَّ ﷺ رأى رجلاً يأكلُ بيَدِهِ اليُسَرى، فقال له ﷺ: «كُلْ بيَمِينِكَ» قالَ: لا أستطيعُ ـ ما مَنَعَهُ إلا الكِبْرُ ـ فقالَ النبيُّ ﷺ: «لا اسْتَطَعْتَ»[1] فما رَفَعَها إلى فِيهِ، عقوبةً له على عدمِ الامتثالِ، والاستكبارِ عنْ أمرِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وبادرُوا بامتثال أوامرِ اللهِ ونواهِيهِ، وليبدأْ كُلٌّ منّا بنفسِهِ أولاً قبلَ أنْ يَنْظُرَ إلى أعمالِ الآخرينَ، ينظرُ إلى نفسِهِ ومَوْقِفِهِ منْ أوامرِ اللهِ وأوامرِ رسولِهِ، فيحملُ نفسَهُ على السمعِ والطاعةِ، والبُعْدِ عن المعصيةِ، ثم ينصحُ لإخوانِهِ المسلمينَ.

أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٠٢١).

دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٤٧ـ٥٢]،

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية.

الحمدُ للهِ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، وأشكرهُ على توفيقه وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسولُهُ، ﷺ وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: عبادُ اللهِ: فإنَّ طاعةَ اللهِ وطاعةَ رسولِهِ ﷺ هما مُقْتَضى شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، فإذا شهدتَ أنْ لا إله إلا اللهُ وجب عليك أن تطيع أوامرَ اللهِ سبحانه وتعالى، وإذا شهدت أن محمداً رسولُ الله وَجَبَ عليكَ أنْ تطيعَهُ فيما يَأْمُرُكَ بِهِ وفِيما ينهاكَ عَنْهُ، ولنحذرْ مِنَ العُقُوبَةِ بمخالفةِ أوامِرِ اللهِ وأوامرِ رسولِهِ، فإنَّ اللهَ جَلَّ وعلا يقولُ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

فالذينَ يُخالفونَ أوامرَ اللهِ وأوامرَ رسولِهِ بعد أنْ تَبْلُغَهُم، متعرضونَ لإحْدى عقوبتين:

العقوبةُ الأولى: فسادٌ وزَيغٌ في قلوبهم، كَمَا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ١٦].

والعقوبةُ الثانية: أنْ ﴿يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾، في الدنيا، من القتلِ والعقوباتِ المُهْلِكَةِ، كالزلازلِ والبراكينِ، وغير ذلك من النوازلِ التي تصيبُ الناسَ، أو الأمراضِ والطواعينِ والآفاتِ، والجوعِ، والخوف، ونقصِ الأموالِ والثمراتِ، أو في الآخرة بالعقوبة بالنار ـ نسأل الله العافية.

فاللهُ جَلَّ وعَلاَ يُمْهِلُ ولا يُهمِلُ، فلنحذرْ مِنْ عقوبةِ اللهِ سبحانه وتعالى إذا نحن رَفَضْنَا أوامِرَهُ ونَوَاهيهُ، وبقينَا على شهواتِ أنفُسِنا وأطماعِنا، فالمؤمنُ يُقَدِّمُ طاعةَ اللهِ وطاعةَ رسولِ اللهِ على كُلِّ شيءٍ فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى خَلَقَكَ لعبادتِهِ، وأنتَ عَبْدُهُ، تأتمرُ بأوامرِهِ، وتنتهي عن نواهِيهِ، وهذا معنى العبودية لله لأنَّكَ عبدٌ للهِ، وَلستَ عبداً لهواكَ وشهواتِك، كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠]، بل بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ طاعةَ الهوى شِرْكٌ باللهِ عز وجل، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

فلنتق اللهَ في أنفسِنا ولنحترمْ أوامرَ اللهِ وأوامرَ رسولِهِ ﷺ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

فعلينا أنْ نَحْذَرَ من المخالفةِ لأوامرِ اللهِ وأوامرِ رسولِهِ ﷺ.

ثم اعْلَمُوا رحمكم الله ـ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في وُجوبِ شُكْرِ نِعَمِ اللهِ، والتحذيرِ مِنْ كُفرِ النِّعَمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، له المُلْكُ وله الحمدُ، يُحيي ويميتُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أن محمداً عَبْدُهُ ورسولُهُ، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، ﷺ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً. .

أما بعدُ: قال اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣ ﴾ [فاطر: ٣].

عبادَ اللهِ: لقدْ أَنْعَمَ اللهُ علينا بنعمٍ كثيرةٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، قالَ تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾، [لقمان: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أنعمَ اللهُ علينا بنعمةِ الإسلامِ التي هي أكبرُ النعمِ، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣]، كَثِيرٌ منَ الناسِ يتخبطونَ في الكفرِ والشركِ والضلالِ والإلحاد والشُّكُوكِ والأَوْهامِ، وقد مَنَّ اللهُ على المسلمينَ بنعمةِ الإسلامِ التي هي أَجَلُّ النِّعم وأَعْظَمُهَا، أنعم علينا بالأَمْنِ في الأوطانِ، والأمنِ على الأرواحِ، والأمنِ على الأعراضِ، والأمنِ على الأرزاقِ

والأموال، بينما يُتَخَطَّفُ الناسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فيعيشونَ في خوفٍ وقلقٍ، ونهبٍ وسَلْبٍ، وقتلٍ وتشريدٍ، أنعمَ علينا بالصحةِ في الأبدانِ، وكثيرٌ مِنَ الناسِ يعيشونَ في الأمراضِ المؤلمةِ والآفاتِ الكثيرةِ، أنعمَ علينا بالراحةِ في الأَسْفَارِ، فقدْ تَوَفَّرَتْ للمسافرينَ وسائلُ النقلِ السريعةِ، وتوفرتْ لَهُمْ محلاتُ الاستراحةِ في كُلِّ مكانٍ يَمُرُّونَ به، تتوفرُ فيه الأرزاقُ والمياهُ وكُلُّ ما يطلبونَ، لايحملونَ معهم زاداً ولا ماءً؛ لأنَّهمْ يجدونَ ذلكَ في طريقِهم على امتدادِهِ، فهذهِ نعمٌ عظيمةٌ يجبُ علينا أنْ نَشْكُرَها؛ لأنَّ النعمَ إنما تزيدُ وتستقرُّ بالشُّكْرِ، وتزولُ وتَقِلُّ بالكُفرِ، قالَ الله سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

فإذا أَرَدْتُمْ بقاءَ هذه النعمِ واستمرارِهَا، فعليكمْ بالشكرِ، فإنَّ تقييدَها بشكرِ اللهِ سبحانه وتعالى، وتذكَّرُوا مَنْ كَفَرُوا بنعمِ الله وماذا حَلَّ بهم؟ قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

وذَكَرَ لنا قصةَ سبأ، وهم أهلُ اليمنِ، كانوا يعيشونَ في نِعْمَةٍ عظيمةٍ، في زُرُوعٍ وخِصبٍ ومياهٍ متوفرةٍ وجناتٍ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا﴾ [سبأ: ١٥، ١٦]، يَعْنِي: أَعْرَضُوا عن شكرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]، أيْ: أَطْلَقَ اللهُ عليهمْ مياهَ سد مأرب الذي كانُوا يَحْبِسُونَ بِهِ السُّيُولَ لزروعِهمْ وشرابِهِمْ فَسَلَّطَ اللهُ عليهِ الجُرَذَ، الدابةَ

الضعيفةَ، فَنَقَبَتْهُ وهُمْ لايشعرون، ثُمَّ انفجرَ عليهم الوادِي بما فيهِ مِنَ المياهِ المخزونَةِ، فَأَهْلَكَتْ ديارَهُم وحُرُوثَهُمْ وأشجارَهُمْ ﴿ وَبَدَّلْنَهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ [سبأ: ١٦]، وهو شَجَرُ الأَرَاكِ ﴿وأثل﴾ وهو الطَّرْفا ﴿ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾: والسِّدْر: هو الشجرُ ذُو الشَّوْكِ، وفيه ثَمرٌ طيِّبٌ لكنَّه قليلٌ، ولايحصلونَ عليهِ إلا بمشقةٍ؛ لما في تلكِ الأشجارِ من الشوكِ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ﴾ [سبأ: ١٧]، يعني: بما كَفَرُوا نعمَ اللهِ ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٧].

ثم ذَكَرَ حَالَتَهُمْ في الأسْفَارِ، لَمَا ذَكَرَ حالَتَهم في الحَضَرِ وإقامتهم، في البلدِ وما فيهِ مِنَ النعمِ ـ بلدِ الإقامةِ ـ ذَكَر حالَتَهُمْ في السفرِ، وأنَّ اللهَ أنعمَ عليهمْ بالراحةِ في أسفارِهِمْ، بحيثُ يسيرونَ مِنْ بلدٍ إلى بلدٍ في طريقهمْ، ولايحملونَ مَعَهُمْ زاداً ولا ماءً قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨]، وهي الشام ﴿ قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سبأ: ١٨]، جَعَلَ اللهُ بينَ اليمنِ وبينَ بلادِ الشام بلاداً متواصلةً على الطريقِ، بحيثُ إنَّ المسافرَ لايحتاجُ معه أنْ يحملَ الزادَ والماءَ وكُلَفَ السفرِ؛ لأنَّ اللهَ وفّرَ ذلكَ لَهُ في محطاتٍ متناسبةٍ يجدُها أَيْنَما حلَّ فيها، ﴿ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سبأ: ١٨]، فكَفَروا هذهِ النعمةَ، وطلبوا مِنَ اللهِ أنْ يغيِّرَ هذا السفرَ إلى سفرٍ شاقٍّ، وأن يُحَوِّلَ هذهِ الأراضي إلى مَفَاوِزَ ليسَ بِها بلادٌ، كُفْراً بنعمِ اللهِ ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]، طَلَبُوا مِنَ اللهِ أنْ يكونَ سَفَرُهُمْ في مفاوزَ، وفي بَرَارٍ قاحلةٍ ليسَ فيها شيءٌ وبَطَرُوا نعمةَ اللهِ عليهِمْ ﴿ وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالشِّرْكِ وكُفْرِ النعمِ؛ لأنَّهم لايَظْلِمونَ اللهَ شيئاً سبحانه، ولايَضُرُّونَهُ شيئاً، وإنَّما يظلمونَ أَنْفُسَهُمْ، ويَضُرُّونَها بِفِعْلِهم وعَدَمِ شُكْرِهِمْ ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ

أَحَادِيثَ﴾، صارَ الناسُ يتحدثونَ عَمَّا أصابَهُم، ويذكرونَ أحوالَهُمْ وما حَلَّ بِهم في مجالِسِهمْ وفي كُتُبِ التاريخِ ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرَّقَهُمُ اللهُ كُلَّ تفريقٍ، وقَطَّعَهُمْ بعد أنْ كانُوا مجتمعينَ، وكانتْ أُمَّتُهُمْ أمةَ حضارةٍ، وأمةَ زراعةٍ، وأمةَ خيراتٍ، مَزَّقَهُمُ اللهُ، فَتَشَتَّتُوا في أرضِ الجزيرةِ، ورَحَلُوا مِنَ اليمنِ لمّا أَقْفَرَتْ وفَسَدَتْ بلادُهُمْ، شَتَّتَهُمُ اللهُ في أرضِ الجزيرةِ، في العراقِ، وفي الشامِ، وفي المدينةِ، وفي أصقاعِ الأرضِ؛ بسببِ كُفْرِهِمْ بنعمِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى، فبدَّلَهُمُ اللهُ بالأمنِ خوفاً، وبدَّلهم برَغدِ العيشِ جُوعاً وقلةَ محاصيلَ، وبدَّلهمْ الاجتماع تَفَرُّقاً وتَشَتُّتاً، كُلُّ ذلكَ بِسَبَبِ كُفرِ نِعَمِ اللهِ سبحانه وتعالى، فالنِّعمُ إنَّما تُقَيَّدُ بالشكرِ، وتزولُ بالكفرِ ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وما أَشْبَهَ حالَهم بحالِنا في هذهِ البلادِ، مِنْ وَفْرَةِ النعمِ ووفرةِ الأمنِ.

أيُّها المسلمونَ: إنَّ الشُّكْرَ للنعمِ يتكوَّنُ مِنْ ثلاثةِ أركانٍ، وهي:

التحدثُ بِها ظاهراً، بأنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ نعمِ اللهِ عليهِ، معترفاً بفضلِ اللهِ عليهِ. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾؛ [الضحى: ١١] لأنَّهُ إذا تحدثَ بها فقدْ أَثْنَى على اللهِ تعالى بِها.

والرُّكْنُ الثاني: الاعترافُ بها باطِناً في قلبِهِ، بأنْ يعترفَ أنَّ هذهِ النعمَ هي مِنَ اللهِ، لابِحَوْلِهِ ولابقوتِهِ، ولابِكَدِّهِ ولا بِكَسْبِه، وإنَّما هي فَضْلٌ مِنَ اللهِ، فيُثْني على اللهِ بذلكَ ويَشْكُرُهُ، ويُحِبُّ رَبَّهُ عز وجل بما أنعمَ عليهِ.

الركنُ الثالثُ: أنْ يَصْرِفَ هذهِ النعمَ ويستعينَ بها على طاعةِ اللهِ عز وجل فيؤدِّي ما أَوْجَبَ اللهُ عليهِ، ويتجنبُ ما حرَّمَ اللهُ عليهِ، ويأكُلُ مما أباحَ اللهُ لَهُ، فهذا هو صَرْفُها في طاعةِ اللهِ، فإنَّ اللهَ أَمَرَ أن يُطاعَ فلا يُعْصَى، وأنْ يُشْكَرَ فلا

يُكفَرُ، وأنْ يُذْكَرَ فلا يُنسى، كما في قولِهِ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ومِنْ صَرْفِها في طاعةِ اللهِ: أنْ ينفقَ مِنْ هذِه الأموالِ وهذهِ النعمِ، أنْ ينفقَ على المحتاجينَ، وعلى الفقراءِ والمساكينِ، ويُساعدَ المُعْسِرينَ والمُعْوِزينَ، وأنْ ينفقَ في سبيلِ اللهِ، فيخرجُ الزكاةَ ويتصدَّقُ صدقاتِ التطوعِ، فينفقُ مِنْ هذهِ الأموالِ في طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى ومرضاتِهِ، فإذا فَعَلَ ذلكَ فإنَّهُ يكون قد صَرَفَ نِعَمَ اللهِ في طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، أمَّا إذا صَرَفهَا في المحرَّماتِ والمعاصي، واستعانَ بِها على ذلكَ فإنَّهُ يكونُ قد كفرَ بنعمِ اللهِ عليهِ؛ لأنَّ اللهَ لَمْ يَرْزُقْهُ هذهِ الأموالَ وهذهِ النعمَ مِنْ أَجْلِ أنْ يعصيَهُ بِها، وإنما رَزَقَهُ إيَّاها ليستعينَ بها على طاعةِ اللهِ، ويعترفَ بنعمِ اللهِ عليهِ، فبذلكَ يشكرُ اللهُ لَهُ ذلكَ ويَزيدُهُ مِنْ نِعَمِهِ، ويُدِيمُ هذهِ النعمَ عليه لأنَّهُ أدَّى حَقَّها وقامَ بِشُكْرِها.

وقدْ وَصَفَ اللهُ خِيرَةَ أنبيائِهِ بالشكرِ، فوصفَ نبيَّهُ نوحاً عليه الصلاةُ والسلامُ بأنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً، وَوَصَفَ خليلَهُ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ بأنَّهُ شاكرٌ لنعمِ اللهِ فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١]، وكان نبيُّنا ﷺ يقومُ على قدميهِ الشريفتينِ في الليلِ حتى تَتَفَطَّرَا مِنْ طولِ القيامِ، فقالتْ لَهُ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: يارسولَ اللهِ، لِمَ تفعلُ هذا وقد غَفَرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ قالَ: «أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟».

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ: واشكرُوا نعمَ اللهِ عليكمُ، ولاتكونُوا مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٦]، باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على نِعَمِهِ الظاهرةِ والباطنةِ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً..

أمَّا بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى: ولنحاسبْ أنفسنَا مع نعمِ اللهِ التي أدرَّهَا علينا، لنحاسبْ أنفسَنا: هلْ قُمْنا بِشُكْرِها؟ هل وَفَّيْنا بحقِّها؟ وإلا فلنحذرْ أنْ يصيبَنا ما أصابَ الأممَ مِنْ قبلِنا، وما أصابَ الأممَ التي حولَنا، والتي تعيشُ في زمانِنا، فإنْ اللهَ جل وعلا لايغيرُ ما بقومٍ حتى يُغيروا ما بأَنْفُسِهم، كثيرٌ مِنَ الناسِ قابلُوا نعمَ اللهِ بالكفرِ والمعاصي، وفِعْلِ المحرماتِ، وتَرْكِ الواجباتِ، فتراهم لايحضرونَ المساجدَ وهم بِجِوارِها، ولايصلونَ مع المسلمينَ وهم أقوياءُ قادرونَ على الحضورِ، ولكن كَبَّلَتْهم أَنْفُسُهُمْ الأمّارةُ بالسُّوءِ، وكَبَّلهمُ الشيطانُ، فأصَبحُوا مأسورينَ لِعَدُوِّهِم، لايستطيعونَ الخلاصَ والخُطْوَ إلى المساجدِ.

النعمُ التي أعطاها اللهُ لكثيرٍ مِنَ العبادِ أسرفُوا فيها، وتكبَّروا فيها، وأشِرُوا وبَطرُوا نعمَ اللهِ عليهم، بَدَلَ أنْ يشكرُوها، وأن يستعملُوها في طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، تراهُمْ يتسابقونَ إلى المعاصي، تراهم يتسابقونَ إلى تدميرِ بيوتِهم، بما يجلبونَهُ إليها مِنْ وسائلِ الفِتْنَةِ، والبَثِّ الفضائيِّ الذي يَصُبُّ في بيوتِهِمْ مِنْ بلادِ

الإباحيةِ والإلحادِ والعُرْيِ والسُّفُورِ والشُّرُورِ، فتصبحُ بيوتُهُمْ مصبّاً لهذه الفتنِ بينَ عوائِلِهِمْ وأولادِهِمْ، هل هذا جزاءُ نعمِ اللهِ سبحانه وتعالى؟ أليستْ هذه البيوتُ بيوتَ مسلمينَ؟ لماذا تحوّلتْ إلى أَوْكارٍ للشرِّ، وأصبحتْ في قَبْضَةِ الشيطانِ؟ ما هذا إلا بسببِ تَصَرُّفِ القائمينَ عليها الذينَ كَفَرُوا نعمةَ اللهِ عليهمْ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ!

ونرى نساءَ المسلمينَ وبناتِ المسلمينَ قد خَالَفْنَ الآدابَ الشرعيةَ، إلا مَنْ رحمَ اللهُ، يَتَبَرَّجْنَ بالزينةِ، وَيَتَطَيَّبْنَ بأنواعِ الطِّيبِ ويَخْرُجْنَ للأسواقِ ولأيِّ مكانٍ، يزاحمْنَ فيه الرجالَ، ويُظْهِرْنَ الزينةَ، ويُغَازِلْنَ مَنْ يتعرضُ لهنَّ بالفتنةِ، ولاحسيبَ ولارقيبَ، إلا مَنْ رحمَ اللهُ سبحانه وتعالى: فأولياءُ هذه النساءِ أصبحُوا مَكْتُوفي الأيْدي، لا يَحِيرُون كلمةً، ولايغارونَ للهِ سبحانه وتعالى مع بناتِهِمْ ومحارِمِهِمْ.

أينَ شُكْرُ النعمِ ياعبادَ اللهِ؟ هذهِ أسبابُ الهلاكِ قدْ انعقدتْ فيما بينكُمْ، فإنْ لم تبادرُوا بالتوبةِ إلى اللهِ والرجوعِ إلى اللهِ، ومَنْعِ هذهِ الأمُورِ الخَطِرَةِ، وإلا فإنَّ العقوبةَ نازلةٌ لاشكَّ صباحاً أو مَساءً، نسألُ اللهَ العفوَ والعافيةَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ في أنفسِكُمْ، وفي أولادِكُمْ وفي نسائِكُمْ، وفي مُجْتَمَعِكُمْ، مُرُوا بالمعروفِ، وانْهَوْا عن المنكرِ؛ لئلاّ يَحِلَّ بِكُمْ ما حَلَّ ببني إسرائيل ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

واعلموا أنَّ اللهَ قد ينعمُ على بعضِ الناسِ بأنواعٍ مِنَ النِّعَمِ، اسْتِدْرَاجاً لَهُمْ، وإمْلاءً لهم؛ ليزدَادُوا إثْماً ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ على غِرَّةٍ، كما قالَ تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا

ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وانظروا مَوْقِعَكُمْ مِنْ نعمِ اللهِ عز وجل؛ لئلاّ تتحوَّلَ إلى نِقَمٍ.

واعْلَمُوا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ الله . . إلخ الخطبة.

* * *

في الحَثِّ على التزامِ الصِّدْقِ وتَجَنُّبِ الكَذِبِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أَمَرَ بالصدقِ وَوَعَدَ الصادقينَ، ونَهَى عَنِ الكَذِبِ، وتَوَعَّدَ الكاذبينَ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الصادقُ الأمينُ، صلى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، والْزَمُوا الصِّدْقَ، فإنَّهُ مَنْجَاةٌ، واحْذَرُوا الكَذِبَ فإنَّهُ مَهْلَكَةٌ، قالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ، فإنَّ الصِّدْقَ، يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لايزالُ يَصْدُقُ ويتحرَّى الصِّدْقَ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً. وإياكُمْ والكَذِبَ، فإنَّ الكذبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، ولا يزالُ الرجلُ يَكْذِبُ ويَتَحرَّى الكذبَ حتى يُكْتَبَ عندَ اللهِ كَذَّابًا»[1].

ففي هذا الحديثِ بيانُ أسبابِ الصدقِ، وأسبابِ الكذبِ، وأنَّ أسبابَ الصدقِ، تكونُ بتعويدِ النفسِ عليهِ «لايزالُ الرَّجُلُ يصدُقُ ويَتَحرَّى الصِّدْق» فيعوِّد نفسَهُ على ذلكَ، ويتربَّى عليهِ، ويَعْتَادُهُ ويَأْلَفُهُ، حتى يُكتبَ عندَ اللهِ صِدِّيقاً، أيْ: يكونُ في مرتبةِ الصِّدِّيقينَ، ومرتبةُ الصديقينَ بَعْدَ مرتبةِ النَّبِيِّينِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، فالصِّدِّيقونَ مَرْتَبَتُهُمْ بَعْدَ مَرْتَبَةِ النبيينَ في الفَضْلِ والمَكَانَةِ، ثُمَّ ثَمرةُ ذلكَ الجنةُ.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠٧)، ورواه البخاريُّ بنحوه (٦٠٩٤) كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الترمذيُّ (١٩٧٢).

«وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنةِ» فالصدْقُ يَدْعُو إلى البرِّ، والبرُّ عَمَلُ كُلِّ خيرٍ، فالبرُّ كلمةٌ جامعةٌ لكُلِّ خيرٍ، فالصِّدْقُ يَفْتَحُ للإنسانِ أبوابَ البرِّ، ويُعَوِّدُهُ على الخيرِ، حتى يكونَ مِنَ الصِّدِّيقينَ ويكونَ مِنْ أَهْلِ الجنةِ.

والكَذِبُ على العَكْسِ مِنْ ذلكَ، وسَبَبُهُ: أنَّ الإنسانَ يتساهلُ فيهِ ويعتادُهُ، ويَجُرُّ بعضُه إلى بعضٍ، حتى يَجُرَّهُ إلى الفُجُورِ، والفجورُ هو: الخُروجُ عن طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، و«الفجورُ يَهْدِي إلى النارِ».

فهذا حديثٌ عظيمٌ، يَرْسُمُ للمسلمِ كَيْفَ يكونُ صادِقاً، وكيف يكونُ كاذباً، وذلكَ يرجعُ إلى ما يُعَوِّد نفسَهُ ومايسيرُ عليه في حياتِهِ، والصدقُ يكونُ مَعَ اللهِ سبحانه وتعالى في عبادَتِهِ، بأنْ يَعْبُدَهُ وحَدهُ لاشريكَ لَهُ، ويُخْلِصَ لَهُ النيةِ، ولايكونُ في عبادَتِهِ شِرْكٌ، ولا رِياءٌ ولا سُمْعَةٌ، ولا طَلَبٌ لَطَمعِ الدنيا، فإنَّ ذلكَ هو الصادقُ مع اللهِ سبحانه وتعالى، الذي يَعْبُدُهُ حَقَّ عبادَتِهِ، ويُخْلِصُ لَهُ العبادةَ، ويكونُ الصِّدْقُ مع الناس في وُعُودِهِمْ وفي عُهُودِهِمْ وفي مُعامَلَاتِهِمْ، وفي الحديثِ مَعَهُمْ، فيكونُ صادقاً في كُلِّ ذلكَ، إذا وَعَدَ وفَى، وإذا عَاهَدَ فإنه يُوفِّي بعهدِهِ. ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ . وإذا تعاملَ مع الناسِ تعاملَ بالصدقِ، قال ﷺ: «البَيِّعانِ بالخِيارِ مَالَمْ يَتَفرَّقَا، فإنْ صَدَقا وبَيَّنَا بُورِكَ في بَيْعِهِما، وإنْ كَذَبا وكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[1].

فالمسلمُ يتعاملُ بالصِّدْقِ مَعَ رَبِّهِ سبحانه وتعالى، ومع إخوانِهِ ولايُعْرَفُ إلا بالصدقِ، فَيَأْلَفُهُ الناسُ ويطمئنونَ إليهِ ويَثِقونَ بِهِ، فيكون محبوباً عندَ اللهِ جل وعلا، ومحبوباً عندَ خَلْقِهِ.

---

(١) رواه البخاري (٢٢١٠)، ومسلم (١٥٣٢)، أبو داود (٣٤٥٩)، والترمذي (١٢٤٦) وغيرهم.

والكَذِبُ كبيرةٌ عظيمةٌ مِنْ كبائرِ الذُّنوبِ، وأَعْظَمُهُ: الكَذِبُ على اللهِ سبحانه وتعالى في عبادَتِهِ أو في شريعتِهِ.

فالكذبُ في العبادَةِ: أنْ يَدْعُو غيرَ اللهِ، ويتخذَ مِنْ دونِهِ أَنْداداً يحبُّهم كَحُبِّ اللهِ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج: ٧١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل ١١٦-١١٧]، فالذي يعبدُ مِنْ دونِ اللهِ أنداداً وشفعاء يتخذهم من دونِ اللهِ، ويتقرَّبُ إليهم بأنواعِ العبادَةِ، ويزعمُ أنَّ اللهَ أمَرَهُ بذلكَ، وأنَّ الله شَرَعَ هذهِ العبادةَ، فيقولُ: إنَّ اللهَ أَمَرَنا باتخاذِ الوسيلةِ واتخاذِ الوسائطِ بينَنا وبينَهُ، هذا كاذبٌ على اللهِ أَعْظَمَ الكَذِبِ ومُفْتَرٍ على اللهِ أَعْظم الفِرْيَة، والعياذُ باللهِ.

وكذلكَ: الكَذِبُ على اللهِ في التحليلِ والتحريم. بأنْ يقولَ: إنَّ اللهَ أَحَلَّ هذا، أو حَرَّمَ هذا، من غير دليلٍ مِنْ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩]، وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]، فلا يجوزُ للإنسانِ أنْ يتكلمَّ في التحليلِ والتحريمِ إلابدليلٍ مِنْ كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ ﷺ، وفَهْمٍ لذلكَ، وفِقْهٍ صحيحٍ. وأَشَدُّ مِنْ ذلكَ: إذا نَشَرَ أقوالَهُ وفتاوَاهُ على الناسِ في وسائلِ الإعلامِ ليسمعها الناس، أوْ طَبَعَها في كُتُبٍ، فصارتْ مُضِلَّةً لمنْ يأتي بعدَهُ ولمنْ يقرأُ هذه الكتبَ، ويتحملُ

آثامَها وأضرارَها هو، وينالُ مِنَ اللهِ هذا الجزاءَ الصارمَ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾ . [النحل ١١٦-١١٧] .

فعلى الإنسانِ أنْ يتوقفَ في الكلامِ في الحلالِ والحرامِ إلا بدليلٍ وبُرهانٍ مِنْ كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ ﷺ، ولايتسرعُ ولا يتعجلُ، وليعلمْ أنَّهُ يقولُ عَنِ اللهِ وعَنْ رسولِهِ ﷺ، فليُقدِّرْ موقفَهُ بين يَدَي اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ ﴾ [الحجرات: ١].

وكذلكَ الكَذِبُ على الناسِ في **الخُصُوماتِ**، بأن يخاصمَ بباطلٍ ليأكلَ أموالَ الناسِ بغيرِ حقٍّ، قال ﷺ: «**إنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إليَّ، وإنَّني بَشَرٌ، وربَّما يَكُونُ بَعضُكُمْ أَلْحَنَ في حُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي له على نَحْوِ ما أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بَحَقِّ أخيهِ فلا يَأْخُذْهُ، فإنَّما أَقْطَعُ لَهُ قطعةً مِنْ نارٍ**»[1] .

وكذلكَ الكذبُ في الأيمانِ، وهو صفةُ المنافقينَ، قال الله تعالى: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤]، وقالَ سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وكذلك: الكذبُ في الشهادةِ وهي شهادةُ الزُورِ، قال النبيُّ ﷺ: «**ألا أُنبِّئُكُمْ بأكبرِ الكبائرِ؟**» قالوا: بلى يارسولَ اللهِ، قالَ: «**الشركُ باللهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النفسِ، وعقوقُ الوالدينِ**» وكان مُتَّكِئاً فَجَلَسَ ثم قال: «**ألا وشَهادةُ الزُّورِ، أَلَا وقَوْلُ الزورِ**» فما زالَ ﷺ يُرَدِّدُها حتى قلنا: ليتَهُ سَكَتَ[2] وفي الحديث: «**لا تَـزُولُ قَـدَمـا شـاهِـدِ الـزُّورِ يَـوْمَ القيـامـةِ حتـى تَجِـبَ لَـهُ**

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٦٨٠)، ومسلمٌ (١٧١٣).

(٢) رواه البخاريُّ (٢٦٥٤)، ومسلمٌ (٨٧) وغيرهما.

النارُ»، وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ حَلَفَ على يمين هو فيها كاذبٌ ليَقْتطِعَ بِها مَالَ امرئٍ مُسْلم، لقيَ اللهَ وهو عليهِ غَضْبَانُ» قالُوا: يارسولَ اللهِ، وإنْ كانَ شيئًا يسيراً؟ قال: «وإنْ كانَ قَضِيباً من أَرَاكٍ»(١) .

وكذلكَ: الكَذِبُ على الناسِ في الحديثِ، فيتحدثُ مع الناسِ بالكذبِ، ويخبرُهُمْ بأشياءَ لاحقيقةَ لَهَا، وهذهِ مِنْ صفاتِ المنافقينَ، كُلُّ هَذِهِ الأمورِ مِنْ صفاتِ المنافقينَ، قالَ ﷺ: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حَدَّث كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٢)، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ، وإذا عَاهَدَ غدر، فهذهِ كُلُّها مِنْ صفاتِ المنافقينَ، فيجبُ على المسلمِ أنْ يَتَجنَّبَهَا، وأنْ يَلْزَمَ الصدقَ، ولايتساهلَ في الكذبِ؛ لأنَّ الإنسانَ وما اعتاد، إذا عَوَّدَ نفسَهُ الخيرَ تعوَّدَهُ وأَلِفَهُ وصارَ طَبْعاً له، وإذا عَوَّدَ نفسَهُ الشرَّ والكذبَ اعتادَهُ وأَلِفَهُ وصارَ خُلُقاً له، والناسُ يعرفونَ أهلَ الصدقِ والكذبِ، ويميِّزُونَ بين هذا وهذا، فيصبحُ الصادقُ محبوباً بينَهم، مَوْثُوقاً بِهِ، مُؤْتَمناً بينَهم، ويصبحُ الكاذبُ خائناً مُخَوَّنًا مُبْغَضاً بينَ الناسِ، لايوثقُ لَهُ بكلامٍ، ولايوثقُ لَهُ بمعاملةٍ، ولابيمينٍ، ولابشهادةٍ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

فاتقوا اللهَ، والزَمُوا الصدقَ في أقوالِكُمْ، وفي أفعالِكُمْ، وفي معاملاتِكُمْ، وتجنَّبوا الكَذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ خسارةٌ في الدنيا والآخرة. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ. ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

---

(١) رواه مسلم (١٣٧) بلفظٍ قريبٍ من ذلك.

(٢) رواه البخاريُّ (٣٣)، ومسلمٌ (٥٩)، والترمذي (٢٦٣٣)، و غيرهم.

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٥]. بارك اللهُ لي ولكم في القرانِ العظيم .

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِه، وأشكرُهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلمَ تسليماً كثيراً.

أما بعدُ أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحذَرُوا مِنَ الكذبِ، فإنَّهُ هلاكٌ في الدنيا والآخرةِ، والزَمُوا الصِّدْقَ في جميعِ أمورِكمْ، فإنَّهُ نجاةٌ وسعادَةٌ وخَيْرٌ وفلاحٌ في الدنيا والآخرةِ.

واعلموا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . إلخ الخطبة .

* * *

في فَضْلِ الدعاءِ والذكرِ

الحمدُ للهِ على فَضْلِه ونَعْمَائِهِ، أمَرَ بِذِكْرِهِ ودُعائِهِ، مع خَوْفِهِ ورَجَائِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحْدَهُ لا شريكَ لَهُ في ربوبيَّتِهِ وإلَهيَّتِهِ وصِفَاتِهِ وأسمائِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، وخِيرةُ أصفيائِهِ وأوليائِهِ، صلى الله عليه وعلى وآلِهِ وأصحابِهِ وجميعِ أهلِ وُدِّهِ وَوَلائِهِ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واعلَمُوا أنَّ اللهَ سبحانه أمَرَكُمْ بِذِكْرِهِ ودُعائِهِ قالَ سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وقالَ سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

عبادَ اللهِ: ذِكْرُ اللهِ سبحانه وتعالى يكونُ على اللسانِ، بالتسبيحِ، والتحميدِ والتكبيرِ وتلاوةِ القرآنِ، ويكونُ بالقلبِ، بِالخَوْفِ والرَّجاءِ والخَشْيَةِ، وغيرِ ذلكَ مِنْ أعمالِ القلوبِ، والرَّغْبةِ والرَّهْبَةِ والتَّوَكُّلِ، والاستعاذةِ باللهِ سبحانه وتعالى، ويكونُ بالأعمالِ الظاهرةِ، على الجوارحِ، كالصلاةِ والصيامِ والحجِّ والعُمْرَةِ والجهادِ وعلى اللسان بالتسبيح والتهليل والتكبير، وغير ذلكَ. من أنواع الطاعات، فكل العبادات، قولية كانت أو فعلية أو قلبية، كلها ذكر لله سبحانه وتعالى.

وذِكْرُ اللهِ جل وعلا فيه فوائدُ عظيمةٌ للعبدِ، أَعْظَمُهَا: أنَّ مَنْ ذكَرَ اللهَ ذَكَرهُ اللهُ

سبحانه وتعالى، قالَ جل وعلا: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾، وفي الحديثِ القُدسِيِّ أنَّ اللهَ جل وعلا يقولُ: «مَنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، ومَنْ ذَكَرَني في مَلأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهم»(١) - يعني الملائكة - .

وذِكْرُ اللهِ سبحانه وتعالى يَطْرُدُ الشيطانَ عَنِ الإنسانِ ويُبْعِدُهُ عنهُ، فالشيطانُ ذِئْبُ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ اللهَ تَنَحَّى عَنْهُ، ولهذا وَصَفَهُ اللهُ بأنَّهُ وَسْوَاسٌ خَنَّاسٌ، وَسْوَاسٌ إذا غَفَلَ العبدُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، فإنَّهُ يَدْنو منه ويُوَسْوِسُ لَهُ، وخَنَّاسٌ إذا ذَكَرَ العبدُ رَبَّهُ، فإنَّهُ يَخْنِسُ ويَبْتَعِدُ عنه، فلا نَجَاةَ لابنِ آدمَ مِنْ عَدُوِّهِ إلا بذكرِ اللهِ، فإنَّهُ حِصْنٌ حَصِينٌ يَتَحَصَّنُ بِهِ المسلمُ مِنَ الشيطانِ.

وذِكْرُ اللهِ سبحانه وتعالى تَحْصُلُ بِهِ طُمَأْنينةُ القلوبِ وارتياحُها، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وذِكْرُ اللهِ سبحانه وتعالى يُكْسِبُ العبدَ خشيةً للهِ، وخوفاً مِنَ اللهِ، قالَ اللهُ سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢].

وذِكْرُ اللهِ سبحانه وتعالى مُيَسَّرٌ للعبدِ المسلمِ، يذكرُ اللهَ على كُلِّ حالٍ، وكانَ النبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ على كُلِّ أحيانِهِ، لا يَغْفُلُ عَنْ ذكرِ اللهِ، قالَ الله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾، [آل عمران: ١٩١]، وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣] فَمَطْلُوبٌ مِنَ العبدِ أنْ يَذْكُرَ اللهَ دائماً وأبداً، في بيتِهِ وفي المسجدِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٧٤٠٥)، ومسلمٌ (٢٦٧٥) وغيرُهما.

وفي دُكَّانِهِ وفي مَكْتَبِهِ، وفي طريقه، يذكُرُ اللهَ قائماً وقاعِداً وعلى جَنْبٍ، ولا يُكَلِّفه ذلكَ ولايَشُقُّ عليهِ، مع أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ إلى رَبِّهِ سبحانه وتعالى، وتُغْرَسُ له بالذكـرِ في الجنـة أشجـارٌ، وتُبنى لـه فيها بيوتٌ، كما صَحَّ بذلك الحديثُ عن النبيِّ ﷺ.

ولذلكَ نهى اللهُ عَنِ الغَفْلَةِ عن ذِكْرِهِ سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾. [الكهف: ٢٨]، فالغافلُ عن ذكرِ الله يموتُ قلبُهُ، قال ﷺ: «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ اللهَ والذي لايَذْكُرُ اللهَ كَمَثَلِ الحيِّ والميتِ».

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عز وجل.

وأمّا الدعاءُ: فإنَّهُ هو العبادةُ، كما قالَ اللهُ جل وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]، الذي يَسْتَكْبِرُ عن دعاءِ اللهِ فإنَّهُ يكونُ من أهلِ النارِ، أمّا الذي يذكرُ اللهَ فإنَّ اللهَ يستجيبُ لَهُ ويكونُ مِنْ أهلِ الجنةِ، وقال النبيُّ ﷺ: «الدعاءُ هو العبادةُ»[1]، واللهُ سبحانه وتعالى يُحِبُّ مِنْ عبادِهِ أنْ يَدْعُوهُ ويسألُوهُ، ويَغْضَبُ عليهم إذا لم يَدْعُوهُ؛ لأنَّهُ سبحانه وتعالى جوادٌ كريمٌ، رحيمٌ، يحبُّ مِنْ عبادِهِ أنْ يَدْعُوهُ؛ ليستجيبَ لَهُمْ ويَرْحَمَهُمْ ويُكْرِمَهُمْ، ويستجيبَ لهم، وهذا مِنْ فضلِهِ سبحانه وتعالى.

والدعاءُ على نوعينِ: دعاءُ عبادةٍ وهو الثناءُ على اللهِ سبحانه وتعالى، ودعاءُ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٩٧٣)، ورواه أبو داود وابنُ ماجة أيضاً.

مَسْأَلَةٍ، وهو طلبُ الحوائجِ مِنَ اللهِ. ويجتمعُ النوعانِ في سورةِ الفاتحةِ، فأولها ثناءٌ على الله، وهو دعاءُ عبادةٍ. وآخِرُها سؤالٌ من الله، وطلبُ الهدايةِ مِنَ اللهِ إلى الصراطِ المستقيمِ، وتجنبِ طريقِ المغضوبِ عليهمْ والضالينَ، وهذا دعاءُ مَسْأَلَةٍ فهذهِ السورةُ العظيمةُ ـ سورةُ الفاتحةِ ـ تشتملُ على نَوْعَي الدعاءِ، دعاءِ العبادَةِ ودعاءِ المَسْأَلَةِ؛ ولذلكَ جَعَلَ اللهُ قراءتَها رُكناً مِنْ أركانِ الصلاةِ في كُلِّ ركعةٍ؛ لحاجةِ العبدِ إليها، ولما تشتملُ عليهِ مِنْ نَوْعَي الدعاءِ.

فأكثرُوا مِنْ دعاءِ رَبِّكُمْ، واللهُ جل وعلا ينزلُ كُلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا في ثُلُثِ الليلِ الآخرِ فيقولُ: «هَلْ مِنْ سائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ داعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ» فاغتَنِمُوا هذهِ الفرصَ، وادْعُوا رَبَّكُمْ، وتضرَّعُوا إليهِ، فإنَّ مِنْ لايَدْعُو اللهَ فإنَّ قَلْبَهُ يَقْسُو ويَبْعُدُ عن اللهِ سبحانه وتعالى. ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأنعام: ٤٣].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأكثِرُوا من دُعاءِ اللهِ وذِكْرِهِ؛ لتتَّصِلُوا بِرَبِّكُمْ عز وجل، وتَطْلُبُوا مِنْهُ حوائجكم، وتحصلُ لكم مطالبُكُمْ في الدنيا الآخرةِ، فإنَّهُ لاغِنَى بِكمْ عنِ اللهِ سبحانه وتعالى وعَنْ ذِكْرِهِ ودعائِهِ، لاغَنَى بِكُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأكثِرُوا مِنَ الذكرِ والدعاءِ، والإلحاح على اللهِ سبحانه وتعالى؛ لعلَّ اللهَ أنْ يستجيبَ لَكُمْ وأنْ يغفرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وأنْ يُمَتعكُمْ متاعاً حسناً؛ لتكونُوا من السُّعَداءِ، ولاتكونُوا مِنَ الغافلين، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف: ٢٠٥، ٢٠٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ على فضلِهِ وإحسانِهِ والشكرُ لهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنَّ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واعلموا أنَّ لِقَبُولِ الدعاءِ أسباباً، ولِعَدَمِ قبولِهِ أسباباً، فأعظمُ أسبابِ قبولِ الدعاء: الاستجابةُ للهِ عز وجل، وحضورُ القلبِ، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أما الدعاءُ من القلب الغافلِ اللاهي، فإنَّه لايُستجابُ، كما جاءَ ذلكَ في الحديث.

وكذلكَ مِنْ أسبابِ قبولِ الدعاءِ أَكْلُ الحلالِ، والتغذِّي بالحلالِ.

ومن موانعِ الدعاءِ: أكلُ الحرامِ، كما جاءَ في الحديثِ عَنِ النبي ﷺ، في الذي يطيلُ السَّفَرَ، أشعثَ أَغبرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماءِ: ياربِّ، ياربِّ، ومطْعَمُهُ حرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغُذِّيَ بالحرام فأنّى يستجابُ لذلك؟!

ومن موانعِ قبولِ الدعاءِ: الاعتداءُ في الدعاء، قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥]، ومن الاعتداء في الدعاء: رفْعُ الصوتِ في الدعاء، حتى يبعثَ ذلكَ على الرياءِ والسمعةِ، ولذلك قالَ: ﴿ وَخُفْيَةً ﴾، أو يؤذي من حَوْلَهُ مِنَ المُصَلِّينَ، أو التالينَ لكتابِ اللهِ، أو الذين يشتغلونَ بالدعاءِ، فلا يَرْفَعُ الإنسانُ صَوْتَهُ بالدعاءِ والاستغفارِ والذكرِ، وإنما يَدْعُو ويرفعُ صوتَهُ بِقَدْرِ ما يُسْمِعُ نَفْسَهُ.

وكذلكَ مِنَ الاعتداء في الدعاء: الابتداع، بأن يَدْعُو اللهَ بدعاءٍ لم يَرِدْ في الكتابِ ولا في السنةِ، بل يكون دعاءً مُبْتَدَعاً، قال ﷺ: «من عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمْرُنا فهو رَدٌّ»[١]، وكذلكَ الابتداعُ في الدعاءِ بأذكارٍ جماعيةٍ، كما تَفْعَلُهُ الصوفيةُ المبتدعةُ، بأنْ يَرْفَعُوا أصواتَهُمْ جماعةً بالدعاءِ وكذلك الذين يدعون بصوت جماعي في الطواف والسعي، هذه صفةٌ لَمْ يَشْرَعْهَا اللهُ ولارَسُولُهُ؛ وهي صفةٌ مبتدعةٌ في الدعاءِ، وهي من العُدْوانِ الذي يسبب عدم قبول هذا الدعاء.

وكذلكَ مِنَ الاعتداءِ في الدعاء: أنْ يسألَ اللهَ إثماً أو قطيعةَ رحمٍ أو يَدْعُو على من لايستحقُّ الدعاءَ منَ المسلمينَ، فتأدّبوا في ذِكْرِكُمْ للهِ وفي دُعائِكُمْ للهِ بآدابِ الشرعِ، حتى يستجابَ دعاؤُكم.

واعلموا أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

في التذكير بالنار

الحمدُ للهِ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢]، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، له الملكُ ولهُ الحمدُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وسلمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ أيها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واعلَموا أنَّ اللهَ خَلَقَكُم في هذه الحياةِ وأَوْجَدَكُمْ مِنَ العَدَمِ مِنْ أجْلِ أنْ يَمْتَحِنكُمْ ويَبْتَلِيكُمْ ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾، كما قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]، ولَمْ يَقُلْ: أيُّكمْ أكثرُ عملاً؛ لأنَّ العِبْرَةَ ليستْ بكثرةِ العملِ، وإنَّما العِبْرَةُ بِحُسْنِ العملِ.

ومعنى ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي: أيكمْ أخْلَصُ عملاً لله عز وجل، وأَتْبَعُ لسنةِ رسولِهِ ﷺ، قالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمه اللهُ: ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾، أي: أَخْلَصُهُ وأَصْوَبُهُ. قالوا: يا أباعلي: ما أخلصهُ وأصوبهُ؟ قال: أخلصهُ: أنْ يكونَ خالصاً لوجْهِ اللهِ، وأصوبُهُ أنْ يكونَ صواباً على سنةِ رسولِ اللهِ، فإنَّ العملَ إذا كانَ خالِصاً ولَمْ يكنَ صواباً لم يُقْبَلْ، وإذا كان صواباً ولمْ يكنْ خالِصَاً لم يقبلْ، حتى يكون خالِصاً صَوَاباً.

ثم اعلمُوا رحمكم اللهُ: أنَّ الله جَعَل هذه الدنيا دارَ عملٍ، وجعلَ الآخرةَ دارَ جزاءٍ، فالدنيا عملٌ ولاحسابَ، والآخرةُ حسابٌ ولاعملَ، وقد أَعَدَّ اللهُ في الدارِ الآخرةِ دارينِ عظيمتينِ، وهما الجنةُ والنارُ، فالجنةُ دارُ المتقينَ، والنارُ دارُ

الكافرينَ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم: ٦].

نادَى اللهُ عبادَهُ المؤمنينَ بأنْ يَقُوا أنفسَهُمْ مِنَ النارِ، ومعنى: يَقُوا أنفسَهُمْ: يتخذُوا وقايةً بينَهم وبينَ النارِ، تقيهمْ مِنْ حَرِّها وَعَذابِها وذلكَ بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى وتَرْكِ معصيةِ اللهِ، فإنَّهُ لايقي مِنْ هذهِ النارِ كثرةُ الحصونِ أو كثرةُ الجنودِ، أو كثرةُ المالِ والأولادِ، وإنّما يَقِي منها شيءٌ واحدٌ، وهو العملُ الصالحُ المُتَمَثِّلُ في طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِهِ ﷺ، وتَرْكِ معصية اللهِ ومعصيةِ رسولِهِ، ثُمَّ إنَّهُ لا يكفي أنْ يَقِي المسلمُ نفسَهُ من النارِ، بلْ لابدَّ أن يقيَ معهُ أهلَهُ، وهُمْ أولادُهُ ونساؤُهُ ومَنْ تَحتَ يَدهِ، فإنَّهُ مُكَلَّفٌ ومسؤولٌ عنهمْ، بأنْ يأْمُرَهُمْ بطاعةِ اللهِ وينهاهُمْ عنْ معصيةِ اللهِ، ويُبْعِدُ عنْ بيتِهِ وسائلَ الفتنِ التي كَثُرَتْ في هذا الزمانِ، فيُخلي بيتَهُ مِنْ وسائِلِ الفِتَنِ والشُّرُورِ، التي أَضَلَّتْ وأَفسَدتْ كثيراً من الناسِ، إلا من رَحِمَ اللهُ.

إنَّ المسؤوليةَ عظيمةٌ، خصوصاً لمّا اشتدتِ الفتنُ في هذا الزمانِ، فيجبُ على أهلِ البيوتِ أنْ يَحْمُوا بيوتَهم مِنْ هذهِ الأخطارِ التي هي طريقٌ إلى النارِ.

وقولُهُ تعالى: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤]، أيْ: وَقُودُها جُثَثُ الكفارِ والعصاةِ، تُشْتعَلُ بها نارُ جهنَّم، ومَعَ هذا فإنَّهم لايموتُونَ، كما قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ ﴾ [النساء: ٥٦]، وهذه النارُ لاتُطْفَأُ أبداً، قالَ تعالى: ﴿ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ۝٩٧ ﴾ [الإسراء: ٩٧]، فهيَ نارٌ مُوقَدَةٌ لاتُطْفأُ أبداً، ولايَبْرُدُ حَرُّها، ولايَخْمُدُ جَمْرُها، بلْ هيَ مُسْتَعِرَةٌ متوقِّدةٌ أَبَدَ الآبادِ، وأهلُها يشتعلونَ فيها أبَدَ

الآبادِ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

﴿والحجارة﴾ أيْ: وتُوقَدُ هذه النارُ بالحجارةِ، لا توقدُ بالحَطَبِ ولا بالغازِ مما توقد به نارُ الدنيا، وإنَّما توقدُ بالحجارةِ؛ ليكونَ ذلكَ أشَدَّ في حَرِّها، والحجارةُ قيلَ: هي الأصنامُ التي كانتْ تُعْبَدُ في الدنيا، كما قالَ تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقيلَ: حجارةُ الكبريتِ، وهي أشدُّ اشتعالاً والتهاباً، وهذه النارُ ليستْ كنار الدنيا، قالَ ﷺ: «إنَّ نَارَكُمْ هذهِ جُزْءٌ مِنْ سبعينَ جُزْءاً مِنْ نارِ جهنَّم»[١] فإذاً يكونُ الفرقُ بينَ حَرِّ نارِ الدنيا وحَرِّ نارِ الآخرةِ عظيمٌ والعياذُ باللهِ، ومَعَ شِدَّتِهِ فإنَّهُ دائِمٌ مُؤَبَّدٌ: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ ﴾ هم خَزَنَةُ جهنَّم، غلاظُ الطباعِ، ليسَت فيهم رحمةٌ ﴿شداد﴾ في أجسامِهِمْ، فلا مَطْمَعَ لأهلِ النارِ في رحمتِهِمْ؛ لأنَّهم غلاظٌ، ولا مَطْمَعَ لأهلِ النارِ في التَّغلُّبِ عليهِمْ؛ لأنَّهم شِدَادٌ. ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ يُنَفِّذُونَ ما أمرَهُمُ اللهُ تعالى بِهِ، ولا يتركون منه شيئاً، ولا يحابُون أحداً. إنَّ هذهِ النارَ جَعَلَ اللهُ لها مُذَكِّراتٍ في الدنيا، فَكُلُّ الهمومِ والأحْزانِ، والأمراضِ والأسقامِ، والجوعِ والعطشِ كُلُّ ذلكَ يُذَكِّر بما في نار الآخرةِ ممّا هوَ أَشَدُّ وأَبْقَى، وكذلكَ الحَرُّ في هذه الدنيا، هذا الحرُّ يُذَكِّرُكُمْ بحرِّ نارِ جهنَّمَ، الذي إذا نُسِبَ إليه هذا الحرُّ فإنَّهُ لايكونُ شيئاً بالنسبةِ إليهِ، كما قالَ تعالى عن المنافقين: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢]. إذا كُنْتُم لاتُطِيقُونَ حَرَّ الرَّمضاءِ وحرَّ الهَجِيرِ، فكيفَ تُطيقونَ حَرَّ نار

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٢٦٥)، ومسلمٌ (٢٨٤٣)، والترمذيُّ (٢٥٨٩).

جهنَّم؟ والعياذ باللهِ، فتذكَّروُا بهذا الحرِّ حَرَّ نارِ جهنَّمَ، فَفِرُّوا إلى اللهِ جَلَّ وعلا بالأعمالِ الصالحةِ التي تُنْجيكُمْ مِنْ هذا الحرِّ.

وقال ﷺ: «إذا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُو بالصلاةِ (يَعْني صلاةَ الظُّهر) فإنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جهنَّمَ»(١) وأخبرَ ﷺ أنَّ اللهَ جَعَلَ للنارِ نَفَسَيْنِ: نَفَساً في الشتاءِ، وذلكَ أَشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ البَرْدِ، ونَفَساً في الصيفِ، وذلكَ أشدُّ ما تجدونَ مِنَ الحَرِّ.

فإذا كُنْتُمْ لاتُطيقونَ حَرَّ الصيفِ ولاتطيقونَ بَرْدَ الشتاءِ، فكيفَ تُطيقونَ حَرَّ جهنَّمَ وزَمْهَرِيرَهَا؟ فعليكُمْ بالفِرَارِ مِنَ النارِ بما يَقِيكُمْ مِنْ حَرِّهَا ومِنْ زَمْهَرِيرِهَا، وذلكَ بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، إنَّكُمْ في هذهِ الدنيا إذا مَسَّكُمُ الحَرُّ تَلْجَؤُونَ إلى المُبَرِّداتِ والمكيِّفاتِ لِتُخَفِّفَ عنكُمُ الحَرَّ، ولكنْ في جهنَّمَ لامَحِيدَ مِنْ حَرِّها، ولا وسيلةَ تَقِي مِنْ عذابها. ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩﴾ [الأنبياء: ٣٩]، لايستطيعُ أهلُ النارِ دَفْعَ شيءٍ مِنَ حَرِّها، وليس عندهُمْ وسائلُ تبريدٍ، وليسَ عندهمْ وسائلُ واقيةٌ مِنْ حَرِّ النارِ، يصْلوْنَها أَبَدَ الآبادِ، نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ.

وكَذَلِكُمْ هذه النارُ التي تُوقِدُونها، إنَّها تُذَكِّرُ بنارِ جهنَّمَ، قالَ سبحانَهُ وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة: ٧١ـ٧٣]، تُذَكِّرُ بنارِ جهنَّمَ، فإذا كُنْتُمْ لاتُطِيقُونَ حَرَّ هذهِ النارِ التي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وتَنْفِرُونَ مِنْها، فكيفَ بنارِ جهنَّمَ؟ والعياذُ باللهِ.

فاللهُ جَعَلَ في هذه الدنيا مُذَكِّراتٍ، تُذَكِّرُ بهذهِ النارِ وحَرِّها وسَمُومِها،

---

(١) رواه البخاريُّ، ومسلمٌ (٦١٥)، وأبوداود (٤٠٢)، والترمذي (١٥٧)، وابن ماجة (٦٧٧).

وما فيها من العذابِ الذي لايَعْلَمُهُ إلا اللهُ سبحانه وتعالى، ومع هذا ليسَ هذا العذابُ يَأْتِي سَاعَةً أو يَوْمَاً أو شَهْراً أو سَنَةً ثم يَنْقَضِي بل هو عذابٌ دائمٌ سَرْمَدِيٌّ، لايُخَفَّفُ عنهمْ مِنْ عذابِها أَبدَ الآبادِ، بَلْ كُلَّما خَبَتْ زادَهُم اللهُ سَعِيراً وعذاباً، وطعامُهُمُ الزَّقُومُ، وشرابُهُمُ الحميمُ، سَرَابيلُهمْ مِنْ قَطرانٍ وتَغْشى وُجُوهَهُمُ النارُ ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ١٩ـ ٢٢]، فتأمَّلوا ـ رحمكم اللهُ ـ هذا المَصِيرَ، تَأَمَّلُوا هذهِ النارَ التي حَذَّرَكُمُ اللهُ مِنْها وأمَرَكُمْ بالفرارِ مِنْها إلى الجنة وذلك بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى وجنته، وبإمكانِكُمْ اليومَ أنْ تَفِرُّوا مِنْ هذهِ النارِ إلى طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى وجنته، وأن تَتُوبُوا إلى اللهِ، وأنْ تتأهَّبُوا بالأَعمالِ الصالحةِ.

إنَّ هذهِ النارَ قريبةٌ، كما أنَّ الجنةَ قريبةٌ، قال ﷺ: «**الجنةُ أدنى إلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، والنارُ مِثْلُ ذلكَ**»(١)، وذلكَ بأنْ يموتَ الإنسانُ، فإذا ماتَ الإنسانُ فإنَّهُ يواجِهُ الجنةَ إنْ كانَ مِنْ أهلِ الطاعةِ، أو يواجهُ النارَ إنْ كانَ منْ أهلِ الكُفْرِ والمَعَاصِي، فلا يَدْري في أيِّ ساعةٍ يُواجِهُ هذه النارَ، وسيُوقَفُ العبدُ بَيْنَ يديْ رَبِّه عَزَّ وجَلَّ، فَيَنْظُرُ عن يمينِهِ فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، وينظرُ عنْ شمالِهِ فلا يرى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ تلقاءَ وَجْهِهِ فلا يرى إلا نارَ جهنَّمَ، قالَ ﷺ: «**فاتَّقُوا النارَ ولو بِشقِّ تَمْرَةٍ، فَمنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبةٍ**»(٢).

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٨٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ (٦٥٣٩)، ومسلمٌ (١٠١٦) كلاهما عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، ورواه غيرهما أيضاً.

احْذَرُوا منْ هذهِ النارِ كَمَا حَذَّرَكُمُ اللهُ، واحذروا منها كما حَذَّرَكُمْ رسولُ اللهِ ﷺ، وتأمَّلوا في هذهِ الشَّواهِدِ التي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ممّا يَدُلُّكُمْ على هذهِ النارِ، وما فِيها مِنَ العذابِ وما فيها مِنَ الحَرِّ الشَّدِيدِ، تذكَّرُوا فإنَّ العاقِلَ مَنْ يتذكَّرُ، والسَّعِيدُ مَنْ وعِظَ بِغَيْرِهِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحذَرُوا مِنْ هذهِ النارِ، ولايكفي أنَّ الإنسانَ يقولُ: أعوذُ باللهِ مِنَ النارِ، بلسانِهِ، هذا لا يَكْفِي، بلْ لابدَّ أنْ يَعْمَلَ الأعمالَ التي تُبْعِدُهُ عن النارِ، يقولُ: أعوذُ باللهِ مِنَ النارِ، ولكنْ يَعْمَلُ الأَعمالَ التي تُبْعِدُهُ مِنَ النارِ، أمّا إذا قالَ: أعوذُ باللهِ من النارِ، وهو مُقِيمٌ على الأعمالِ التي تُوَصِّلُ إلى النارِ، فإنَّهُ لايَنْفَعُهُ الكلامُ بدونِ العملِ. وقد أمَرَنا النبيُّ ﷺ في التَّشَهُّدِ الأخيرِ أنْ نستعيذَ باللهِ مِنَ أَرْبَعٍ: مِنْ عذابِ جهنمَ، ومِن عذابِ القبرِ، ومِنْ فتنةِ المَحْيَا والمماتِ، ومِنَ فتنةِ المسيحِ الدجالِ. فَبَدأَ بالاستعاذةِ مِنْ نارِ جهنَّمَ؛ لشدَّةِ خَطَرِها، وعظيمِ ضَرَرِها، وأنَّها أُمُّ المهالكِ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٨٠]. باركَ اللهُ لي ولكُمْ في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابِهِ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانَهُ وتعالى، إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى إذا ذَكَرَ النارَ وما فِيها من العذابِ، فإنَّهُ يَذْكُرُ الجَنَّةَ وما فِيها من النَّعِيمِ؛ وذلكَ مِنْ أَجْلِ ألاَّ يَقْنَطَ المُسْلِمُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ عزّ وجلّ، فإذا ذَكَرَ النارَ وما فيها مِنَ العذابِ ذَكَرَ الجنةَ وما فِيها مِنَ النعيمِ، مِنْ أَجْلِ أنْ يكونَ المسلمُ بينَ الخوفِ والرجاءِ، يخافُ مِنَ النارِ، فيبتعدُ عنها وعَنْ أعمالِها، ويرجُو الجنةَ، فيعملُ الأعمالَ الصالحةَ التي تُوَصِّلُهُ إليها، فهذا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ سبحانهُ وتعالى، أنَّهُ كَرَّرَ ذِكْرَ هاتينِ الدارينِ العظيمتينِ، كَرَّرَ ذلكَ في كتابهِ الكريمِ، وذلكَ ليعرفَ المسلمُ ما في النارِ مِنَ العذابِ، مِنْ أجْلِ أنْ يَحذَرَ مِنْها ويبتعدَ عَنِ الأعمالِ التي تُوَصِّلُ إليهَا، وليعرفَ الجنةَ، مِنْ أجلِ أنْ يَطْمَعَ في رحمةِ اللهِ فيعملَ الأسبابَ التي تُوَصِّلُهُ إليهَا، قالَ تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٤ـ ١٠]. فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فأهلُ النارِ يُيَسَّرونَ للنارِ، وبعَمَلِها يعملونَ، نسألُ اللهَ العافيةَ. وأهلُ الجنةِ يُيَسَّرونَ للجنةِ وبِعَمَلِها يعملونَ، فاسألُوا اللهَ الجنةَ، واستعيذُوا بهِ مِنَ النارِ.

واعلمُوا انَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . إلى آخر الخطبة.

* * *

في التحذير من أخطار اللسان

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن: ٣، ٤]، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لاشريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وله الحمدُ، يحيي ويميتُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، ومَنْ سارَ على نَهْجِهِ وتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ إلى يومِ الدينِ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ واشكُرُوهُ على نِعَمِهِ التي مِنْ أعظمها: نعمةُ النُّطْقِ بواسِطَةِ هذا اللسانِ، الذي خَلَقَهُ اللهُ لَكُمْ؛ لتُعبِّرُوا بِهِ عَنْ مقاصِدِكُمْ، وتُبَيِّنُوا ما في نُفُوسِكُمْ، وتنتظمُ بِهِ مصالِحُكُم وتذكرون به ربكم، فهو نعمةٌ مِنَ الله سبحانه وتعالى مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِهِ عليكُمُ التي تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ، ولكنَّ هذا اللسانَ سلاحٌ ذُو حَدَّيْنِ، إنِ اسْتَعْمَلْتَهُ فيما يَنْفَعُكَ فإنَهُ يكونُ كاسِباً لكَ، ويكونُ عامِلاً لك في الخَيْرِ، وإنِ استعملتهُ فيما يَضُرُّكَ كانَ سلاحاً قاتلا لك، وكان عَدُوًّا لَكَ، ولهذا جاءَ في الحديثِ الصحيحِ عن النبيِّ ﷺ: أنَّهُ قالَ لمُعَاذٍ، لما قالَ لَهُ: وهل نحنُ مؤاخذون بما نَتَكَلَّمُ بِهِ يارسولَ اللهِ؟ قال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يامعاذُ! وهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النارِ على وُجُوهِهِم (أو قال): على مَنَاخِرِهم، إلاَّ حَصَائِدُ ألسنَتِهِم»[1]، وجاءَ في الحديثِ الصحيح أيضاً: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ لايُلْقِي لها بَالاً أو: ما يَتَبَيَّنُ فيها ـ يَزِلُّ بِها في النَّارِ أَبْعَدَ مِمّا بينَ المَشْرِقِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٩) وابن ماجة (٣٩٧٣).

والمَغْرِبِ»[1]. فهذا يَدُلُّ على خَطَر اللسانِ، وعلى خَطَر كثرةِ الكلام، إلا ما كانَ منهُ في صالح الإنسانِ، فإنَّ الكلامَ على ثلاثةِ أقسام.

القسمُ الأولُ: ما فيه خيرٌ للإنسانِ، ومصلحةٌ عَاجِلَةٌ أو آجِلَةٌ، وذلكَ مِثْلُ الكلامِ بِذِكْرِ اللهِ عزّ وجلّ، بالتسبيحِ والتهليلِ وتلاوةِ القرآنِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكرِ، وتعليمِ الخيرِ، وكُلِّ كلامٍ فيه مصلحةٌ تعودُ على الإنسانِ أو تعودُ على غيرِهِ بالنفعِ، فإنَّهُ كلامٌ مُثمِرٌ مُفيدٌ، يَجْلِبُ لصاحبه الخيرَ وينتفعُ الناسَ مِنْ وَرَائِهِ، فهذا الكلامُ للإنسانِ مغْنَمٌ لَهُ.

القسم الثاني: كلامٌ يكونُ على الإنسانِ لا لَهُ، يكونُ عليهِ ضَرَرهُ وإثْمُهُ، ولايستفيدُ منهُ شيئاً، وهو الكلامُ المُحَرَّمُ، كالغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ والشَّتْمِ، وقَوْلِ الزورِ وشهادةِ الزُّورِ، وغيرِ ذلكَ مِنْ كُلِّ كلامٍ مُحرَّمٍ، فإنَّهُ ضَرَرٌ على الإنسانِ في دينِهِ ودنياهُ، ضَرَرٌ عاجلٌ وآجِلٌ وربَّما يكونُ سَبَباً في القضاءِ عليهِ، كما قالَ الشاعرُ:

احْفَظْ لِسَانَكَ أيُّها الإنْسَانُ ... لايَلْدَغَنَّكَ إنَّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ في المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ ... كانَتْ تهابُ لِقاءَهُ الشُّجْعَانُ

والآخَرُ يقولُ:

يُصَابُ الفتى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ ... ولَيْسَ يُصابُ المرءُ مِنْ عثرةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ بالقَوْلِ تُذْهِبُ رَأسَهُ ... وعَثْرَتُهُ بالرِّجْلِ تَبرأ على مَهَلِ

فهذا هو الكلامُ الخطيرُ الذي يَأْكُلُ الحسناتِ، فقدْ يكونُ للإنسانِ حسناتٌ كثيرةٌ ثُمَّ يُسَلطُ عليها لسانَهُ فَيَحْصِدَها حَصْداً، فيبوءُ بالخَسَارَةِ العَاجِلَةِ والآجِلَةِ.

والقسم الثالثُ: كلام لا للإنسانِ ولا عليهِ، وهوالكلامُ المباحُ في حُدُودِ ما

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٧٨)، ومسلمٌ مختصراً (٢٩٨٨).

يحتاجُ إليهِ الإنسانُ مِنْ أُمورِهِ ومُخَاطَبَاتِهِ، هذا كلامٌ مباحٌ، كأنْ يتكلَّمَ في المعاملاتِ والبيعِ والشراءِ، والسؤالِ عما فيهِ مَصْلَحَةٌ لَهُ، فهذا كلامٌ مباحٌ، ولكنْ إذا أكْثَرَ مِنْ هذا الكلامِ المباحِ فإنَّهُ يَشْغَلُهُ عنِ الكلامِ الطيبِ، ولهذا يقولُ ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ»[1].

ومِنَ الكلامِ الخيرِ، بلْ أعظمِ الخيرِ: ذِكْرُ اللهِ عزّ وجلّ بأنواعِ الذِّكْرِ المَشْرُوعَةِ؛ لأنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى أَمَرَ بِذِكْرِهِ، قالَ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقالَ سبحانَهُ وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾، إلى قولِهِ تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال سبحانَهُ: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، فَأَمَرَ سُبحانَهُ وتعالى بِذِكْرِهِ، وأَثْنَى على الذاكرينَ لَهُ، وَوَعَدَهُمْ سبحانَهُ وتعالى بِجَزِيلِ الأَجْرِ والثوابِ.

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ على كُلِّ أحيانِهِ، وقد أَثْنَى اللهُ سبحانَهُ وتعالى على أُولِي الألبابِ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال سبحانَهُ وتعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣].

وأنواعُ الذِّكْرِ كثيرةٌ، أَعْظَمُهَا الصلاةُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١٤] فالصلاةُ هي أعظمُ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٠١٩)، ومسلمٌ (٤٨) وغيرهما.

ما يُذْكَرُ اللهُ جلّ وعلاَ بِهِ، لأنَّها خُشُوعٌ وَخُضُوعٌ بين يَدَيِ اللهِ، ورُكُوعٌ وسجودٌ ومناجاةٌ للهِ عزّ وجلّ، فهيَ مِنْ أَعْظَمِ الذِّكْرِ.

ومِنْ أَعْظَمِ الذِّكْرِ: تلاوةُ القرآنِ، فإنَّ القرآنَ ذِكْرٌ للهِ عزَّ وجلَّ يُذكِّرُ باللهِ ويُعرِّفُ باللهِ وبِنِعَمِ اللهِ، وكلَّما أَكْثَرَ الإنسانُ مِنْ تلاوةِ القرآنِ فإنَّهُ يَكْثُرُ ذكرُهُ للهِ سبحانَهُ وتعالى، وكذلكَ ذِكْرُ اللهِ بالتَّسْبيحِ والتَّهْلِيلِ والتَّكْبِيرِ والتَّحْمِيدِ، كُلُّ ذلكَ ذِكْرٌ وتَقْدِيسٌ للهِ سبحانَهُ وتعالى، وفي الحديثِ يقولُ اللهُ جلّ وعلاَ: «مَنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، ومَنْ ذَكَرَنِي في مَلأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[1] ـ يعني الملائكة ـ.

ومِنَ الذِّكْرِ: ما يَخِفُّ على اللسانِ ولا يَشُقُّ على الإنسانِ، وذلكَ بالتسبيحِ والتهليلِ والتكبيرِ، فإنَّ بإمكانِ الإنسانِ أنْ يَذْكُرَ اللهَ في كُلِّ حالٍ، وهو جالسٌ، وهو مُضطَجِعٌ، وهو يَمْشِي، وهَو يَبِيعُ ويَشْتَرِي، وفي أيِّ مكانٍ، إلاّ الأَمْكِنَةَ التي نُهِي عَن ذِكْرِ اللهِ فيها، كَأَمْكِنَةِ قضاءِ الحَاجةِ، فذِكْرُ اللهِ يكونُ مُلازِماً للمُؤْمِنِ بِلِسَانِهِ وبقلبِهِ، أما اللسانُ فإنَّهُ يَنْطِقُ ويَلْهَجُ بِذِكْرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى، إلا في المواضعِ المنهيِّ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فيها، وأمَّا ذِكْرُ اللهِ بالقلبِ فإنَّهُ لا يُفَارِقُ المسلمَ في أيِّ مكانٍ، يَذْكُرُ اللهَ جَلَّ وعلا، قال تعالى: «وأَنَا مَعَهُ حيثُ ذَكَرَنِي» يعني: مع العَبْدِ الذَّاكِرِ.

وذِكرُ اللهِ سبحانه وتعالى يُرَقِّقُ القُلُوبَ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾، فَذِكْرُ اللهِ يُطَمْئِنُ القلوبَ مِنَ القلقِ والاضطرابِ النفسيِّ والأَوْهَامِ، ويَطْرُدُ الشيطانَ، فإنَّ

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) وغيرهما.

الشيطانَ وَسْوَاسٌ خَنّاسٌ، إذا غَفَلَ الإنسانُ عَنْ ذكْرِ اللهِ وَسْوَسَ لَهُ، وإذا ذَكَرَ الإنسانُ رَبَّهُ انْخَنَسَ وابْتَعَدَ عنهُ، فإذا أرَدْتَ أنْ تَطْرُدَ عنكَ الشيطانَ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢ـ ٤].

وممّا يُعِينُ على ذِكْرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى أيضاً: مُجَالَسَةُ الصالحينَ الذَّاكرينَ للهِ سبحانَهُ وتعالى، والابتعادُ عن مجالسِ اللهوِ والغِيبَةِ، والنَّمِيمَةِ، والمجالسِ التي لاخَيْرَ فيها، ولهذا جَاءَ في الحديثِ: أنَّهُ مَاجَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لايذكرونَ اللهَ تعالى فيهِ إلا قامُوا عَنْ مِثْلِ جيفةِ الحمارِ.

ولهذا شَرَعَ اللهُ كَفَّارَةَ المَجْلسِ إذا قامَ الإنسانُ مِنَ المجلسِ، فإنَّهُ يقولُ: «سُبْحَانَكَ اللهمَّ وبِحَمْدِكَ، اللهمَّ اغْفِرْلي»[1]، فإنْ كانَ هذا المجلسُ مَجْلِسَ خَيْرٍ، كانَ هذا الذِّكْرُ كالطَّابَعِ عليهِ، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ كان هذا الذكرُ كفارةً له، فالإنسانُ لا يَغْفَلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، ولايشتغلُ عن ذلكَ بمالٍ، ولا ولدٍ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ ﴾ [المنافقون: ٩].

ومما يعينُ على ذِكْرِ اللهِ: حُضُورُ مجالسِ الذِّكْرِ، ومجالسِ العِلْمِ، والاستماعِ لكتابِ اللهِ عزّ وجلّ، وإلى حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولكلامِ أَهلِ العلمِ، فإذا حَضَرَ المسلمُ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فإنَّهُ يَلِينُ قَلْبُهُ، ويتربَّى على ذِكْرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى.

---

(١) النسائيُّ والحاكم عن جُبير بن مطعم رضي الله عنه. انظره في الصحيحة (٨١).

فاحْرِصُوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ على ذِكْرِ اللهِ، ولازِمُوا ذِكْرَ اللهِ، ولاتَنْسَوْا ذِكْرَ اللهِ أَبَداً، لاتَنْسَوْا ذِكْرَ اللهِ فتكونُوا مِنَ الخاسِرين. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١ـ ٤٢]، بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، وتحفَّظُوا مِنْ أَلْسِنتِكُمْ، فإنَّ هذه الأَلْسُنَ لابدَّ أنْ تَنْطِقَ، ولابدَّ أنْ تتكلَّمَ، ولكنْ ميزُوا مَاذَا تتكلمونَ بِهِ، فإنْ كانَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عزّ وجلّ فهيَ نِعْمَةٌ عظيمةٌ، أَكْثِرُوا مِنْها، واشكُرُوا اللهَ عليهَا. والشيءُ بالاعْتِيادِ؛ فإذا عَوَّدْتُمْ أَلْسِنَتَكُمْ ذِكْرَ اللهِ اعتادتْ على ذلكَ، وإذَا عَوَّدْتُمْ أَلْسِنَتَكُمْ الغِيبَةَ والكلامَ المُحَرَّمَ، فإنَّها تتربَّى على ذلكَ، وتتساهلُ فيهِ، ويصبحُ عادةً لها. فحافِظُوا على هذا اللسانِ، فقدْ جاءَ في الحديثِ: «**إنَّ الأَعْضَاءَ تُكَفِّرُ اللسانَ في كُلِّ يومٍ، تقولُ اتَّقِ اللهَ، فإنَّما نَحْنُ بِكَ، إنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإنِ اعوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**».

فاللسانُ خَطَرُهُ عظيمٌ، وَنَفْعُهُ عظيمٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لاستعمالِهِ في الخيرِ، وتعويدِهِ على ذِكْرِ اللهِ والكلامِ الطيبِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، فذكرُ اللهِ يرتفعُ إلى اللهِ

سبحانه وتعالى، إذا صَحِبَهُ العملُ الصالحُ، وأما الذكرُ باللسانِ مِنْ دُونِ عملٍ صالحٍ، فإنَّهُ لايرتفعُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، فَعَوِّدُوا ألسنتَكُمْ على ذِكْرِ اللهِ والإكْثَارِ مِنْ ذلكَ، ولاتُلِهِكُمْ أمْوالُكُمْ ولا أولاَدُكُمْ عَنْ ذكرِ اللهِ، فإنَّ مَنْ يفعلُ ذلكَ فإنّهُ يكون خاسِراً، وإنْ أُوتِيَ الدنيا بحذافيرها، فإنَّها خسارةٌ لاتُعَوَّضُ، والدنيا لاتُعَوِّضُ عن الآخِرَةِ، فمن فاتَتْهُ الآخرةُ خَسِرَ كُلَّ شيءٍ، ولو أُوتِيَ أموالَ الدنيا، فحافظُوا على ذِكْرِ اللهِ.

وقد شَرَعَ اللهُ الذِّكْرَ مُطْلقاً ومُقَيَّداً، مُطْلَقاً في جميعِ الأوقاتِ، ومقيداً في حالاتٍ وأوقاتٍ معينةٍ، كَذِكْرِ اللهِ جَلَّ وعلا بعدَ الصلواتِ الخَمْسِ بالأذكارِ الواردةِ، والمحافظةِ على ذلكَ، وذكرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى في أوَّلِ النهارِ، وذِكْرِ اللهِ جلّ وعَلا في آخِرِ النهارِ، في الصباحِ والمساءِ، وذكرِ اللهِ عِنْدَ دُخُولِ البَيتِ، وذكرِ اللهِ عِندَ الخُرُوجِ مِنَ البيتِ، وذكرِ اللهِ عندَ النومِ، وذكرِ اللهِ عند الاستيقاظِ مِنَ النومِ، وذكرِ اللهِ عندَ دُخولِ المساجِدِ، وذكرِ اللهِ عِنْدَ الخروجِ مِنَ المساجِدِ، وذكرِ اللهِ سبحانه وتعالى في الصلواتِ، وذكرِ اللهِ سبحانه وتعالى في الحجِّ والعُمْرةِ، فَكُلُّ العباداتِ إنَّما شُرِعَتْ لِذِكْرِ اللهِ سبحانه وتعالى، فحافِظُوا على ذِكْرِ اللهِ سبحانه وتعالى، وأكثِرُوا مِنْ ذلكَ؛ حتى تَكُونوا من الفائزينَ المفلحينَ، ولاتَغْفَلُوا عن ذلكَ فتكونُوا من الخاسرين.

ثم اعلَموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

* * *

في التَّفكُّرِ في آياتِ اللهِ الكَوْنِيَّةِ

الحمدُ للهِ خَلَقَ كُلَّ شيءٍ فقدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ ﴿ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾، [الإسراء: ١١١]، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، بَعثَهُ اللهُ بينَ يَدَي الساعةِ بَشِيراً ونَذِيراً، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، وتفكَّرُوا في مخلوقاتِهِ، وتَدَبَّروا آياتِهِ؛ لِتَدُلَّكُمْ على عَظَمَتِهِ وقدرتِهِ، ورُبُوبِيَّتِهِ وإلٰهِيَّتِهِ، وأسمائِهِ وصفاتِهِ، ووجوبِ عبادتِهِ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ

فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ـ١٩١]، وقال سبحانَهُ وتعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

إن هذهِ الآياتِ التي خلقَهَا اللهُ سبحانه وتعالى في سمائِهِ وأرْضِهِ وما بينهما، لَمْ يَخلقْها عَبثاً، وإنَّما خلقَها لِحِكَمٍ عظيمةٍ، خلقَهَا لمنافعِ خَلْقِهِ وسخَّرَها لهم مِنْ أجْلِ أنْ يستعينوا بها على عبادةِ ربِّهم وخلقَهَا أدِلَّةً على وحدانيتِهِ سبحانَهُ وتعالى، وعلى أنَّهُ المُسْتحِقُّ للعبادَةِ؛ لأنَّهُ هو الخالقُ وَحْدَهُ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

وقد تحدَّى اللهُ سبحانَهُ وتعالى المشركينَ في أنْ يبيِّنُوا ما خلقَتْ آلِهتُهُم التي يَدْعونَ مِنْ دونِ اللهِ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣]، ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

إن التَّفكُّرَ في آياتِ اللهِ يَعْنِي: النظرَ فِيها، والتأمُّلَ في منافِعِها، والاسْتِدْلالَ

بذلكَ على وَحْدَانِيَّةِ الخالقِ سبحانَهُ وتعالى، واستحقاقِهِ للعبادَةِ، ولتدلَّ على عَظَمَتِهِ والخَوْفِ مِنْهُ سبحانه وتعالى، وأنَّهُ لَمْ يَخْلُقْهَا عبثاً، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾ [ص: ٢٧].

فآياتُ اللهِ على قِسْمَيْنِ:

القِسْمُ الأَوَّلُ: الآياتُ المَنْظُورَةُ، هي هذهِ المخلوقاتُ العُلْوِيَّةُ والمخلوقاتُ السُّفْلِيَّةُ، السماءُ وما فيها مِنْ أَفْلاكٍ وكواكبَ وشمسٍ وقمرٍ، والأرضُ وما فيها مِنْ نباتاتٍ وحيواناتٍ، وما فيها مِنْ مخلوقاتٍ، ومافِيها مِنْ جبالٍ وأَوْدِيَةٍ، وما فيها مِنْ أشجارٍ وأحجارٍ، وما فيها من أنهارٍ وبحارٍ، وما فيها من مخلوقاتٍ بَرِّيَّةٍ ومخلوقاتٍ بَحَرِيَّةٍ، لايَعْلَمُ عَدَدَها ولايُحصيها إلا خالقُها سبحانَهُ وتعالى: كُلُّ ذلكَ يدل على وحدانيتِهِ وعلى قدرتِهِ وعلى رُبُوبِيَّتِهِ. سُئِلَ أَعْرَابِيٌّ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قال: الأَثَرُ يَدُلُّ على المَسِيرِ، والبَعْرَةُ تَدُلُّ على البَعيرِ، أَفَلاَ يَدُلُّ هذا الكونُ على اللَّطِيفِ الخَبِيرِ؟!

ويقول الشاعرُ:

فيا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الإلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ

وفي كُلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ ... تدلُّ على أنَّه واحِدُ

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

إنَّ هذهِ المخلوقاتِ إذا نظرتَ فِيها وفي تَنَوُّعِها وفي اختلافِها، مِنْها ما هوَ غِذَاءٌ، ومِنْها ماهو دواءٌ، ومنها ما هو مناظرُ جَمِيلةٌ، ومِنْها مَا لَهُ روائحُ طَيِّبةٌ، وروائحُ غيرُ طيبةٍ، ومِنْها مُخْتَلَفُ المنافِعِ والطُّعُومِ، ومُخْتَلَفُ المناظرِ تَدُلُّ

الدلالةُ الواضحةُ على عَظَمَةِ هذا الخالقِ، وعلى حِكْمَتِهِ وقدرتِهِ ورحمتِهِ بعبادِهِ.

والقسمُ الثاني مِنَ الآياتِ: الآياتُ المَقْرُوءَةُ، وهيَ الوَحْيُ المُنَزَّلُ على محمدٍ ﷺ، وهو هذا القرآنُ العظيمُ الذي أَمَرَنَا اللهُ بالتَّفَكُّرِ في معانِيهِ والتَّدَبُّرِ لأدِلَّتِهِ، والعملِ بأوامِرِهِ وَتَرْكِ نواهِيه، فهو حُجَّةُ اللهِ على عبادِهِ، وهو حُجَّةُ العبادِ عِنْدَ اللهِ إذا تمسَّكوا بِهِ وسارُوا على نَهْجِهِ، قال ﷺ: «والقرآن حجة لك أو عليك»[1] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء: ٩، ١٠].

إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى نَصَبَ الأدِلَّةَ بآياتِهِ المخلوقةِ، وبآياتِهِ المقروءَةِ، على وحدانيتِهِ، وعلى أنَّهُ سبحانَهُ وتعالى هو الخالقُ العظيمُ المُنْفَرِدُ بالخَلْقِ والتَّدْبِيرِ، المستحقُّ للعبادَةِ، وأنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ سواهُ فإنَّهُ بَاطِلٌ؛ لأنَّهُ لايملكُ لِنَفْسِهِ نفعاً ولا ضَرًّا ولا مَوْتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً، أمواتٌ غيرُ أحياءٍ، لايسمعونَ ولايُبْصِرُونَ.

إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أَمَرَ عبادَهُ بالنظرِ في مَلَكُوتِ السمواتِ والأرضِ، وأَمَرَهُمْ بالتَّدَبُّرِ قالَ أبو الدَّرْدَاءِ رضيَ اللهُ عنه: «تَدَبُّرُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ»؛ وذلكَ لأنَّ التَّدَبُّرَ يَبْعَثُ في القلبِ تعظيمَ اللهِ سبحانه وتعالى ومَحَبَّتَهُ، ويُرَسِّخُ الإيمانَ في القلبِ، ويُقَوِّيَ عقيدةَ التوحيدِ في القُلُوب. أما الإعراضُ عَنِ النَّظَرِ في آياتِ اللهِ فإنَّهُ يُقَسِّي القلبَ، ويُعْمِي البَصِيرةَ، ويصبحُ الإنسانُ في هذه الدنيا لا فَرْقَ بينَهُ وبينَ البهائمِ السَّائِمَةِ، التي غايتُها مِنْ هذِه الحياةِ، أنَّها تعيشُ ثم تموتُ وتَنْتَهِي.

فاللهُ سبحانَهُ وتعالى أَمَرَ في آياتٍ كثيرةٍ بالنظرِ في هذه المخلوقاتِ، والتَّدَبُّرِ فِيها، أَرَأَيْتُم لَوْ أنَّ آلةً مصنوعةً صغيرةً يستعملُها الناسُ وفيها مصالِحُ لَهُمْ، ماذَا

---

(١) جُزءٌ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه «الطهور شطر الإيمان...» الذي رواه مسلمٌ (٢٢٣).

يكونُ إعجابُهم بهذِه الآلةِ؟ وماذَا يكونُ تَقْدِيرُهُمْ لهذا المُخْتَرَعِ؟ وماذا يكونُ تَعَجُّبُهُمْ مِنها؟ في حينِ أنَّها جُزْئِيَّةٌ مِنْ مخلوقاتِ اللهِ سبحانه وتعالى. إنَّ هَذَا المُخْتَرِعَ لم يأتِ بِها مِنْ عندِهِ، ولَمْ يخلقْها ولَمْ يوجِدْها مِنْ عنده، وإنما دَلَّهُ اللهُ سبحانَهُ وتعالى عَلَيْها وأَلْهَمَهُ صَنْعتَها مما خلق الله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فالخَلْقُ كُلُّهُ للهِ سبحانَهُ وتعالى، فكيف يتعجب الناس من هذه المخترعات وهذه المصنوعات، ويغفلون عن آيات الله سبحانه وتعالى في الآفَاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ؟! قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

لَوْ أنَّ الإنسانَ جَلَسَ يَتَفَكَّرُ في جِسْمِهِ، وما فيهِ من دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ وَبَدِيعِ الحِكْمَةِ، وما فيهِ مِنَ الأعضاءِ، ما فيهِ مِنَ العُرُوقِ، ما فيهِ مِنَ العِظَامِ، ما فيهِ مِنَ الحَوَّاسِّ، حواسِّ السمعِ والبصرِ وسائرِ الحواسِّ، وما فيهِ مِنَ المنافعِ، لو تأمَّلَ في جسمِهِ لأَفْنَى عُمُرَهُ ولَمْ يَصِلْ إلاّ إلى أَقَلِّ القليلِ مِنْ عجائبِهِ، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾، فكيفَ بِهذا الكونِ الفسيحِ المُمْتَدِّ في السمواتِ والأرضِ، والبَرَارِي والبِحارِ، وما فيها مِنْ عجائِبِ المخلوقاتِ؟! ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾، هذهِ الأرضُ التي نعيشُ عَلَيْها ونَسِيرُ عَلَيْها، وهذهِ السماءُ، الأرضُ التي تُقِلُّنا، وهذهِ السماءُ التي تُظِلُّنا، وهذهِ الدوابُّ التي نَرْكَبُها ونَحْلِبُها ونَأْكُلُ مِنْ لُحُومِها ونستفيدُ مِنْ منافِعِها.

لماذا لانَتَفَكَّرُ؟ لماذا لا نَتَدَبَّرُ؟ لماذا لا نُحْضِرُ عُقُولَنَا، ونَعْلَمُ أنَّ هذهِ المخلوقاتِ لَمْ تُخْلَقْ عَبَثاً، وأنَّها لَنْ تُتْرَكَ سُدَىً؟ ولكنَّها خُلِقَتْ لِحِكَمٍ عظيمةٍ وغاياتٍ جَليلةٍ.

فعلينا جميعاً أنْ نتدبرَ وأنْ نتفكرَ فِي مخلوقاتِ اللهِ، في آياتِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى، دائماً على المسلمِ أنْ يُجيلَ النظرَ في كُلِّ ما حولَهُ وفي كُلِّ ما في جِسْمِهِ، وفي كُلِّ ما يَنْتَفِعُ بِهِ؛ لِيَسْتَدِلَّ بذلكَ على عَظَمَةِ خَالِقِهِ سبحانَهُ وتعالى، وبديعِ صَنْعَتِهِ، وبَلِيغِ حِكْمَتِهِ، فإنَّهُ الرَّبُّ العظيمُ، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨].

إنَّ هذا الرَّبَّ القادرَ على كُلِّ شيءٍ محيطٌ بعبادِهِ وبأَفْعَالِهِمْ وأعْمالِهِمْ. ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ [التغابن: ٤]، ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الملك: ١٣].

أنتَ إذا اسْتَمَعْتَ إلى هذهِ الوسائِلِ التي قَرَّبَتِ البعيدَ، تسمعُ كلام المُتَكَلِّمِ وهو في أقصى الدنيا، وتَسْمَعُ سُعالَه إذا سَعَلَ، وتسمعُ نَفَسَهُ إذا تنفسَ، وهو في أقصى الدنيا. هذه صَنْعَةُ مخلوقٍ أَقْدَرَ اللهُ عليها، فكيف بِعِلْمِ الخالقِ سبحانه وتعالى الذي هو محيطٌ بِكُلِّ شيءٍ، وعالِمٌ بِكُلِّ شيءٍ؟ ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ ﴾ [التغابن: ٤].

ألا يكونُ في ذلكَ عبرةٌ للمُعْتَبِرينَ، وبصيرةٌ للمتبصرينَ؟ ألا يكونُ في ذلكَ باعثٌ على خشية الله سبحانه وتعالى وتعظيمِهِ، والحياءِ مِنْهُ سبحانه، والخوفِ مِنْهُ؟ فإنَّهُ رقيبٌ على عبادِهِ، مُطَّلِعٌ عليهم، مهيمنٌ عليهمْ، محيطٌ بِهِم، أينَما كانُوا وحيثُما وُجِدُوا، فعلى المسلمِ أنْ يتفكَّرَ، وأنْ يتبصَّر واللهُ سبحانه وتعالى يهدي مَنْ يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم.

بارك الله لي ولكُمْ في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانِهِ وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانَهُ وتعالى، إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى ذَمَّ الذينَ يُعْرِضُونَ عَنْ آياتِهِ ولايتفكرونَ فيها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾، [الأحقاف: ٣] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

توعَّدَ اللهُ سبحانه وتعالى مَنْ أَعْرَضَ عن آياتِهِ ولَمْ يتأمَّلْ فيها، وأعرضَ عَنْ رَبِّهِ سبحانه وتعالى: وعاشَ عيشةَ البهائمِ السَّائِمَةِ، توعَّدهُ بالهلاكِ العاجِل، والعذاب الآجِلِ ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾، مِنَ الأُمَمِ الكافرةِ التي أَعْرَضَتْ عن آياتِ اللهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ بها بأسَهُ.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥ـ ١٠٧]، توعّدَهُم اللهُ سبحانَهُ بالعذابِ المُباغِتِ الذي يغشاهمْ مِنْ فَوْقِهم ومِنْ

تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، فلا يستطيعونَ مِنْهُ تخلُّصاً.

فيجبُ على المسلمينَ أنْ يَتَنَبَّهُوا لهذا الأمْرِ وأنْ يَتَفَكَّرُوا في آياتِ رَبِّهم ومخلوقاتِهِ وآياتِهِ المُنَزَّلَةِ، وأنْ يُعَظِّموا رَبَّهم ويَقْدُرُوه سبحانه وتعالى، حَقَّ قَدْرِه، وأن يَمْتَثِلُوا أَمْرَهُ، ويَجْتَنِبُوا نَهْيَهُ، لِيَنْتَفِعُوا بآياتِ اللهِ سبحانه وتعالى، ولايكونُوا شرًّا مِنَ البهائِمِ، فإنَّ البهائِمَ لَمْ تُكَلَّفْ ولم تُؤْمَرْ، ولم تُنْهَ، وإنما خُلِقَتْ لمصالح، وهذهِ المصالحُ تحققتْ فيها، ثم تعودُ إلى الهلاكِ وإلى العَدَمِ؛ لأنها انتهتْ مُهِمَّتها.

أمّا هذا الإنسانُ، فإنَّهُ خُلِقَ لأَمْرٍ عظيمٍ، وهُيِّيءَ لأمرٍ جسيمٍ، هُيِّيءُ للبَعْثِ والحسابِ والجزاءِ، والجنةِ والنارِ لأنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثاً، ولَنْ يُتْرَكَ سُدَىً. ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]، فكيف يَرْضَى الإنسانُ العاقلُ البصيرُ أنْ يكونَ أَضَلَّ مِنَ البهائِمِ؟! ولا يتفكَّرُ في آياتِ اللهِ، ولايُعَظِّمُ اللهَ سبحانه وتعالى، ولا يُؤَدِّي ما أَوْجَبَ اللهُ عليهِ، ويتجنَّبُ ما حرَّم اللهُ عليهِ، إنَّهُ شَرٌّ مِنَ البهائِمِ، شاءَ أَمْ أَبَى.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله: تفكرُوا في أَنْفُسِكُمْ، وفي مَصِيرِكُمْ، وفي أَحْوَالِكُمْ، وفيما حَوْلَكُم، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُحالَ بَيْنَكُم وبَيْنَ ذلكَ.

واعلَمُوا أنَّ خيرَ الهديِ كتابُ الله.. إلخ الخطبة.

* * *

في وجوب شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ ظَاهِرةً وبَاطِنةً، وأمرَ بِذِكْرِهِ وشُكْرِهِ، ونَهى عن كُفْرِهِ، فقالَ سبحانه وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وَعَدَ الشاكرينَ بالمزيدِ، وتوعَّدَ الكافرينَ لِنِعَمِهِ بالعذابِ الشَّديدِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورَسُولُهُ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ حتى تَفَطَّرتا مِنْ طُولِ القيامِ، وقالَ: «أفلا أكونُ عَبداً شَكُوراً»(١)، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى واشكرُوا نِعمَهُ عليكم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى أَنْعَمَ علينا بِنَعَمٍ لاتُحصى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النمل/ ١٨]، وإنَّ هذهِ النِعَمَ لابدَّ أن تُشكر؛ حتى تَسْتَمِرَّ وتستقرَّ، وحتى تكونَ عوناً على طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، أما إذا كُفِرَتْ وبُدِّلَتْ وغُيِّرتْ، فإنها تُبَدَّلُ إلى شقاءٍ وبُؤْسٍ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾، [النحل: ١١٢]، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٨٣٧)، ومسلمٌ (٢٨٢٠).

[ابراهيم: ٧]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واشكرُوهُ على نِعَمِهِ، وشُكْرُ اللهِ هو: الثناءُ عليهِ بِنِعَمِهِ، وذلكَ يتكوَّنُ مِنْ ثلاثةِ أُمُورٍ، لا يَصِحُّ ولا يَتِمُّ الشُّكْرُ إلاّ بِها ولا يتحققُ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: التحدثُ بِنِعَمِ اللهِ ظاهراً باللسانِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١]، فيتحدثُ الإنسانُ بِنِعَمِ اللهِ ويَذْكُرُها، ويُعَدِّدُ ما يعلمُ مِنْها، ويُثْنِي على اللهِ بِها، ويُذَكِّرُ الناسَ بِها.

الأَمْرُ الثاني: الاعترافُ بِها باطِناً، بأَنْ يعترفَ في قلبِهِ أَنَّ هذهِ النعمَ مِنَ اللهِ، لابِحَوْلِهِ ولابقوتِهِ، فيشكرُ اللهَ عَلَيْها، ويعلمُ أَنَّ اللهَ قادِرٌ على سَلْبِها وعلى تَبْدِيلها، يعترفُ بذلكَ في قَلْبِهِ، ولايَرَى أَنَّهُ حَصَلَ على هذه النعمِ بِكَدِّهِ وكَسْبِهِ وحَوْلِهِ وقوتِهِ، كحالةِ قارونَ الذي لمَّا ذكَّرَهُ قَوْمُهُ بِشُكْرِ نِعَمِ اللهِ عليهِ وما أَتَاهُ مِنَ الكُنُوزِ، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، أي: أَعْطَانِي اللهُ هذا المالَ؛ لأَنَّني أَسْتَحِقُّهُ عليهِ. أَوْ: كَسِبْتُهُ بِخبرتِي وعِلْمِي وقُوَّتِي. فَجَحَدَ فَضْلَ اللهِ عليهِ، ونَسَبَ ذلكَ إلى نَفْسِهِ- والعياذُ باللهِ - فكانتْ عاقبتُهُ ما تعلمونَ: أَنَّ اللهَ جلّ وعلاَ خَسَفَ بِهِ وبِدَارِهِ الأرضَ فهو يَتَجَلْجَلُ فِيها إلى يومِ القيامةِ.

الأَمْرُ الثالثُ: - وهو المهمُّ - صَرْفُها في طاعةِ مُسْدِيها ومُولِيها، وهو اللهُ سبحانه وتعالى؛ بأَنْ يستعانَ بِها على طاعةِ الله، أو أن تُصْرفَ فيماأباحَ اللهُ. أمّا مَنْ صَرَفَ نِعَمَ اللهِ في معصيةِ اللهِ، واستعانَ بِها على الكفرِ والمعاصي والفسوق، فإن هذا كافر لنعمة الله عز وجل، قد عرَّضها للزوال، وعرَّض نفسه للوعيد.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، لابُدَّ أَنْ تَجْتَمِعَ هذه الأركانُ عندَ المسلمِ: أن يتحدثَ بنعمِ اللهِ، ويعترفَ بِها بقلبِهِ، ويَصْرِفَها في طاعةِ اللهِ عزّ وجلّ.

أمّا الذي يَصْرِفُ النِّعَمَ في مَعْصِيةِ اللهِ، ويتكبرُ في أَرْضِ اللهِ، والذي يَسْتَعِينُ بِها على الفسُوقِ والعصيانِ، كالذي يسافرُ بِها إلى بلادِ الكُفْرِ والمُجُونِ، وينفقُها على كُلِّ رذيلةٍ، فهذا كافرٌ لِنِعْمَةِ اللهِ، وهذا إنَّما اسْتَدْرَجَهُ اللهُ بإعطائِهِ هذه النعمَ؛ لِيَأْخُذَهُ على غِرَّةٍ، والعياذُ باللهِ، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

نعمْ، لقدْ أَنْعَمَ اللهُ علينا بِنِعمٍ عظيمةٍ ليستْ عندَ غَيْرِنا، فيجبُ علينا الشُّكْرُ أكثرَ مِنْ غيرِنا، أعطانا اللهُ سبحانه وتعالى أَعْظَمَ النعمِ، وهو هذا الإسلامُ الذي بَعَثَ اللهُ بهِ نبيَّهُ محمداً ﷺ، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالمسلمُ في نعمةٍ عظيمةٍ، يعرفُ رَبَّهُ، ويعبدُ ربهُ، ويَشْغَلُ حياتَهُ فيما ينفعُهُ عندَ اللهِ يومَ لقائِهِ. كثيرٌ مِنَ الناسِ حُرِموا مِنْ نعمةِ الإسلامِ، فَهُمْ يَتَخَبَّطُونَ في الكفرِ والإلحادِ والشُّكوكِ، والفُسوقِ المعاصي، والبِدَعِ والخُرافاتِ، كثيرٌ مِنَ الناسِ سُلِبُوا نعمةَ الدينِ فأصبَحُوا في غفلة عن اللهِ عزّ وجلّ، لايعرفونَ رَبَّهم، ولايُقيمونَ دينَهُمْ، وإنَّما هُمْ كالأنعامِ، بلْ همْ أضلُّ، والعياذُ باللهِ.

فتنبَّهوا عبادَ اللهِ، تمسَّكوا بهذا الإسلامِ، تمسَّكوا بأوامِرِهِ، واجتنبُوا نَوَاهِيهِ، وأدُّوا فرائِضَهُ، وأعظمُ فرائضِ الإسلامِ بعدَ الشهادتين: الصلواتُ الخَمْسُ، حافِظُوا عليها في المساجِدِ والجماعاتِ، فإنَّها عمودُ الإسلامِ، وحَافِظُوا على بقيةِ الطاعاتِ وتجنَّبوا جميعَ المحرَّماتِ، فإنَّ هذا هو الإسلامُ، وليسَ الإسلامُ باللسانِ فقط، بأنْ يقول الإنسانُ: أنا مسلمٌ، ولكنَّهُ لايعملُ بأحكامِ الإسلامِ، ولايتجنبُ ما يناقضُ الإسلامَ مِنَ الشركِ والكفرِ، فهذا ليسَ لَهُ مِنَ الإسلامِ نصيبٌ وإنْ تسمَّى بِهِ.

أنعمَ اللهُ عليكُمْ بالأَمْنِ والاستقرارِ، فأنتُمْ آمِنُونَ في بُيُوتِكُمْ، آمنونَ في بلادِكُمْ، آمنونَ في أسفارِكُمْ، لاتَخْشَوْنَ إلا الله عزّ وجلّ، تَسيرونَ أينَما تُرِيدونَ في شَرْقِ البلادِ وغَرْبِها، بعيداً وقريباً، وأنتمْ آمنونَ مطمئنونَ لاتخافونَ إلا مِنَ اللهِ عزّ وجلّ، لايَعْتَدِي عليكمْ سَارِقٌ، ولايَعْتَرِضُكُمْ قاطعُ طريقٍ، ولايَصُدُّكُمْ عنْ حاجَتِكُمْ صَادٌّ، هذا مِنْ أكبرِ النعمِ، إنَّ بلاداً كثيرةً فَقَدَتْ هذهِ النعمةَ، فصارُوا في خَوْفٍ وقَلَقٍ، سَلَّط اللهُ عَلَيْهِمُ الجبابرةَ، وسَلَّطَ اللهُ عليهمُ الطغاةَ، فَسَامُوهُمْ سُوءَ العذابِ، يَهْدِمُونَ بيوتَهُمْ ويُشَرِّدُونَهُمْ مِنْ ديارِهم، ويَسْلُبُونَ أموالَهُمْ، بَلْ وأعظمُ مِنْ ذلكَ: يُعتَدَى على حُرُماتِهِمْ، وتُنْتَهكُ أعراضُهم. أَصْبَحُوا في قَلَقٍ وفي ضيقٍ وشدةٍ، فاقدينَ للأمنِ، لايطمئنونَ ليلاً ولا نهاراً، دائماً قلوبُهُم واجفةٌ، يتوقعونَ كُلَّ مصيبةٍ؛ لأنَّهم فقدوا هذا الأمنَ الذي تعيشونَ فيه، فاشكُرُوا اللهَ على هذه النعمةِ العظيمةِ؛ لئلاّ تزولَ.

أنعمَ اللهُ عليكُمْ بكثرةِ الأرزاقِ والأموالِ، بينَما كثيرٌ مِنْ أهلِ البلادِ مِنْ حَوْلِكُمْ في فقرٍ وفَاقَةٍ وجوعٍ، لايجدونَ ما يأكلُونَ، ولايجدونَ مايلبسونَ، ولايجدونَ مايسكنونَ، إلا قليلاً منْهُمْ وهُمْ خائفونَ، وأنتُمْ تَرْفُلُونَ في هذهِ الأرزاقِ العظيمةِ، وفي هذهِ الأموالِ الطائلةِ، فاشكُرُوها؛ لأجلِ أنْ تَسْتَقِرَّ وتَثْبُتَ وتَزِيدَ، ولاتكفرُوها فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واشكرُوهُ على هذهِ النعمِ، قَيِّدُوها بالشُّكْرِ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢].

بارَكَ اللهُ لي ولكمُ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنِهِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الداعي إلى رِضْوانِهِ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانَهُ وتعالى، واعلَمُوا أنَّ مِنَ الكُفْرِ بأَنْعُمِ اللهِ: الاستهانةَ بِها واحتقارَهَا، فكثيرٌ مِنَ الناسِ يُسْرِفونَ في المطاعِمِ والمشارِبِ، ثُمَّ يأكلونَ مِنْها القَليلَ، ويُهْدِرونَ الكثيرَ منها، يهدرونَهُ في المزابلِ لا ينتفعُ بِهِ أحدٌ، ولا يُكْرمونَ نَعَمَ اللهِ ولا يحترمونَها، فَمَثَلُهُمْ مَثَلُ البهائمِ التي تأكلُ مِنْ طعامِها ثم تدوسُ بَقِيَّتَهُ بأَقدامِها وتَرُوثُ عليهِ وتبول.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وَقِّرُوا نعمةَ اللهِ واحْتَرِمُوها، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . إلخ الخطبة.

* * *

في وجوبِ التمسُّكِ بالإسلامِ، وتركِ التشبُّه بالكفارِ

الحمدُ لله، أكملَ لنا الدينَ، وأتمَّ علينا النعمةَ، ورضيَ لنا الإسلامَ ديناً، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، شَرَحَ اللهُ لَهُ صَدْرَهُ ويسَّرَ له أَمْرَهُ، وجَعَلَ الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على مَنْ خَالفَ أَمْرَهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانَهُ وتعالى، واعْتَزُّوا بالإسلامِ الذي جَعَلَهُ اللهُ شرفاً لَكُمْ وعِزّاً لكمْ في الدنيا والآخِرَةِ، وأَغْناكُمْ بِهِ عمّا سواهُ وجَعَلَكُمْ بِهِ ـ إنْ تَمَسَّكْتُمْ به ـ خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقالَ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

فاللهُ سبحانه وتعالى أعزَّ المسلمينَ بالإسلامِ، ولهذا يقولُ أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ: إنَّ اللهَ أَعَزَّنَا بالإسلامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا العِزَّ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ.

ولمّا كانَتْ هذهِ الأُمَّةُ متمسكةً بهذا الدينِ، معتزةً بِهِ، كانتْ هي أعَزَّ الأُمَمِ وأَشْرفَ الأُممِ، وكانتْ الأممُ تهابُها وتخضعُ لَها، وجَعَلَ اللهُ لها السيادةَ على أَهْلِ الأرضِ، فلمَّا تهاونَ المسلمونَ بِدينِهِمْ وساومُوا عليهِ، تأخَّروا وذَلُّوا، وصارُوا تبعاً لغيرِهِمْ، ولايعودُ لهم عِزُّهُمْ وشَرَفُهُمْ إلا إذا عادُوا إلى دينِهِمْ وتمسَّكُوا بِهِ؛ لأنَّهُ هو سَبَبُ السعادةِ، وهو سَبَبُ العِزَّةِ، ولهذا حذَّرَ النبيُّ ﷺ مِنَ التشبُّهِ بالكفارِ والمشركينَ، والتشبُّهِ باليهودِ والنصارى، والتشبُّهِ بالفرسِ، والتشبُّهِ الأعاجمِ، والتشبُّهِ بأمورِ الجاهليةِ.

كُلُّ ذلكَ مِنْ أَجْلِ أنْ يُبْعِدَ الأُمةَ الإسلاميةَ عَنِ الكُفْرِ والشِّرْكِ وأخلاقِ الكفارِ، ومنْ أجلِ أنْ يَقْطَعَ المَحَبَّةَ بينَ المؤمنينَ والكفارِ، لمّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، ولهمْ يومانِ يلعبونَ فِيهِمَا، قالَ ﷺ: «**إنَّ اللهَ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا يَوْمَيْنِ هُمَا خيْرٌ لَكُمْ، عيدِ الفِطْرِ وعيدِ الأَضْحَى**»(١)، فَمنَعَ المسلمينَ مِنَ الاحتفالِ بأعيادِ الكفارِ، ومشاركةِ الكُفّارِ في أعيادِهِمْ، وأمَرَهُمْ بالاقتصارِ على أعيادِ الإسلام التي هي بمناسبةِ أداء أركانِ الإسلامِ، فعيدُ الفِطْرِ بَعْدَ أَدَاءِ رُكْنِ الصيام، وعيدُ الأَضْحى بَعْدَ أداءِ ركنِ الحجِّ بالوقوفِ بعَرفةَ ولما قَدِمَ المدينةَ أيضاً وَجَدَ اليهودَ يصومونَ يَوْمَ عاشُوراءَ، قالَ ﷺ لأصحابِهِ: «**خَالِفُوا اليهودَ، صُومُوا يوماً قَبْلَهُ أَوْ يَوْماً بَعْدَهُ**»(٢).

ولما أرَادَ الصحابةُ ـ في عهدِ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ـ وَضْعَ تاريخٍ يعتمدُونَهُ في معاملاتِهِمْ وفي وثائِقِهِمْ، وفي أُمورِ دُنْيَاهُمْ وآخِرَتِهِمْ، تَرَكُوا التاريخَ الميلاديَّ، والتاريخَ الإفْرَنجِيَّ، والتاريخَ الفارسيَّ، وهي موجودةٌ، فتركُوها وَعَدلُوا إلى التاريخِ الهِجْرِيِّ، الذي يَبْتَدِئُ مِنْ هجرةِ الرسولِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إلى المدينةِ؛ وذلكَ لِيَبْتَعِدُوا عن مشابهةِ الكفارِ في تاريخِهِمْ، وليستقلُّوا عن الكفارِ في ذلكَ، بما يَدُلُّ على أنَّهُ مطلوبٌ مِنَ المسلمينَ دائماً وأبداً: الاستقلاليةُ، والابتعادُ عن التبعيةِ، والتمسُّكُ بأهدابِ دِينِهِمْ؛ لأنَّ التبعيةَ والتشبُّهَ يَجُرَّانِهِمْ إلى تعظيمِ المشركينَ وتعظيمِ أديانِهِمْ وأخلاقِهِمْ، بل يَجُرَّانِ إلى مَحَبَّةِ المشركينَ؛ لأنَّ التشبُّهَ بِهِمْ في الظاهِرِ يَدُلُّ على مَحَبَّتِهِمْ في الباطِنِ، ومَنْ أَحَبَّ الكفارَ هَلَكَ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) أبو داود (١١٣٤) عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه.
(٢) البيهقي (٤/ ٢٨٧).

إنَّ النبيَّ ﷺ حَذَّرَ مِنَ التشبُّهِ بالكفارِ في دينِهمْ وعِبَادَاتِهِمْ، فأخبرَ ﷺ أنَّ اليهودَ والنصارَى يَبْنُونَ المساجدَ على القُبورِ، فَحَذَّرَ ﷺ مِنْ هذا العملِ وقالَ: «إنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كانُوا يَتَّخِذُونَ قبورَ أنبيائِهِمْ وصالِحِيهمْ مَسَاجِدَ، ألاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا القبورَ مساجدَ، فإنِّي أَنْهاكُمْ عَنْ ذلكَ»[1]، وقالَ ﷺ: وهو في سياقِ الموتِ «لعنةُ اللهِ على اليهودِ والنصارَى، اتخذُوا قُبُورَ أنبيائِهِمْ مساجدَ، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجِدَ»[2].

وحذَّرَ ﷺ مِنَ الغُلُوِّ في حَقِّهِ، والمبالغةِ في مَدْحِهِ ﷺ، كما كانتِ النصارَى تَغْلُو في المسيحِ، حتى اتخذُوهُ إلهاً مِنْ دونِ اللهِ، قالَ ﷺ: «لاتُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصارَى ابنَ مَرْيمَ (أي لاتَزِيدُوا في مَدْحِي ولاتَغْلُوا في مَدْحِي كما زادتِ النصارَى في مَدْحِ نَبِيِّهِمْ عيسى عليه الصلاةُ والسلامُ) إنَّما أنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ ورسُولُهُ»[3].

وحذَّر ﷺ مِنَ التشبُّهِ بالكفارِ في أَكْلِهِمْ وشُرْبِهِمْ، فَنَهَى عَنِ الأكلِ والشربِ بالشمالِ؛ لئلاَّ يتشبهَ الإنسانُ بالشيطانِ ويتشبهَ بالكفارِ، وأَمَر بالأكلِ باليمينِ، والشربِ باليمينِ.

ونهى ﷺ عن حَلْقِ اللِّحَى وتَغْذِيَةِ الشوارِبِ، لأنَّ هاتينِ صِفةُ المشركينَ وصفةُ الأعاجِمِ، قالَ ﷺ: «أَعْفُوا اللِّحَى، وأَحفُوا الشَّوارِبَ، خَالِفُوا اليهودَ، خَالِفُوا المشركينَ»[4]، وإحفاء الشوارِبِ: قَصُّها، وإعفاءُ اللحى: تَرْكُها كما خَلَقَها اللهُ سبحانه وتعالى، جَمَالاً للرجالِ، وفارقةً بينهم وبينَ النساءِ وفي

---

(١) رواه مسلم (٥٣٢).
(٢) رواه البخاريُّ (٤٣٥)، ومسلمٌ (٥٣١).
(٣) رواه البخاريُّ (٣٤٤٥).
(٤) رواه مسلم (٢٥٩) بنحوه.

إعفائها مخالفةٌ للكفارِ والمشركينَ في هَدْيِهِمْ وسماتِهِمْ.

ونهى ﷺ عن التشبُّه بالكفارِ في كلِ ماهو مِنْ خصائِصِهِمْ، في لباسِهِمْ، وفي مَشْيِهِمْ، وفي جُلُوسِهِمْ، وفي أَكْلِهِمْ وشُرْبِهِمْ، وفي أسمائِهِمْ، فالتسمِّي بأسماءِ الكفارِ فيهِ مشابهةٌ لَهُمْ، وكذلكَ لُبْسُ اللباسِ الخاصِّ بالكفارِ فيهِ تشبُّهٌ بهم، وكذلكَ كُلُّ ما كانَ مِنْ عوائِدِ الكفارِ الخاصةِ بِهِمْ، فإنَّ المسلمينَ منهيُّونَ عَنِ التشبُّهِ بِهِمْ فيهِ، وقد جَعلَ اللهُ لَهُمْ في دِينِهِمْ ما فِيهِ غِنىً لَهُمْ ورِفْعَةٌ لهمْ في جميعِ الأمورِ، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالذي يتشبَّهُ بالكفارِ يَزْعُمُ أنَّ الإسلامَ ناقصٌ، وبلذلكَ يَلْتَمِسُ الكَمَالَ عندَالكفارِ، وهذا كُفْرٌ بنعمةِ اللهِ سبحانه وتعالى الذي أتمَّ هذا الدينَ، وميَّزَنَا بِهِ عنْ جميعِ العالمينَ ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]، والذِّكْرُ معناهُ الشَّرَفُ، فهذا القرآنُ وهذا الدينُ شَرَفٌ لهذهِ الأُمَّةِ ما تمسَّكتْ بِهِ، فإذا تخلَّتْ عَنْهُ واسْتَوْرَدَتِ العاداتِ والتقاليدَ مِنْ هذي أعدائِها أذلَّها اللهُ سبحانه وتعالى، وحَرَمَها مِنْ النعمةِ العظيمةِ.

إنَّهُ يجبُ على المسلمينَ جماعاتٍ وأفراداً، ولاةً ورعيةً، أنْ يتمسَّكوا بِهذا الدينِ وبآدابِهِ وأهدابِهِ، وأنْ يَعُضُّوا عليه بالنَّواجِذِ، وأنْ يُخَالِفُوا المشركينَ ويخالفوا الوَثَنِيِّينَ، ويخالفوا جميعَ طوائِفِ الكُفْرِ، ويخالفُوا الجاهليةَ في كُلِّ ما هو مِنْ عاداتِهِمْ وتقاليدِهِمُ الفاسدةِ، إنَّ المسلمينَ بحاجةٍ إلى مَنْ يُبَصِّرُهُمْ بأمورِ دِينِهِمْ، وأنْ يُبَيِّنَ لهمْ ما يَقَعُ فيه التشبُّهُ، وما ليسَ فيه تَشَبُّهٌ؛ حتى يُمَيِّزُوا بينَ ما هو طَيِّبٌ وماهو خَبِيثٌ، وحتى يتمسَّكُوا بِدِينِهِمُ الذي جَعَلَهُ اللهُ عِزّاً لَهُمْ، وشَرَفاً في الدنيا والآخِرَةِ.

إنَّ المسلمينَ مَالَمْ يتمسَّكُوا بدينِهِمْ، ويَعْتَزُّوا بشريعتِهِمْ فإنَّهم سيكونُونَ أذِلأَّءَ، سيكونُونَ تبعاً لأعدائِهِمْ، سيكونُونَ لاقيمةَ لَهُمْ على وَجْهِ الأرضِ، واليومَ كَمَا ترونَ كثرةَ التَّشَبُّهِ بالكفارِ في لُغَاتِهِمْ، حتى التَّحَدُّثُ بِلُغَتِهِمْ لايجوزُ إلا عندَ الحاجَةِ، وكثيرٌ مِنَ المسلمينَ يتشدَّقونَ بالكلماتِ الأجنبيةِ، ويكتبونَها على محلاّتِهِمْ التجارية، وعلى شَرِكَاتِهِمْ، ويجعلونَها شِعَارًا لهم، وهذا مِنَ التشبُّهِ الذي نَهَى عنهُ الرسولُ ﷺ، يجبُ أنْ لايكونَ في أسواقِ المسلمينَ، ولا في صُحُفِهِمْ، ولا في مَجَلاَّتِهِمْ، أيَّ عباراتٍ تَنمُّ عَنِ التحَدُّثِ بِلُغَةِ الكفارِ إلا عندَ الحاجَةِ والضرورةِ، مع بيانِ أنَّ ذلكَ ليسَ مِنْ أَجْلِ التشبُّهِ، وإنما هو مِنْ أجْلِ الحاجةِ فقطْ.

كثيرٌ مِنَ أولادِ المسلمينَ الآنَ وشبابِهِمْ يلبسونَ القُبَّعَاتِ على رُؤُوسِهِمْ، وهذهِ القبعاتُ هي مِنْ ملابسِ الكفارِ، لا لحاجةٍ إليها، ولا لضرورةٍ دَعَتْ إليها، وإنَّما هو مِنْ بابِ المحبةِ لَها والعِشْقِ لَها، فيجبُ التنبُّهُ لذلكَ، بل إنَّه مكتوب على بَعْضِ الملابسِ التي يَلْبَسُها بعضُ أولادِ المسلمينَ، أو نساءِ المسلمينَ، عباراتٍ مكتوبةً باللغاتِ الأجنبيةِ، وقد وُجِدَ في ترْجَمَةِ بَعْضِها شعاراتٌ لأديانِهِمْ وعباداتِهِمْ. إنَّهُ لايجوزُ أنْ يُظْهِرَ المسلمُ في لباسِهِ، أو في أيِّ مَظْهَرٍ مِنْ مظاهرِهِ، بما فيه تَشَبُّهٌ بالكفارِ، وأنْ لايتكلَّمَ بِلُغَتِهِمْ إلا عِنْدَ الحاجَةِ، وأنْ يتجنبَ كُلَّ عاداتِهِمْ وتقاليدِهِمُ التي تجرُّ إلى الانخراطِ في مَحَبَّتِهِمْ وتقديرِهِم؛ لأنَّ اللهَ أهانَهُمْ وأذلَّهُمَ، فلا يجوزُ للمسلمينَ أنْ يعظموهم وأنْ يقلدُوهم وأنْ يتشبَّهوا بِهم.

فالواجبُ: الحذرُ مِنْ ذلكَ، والتحذيرُ مِنْ ذلكَ، فإنَّ الخسارةَ عظيمةٌ على المسلمينَ إذا فَشَا التَّشَبُّهُ بالكفارِ بينَهم، فإنَّ هذا يَجُرُّهُمْ إلى عَدَمِ الفَرْقِ بينَ المسلمِ والكافرِ، وبينَ العَدُوِّ والوَلِيِّ، إنَّ المسلمينَ أمَّةٌ أعزَّهَا اللهُ بدينٍ ليسَ لَهُ نظيرٌ على وَجْهِ الأرضِ، فيهِ الشرفُ، وفيهِ العزةُ، وفيه الكرامةُ، وفيهِ الرِّفْعَةُ؛

لِمَنْ تمسَّكَ بهِ. أمّا مَنْ أَهْمَلَهُ وانتسبَ إليهِ مُجرَّدَ انتسابٍ، وتسمَّى بِهِ مجردَ تسَمٍّ. ، ولكنَّ عَادَاتِهِ وأَخْلاَقَهُ وتقاليدَهُ كُلَّها مستوردةٌ مِنَ الكفارِ، فهذا إنَّما يكونُ مسلماً بالاسمِ والتَّسمِّي، لا في الحقيقةِ.

نسألُ اللهُ أنْ يُبَصِّرَ المسلمينَ بأُمورِ دينِهِمْ، وأنْ يَرُدَّهُمْ إلى دِينِهِمْ رَدّاً جَميلاً، وأنْ يُمَسِّكَهم بهذا الدينِ وآدابِهِ وأخلاقِهِ؛ حتى يكونُوا مِنْ خَيْرِ أُمةٍ أُخرِجَتْ للناسِ.

أعوذُ باللهِ مِنِ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

نسألُ اللهَ عزّ وجلّ بأسمائِهِ الحُسْنَى وصِفَاتِهِ العليا أنْ يُمَسِّكَنا وإيَّاكُمْ وجميعَ المسلمينَ بهذا الدينِ، وأنْ يبصِّرنا بطريقِ المغضوبِ عليهِمْ والضالينَ؛ حتى نتجنَّبها ونبتعدَ عنها.

أقولُ قَوْلِي هذا وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لي ولَكُمْ ولجميعِ المسلمينَ مِنْ كُلِّ ذنبٍ، فاستغفرُوهُ إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشُّكْرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واعْلَمُوا أنَّ أسبابَ التَّشَبُّهِ بالكفارِ كثيرةٌ جِدًّا، مِنْها: السَّفَرُ إلى بلادِهِمْ، فالإنسانُ إذا سافرَ إلى بلادِهِم ورأى ما هُم عليه، فإنَّه يتشبَّه بهم، إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ. فالواجبُ على المسلم أن لا يسافرَ إلى بلادِ الكفارِ إلاَّ عندَ حاجةٍ لابدَّ لَهُ مِنْها، وإذا سافَرَ فليعتزَّ بِدِينِهِ،

وليتمسكْ بأخلاقِهِ، ولا يَدْخُلَ في عاداتِ الكفارِ والمشركينَ.

ومِنَ الأسبابِ: الاختلاطُ بينَ المسلمينَ والكفارِ، وذلكَ بِقُدومِ الكفارِ إلى بلادِ المسلمينَ بكثرةٍ، فَلْيَحْذَرِ المسلمونَ أنْ يتأثَّرُوا بِهِمْ، بَلِ الواجبُ على المسلمينَ أنْ يُؤثِّروا عَلَيْهم، وأنْ يَدْعُوهُمْ إلى الإسلامِ.

ومِنْ أَعْظَمِ أسبابِ التَّشَبُّهِ بالكفارِ: هذهِ القنواتُ الفضائيةُ التي تَجْلِبُ إلى بلادِ المسلمينَ أعمالَ الكفارِ، ويشاهِدُهُمُ المسلمونَ وهم في بُيُوتِهِمْ وفي قَعْرِ دُورِهِمْ، يرونَ أخلاقَهُمْ وتصرفاتِهِم، ويرونَ انْحِلاَلَهُمْ وتَفَسُّخَهُمْ مِنَ الأخلاقِ، فيقلِّدُونَهُمْ رجالاً ونساءً وأطفالاً، حتى إذا ظَهَرَ أهلُ البيتِ إلى الناس ظَهَرَتْ عليهِمْ آثارُ التشبُّهِ، إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ، وذلكَ نتيجةً لِمَا تَجْلِبُهُ هذهِ الآلاتُ الفضائيةُ، لِمَنِ ابْتُلِيَ بِدُخُولِها في بَيْتِهِ، وصارَ يَنْظُرُ إليها ويحاكِيها ويقلِّدُها.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحذَرُوا مِنَ التَّشَبُّهِ بأعداءِ اللهِ وأعداءِ رسولِهِ؛ لئلاّ تكونُوا مِثْلَهُمْ وتُحْشَرُوا مَعَهُمْ فقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ مِنَ التشبُّهِ بالكفارِ في أحاديثَ كثيرةٍ، ومِنْ ذلكَ أنَّهُ ﷺ أَخبرَ خَبَراً معناهُ: التحذيرُ والنَّهْيُ، قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ، حتى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**»(١)، هذا مِنْ بابِ التحذيرِ والإنذارِ، أنَّ المسلم يكونُ على حَذَرٍ من التشبُّهِ بالكفارِ، والابتعادِ عنهمْ، ولاسِيَّما إذا كَثُرَ هذا في آخِرِ الزمانِ، وتَساهَلَ فيه الناسُ، فإنَّ على المسلم أنْ يتمسَّكَ بدينه ويبتعدَ عَنِ التشبُّهِ بالكفارِ، ويُمْسِكُ مَنْ تحت يَدِهِ، ويحذِّر المسلمينَ، وينصحُ لَهمُ ويبيِّن لهم، فإنَّ البيانَ وَقْتَ الحاجَةِ واجبٌ عل كُلِّ مَنْ عندَهُ الاستطاعةُ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . إلخ الخطبة.

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٤٥٦)، ومسلمٌ (٢٦٦٩).

في التحذير من الفتن

الحمدُ للهِ ﴿ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وسبحانَ اللهِ عمّا يَصِفُونَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الصادقُ المأمونُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأتباعِهِ إلى يومِ الدينِ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى، واعلمُوا أنَّ الإنسانَ مادامَ على قَيْدِ الحياةِ فإنَّهُ مُعَرَّضٌ للفِتَنِ المُضِلَّةِ، ولهذا كانَ النبيُّ ﷺ يُحَذِّرُ مِنَ الفتَنِ، ويأمرُ بالتمسُّكِ بكتابِ اللهِ وسُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ عندَ ظُهُورِ الفتنِ، وكانَ ﷺ يستعيذُ باللهِ مِنَ الفتنِ، ويأمرُ الناسَ بذلكَ، وكانَ ﷺ يقولُ: **«استعيذُوا باللهِ مِنَ أربعٍ: مِنْ عذابِ جهنَّمَ، ومن عذابِ القبرِ، ومِنْ فتنةِ المحيا والمماتِ، ومِنْ فتنةِ المسيحِ الدجالِ»**(١).

وكانَ ﷺ يكثرُ مِنْ هذا الدعاءِ: **«اللهمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ والأبصارِ ثبِّت قَلْبِي على دينِكَ»**، فتقولُ لَهُ عائشةُ رضي اللهُ عنها: وهل تَخْشَى يارسولَ اللهِ؟ فيقولُ ﷺ: **«ياعائشةُ، وما يُؤَمِّنُنِي وقُلُوبُ العبادِ بينَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرحمنِ إذا شَاءَ أنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قلبَهُ»**(٢).

عبادَ اللهِ: يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى: أعُوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ، بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ـ٣]، لابُدَّ مِنَ الابتلاءِ والامتحانِ، والفِتَنُ: جَمْعُ فِتْنَةٍ، والفتنةُ هيَ: الابتلاءُ والاختبارُ؛ لِيَظْهَرَ الصادقُ مِنَ الكاذبِ، والمؤمنَ مِنَ المنافقِ ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ

(١) البخاريُّ (١٣٧٧)، ومسلمٌ (٥٨٨)، وأبو داود (٩٨٣) وغيرهم.
(٢) بنحوه رواه الترمذيُّ (٣٥١٧) لكنه عن أم سلمة وليس عن عائشة رضي الله عنهما.

ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٧].

والفِتَنُ كثيرةٌ، لكنَّها تَرْجِعُ إلى قِسْمَيْنِ:

القسمُ الأولُ: فتنةُ الشُّبُهاتِ.

القسمُ الثاني: فتنةُ الشهواتِ.

وفتنةُ الشبهاتِ: تتعلقُ بالعقائِدِ، كالكفرِ والشركِ، والنفاقِ، وكذلكَ الأهواءُ، والتَّفَرُّقُ والاختلافُ في الدِّينِ، كما قالَ ﷺ: «افْتَرَقَتِ اليهودُ على إحْدَى وسَبْعِينَ فِرْقَةً، وافْتَرَقَتِ النَّصارَى على اثْنَتَيْنِ وسَبْعِينَ فِرْقَةً، وسَتَفْتَرِقُ هذهِ الأُمَّةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقَةً، كُلُّها في النَّارِ إلاّ واحدةً» قالوا: مَنْ هيَ يارسولَ اللهِ؟ قال: «مَنْ كانَ على مِثْلِ ما أنَا عَلَيْهِ وأَصْحابِي»[1].

ومِنْ ذلكَ: الفِرَقُ التي ظَهَرَتْ بَعْدَ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ، بلْ ظَهرَ أَوَّلُها في وَقتِ الصَّحَابَةِ، كَفِرْقَةِ القَدَرِيَّةِ، وفِرْقَةِ الشيعةِ، وفِرْقَةِ الخَوارِجِ، وفِرْقَةِ المُرْجِئةِ، وما تفرَّع عَنْ هذهِ الفِرق مِنْ فِرَقٍ كثيرةٍ تَشَعَّبَتْ وتَنوعَتْ، وكُلُّها بعيدةٌ عَنِ الحقِّ، مخالفةٌ للحقِّ، وهي تتفاوتُ في ضَلاَلِها، وكُلُّها في النارِ، إمّا أنَّها في النارِ لكُفْرِها، وإمّا أنَّها في النارِ لضَلاَلِها، ولا يَنْجُو مِنْ هذا الاختلافِ، ولاينجو مِنَ النارِ إلاّ فرقةٌ واحدةٌ، هي التي بَقِيَتْ على الكتابِ والسُّنَّةِ لَمْ تُبَدِّلْ ولَمْ تُغَيِّرْ.

والنوعُ الثاني: فِتْنَةُ الشَّهَوَاتِ، وهذهِ الشهواتُ تتنوعُ، فالمالُ فتنةٌ، والأولادُ فتنةٌ، والنساءُ فتنةٌ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]، فاللهُ يبتَلِي بالمالِ، لأنَّ المالَ يُغْرِيَ الإنسانَ، وقَدْ يَشْغَلُهُ عَنْ طاعةِ اللهِ، وعن أَدَاءِ

---

(١) أبو داود (٤٥٩٧)، وابن ماجة (٣٩٩٣).

العباداتِ، قدْ يَنْشَغِلُ الإنسانُ بِجَمْعِ المالِ والسَّعْيِ وراءَ المالِ حتى عَنْ عبادَةِ اللهِ سبحانه وتعالى الواجبةِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩]، قدْ ينشغِلُ الإنسانُ بجمعِ المالِ وتنميتِهِ واستثمارِهِ، حتى يَأْخُذَ عليهِ ليلَهُ ونهارَهُ، فلا يَبْقَى عندَهُ وقتٌ للعبَادَةِ، وإنْ جَاءَ إلى العبادَةِ فإنَّهُ يَأْتِي بقلبٍ مشغولٍ، ويأتي إلى العبادةِ وهو على مَضَضٍ، لايذوقُ لها طَعْمًا، وإنَّما يؤدِّيها بالحَرَكاتِ دون القلبِ.

وكذلكَ: ينشغلُ بالمحافظةِ على هذا المالِ، لئلاَّ يضيعَ، فهو دائمًا يَحْرُسُهُ ويخافُ عليه، وكذلك يُفْتَنُ في الإنفاقِ، فيُمْسِكُ ويَبْخَلُ عمّا شَرَعَ اللهُ الإنفاقَ فيهِ، وتشحُّ نَفْسُهُ حتى بالزكاةِ الواجبةِ، وقد ينفقُهُ في الحَرَامِ واتباعِ الشهواتِ المُحَرَّمَةِ، ويتوسَّعُ فيهِ بغيرِ ما أحَلَّ اللهُ، ولهذا جاءَ في الحديثِ «**أَنَّ قوماً في آخِرِ الزمانِ يتخوَّضُونَ في مالِ اللهِ بغيرِ حَقٍّ، لَهُمُ النارُ يومَ القيامةِ**».

وكذلكَ الأولادُ فتنةٌ، فقدْ يَشْغَلُونَ والدَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ عزّ وجلّ، بمتابعتِهِمْ ومراقبتِهِمْ، أو قدْ يأخُذُهُ حُبُّهم والشَّفَقَةُ عليهم، فَلا يَأْمُرُهُمْ بطاعةِ اللهِ، ولا يُوقِظُهُمْ للصلاةِ، ولاينهاهُمْ عنْ مُنْكَرٍ؛ لأَنَّهُ يريدُ مَحَبَّتَهُمْ ومُدَاهَنَتَهُمْ والرِّفْقَ بِهِمْ، كَمَا يَزْعُمُ. وكذلكَ قدْ يَحْمِلُهُ حُبُّ بعضِ الأولادِ على أنْ يحيفَ مَعَهُم، فَلا يَعْدِلُ بينَ أولادِهِ، فيُعْطِي بعضَهم ويَحْرِمُ الآخرينَ، أو يَعْطِفُ على بعضِهِمْ ويُعْرِضُ عَنِ الآخرينَ، وهذا حَرَامٌ عليهِ؛ لقولِهِ ﷺ: «**اتَّقُوا اللهَ واعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**»[1]، فالأولادُ فتنةٌ لوالدِهِمْ مِنْ نواحٍ كثيرةٍ، كَمَا هو معلومٌ.

وكذلكَ النساءُ فتنةٌ، قالَ ﷺ: «**ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجالِ مِنَ**

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٥٨٧)، ومسلمٌ (١٦٢٣).

النِّساءِ»، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «واتَّقُوا النساءَ، فإنَّ فِتْنَةَ بَنِي إسْرَائِيلَ كانتْ في النِّساءِ» فقد يفتنُ الإنسانُ بالنظرِ إلى النساءِ، والكلامِ في أمرِ النساءِ في الأسواقِ والأماكنِ، أوْ على الشاشاتِ، أو بسماعِ أصواتِهِنَّ، أو غَيْرِ ذلكَ، وقد يَجُرُّهُ ذلكَ إلى الوُقوعِ في الفاحِشَةِ.

فالنساءُ فتنةٌ عظيمةٌ، إذا لَمْ يَقُمْ على النساءِ القوّامِونَ عليهِنَّ بِما حَمَّلَهُمُ اللهُ سبحانه وتعالى، فالنِّساءُ فتنةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ، حَذَّرَ مِنها النبيُّ ﷺ أَشَدَّ التَحْذيرِ، خصوصاً عندَما تَأْخُذُ النساءُ حُرِّيتِهِنَّ، ولايكونُ عليهِنَّ رقيبٌ يحاسبُهُنَّ على تصرفاتِهِنَّ، حينَما يَتَغَلَّبْنَ على الرِّجَالِ، فَيَخْرُجْنَ إلى الأَسْواقِ، ويُخَالِطْنَ الرِّجَالَ متزيِّناتٍ مُتَطَيِّباتٍ متبرِّجاتٍ كاسياتٍ عارياتٍ.

وما أَشَدَّ فِتْنَةَ النِّساءِ في هذا الوقتِ الذي قلَّ فيهِ الحياءُ، وقلَّتْ فيهِ الغَيْرَةُ في قُلُوبِ الرِّجالِ، مَعَ مَاجَدَّ مِنْ وسائِلِ الإعْلامِ التي تَعْرِضُ النساءَ إمّا بالصُّوَرِ المتحركةِ في المسلسلاتِ التمثيليةِ الفضائيةِ، أو الصُّوَرِ الفاتِنَةِ في الصُّحُفِ والمَجَلَّاتِ وبعضِ الكُتُبِ الخَليعَةِ، فَفِتْنَةُ النِّساءِ أَشَدُّ الفِتَنِ على الأُمَمِ السابقةِ وعلى هذهِ الأُمَّةِ، فهنَّ إذا لم يؤخذ على أيديهن وسائلُ دَمَارٍ أَشَدُّ مِنْ دَمارِ القاذفاتِ والقنابلِ والسلاحِ الفتّاكِ، يُدَمِّرْنَ البلادَ بِتَبَرُّجِهِنَّ وخُرُوجِهِنَّ، ومُخالَطَتِهِنَّ للرِّجالِ، وتعرُّضِهِنَّ للرِّجالِ، حتى تَقَعَ الفَواحِشُ، وإذا وَقَعتِ الفواحشُ في مُجْتَمَعٍ فإنَّهُ قد آذَنَ بِهَلَاكِهِ، كَمَا حَلَّ بالأُمَمِ السابقةِ.

وكَذَلِكُمْ مِن الفِتَنِ العظِيمةِ، التي جَدَّتْ في هذا الزمانِ: وسائلُ الإعلامِ باختلافِ أنواعِها، من فضائياتٍ وإذاعاتٍ. وصحفٍ ومجلاتٍ وكُتُبٍ خليعةٍ، تنتشرُ بينَ الناسِ، فيطَّلِعونَ عليها، ويسمعونَها، ويَنْظُرُونَ إليها، فتؤثِّرُ في قُلُوبِهِمْ، كَمَا قالَ النبيُّ ﷺ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلُوبِ كالحصيرِ عُوداً عُوداً، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها ـ يعني أحَبَّها ـ نُكِتَتْ فيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ

بَيْضَاءُ»[١]، ثُمَّ تَزِيدُ هذهِ النكتةُ السَّوداءُ حتى يَعْمَى القَلْبُ كُلُّهُ، ويَنْطَمِسُ كُلُّه.

فهذهِ الوسائلُ التي جَدَّتْ في هذا الزمانِ، وقَرَّبَتِ البعيدَ، وعرضتْ كُلَّ شرٍّ ممكنٍ في العالمِ يُعْرَضُ أمامَ الناسِ في المشارقِ والمغاربِ، وهذا مِنْ أعْظَمِ الفتنِ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ.

ووسائلُ الإعلامِ لَيستْ فِتْنَتُها مقصورةً على فتنةِ الشهواتِ، بل حتى فتنُ الشُّبُهاتِ، فإنَّها تُفْسِدُ العَقَائِدَ، وتَنْشُرُ الخرافاتِ، وتنشرُ الكفرَ والإلحادَ والزَّنْدَقَةَ، بِما يُبَثُّ فيها مِنْ هنا وهناك، وأُمَمُ الكُفْرِ تستخدمُها للتضليلِ، فتقذفُ فيها كُلَّ شرٍّ، وترسِلُهُ إلى بلادِ المسلمينَ.

والمسلمونُ أمامَ هذهِ الفتنةِ: الكثيرُ مِنْهُمْ مَكْتُوفُ الأَيْدي، لايُنْكِرُ مُنْكراً ولا يَعْرِفُ معْرُوفاً، مُسْتَسْلِمٌ مُنْقَادٌ، إمّا أنَّهُ يُحِبُّها ويَسْتَعْمِلُها، وإمّا أنَّهُ ليسَ لَهُ أيُّ تأثيرٍ، وليسَ لَهُ أيُّ وُجُودٍ في مُقَاوَمَتِها، حتى فِي بيتِهِ، فهي تَدْخُلُ في بيتِهِ، ولا يَمْنَعُها مِنْ بيتِهِ، وهذا مِنْ أعظمِ الفتنِ، فهذهِ الوسائلُ الإعلاميةُ استخدمَها شياطينُ الإنسِ والجنِّ لإضْلالِ الناسِ.

وأمّا الخيرُ فهو قليلٌ فيها، ومغمورٌ فيها بجانبِ الشرِّ، وأكثرُ الناسِ لايريدونَ الخيرَ، وإنَّما يُريدونَ الشرَّ، وحتى الذينَ يريدونَ الخيرَ هم على خطَرٍ، أن يتهاونُوا بِها شيئاً فشيئاً حتى تُغْرِيهم وتَصْرِفَهم عنِ الخيرِ.

فالفِتنُ عظيمةٌ، ولا يشعرُ بِها الاّ مَنْ في قلبِهِ إيمانٌ، ولكنْ حتى المؤمن على خَطَرٍ منْها، فكيفَ بضعيفِ الإيمانِ؟ كيفَ بالجاهلِ؟ كيفَ بالمرأةِ؟ كيفَ بالأطفالِ؟

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحذَرُوا مِنْ هذهِ الفتنِ، قالَ ﷺ: «إنَّها ستكونُ فِتَنٌ» قالوا: وما المَخْرَجُ مِنها يا رسولَ اللهِ، قالَ: «كتابُ اللهِ، فيه نَبَأُ ما قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ، وفَصْلُ ما بَيْنَكُمْ، هو الجِدُّ ليسَ بالهَذْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، ومَنْ ابتغى الهُدَى مِنْ غَيرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، هُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، والذِّكْرُ الحَكِيمُ، والصِّراطُ

---

(١) رواه مسلمٌ (١٤٤).

المُسْتَقِيمُ»(١)، وقال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كقِطَعِ الليلِ المظلمِ، يصبحُ الرَّجُلُ مؤمِناً ويُمْسِي كافراً، ويُمْسِي مؤمناً ويُصْبِحُ كافِراً، يَبيعُ دِينَهُ بِعَرضٍ مِنَ الدُّنْيا»(٢).

فاتقوا اللهَ، واحذَرُوا الفتنَ، احذرُوها غايةَ الحَذَرِ، وابْدَؤوا بِبُيُوتِكُمْ وما تحتَ أيْدِيكُمْ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝﴾. [الأنفال: ٢٥].

باركَ اللهُ لِي ولَكُمْ في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ وأطيعوهُ، واعْلَمُوا أنَّ للفِتَنِ دعاةً يَدْعُونَ الناسَ إلَيْها ويُزَيِّنُونَها للناسِ ويَصِفُونَها بأنَّها تَقَدُّمٌ ورُقِيٌّ وأنَّ تَرْكَهَا تَأَخُّرٌ ورَجْعِيَّةٌ وهُمْ دُعَاةٌ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ كَمَا وَصَفَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ بقولِهِ: «دُعاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جهَنَّمَ، مَنْ أَطَاعَهُمْ قَذَفُوهُ فِيها» قالُوا: صِفْهُمْ لنا يا رسولَ اللهِ، قالَ: «قومٌ مِنْ جِلْدَتِنَا ويَتَكَلَّمونَ بِأَلْسِنَتِنَا»(٣).

فاحْذَرُوا هؤلاءِ الدُّعاةَ، دُعاةَ الفتنةِ، الذينَ يَدْعُونَ الناسَ إلى النارِ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٢١]، إنَّهم يَدْعُونَ الناسَ إلى الشَّرِّ، لا عَلَى أنَّهُ شَرٌّ، بَلْ يُسَمُّونَهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ، ويزيِّنُونَهُ للناسِ، كما قالَ الشاعرُ:

---

(١) الترمذي (٢٩٠٨).

(٢) رواه مسلمٌ (١٨٨)، والترمذيُّ (٢١٩٦).

(٣) البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧)، وابنُ ماجة (٣٩٧٩).

فِـي زُخْـرِفِ القَـوْلِ تَـزيِيـنٌ لِبَـاطِلِـهِ   والحَـقُّ قَـدْ يَعْتَـرِيـهِ سُـوءُ تَعْبِيـرِ

فهم يُزَيِّنونَ القبيحَ بِأَسَالِيبِهِمْ ودِعَايَاتِهِمْ، ويَعْرِضُونَه للنَّاسِ عَرْضاً مُغْرِياً، يَعْرِضُونَه في مَحاضَرَاتِهِمْ، وفي نَدَوَاتِهِمْ التي تأتي عَبْرَ الأثيرِ في القنواتِ الفضائيةِ وفي غيرها، يَعْرِضُونَه في كُتُبِهِمْ، كُتبِ الشَّرِّ، يَعْرِضُونَه في صَحَافَتِهِمْ ومَجَلاَّتِهِمْ، يَعْرِضُونَه في المجالسِ، يَعْرِضُونَه في الإعلاناتِ المُضَلِّلةِ، عَلَى أَغْلِفَةِ المجلاتِ وأغلفةِ الكُتُبِ، يعرضُونَه على لوحات الإعلاناتِ في الشوارعِ، يُغْرُونَ الناسَ به.

فاحْذَرُوا مِنْ هؤلاء؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى حَذَّركُمْ مِنْهُمْ؛ لأنَّهم أَعْداؤكُمْ شياطينُ الإنسِ والجنِّ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٤].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلَمُوا أنَّها كُلَّما اشْتدَّتِ الفتنُ وَجبَ الحَذَرُ، وَوَجَبَ الخَوْفُ، وأَخْذُ الحَيْطَةِ، وفِعْلُ الأسبابِ الواقية. والناسُ إذا عَلِموا أو قيلَ لَهُمْ عن وُجُودِ مَرَضٍ؛ فإنَّهم يَرْكُضُون لِطَلَبِ الوقايةِ مِنْهُ، ويعملونَ الاحتياطاتِ للوقايةِ مِنْ هذا المرض، ويأخذونَ الحُقَنَ الواقيةَ، وغيرَ ذلك مِنَ الأسبابِ، لكنْ إذا عَلِمُوا بِفِتْنَةٍ في دِينِهِمْ، فإنَّهُمْ قَلَّ مَنْ يَرْفَعُ بَذلِكَ رَأْساً، وقَلَّ مَنْ يخافُ ويَحْذَرُ، وقَلَّ مَنْ يَعملُ الاحتياطاتِ لدينِهِ، إلاّ مَنْ رَحِمَ اللهُ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وتمسَّكوا بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِ اللهِ، فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله.. إلخ الخطبة.

في التعاون على القيام بالمسؤولية

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أَمَرَ بالتعاونِ على البرِّ والتقوى، ونَهَى عن التعاونِ على الإثمِ والعُدْوانِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واعلَمُوا أنّكُمْ قَدْ حُمِّلْتُمْ أمانةً أَبَتْ حَمْلَها السمواتُ والأرضُ والجبالُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وهذهِ الأمانةُ هي أمانةُ التكاليفِ الشرعية، بِفعْلِ أوامرِ اللهِ واجتنابِ نواهيهِ، ومنها: رعايةُ مَنْ حمَّلَكُمُ اللهُ رعايتَهُمْ مِنْ أولادِكِمْ ومَنْ تَحتَ أيْدِيكُمْ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، وقالَ اللهُ جل وعلا لِنَبيِّهِ محمدٍ ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]، وقال اللهُ عن نَبيِّهِ إسماعيلَ عليهِ السلامُ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإمَامُ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ ومَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمرأةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِها ومَسْؤُولةٌ عن رعِيَّتِها، والخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،

فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[١]، فما مِنْ أحدٍ مِنَّا إلا وقدْ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رعيةً كبيرةً أوْ صغيرةً، وهو مسؤولٌ عن هذه الرعيةِ أمامَ اللهِ سبحانه وتعالى، قالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً فَيَمُوتُ يَوْمَ يموتُ وهو غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ إلاّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[٢] رواهُ البخاريُّ. فالمسؤوليةُ عظيمةٌ، والخَطَرُ عظيمٌ، فأَنْتُمْ لَمْ تُخلَقُوا في هذهِ الحياةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تعيشُوا فيها للأَكْلِ والشُّرْبِ والشَّهَواتِ وجَمْعِ المالِ، وإنَّما خُلِقْتُمْ في هذهِ الحياةِ للابتِلاءِ والامتحانِ، بما ولاّكُمُ اللهُ مِنْ أمورِ هذهِ الحياةِ، ومااسترعاكُمْ عليهِ مِنْ شُؤُونِها.

إِنَّهُ يَجبُ عليكُمْ إصلاحُ بيوتِكِمْ، فقد قالَ ﷺ: «اجْعَلُوا مِنْ صلاتِكُمْ ـ يعني النافِلَةَ ـ في بُيُوتِكُمْ، ولاتَتَّخِذُوها قُبُوراً»[٣]، وقالَ ﷺ: «مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذْكَرُ اللهُ فيهِ والبَيْتُ الذي لا يُذْكَرُ اللهُ فيهِ كَمَثَلِ الحَيِّ والمَيِّتِ»[٤]، وقال ﷺ: «لا تَدْخُلُ الملائكةُ بَيْتاً فيه كَلْبٌ ولا صُورةٌ»[٥] فَبُيوتُكُمْ أمانةٌ في أعناقِكِمْ، أنْ تُصْلِحُوها بِذِكْرِ اللهِ عزّ وجلّ، بعمارَتِها بذكرِ اللهِ، فاعْمُرُوا بُيُوتَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ، ونوِّرُوهَا بطاعةِ الله، وأَبْعِدُوا عنها كُلَّ وسائِلِ الشَّرِّ والفسادِ، خُصُوصاً ما ابْتُلي به كثيرٌ مِنَ الناسِ في هذا الزمانِ، وما نَخْشَى أنْ يُبتلى بِهِ في الزمانِ المُسْتَقْبَلِ مما هو أشَدُّ، تِلْكُمُ الآلةُ الخبيثةُ المسمّاةُ بالدِّشِّ ـ أو الإنْتَرنِتْ ـ التي تُنْصَبُ على البيوتِ، وتستقبلُ ما يُبَثُّ مِنْ محطاتِ الكفارِ مِن خَناً وفُجورٍ وعُهْرٍ وفسادِ أخلاقٍ.

---

(١) البخاريُّ (٢٥٥٤)، ومسلمٌ (١٨٢٠).
(٢) البخاريُّ (٧١٥٠)، ومسلمٌ (١٤٢).
(٣) البخاريُّ (٤٣٢)، ومسلمٌ (٧٧٧).
(٤) البخاريُّ (٦٤٠٧)، ومسلمٌ (٧٧٩).
(٥) البخاريُّ (٣٢٢٥)، ومسلمٌ (٢١٠٦).

إنَّ هذه القنواتِ التي تستقبلُها هذهِ الدشوشُ، وتَصُبُّها في بيوتِ هؤلاءِ الأشقياءِ، إنَّها قنواتٌ شيطانيةٌ، يُبَثُّ فيها كُلُّ شَرٍّ وكُلُّ فسادٍ، ثم تَصُبُّ في هذهِ البيوتِ، وتُنَشَّأُ عليها هذهِ الأُسَرُ مِنْ نساءٍ وأولادٍ وكُلُّ مَنْ كانَ في هذا البيتِ، الذي تُمْطِرُهُ هذهِ الآلاتُ الخبيثةُ مِنْ هذا المطرِ الخَبيثِ النَّجسِ القَذرِ.

عبادَ اللهِ: إنَّ هذهِ القنواتُ يتأَثَّرُ بها كُلُّ مَنْ مَكَّنَ لها من الدخولِ في بيتِهِ، فالأولادُ يُنشَّؤُونَ على فسادِ الأخلاقِ، ويُنَشَّؤُونَ على السَّرِقَةِ، ويُنَشَّؤُونَ على السَّطْوِ، ويُنَشَّؤُونَ على كُلِّ رذيلةٍ، ويُنَشَّؤُونَ على كُلِّ باطلٍ ممّا يَرَوْنَهُ يُبَثُّ في هذهِ القنواتِ، مِنْ أنواعِ السَّرقاتِ، وأنواعِ الحِيَلِ، وأنواعِ الفَسَادِ.

النساءُ تتربَّى على هذه القنواتِ وقدْ ظَهَر هذا على أَخْلاقِهنَّ في الملابِسِ، وفي قِلَّةِ الحياءِ، ونَزْعِ جِلْبابِ الحِشْمَةِ، حتى في أبدانِهنَّ تَحَوَّلْنَ إلى مِثْلِ أبدانِ الكافراتِ، وفي شُعورِهِنَّ حيثُ يَصبِغْنها باللونِ الذي يُشَابِهُ لونَ شُعُورِ الكافراتِ اللاتي يُشاهدْنَها على هذهِ الشاشةِ، فَيُغَيِّرْنَ خَلْقَ اللهِ سبحانه وتعالى: بأنْ يَقْصُصْنَ شُعُورَهنَّ، أو يَحْلِقْنَ رُؤُوسَهُنَّ، ولايُبْقِينَ إلاّ مِثْلِ رَأْسِ الرَّجلِ؛ لأنَّهن يشاهدنَ هذهِ النساءَ الكافراتِ في هذهِ الشاشاتِ بهذهِ الشُّعُورِ الشيطانيةِ، فيحاولْنَ أنْ يَتَشَبَّهْنَ بهن حتى في أَعْيُنِهِنَّ صِرْنَ يَلْبَسْنَ العَدَسَاتِ اللاصقةِ، التي تُغَيِّرُ ألوانَ الأَعْيُنِ المألوفةِ الجميلةِ إلى مِثْلِ أَعْيُنِ الكافراتِ، بَلَغَ الحَدُّ بِهنَّ إلى هذا الهُبُوطِ، ولاحَوْلَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ، كُلُّ ذلكَ مِنْ تأثيرِ القنواتِ الخبيثةِ.

وأمَّا تَرْكُ الصلاةِ، والسهرُ بالليلِ، ومشاهدةُ هذهِ الأفلامِ، وهذه القنواتِ، فَحَدِّثْ ولاحَرَجَ، يسهرونَ طُولَ الليلِ، ولاينامونَ إلا بَعْدَ طُلُوعِ الشمسِ، فلايعرفونَ صلاةً، ولايعرفونَ أيَّ عملٍ صالحٍ، وإنَّما هَمُّهُمْ متابعةُ هذهِ القنواتِ شاخصةً أبصارُهُمْ، ينظرونَ إلى ما يُعرضُ في هذه الشاشاتِ، مشدودةً

أفكارُهُمْ، حتى إنَّهم ليشاهدونَ الفُحْشَ المَكْشُوفَ، فيشاهدونَ الزِّنَا واللِّواطَ والعُرْيَ، فما بَالُكُمْ بِمَنْ تَتَلْمَذَ على هذهِ الشاشاتِ الخبيثةِ، وهذهِ القنواتِ السَّخِيفةِ؟ ما تَرَوْنَ أنْ تكونُ أخلاقُهُ، وأن يكونَ سيرُهُ في الحياةِ؟.

إنَّ الجريمةَ جريمةُ أصحابِ البيوتِ، الذين مَكَّنُوا لهذهِ الآلاتِ الخبيثةِ في بُيُوتِهِمْ، وهُمُ المسؤولونَ عَنْ رَعِيَّتِهِمْ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وبادِرُوا بالتوبةِ والحَذَرِ مِنْ هذهِ الوَرَطاتِ الخبيثةِ، قَبْلَ أنْ يَفوتَ الأوانُ ويَسْتَفْحِلَ الشرُّ ويَخْرُجَ الأَمْرُ عن السيطرةِ، إنَّ المسؤولَ عن هذهِ البيوتِ هم القائمونَ عَلَيْها، هُمُ الرُّعَاةُ المسؤولونَ عَنْها، وعَمَّا فيها، وعمَّنْ يَدْخُلُها حتى مِنَ الضُّيوفِ، فصاحبُ البيتِ مسؤولٌ عنْ كُلِّ مَنْ هوَ داخلَ بيتِهِ، فعلى صاحبِ البيتِ أنْ يتقيَ اللهَ سبحانه وتعالى، وأنْ يَصُونَ بيتَهُ عنْ هذهِ الوسائلِ الخبيثةِ، والصُّورِ الماجنةِ التي تأتِي في هذه القنواتِ، وفي بعضِ المجَلاتِ الهابطةِ التي تمتلىء بها البيوتُ فهيَ أيضاً وسيلةُ شرٍّ، ووسيلةُ تدميرٍ، وكذلكَ الأشرطةُ التي فيها الأغاني الماجنةُ، أو المقالاتُ الرخيصةُ التي تَدْعُو إلى الشرِّ، وتحذِّرُ مِنَ الخيرِ، وتُشَوِّه الدينَ في أنظارِ هؤلاء القصّارِ منَ النساءِ والصِّبْيَانِ ومَنْ في حُكْمِهِمْ.

والمسؤولُ عن هذا كُلِّهِ هو صاحبُ البيتِ، إنَّهُ مسؤولٌ عن كُلِّ ما يَدْخُلُ بيتَهُ، وعن كُلِّ مَنْ يدخلُ بيتَهُ، هو المسؤولُ أمامَ اللهِ سبحانه وتعالى، فالمسؤوليةُ عظيمةٌ «وكُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

فاتقوا اللهَ، وراقبوا اللهَ سبحانه وتعالى، ولاتَتَحَمَّلُوا مسؤوليةَ هؤلاءِ الذينَ يُنَشَّؤونَ في بُيُوتِكِمْ على غيرِ طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

ثُمَّ مِنَ الناسِ مَنْ يُهْمِلِ أولادَهُ فلا يَأْمُرُهُمْ بمعروفٍ ولاينهاهُمْ عَنْ مُنْكَرٍ،

يتركونَ الصلاةَ وهو يشاهدُهُمْ، وقد يشاركُهُمْ أيضاً في تركِ الصلاةِ، وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصلاةِ لِسَبْعٍ، واضْرِبُوهُمْ عليها لعَشْرٍ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ»[1] واللهُ جلّ وعلاَ يقولُ لنبيِّهِ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، فيجبُ على الوالدِ أنْ يَتَعَاهَدَ أولادَهُ مِنْ سِنِّ السابِعَةِ، يَأمُرُهُمْ بالصلاةِ، ويُخْرِجُهُمْ إلى المَسْجِدِ، وإذَا تَبَاطَؤُوا أو تكاسَلُوا أدَّبَهُمْ؛ حتى يَعْلَمُوا مسؤوليةَ الصلاةِ وأهميتَها.

ما بَالُكُمْ بالوالدِ الذي لايُصلي؟! هَلْ تَظُنُّونَ أنَّ أولادَهُ سيصلونَ؟! إلا ماشاءَ اللهُ سبحانه وتعالى، كُل ابنٍ يَقْتَدِي بأبيهِ.

ما بالُكُمْ بالوالدِ الذي يَشْربُ الدُّخانَ أمامَ أولادِهِ؟ أليسَ هو بِهذا يُعَوِّدُهُمْ على شُرْبِ الدخانِ؟ لأنَّهم يَرَونَ ما يفعلُهُ الوالدُ حَسَناً، فَيُقَلِّدونَهُ في ذلكَ، فيكونُ هو الذي تحمَّل مسؤوليتَهُمْ، وهو الذي ربّاهم ـ بقولِهِ أو بفِعْلِهِ أو بإهمالِهِ ـ على هذهِ الأخلاقِ، وعلى هذا التساهلِ في أَمرِ اللهِ سبحانه وتعالى.

إنَّ مِنْ أصحابِ البيوتِ مَنْ لايعرفُ مِنْ شأنِ أولادِهِ شيئاً، إلا أنَّهم يأكلونَ ويشربونَ، ويَدْخلونَ ويَخرجونَ، بلْ ربَّما لايَدْري عنهم متى يأتونَ؟ ومتى يذهبونَ؟ هل هذهِ مسؤوليةٌ؟ هل هذا أبٌ؟ هل هذه أمانةٌ؟.

فالواجبُ على كل والدٍ: أن يتقيَ اللهَ سبحانه وتعالى في نَفْسِهِ أوّلاً، وفيمنْ تحتَ يَدِهِ ثانياً، وأنْ يَعْلَمَ أنَّهُ مسؤولٌ عَنْ كُلِّ فردٍ مِنَ أفرادِ مَنْ يَسْكنُ هذا البيتَ مِنْ رجالٍ ونساءٍ، مسؤولٌ أمامَ اللهِ سبحانه وتعالى، ومُحاسَبٌ عمّا يجري في بيتِهِ مِنْ كُلِّ خطيئةٍ ومِنْ كُلِّ مخالفةٍ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥).

فاتقوااللهَ عبادَ اللهِ في مَسْؤولِيَّتِكُمْ، اتقوا اللهَ في أولادِكُمْ، اتقوا اللهَ في نسائِكُمْ وبناتِكُمْ اتقوا اللهَ في أَنْفُسِكمْ، قوموا بما أَوْجَبَ اللهُ عليكمْ مِنْ تحمُّلِ هذهِ الأمانةِ التي تحمَّلتُموها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتَدَبَّرُوا في شَأْنِكُمْ، وتأَمَّلُوا أحوالَكُمْ، واسْتَدْرِكُوا ما فاتَ قبلَ الفواتِ.

أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّهاالناسُ: اتقوا الله تعالى.

ولاتَنْسَوْا الهاتفَ، وما أدراكَ ما الهاتفُ والجوّالُ والاتصالاتُ التي تكونُ بين النساءِ وبين الفتياتِ، بَعضهنَّ مَعَ بَعْضٍ، ومَعَ أهلِ الشرِّ مِنَ الرجالِ، هذهِ المكالماتُ تأتي عن طريقها شُرُورٌ كثيرةٌ، ومحاذيرُ خطيرةٌ، فتنبَّهُوا لها، وتحفَّظُوا مِنْها، ولاتَتْرُكُوها بِأَيْدِي هؤلاءِ السُّفَهاءِ ليلَ نهار، اتصالاتٌ ومغازلاتٌ وشرورٌ.

ثم أيضاً: اعلَمُوا أنّكُمْ مسؤولونَ عن أولادكُمْ خارجَ البيت، ليستِ المسؤوليةُ فقطْ في داخلَ البيتِ، مسؤولونَ عن بَنَاتِكُمْ وعن أولادِكُمْ ونسائِكُمْ خارجَ البيتِ، تَفَقَّدوا خُرُوجَهُمْ، أينَ يذهبونَ؟ ولماذا يذهبونَ؟ ومن يخالطونَ؟.

إنّنا في زمانٍ عَظُمَتْ فيه الفِتَنُ، وتَلاطَمَتْ فيه الشُّرورُ، فَخُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ هذهِ الفِتَنِ العظيمةِ المُدْلَهِمةِ، إحذروا منها، وكونُوا على حَيْطَةٍ دائماً، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]، حَذَّرَكُمُ اللهُ مِنْ عداوةِ أولادِكُمْ وأزواجِكُمْ، والعداوةُ هنا معناها: أنَّهم يفعلونَ بِكُمْ أفعالَ العَدُوِّ ممّا يضركُمْ، بتصرفاتِهِمْ ومخالفاتِهِمْ التي تتحملون إثمها، فهم يعملون فيكم عمل العدو، فاحذروا منهم، وخذوا على أيديهم.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، أي: ابتلاءٌ وامتحانٌ، ففتنةُ الأولادِ لاتقِلُّ عن فتنةِ الأموالِ، بل هي قرينَتُها.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ في أولادِكُمْ، إنكم لَمْ تُعْطَوْا هؤلاءِ الأولادَ إلاّ لأجل الامتحانِ والابتلاءِ، هل تقومونَ بواجِبِهِمْ وتربُّونَهُمْ التربيةَ الصحيحةَ، أمْ تُهْمِلُونَهُمْ وتضيّعونَهُمْ؟ فتتحملونَ آثَامَهُمْ يومَ القيامةِ، يومَ يَسْأَلُكُمُ اللهُ سبحانه وتعالى عنْهم «كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عن رعيتِهِ».

ثم اعلموا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

من فضائل الأعمال

الحمدُ للهِ على نِعَمِهِ التي لا تُحصى، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الأسماءُ الحُسْنَى، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، النبيُّ المُصْطَفىٰ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذينَ تمسَّكوا مِنَ الإسلامِ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى، واعلَمُوا أنَّ النبيَّ ﷺ أُوتيَ جَوامِعَ الكَلِمِ وفَصْلَ الخطابِ، فكانَ ﷺ يقولُ الكلماتِ المعدوداتِ التي تتضمنُ عُلوماً غزيرةً، وآداباً كثيرةً، مِنْ ذَلِكُمْ: قَولُهُ ﷺ: «ألاَ أُنبِّئُكُمْ بما يَرْفَعُ اللهُ بِهِ الدرجاتِ، ويَحطُّ بِهِ الخطايا» قالوا: بلى يارسولَ الله، قال: «إسباغُ الوُضُوءِ على المكارِهِ، وكثرةُ الخُطَا إلى المساجِدِ، وانتظارُ الصلاةِ بَعْدَ الصلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[1] رواهُ مسلمٌ وغيرُه.

هذا حديثٌ عظيمٌ، يتضمنُ معانيَ جليلةً، لمن وَفَّقَهُ اللهُ لِلْعَمَلِ بِها، وقَدْ ساقَهُ النبيُّ ﷺ مساقَ السؤالِ؛ مِنْ أَجْلِ أنْ يَنْتَبِهَ الحاضرونَ، فسألَهُمْ ﷺ عمَّا يحُطُّ اللهُ بِهِ الخطايا، ويرفعُ بِهِ الدرجاتِ، ولا شكَّ أنَّ كُلَّ مسلمٍ يتطلعُ إلى هذينِ المطلبينِ الجليلينِ، رفعةِ الدرجاتِ، وتكفيرِ الخطيئاتِ.

فلما تطلَّعوا إلى ذلكَ أَخْبَرَهُمْ ﷺ بكلماتٍ وجيزاتٍ، فقال ﷺ: «إسباغُ الوُضوءِ على المَكَارِهِ»، وإسباغُ الوضوءِ: إكمالُهُ وإتمامُهُ على الأعضاءِ التي أمَرَ اللهُ تعالى بِغَسْلِها في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ

---

[1] بنحوه رواه مسلمٌ (٢٥١)، والترمذيُّ (٥١)، والنسائيُّ (١٤٣).

نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

فأوجبَ سبحانه وتعالى على المسلمينَ إذا أرادُوا الصلاةَ فريضةً أو نافلةً: أن يَتَطَهَّرُوا لها بِما أَمَرَ الله تعالى بِغَسْلِهِ منْ هذهِ الأعضاءِ الستةِ في الوضوءِ، ومِنْ جميعِ الجسمِ في الجَنَابَةِ، بالماءِ الطَّهورِ؛ لأنَّ الطهارةَ مفتاحُ الصلاةِ، ولا تصحُّ الصلاةُ إلا بالطهارةِ، فرضاً كانت أو نفلاً؛ لقولِهِ ﷺ: «لايَقْبَلُ اللهُ صَلاةَ أَحَدِكُمْ إذا أَحْدَثَ حتى يَتَوَضَّأَ»[1]، ولما توضَّأَ ﷺ بِحَضْرَةِ أصحابِهِ قالَ لهم: «هذا وُضُوءٌ لا يَقْبَلُ اللهُ الصلاةَ إلاّ بِهِ»[2]، فالوضوءُ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الصلاةِ إذا تَوَفَّرَ الماءُ، وكَذَلِكُمُ الاغتسالُ مِنَ الحَدَثِ الأكْبَرِ.

والأَصْلُ في التطهيرِ: الماءُ، فإذا عُدِم، أو عُجِزَ عن استعمالِهِ مع وُجُودِهِ، فإنَّ التُّرَابَ الطَّهُورَ يقومُ مَقَامَهُ، بأنْ يَتَيَمَّمَ بِهِ المسلمُ؛ تيسيراً مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى.

ولايجوزُ لمسلمٍ أنْ يَدْخُلَ في الصلاةِ وهو على غيرِ طهارةٍ، فإنْ صَلَّى بغيرِ طهارةٍ مع القدرة عليها فصلاتُهُ غيرُ مقبولةٍ، كذلكمْ لَوْ أَنَّهُ توضَّأَ، ولكنَّهُ لَمْ يُتِمَّ الوضوءَ، بأنْ بَقِيَ شيءٌ مِنْ أعضائِهِ لَمْ يُصِبْهُ الماءُ، ولو كانَ قليلاً، فإنَّهُ لايصحُّ وُضُوءُهُ، وهذا معنى قولِهِ ﷺ: «إسباغُ الوضوءِ» أي: إتمامُهُ وإكمالُهُ، بحيثُ لا يبقى شيءٌ مِنَ الأعضاءِ التي أَمَرَ اللهُ بِغَسْلِها إلاّ وقد أتى عليه الماءُ.

ولما رأى ﷺ رجلاً في قَدَمِهِ لُمْعَةٌ لَمْ يُصِبْها الماءُ قالَ لَهُ: «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وضُوءَكَ»، ولما رأى ﷺ مِنْ بعضِ الصحابةِ قُصوراً في غسلِ باطِنِ أَرْجُلِهِمْ، قال لهم: «وَيْلٌ للأَعْقابِ وبُطُونِ الأقدامِ مِنَ النارِ»[3]، فيجبُ على المسلم أنْ يتعاهدَ أعضاءَهُ بالغَسْلِ، حتى يُتِمَّ غَسْلَها، ولا يَعْجَلْ أوْ يعتمدْ على كثرةِ صَبِّ الماءِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٩٥٤)، ومسلمٌ (٢٥٥).

(٢) رواه ابنُ ماجة (٤١٩)، والدارقطني (١/ ٧٩)، والبيهقي (١/ ٨٠). قال البيهقي: في إسناده المسيب بن واضح ليس بالقوي.

(٣) البخاريُّ (٦٠)، ومسلمٌ (٢٤١)، وأبوداود (٩٧)، وغيرهم.

بدونِ أنْ يتفطَّنَ لمرُورِهِ على كُلِّ الأعضاءِ التي أَمَرَ اللهُ تعالى بِغَسْلِها، فقد يكثرُ صَبَّ الماءِ ولايتطهرُ، وقد يقلِّلُ مِنْ صَبِّ الماءِ ولكنَّهُ يُحْسِنُ الوضوءَ، فيتطهرُ بذلكَ، فقد كانَ ﷺ يَحُثُّ على الاقتصادِ في ماءِ الطهَارةِ، وكان ﷺ يتوضّأ بالمُدِّ، وهو رُبُعُ الصَّاعِ، وأحياناً يتوضأ بِثُلُثَي المُدِّ، وكانَ يَغْتَسِلُ بالصَّاعِ لجميعِ جَسَدِهِ الشريفِ، فالمدارُ ليسَ على كثرةِ صَبِّ الماءِ، وإنَّما العِبْرَةُ ببلوغِ الماءِ على ما أَمَرَ اللهُ تعالى بِغَسْلِهِ بالوضوءِ والاغتسالِ.

ومعنى: (على المكارِهِ) أيْ: مَعَ المَشَقَّةِ، فقد يكونُ الوقتُ بارداً، ويحصلُ مع الوضوءِ أو الاغتسال شيءٌ مِنَ المشقةِ المحتملةِ، فيصبرُ المسلمُ على ذلكَ، ويأجُرُهُ اللهُ تعالى على هذا الصبرِ؛ لأنَّهُ يطلبُ رضا اللهِ سبحانه وتعالى.

أمّا إذا كانَ الماءُ بارداً جدًّا، ولايستطيعُ تسخينَهُ، وهو في مكانٍ مَنَ البَرِّ وليسَ عندَهُ مايسخنُ بِهِ الماءَ، ويخشى لو استعملَ الماءَ أنْ يَضُرَّ ذلكَ بصحتِهِ وأنْ يُمْرِضَهُ، فإنَّهُ يَعْدِلُ إلى التيممِ، كما فعلَ عَمْرُو بنُ العاصِ رضي اللهُ تعالى عنهُ، لما بَعَثَهُ النبيُّ ﷺ أميراً على بعضِ السرايا، فأصابَهُ احتلامٌ، وكانُ الماءُ بارداً جدًّا، فتذكرَ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء: ٢٩]، فتيمَّمَ بالترابِ وصَلَّى بأصحابِهِ، فلما قَدِمَ على النبيِّ ﷺ أخبرَهُ بذلكَ، فأقرَّه عليه الصلاةُ والسلامُ.

أما إذا كانتِ البرودةُ يسيرةً ومُتَحمَّلَةً، فلابدَّ مِن استعمالِ الماءِ.

وهذا الوضوءُ فيهِ فضلٌ عظيمٌ، قال ﷺ: «**إنَّ أُمَّتي يأتونَ يَوْمَ القيامةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضوءِ**»[1] أيْ يكونُ على أعضائِهِمْ يومَ القيامةِ نور يَتَلألأُ من آثارِ الوضوءِ، يُعرفونَ بذلكَ بينَ الأُممِ، وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ**»[2]، وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ولايحافِظُ على الوُضُوءِ إلاّ**

---

(١) البخاريُّ (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦). (٢) رواه مسلم (٥٣٥).

مُؤمنٌ»(١).

الخَصْلَةُ الثانيةُ: «كثرةُ الخُطا إلى المساجِدِ» فالذي يتردَّدُ على المساجِدِ في اليومِ والليلةِ خَمْسَ مراتٍ لأداءِ الصلواتِ الخمسِ، تكثُر خُطاهُ، وتكثرُ درجاتُهُ عندَ اللهِ، ويكثرُ تكفيرُ الخطايا عنهُ بسببِ تردُّدِهِ إلى المسجدِ، ولاسيّما إذا كانَ يأتي مِنْ مكانٍ بعيدٍ، فكلّما كَثُرَتْ خُطاهُ كَثُرَ أَجْرُهُ وكَثُرَ التكفيرُ عنه مِنْ خطاياهُ، وقد كانَ رَجُلٌ في عَهْدِ النبيِّ ﷺ بعيدَ الدارِ عن المسجدِ، وكانتْ لا تُخْطِئُهُ صلاةٌ معَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ لهُ بعضُ الناسِ: لو اشتريتَ حماراً تركبُهُ في الرَّمْضاءِ، قال: ما أُحبُّ أنْ يكونَ لي ذلكَ، إنِّي أرجُو أن يَكْتُبَ اللهُ لي خُطُواتي إلى المسجدِ. فبلغَ النبيَّ ﷺ خبَرُهُ فقال: «إنَّ اللهَ قدْ كَتَبَ لَكَ ذلكَ كُلَّهُ».

وكانتْ بَنُو سَلِمةَ تَبْعُدُ بيوتُهُمْ عن مسجدِ الرسولِ ﷺ، فأرادُوا أنْ يَشْتَرُوا بيُوتاً قريبةً مِنْ مسجد الرسولِ ﷺ، فبلغَ ذلكَ الرسولَ ﷺ فقالَ لهم: «يابَنِي سلمةَ، دِيَارَكم، تُكْتَبُ آثارُكُمْ»(٢)، وأنزل الله تعالى في ذلكَ قَوْلَهُ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

واللهُ جلّ وعلاَ يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، فَشَهِدَ اللهُ جلّ وعلاَ بالإيمانِ لمنْ يترددُ على المساجدِ لأداءِ الصلواتِ الخمسِ. وقالَ ﷺ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ بالنُّورِ التامِّ يَوْمَ القِيامَةِ»(٣) وهذا أَمْرٌ مُهِمٌّ جِدًّا، ومَغْنَمٌ للمسلم الذي يترددُ على بيوتِ اللهِ ليلاً ونهاراً، كلما سمعَ النداءَ؛ لأداءِ الصلواتِ الخمسِ،

---

(١) ابن ماجة (٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩) قال في مصباح الزجاجة في سنده انقطاع.
(٢) البخاريُّ بنحوه (١٨٨٧)، ومسلم (٦٦٥).
(٣) أبو داود (٥٦١)، والترمذيُّ (٢٢٣)، وابنُ ماجة (٧٨١).

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ـ٣٨]. وفي الحديث: أنَّ منَ السَّبْعَةِ الذينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ القيامةِ: رَجُلاً قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمساجدِ.

فما بَالُكُمْ بمن حُرِمَ هذا الثوابَ وهو يَسْكُنُ إلى جوارِ بيوتِ اللهِ، يسكنُ إلى جوارِ المساجدِ، ولايدخلُها لاَ لَيْلاً ولاَ نَهاراً؟ وهو يسمعُ الأذانَ، ولكنَّهُ يتخلَّفُ مع النساءِ والأطفالِ، كَبَّلَهُ الشيطانُ بِقُيُودِهِ، والعياذُ باللهِ، وحَرَمَهُ اللهُ منْ هذا الثوابِ العظيمِ، إنَّهُ الحرمانُ الذي ليسَ بعدَهُ حرمانٌ، ولاحولَ ولاقوةَ إلاّ باللهِ.

الخَصْلَةُ الثالثةُ: «انتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ»، فالمسلمُ كُلَّما أدَّى صلاةً فإنَّهُ ينتظرُ الأُخرى، ويَعْزِمُ على أدائِها في وَقْتِها، فهو يؤدِّي صلاةً حاضرةً، وينتظر صلاةً مُسْتَقْبَلَةً، دائماً وأبداً، فهذا يرفعُ اللهُ لَهُ الدرجاتِ، ويَحُطُّ عنهُ الخطايا، وإذا جَلَسَ في المسجدِ بعدَ الصلاةِ الحاضرةِ ينتظرُ الصلاةَ القادمةَ فهذا أفضلُ وأَكْمَلُ في الانتظارِ، فالمسلمُ دائماً يؤدي صلاةً وينتظر صلاةً أُخرى، فيكتبُ اللهُ لَهُ الأجرَ بذلكَ، ويرفعُ له الدرحاتِ، أمّا الذي لايُبالي بالصلواتِ، لا الحاضرةَ ولا المستقبلةَ، ولايهتمُّ بِها، فهذا ليس بمسلمٍ، نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ.

أقولُ قَوْلي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ، وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى:

وتمامُ الحديثِ الشريفِ: يقولُ ﷺ، لما ذَكَرَ هذه الخصالَ الثلاث، قالَ: «فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»، والرِّبَاطُ هو: الجلوسُ في الثُّغورِ، في حُدُودِ بلادِ المسلمينَ، يدافعُ عنْها ويقاتلُ في سبيلِ اللهِ، والمرابطونَ في سبيلِ اللهِ يقومونَ بعملٍ مِنْ أفضلِ الأعمالِ، تُكْتَبُ لهم أُجورُهُم إلى يومِ القيامةِ، فمنْ ماتَ مرابطاً في سبيلِ اللهِ كَتَبَ اللهُ أجْرَهُ وهو ميتٌ، يَجْري عليه في قَبْرِهِ إلى يومِ القيامةِ، فالرباطُ في الثغورِ الإسلاميةِ، لحفظِ بلادِ المسلمينَ مِنْ أنْ يتسربَ إليها أعداءُ المسلمينَ، فيه فَضْلٌ عظيمٌ، وثوابٌ جزيلٌ؛ لأنَّ صاحِبَهُ فَرَّغَ نَفْسَهُ للجهادِ في سبيلِ اللهِ، لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، والدفاعِ عن المسلمينَ.

فالذي يتصفُ بهذهِ الصفاتِ الثلاثِ: إسباغِ الوضوءِ، وكثرةِ الخُطا إلى المساجدِ، وانتظارِ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، يكونُ مِثْلَ المرابِطِ في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلّ، وهذا فضْلٌ عظيمٌ، إضافةً إلى ما سَبَقَ: مِنْ أَنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ يُحَطُّ عنهُ بها خطيئةٌ، وتُرْفَعُ لَهُ بِها درجةٌ، إضافةً إلى أنَّ مَنْ ينتظرُ الصلاةَ بَعْدَ الصلاةِ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ المُصَلِّي؛ لقولِهِ ﷺ: «إنَّ المُسْلِمَ في صَلاةٍ مادامَ يَنْتَظِرُ الصلاةَ، ومادامتِ الصلاةُ تَحْبِسُهُ، والملائكةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ، تقولُ: اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهمَّ ارحمهُ»[١].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتذكروا هذه الفضائلَ العظيمةَ المتعلقةَ بالصلواتِ الخمسِ، فحافظُوا على صلواتِكُمْ، وداوِمُوا عليها؛ لِتَحْصُلُوا على هذهِ الأجورِ العظيمةِ، وتردَّدُوا على بُيوتِ اللهِ عزَّ وجلّ، وأَكْثِرُوا مِنَ الترددِ عليها؛ لتنالُوا هذا الثوابَ العظيمَ.

واعلَموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . إلخ الخطبة.

---

(١) رواه البخاريُّ بنحوه (٣٢٢٩).

التحذيرُ مِنَ الحَسَدِ والْكِبْرِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يشاءُ، واللهُ ذُو الفضلِ العظيمِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، لامانعَ لِمَا أَعْطَى ولامُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، حَثَّ على الأخلاقِ الفاضلةِ، ونهى عن الأخلاقِ الذَّمِيمَةِ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى.

عبادَ اللهِ: خَصْلتانِ ذَمِيمتانِ قبيحتانِ، حذَّر منهما اللهُ ورسولُهُ، ونَفَرَتْ منْهما الفِطَرُ القَويمةُ، والعقولُ السليمةُ، ألا وهما: الحَسَدُ والكِبْرُ.

فأمّا الحسدُ: فقد قالَ النبيُّ ﷺ: **«لاتَحَاسَدُوا، ولاتَبَاغَضُوا، ولاتَنَاجَشُوا، ولاتَدَابَرُوا، وكونُوا عبادَ اللهِ إخواناً»**[1]، وقالَ ﷺ **«إياكُمْ والحَسَدَ، فإنَّ الحَسَدَ يأْكُلُ الحسناتِ، كما تَأْكُلُ النَّارُ الحطَبَ»**[2]، أو قالَ: **«العُشْبَ»**، وقالَ ﷺ: **«دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ والبَغْضَاءُ»**[3].

عبادَ اللهِ: الحَسَدُ هو: تمنِّي زوالِ النعمةِ عن المَحْسُودِ، وأمّا إذا تمنَّى أنْ يحْصُلَ له مِثْلَ ما عِنْدَ أخيهِ، فهذا ليسَ مِنَ الحَسَدِ، وإنَّما هو مِنَ الغِبْطَةِ، وقد قالَ النبيُّ ﷺ: **«لاحَسَدَ إلاّ في اثنتينِ: رَجُل آتاهُ اللهُ عِلْمًا فهوَ يقومُ بِهِ آناءَ الليل وآناءَ النهارِ، ورجلٌ آتاهُ الله مالاً فهو ينفقُ مِنْهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ»**[4]، فإذا رَآهُ أخوهُ تَمَنَّى أنْ يكونَ لَهُ مِثْلُهُ فهذا مِنَ الغِبْطَةِ، وهي تَمَنِّي الخيرِ.

والحسدُ لَهُ آفاتٌ وآثارٌ قبيحةٌ، وله ثمارٌ سيئةٌ:

أوّلُها: أنَّ الحاسِدَ يعترضُ على اللهِ سبحانه وتعالى في قِسْمَتِهِ بين عبادِهِ،

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٥٦٣).

(٢) أبو داود (٤٩٠٣).

(٣) الترمذيُّ (٢٥١٢).

(٤) رواه البخاريُّ (٥٠٢٥)، ومسلمٌ (٨١٥).

ويتهمُ اللهَ عزّ وجلّ بعدَمِ العَدْلِ بينَ عبادِهِ، وكفَى بذلكَ كُفراً وإثماً، كَمَا حَسَدَ كفارُ قريشٍ محمداً ﷺ، فقالوا لَمْ يَجِدِ اللهُ لرسالتِهِ إلاّ هذا اليتيمَ، ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، يقترحونَ على اللهِ جلّ وعلاَ أنْ يجعل رسالتَهُ في رجلٍ عظيمٍ ممّن يُعَظِّمُونهُمْ مِنْ أهلِ مكةَ أو مِنْ أهلِ الطائفِ، ويحتقرونَ محمداً ﷺ؛ لأنّهُ فقيرٌ ويتيمٌ، قالَ اللهُ جل وعلا ردّاً عليهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ومِنْ مَفَاسِدِ الحسدِ: أنّهُ يَبْعَثُ على قَتْلِ النفوسِ والقَطِيعةِ، كما حَصَلَ لابنِ آدمَ الذي قَتَلَ أخاهُ حَسَداً، كما قال الله تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ المائدة: ٢٧ـ٣٠].

إنَّ الذي حَمَلَهُ على قَتْلِ أخيهِ إنّما هوَ الحَسَدُ، حيثُ رَأى أنَّ اللهَ تقبل مِنْهُ ولَمْ يتقبلْ مِنْ هذا الحاسِدِ، فَحَمَلَهُ الحسدُ على قَتْلِ أخيه، وَعلى قطيعةِ الرَّحِمِ، ظُلماً وعُدواناً، ولهذا يقولُ ﷺ: «ما قُتِلَتْ نَفْسٌ ظُلماً إلاّ كانَ على ابنِ آدَمَ الأولِ كفلٌ مِنْ دَمِها؛ لأنّهُ هوَ أولُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»[1].

والحَسَدُ أيضاً ـ يَحْمِلُ على الكُفْرِ والخروجِ مِنَ الملةِ، كما حَصَلَ لإبليسَ، حينَ حَسَدَ آدَمَ عليهِ السلامُ، لمّا خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وأسْجَدَ له ملائكتَهُ، وعلّمه أسماء كُلِّ شيءٍ، فحَسَدَهُ إبليسُ، وأَبَى السجودَ لَهُ، لَمّا أَمَرَ اللهُ بذلكَ. ﴿وَإِذْ قُلْنَا

---

(١) البخاريُّ (٣٣٣٥)، ومسلمٌ (١٦٧٧)، وغيرُهما.

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤]، فقد حَمَلَهُ الحسدُ على الكفرِ، والعياذ باللهِ.

وكَمَا حَمَلَ الحَسَدُ اليهودَ على الكفرِ بمحمدٍ ﷺ، وهم يعلمونَ أنَّهُ رسولُ اللهِ حَقًّا ولكنَّهم كفَرُوا بِهِ، حَسَدًا وبَغْياً، قالَ الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فالذي حَمَلَ اليهودَ على الكفرِ برسولِ اللهِ ﷺ أنَّهم حَسَدُوه، وحَسَدُوا العربَ حيثُ جَعَلَ اللهُ النُّبوَّةَ فِيهِم، وهُمْ يريدونَ أنْ تكونَ النُّبوَّةُ في بَنِي إسرائيلَ، فِهِمْ يعترضونَ على اللهِ سبحانه وتعالى في فضلِهِ وإحسانِهِ، ولهذا قالَ جلَّ وعلا: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾ [النساء: ٥٤].

والحسدُ أيضاً: يقضي على الحسناتِ، فَمَهْمَا كانَ عندَ الحاسِدِ مِنْ حسناتٍ وقُرُباتٍ وطاعاتٍ، فإنَّ الحَسَدَ يأكُلُها ويُتْلِفُها، كما قالَ ﷺ: «إيَّاكُمْ والحَسَدَ، فإنَّ الحَسَدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النَّارُ الحَطَبَ» أو قال: «العُشْبَ» فكيفَ يَتْعَبُ الإنسانُ بالأعمالِ الصالحةِ والطاعاتِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ عليها الحَسَدَ فيأكُلُها؟ فيبقى مُعْدَماً، يلقى اللهَ سبحانه وتعالى بلا حسناتٍ.

ومنْ آفاتِ الحسدِ: أنَّ الحاسِدَ يَبْقَى دائماً في هَمٍّ وغَمٍّ؛ لأنَّه لا يزالُ يَرَى نِعَمَ اللهِ تنزلُ على عبادِهِ، وهو يريدُ أنْ يَمْنَعَها ولا يريدُ أنْ تصلَ إلى عبادِ اللهِ نعمةٌ مِنَ النعمِ، وإنَّما يريدُ أنْ يَحْتَكِرَها ويَخْتَصَّ بِها، ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٥]، فلا يزالُ الحاسدُ في همومٍ وغمومٍ وأحْزانٍ، إلاَّ أنْ يتوبَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، ويستعيذُ باللهِ مِنْ

هذا الخُلُقِ الذميمِ.

فالحاسدُ لايزالُ مَهْمُوماً مَغْمُوماً. لايزالُ في كَدٍّ ونَكَدٍ؛ لأن نِعَمَ اللهِ تتوالى على عبادِهِ، وهو لايريدُ أنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فضلِهِ على مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ، فعلى مَنِ ابْتُلِيَ بداءِ الحَسَدِ أنْ يتوبَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وأنْ يَسْأَلَ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فإنَّ اللهَ ذو فضلٍ عظيمٍ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

بارَكَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليمًا كثيراً.

أمّا بعدُ: أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى.

عبادَ اللهِ: وأمّا الكِبْرُ: فإنَّهُ خُلُقٌ ذَمِيمٌ، وداءٌ قبيحٌ، حذَّرَ اللهُ سبحانه منه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧].

عبادَ الله: قال النبي ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجنةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»

فقالَ رَجُلٌ: يارسولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ أنْ يكونَ ثَوْبُهُ حَسَناً ونَعْلُهُ حَسَناً، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى جَميلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ. الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ**»[1]؛ فبيَّن ﷺ معنَى الكِبْرِ المَذْموم وأنَّهُ: بَطَرُ الحَقِّ، يعني: دَفْعُ الحَقِّ وعدمُ قَبُولِهِ. وغَمْطُ الناسِ، أي: احتقارُهُم. وأمّا أنْ يَتَجَمَّلَ الإنسانُ في ثيابِهِ وملابِسِهِ وفي نَعْلَيْهِ، فإنَّ ذلكَ ممّا يحبُّهُ اللهُ؛ لأنَّهُ جمالٌ، وليسَ هو مِنَ الكِبْرِ، «**إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ**»، فالتَّجَمُّلُ مُستَحَبٌّ في الثيابِ وفي الملابسِ وفي البدنِ، ومحبوبٌ لله عزّ وجلّ، ولكنَّ الكِبْرَ لايكونُ في الملابِسِ، وإنَّما يكونُ في القلبِ، فهو داءٌ قَلْبِيٌّ، تَظْهَرُ آثارُهُ على الجوارِحِ، وهو ثلاثةُ أنواعٍ:

أحدُها: التَّكَبُّرُ في النفسِ، والتعاظُمُ في النفسِ: بأنْ يُعْجبَ الإنسانُ، بنفسِهِ، ويُعجبَ في تصرفاتِهِ، وقد ذَكَرَ النبيُّ ﷺ أنَّ رَجُلاً ممّن كانَ قَبْلَنا كانَ يَتَبَخْتَرُ في مِشْيتِهِ ويُعْجَبُ في حُلَّتِهِ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الأرضَ فهو يَتَجَلْجَلُ فِيها إلى يَوْمِ القيامَةِ، وقال النبيُّ ﷺ: «**يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ أمثالَ الذَّرِّ، يَغْشَاهُمُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ**»[2] والنارُ تقولُ: جُعِلَ فِيَّ المُتَكَبِّرُونَ، والعياذُ باللهِ، وأمّا الجنةُ ففِيها الضعفاءُ مِنَ المؤمنينَ.

والنوعُ الثاني مِنْ أنواعِ الكِبْرِ: التَّكَبُّرُ عن قَبُولِ الحَقِّ، مثل ما إذا بَلَغَ الإنسانَ سنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الرسولِ ﷺ، وطُولبَ أنْ يعملَ بِها، رَفَضَها استكباراً عنها، وإعجاباً بما هو عليه، كما في الحديثِ أنَّ النبيَّ ﷺ رَأى رَجُلاً يأكلُ بيدِهِ اليُسرى، فقالَ لَهُ النبيُّ ﷺ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» قالَ: لا أستطيعُ، قال النبيُّ ﷺ: «**لااسْتَطَعْتَ، مَامَنَعَهُ إلاّ الكِبْرُ**»[3] فما رَفَعَ يَدَهُ إلى فِيهِ بعدَ ذلكَ، فَعَاقَبَهُ اللهُ

---

(١) رواه مسلمٌ (٩١).
(٢) الترمذيُّ (٢٤٩٤).
(٣) رواه مسلمٌ (٢٠٢١).

سبحانه وتعالى بأنْ جَمَّدَ يَدَهُ التي أَبَى أنْ يأكلَ بها امتثالاً لأمرِ الرسولِ ﷺ. فَمَنْ بَلَغَهُ الحَقُّ وَجَبَ عليه المبادرةُ بقبولِهِ، ولا يَدْفَعُ الحَقَّ ويستكبرُ عن الحقِّ، فإنَّ الحَقَّ ضالَّةُ المؤمنِ؛ أينما وَجَدَهُ أَخَذَهُ.

النوعُ الثالثُ: الاستكبارُ على الناسِ والتعاظُمُ عليهِمْ، ولهذا يقولُ النبيُّ ﷺ: «الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ الناسِ» أي: احتقارُ الناسِ، وأنْ يَرَى الإنسانُ أنَّ لَهُ فضلاً على الناسِ، وأنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُم، وأنَّهُ أَشْرَفُ مِنْهُمْ. والواجبُ على المسلمِ: التواضعُ مَعَ إخوانِهِ، وأنْ يَرَى نَفْسَهُ مِنْ أقلِّ الناسِ؛ لأنَّهُ لا يَدْرِي ربما يَحْتَقِرُ مُسلماً، فيكونُ هذا المسلمُ أَعْظَمَ مِنْهُ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، وأنْ يكونَ هذا المتكَبرُ حقيراً عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، قالَ اللهُ تعالى، فيما ذَكَرَ عن لُقْمانَ في وصاياهُ لابنِهِ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]، وقالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧].

فالواجبُ على المسلمِ: أنْ يَتَوَاضَعَ لله سبحانه وتعالى، وأنْ يَتَوَاضَعَ للحَقِّ، وأنْ يتواضعَ لإخوانِهِ المسلمينَ.

ثم اعلَمُوا رحمكمُ اللهُ أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في وُجُوبِ مُعَادَاةِ الكفارِ، وعَدَمِ مشاركَتِهِمْ في مُنَاسَبَاتِهِمْ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، وليِّ المؤمنينَ، وعَدُوِّ الكافرينَ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، جَعَلَ المؤمنينَ إخوةً متحابينَ، ونهاهمْ عنْ موالاةِ الكفارِ والمشركينَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الصادقُ الأمينُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ والتابعينَ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، بِفِعْلِ ما أَمَرَكُمْ بِهِ، واجتنابِ ما نهاكمْ عَنْهُ، وقد أَمَرَكُمْ بموالاةِ المؤمنينَ ونهاكمْ عنْ موالاةِ الكفارِ والمشركينَ، قالَ اللهُ جلّ وعلاَ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال جَلّ وعلاَ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥،٥٦]، ونَهى سبحانه وتعالى عن مُوَالاَةِ الكفارِ عموماً، وموالاةِ اليهودِ والنصارى خصوصاً، قالَ سبحانه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: ١٤٤]، وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

أيّها المسلمون: الموالاةُ معناها المحبةُ في القلوبِ ويَدلُّ عليها المُشَابَهَةُ لهم في الظاهِرِ. ومِنَ الموالاةِ لَهُمْ أيضاً: مُناصَرَتُهم وإعانَتُهمْ على الكفرِ والضلالِ والباطلِ، فالوَلايةُ؛ (بفتح الواو) هي: المحبةُ والقُرْبُ، والمناصرةُ والمعاونةُ. وهذا مَحرَّمٌ بينَ المسلمينَ والكفارِ، فإنَّ اللهَ سبحانه حَرَّمَ على المسلمينَ مُوَالاةَ الكفارِ، ونهاهمْ عنْ ذلكَ، وحذَّرهمْ منهُ أشَدَّ التحذيرِ، وتتلخصُ موالاتُهم في أمورٍ مهمةٍ:

الأولُ مِنْها: المحبةُ في القلوبِ، فلا يجوزُ لمؤمنٍ أنْ يحبَّ كافراً، لو كانَ أقربَ الناسِ إليه، فهذا الخليلُ إبراهيمُ عليه الصلاةُ والسلامُ تبرَّأ مِنْ أبيهِ، ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومما يدلُّ على موالاةِ الكفارِ: التشبُّهُ بِهم في الظاهِرِ، قالَ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بقوم فَهُوَ مِنْهُم»(١) فمنْ تَشَبَّهَ بِهم في عباداتِهِمْ أو في عاداتِهِمُ الخاصةِ بهم فقد والاهُمْ، لأنَّ التشبُّهَ بِهم يَدُلُّ على مَحَبَّتِهِمْ في القلوبِ، إذْ لَوْ كانَ يُبْغِضُهُمْ لما

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١).

تشبَّهَ بهم، ولايَخْفَى عليكُمْ ما وَقَعَ فيهِ كثيرٌ مِنَ المسلمينَ اليومَ مِنْ أنواعِ التشبُّهِ بالكفارِ، بلْ لايَخلُو لبعضِهِمْ إلا أنْ يكونَ صُورةً مِنْ صُوَرِ الكفارِ في جميعِ شؤونِهِ، ولاحَولَ وَلاَقوةَ إلا باللهِ.

ومن التشبُّهِ بالكفارِ: مشاركتُهُمْ في أعيادِهِمْ، والفَرَحُ بِفَرَحِهِمْ، والسُّرُورُ لسُرُورِهِمْ، قالَ اللهَ سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢]، والزُّورُ هو: أعيادُ الكفارِ، في قولِ جماعةٍ مِنَ المفسرينَ. ومعنى ﴿لَا يَشْهَدُونَ﴾، أي: لايحضرونَ، فالشُّهُودُ هو الحضورُ، أيْ: لايَحْضُرُونَ أعيادَ الكفارِ، ولايشاركونَهُم فِيها؛ لأنَّها كُفْرٌ باللهِ وضلالٌ وفِسْقٌ، فلا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يُشارِكَهُمْ وأنْ يَحْضُرَهَا معهمْ، حتى لو كانَ هذا منْ بابِ الاستطلاعِ، أو مِنْ بابِ أنْ يتفرَّجَ عليهِمْ، فلايجوزُ لَهُ أنْ يَحْضُرَهَا بوَجْهٍ مِنَ الوُجوهِ، بلْ عليهِ أنْ يبتعدَ عنها، ولايجوزُ للمسلم أنْ يُهَنِّئَهُمْ في أعيادِهِمْ، أو أنْ يَدْعُوَ لهم بمناسَبتِها، ولايجوزُ للمسلمِ أنْ يأكلَ مِنَ الطعامِ أو الذبائحِ التي تُعَدُّ بمناسبةِ أعيادِ المشركينَ؛ لأنَّها أَطْعِمَةٌ أُعِدَّتْ للباطلِ والحرامِ، فهي حرامٌ، وذبائح ذُبحتْ لِغَيْرِ وَجْهِ اللهِ، بلْ لتأييدِ الباطلِ والكفرِ والشركِ، فهي مما أُهِلَّ بِها لغيرِ اللهِ، فلا يجوزُ الأكلُ منْ أَطْعِمَتِهِمْ وذَبائِحِهِمْ بهذهِ المناسبةِ، ولايجوزُ قَبُولُ هداياهُمْ، أو الإهداءُ إليهِمْ بهذهِ المناسبةِ، ولايجوزُ تعطيلُ الأعمالِ بهذهِ المناسبة، لأنَّ ذلكَ معاونةٌ للكفّارِ، ورضاً بما هُمْ عليهِ مِنَ الكفرِ والضَّلالِ.

ولايجوزُ التأريخُ بتاريخِ الميلادِ، الذي هو تاريخُ الكفارِ؛ ولذلكَ عَدَلَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم عَنِ التاريخِ الميلاديِّ إلى التاريخِ الهجريِّ، فَجَعَلُوا التاريخَ الإسلاميَّ مُبْتَدِئًا من هجرةِ النبيِّ ﷺ، وكانَ التاريخُ الميلاديُّ موجوداً، وكانتِ التواريخُ الجاهليةُ والكُفْرِيَّةُ موجودةً في زمانِهِمْ، فلمْ يَلْتَفِتُوا إلى واحدٍ

منْها، وعَدَلُوا إلى التاريخ الهجريِّ، فلا يجوزُ التأريخُ بتاريخِ الكفارِ؛ لأنَّ ذلكَ مِنَ الرِّضا بفِعْلِهِمْ ومشاركَتِهِمْ وإحياء أعيادِهِمْ.

وقد قَدِمَ النبيُّ ﷺ المَدِينَةَ مهاجراً، وكانَ لهُمْ يومانِ يلعبونَ فِيهِمَا يسميانِ بالنيروزِ والمهرجانِ، فَسَأَلَهُمْ عن هذينِ اليومينِ فقالُوا: يومانِ كُنَّا نلعبُ فيهما في الجاهليةِ، فقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ أَبْدَلَكُمْ بِهِما خَيْرًا مِنْهُما: عيدَ الفِطْرِ، وعِيدَ الأَضْحى**»[١].

فليسَ للمسلمينَ إلا عيدانِ إسلاميانِ: عيدُ الفطرِ، وعيدُ الأضْحى، فلايجوزُ لهمْ أنْ يُحْدِثوا أعياداً ومناسباتٍ يشابِهُونَ بها أعيادَ الكفارِ ومناسباتِ الكفارِ؛ لأنَّ هذا مِنْ موالاتِهِمْ التي حَرَّمَها اللهُ ورسولُهُ، فيجبُ على المسلمينَ أنْ يتمسَّكوا بدِينهِمْ.

وكذلكَ مِنْ موالاةِ الكفارِ: مَدْحُهُمْ والثناءُ عليهِمْ، وتعظيمُ أَعْمَالِهِمْ؛ لأنَّ هذا مِنْ تعظيمِ الكفرِ، ومنْ تعظيمِ الكفارِ، ولايجوزُ حَمْلُ الشعاراتِ التي هي من شعاراتِ الكفرِ، لا في الملابسِ، ولافي السياراتِ، ولا على الأبوابِ، ولا على المحلاتِ، بل يجبُ أنْ تُطَهَّرَ بلادُ المسلمينَ من شعاراتِ الكفرِ والضلالِ؛ لأنَّ اللهَ أَغْنَى المسلمينَ بهذا الدينِ العظيمِ، الذي جَمَعَ فيهِ خَيْرَي الدنيا والآخِرَةِ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، الذي يميلُ إلى عاداتِ الكفارِ، وأعيادِ الكفارِ، وأعمالِ الكفارِ، معناهُ: أنه كَفَرَ بِنِعْمَةِ الإسلامِ، وأنَّهُ يريدُ أنْ يستبدل بِهِ ماهو خيرٌ منْه في نَظَرِهِ، قالَ ﷺ: «**مَنْ جَامَعَ المشركينَ، وصَنَعَ نَيْرُوزَهُمْ ومهْرَجَانَهُمْ، حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ القيامةِ**»[٢].

---

(١) أبو داود (١١٣٤) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) بنحوه أبو داود (٢٧٨٧).

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، تمسَّكُوا بدِينِكُمْ، واحْذَرُوا مِنَ الفِتَنِ، واحذَرُوا مَنْ شعاراتِ الكفرِ والضلالِ وأعيادِ الكفارِ، فإنَّ ذلكَ مِنَ الانتكاسِ والارتكاسِ، فتمسَّكُوا بدِينِكُمْ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

باركَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، هَدَانا للإسلام، وأَغْنَانَا بالحلالِ عن الحرامِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، ذُو الجلالِ والإكرامِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، عليهِ مِنَ اللهِ أفضلُ الصلاةِ وأزكى السلامِ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البَرَرَةِ الكرامِ.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى.

ومنْ أعيادِ الكفارِ التي حَدَثَتْ في هذا الزمانِ: ما يُطَنْطِنُ بِهِ الكفارُ الآن مِنْ عيدِ الألْفَيْنِ، أيْ تمامُ ألفي عامٍ على مَوْلِدِ المسيحِ عليه الصلاةُ والسلامُ، يعظِّمونَ هذه المناسبةَ، ويفخِّمونَها ويهوِّلونَ مِنْ أَمْرِها، ويرغبُّونَ الناسَ في المشاركةِ فِيها، ويحذِّرونَهُمْ مِنْ أنَّ أشياءَ ستحدثُ في هذهِ الألفية.

قالوا: سينزلُ المسيحُ في عامِ الألفينِ، نعمْ، نُزُولُ المسيحِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حَقٌّ ولابدَّ مِنهُ، كما أَخبَرَ بِهِ ﷺ، ولكنْ لايَعْلَمُ وَقْتَهُ إلا اللهُ سبحانه

وتعالى، فَهُوَ مِنْ عَلاَمَاتِ الساعةِ التي لايَعْلَمُها إلا اللهُ سبحانَهُ وتعالى.

قالوا: تقومُ القيامةُ في عامِ الألفينِ. ونقولُ: نعَمْ، نحنُ نُؤْمِنُ بقيامِ القيامةِ، ونؤمنُ باليومِ الآخرِ، ولكنَّ اللهَ جلّ وعلاَ اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ قيامِ الساعةِ، فلم يُطْلِعْ عليها مَلَكاً مقرَّباً ولانبيًّا مُرْسلاً ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣].

فهذهِ منْ أمورِ الغيبِ التي لايَعْلَمُها إلاّ اللهُ.

والذي يدَّعِي أنَّهُ يعرفُ وَقْتَ نُزُولِ المسيحِ، ويعرفُ وقتَ قيامِ الساعةِ، كافِرٌ باللهِ عزّ وجلّ، لماذا؟ لأنَّه يدَّعي عِلْمَ الغيبِ الذي لايَعْلَمُهُ إلاّ اللهُ، ومَنِ ادَّعى علم الغيبِ فهو كافرٌ. فلا يجوزُ تصديقُهم في هذه التَّهاويلِ وهذهِ الأخبارِ، ولاتجوزُ مشاركَتُهم في عامِ الألفينِ بأيِّ مظهرٍ مِنَ المظاهِرِ، لايجوزُ حملُ الشعاراتِ التي صُنِعَتْ لعامِ الألفينِ وترويجِها في الشوارعِ، وترويجِها في الملابِسِ، وترويجِها في المُعِدّاتِ؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ إظهارِ شعارِ الكفرِ في بلادِ المسلمينَ، ولايجوزُ تصديقُهُمْ بما يُهَوِّلونَ بِهِ مِمّا سيحدثُ في عامِ الألفينِ.

نحنُ نؤمنُ باللهِ وبكتابِهِ وبرَسُولِهِ، نُؤمنُ بما أخبرَ اللهُ جلَّ وعلاَ عنه، وما أخبرَ به رسولُهُ، ولا نعتمدُ على أخبارِ الكفارِ وأخبارِ المنافقين، بلْ نُكَذِّبُها ونكفرُ بها، ونؤمنُ باللهِ وبِخَبَرِ اللهِ، ونؤمنُ برسولِ اللهِ وبخَبَرِ رسولِ اللهِ ﷺ.

ولايجوزُ للمسلمينَ أن يعطِّلُوا أعمالَهُمْ بِهذهِ المناسبةِ مشاركةً للكفارِ، ولايجوزُ أنْ يظهرَ المسلمونَ بمناسبةِ هذه الألفيةِ أيَّ شيءٍ خاصٍّ بِها، بلْ على المسلمينَ أنْ يعتبرُوها كأنها غيرُ موجودةٍ، وأنْ يَرْفُضُوها غايةَ الرَّفْضِ، فقدْ بَلَغَنَا أنَّ أُناساً أَخَّرُوا فَتْحَ مَشارِيعِهِمُ التجاريةِ إلى حُلُولِ مناسبةِ الألفينِ تَبَرُّكًا بهذهِ

المناسبةِ الكافرةِ، وبَلَغَنَا أنَّ أُناساً أخَّرُوا الزواجاتِ، يريدونَ أنْ يتزوَّجوا أو يُزوِّجوا بناتِهِمْ في عام ألفينِ، فأخَّرُوا زواجاتِهِمْ إلى مناسبةِ الألفينِ؛ تبركاً بِها، ومشاركةً للكفارِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واحْذَرُوا مِنْ هذهِ الفتنةِ، وحَذِّروا مِنها إخوانكُمْ، ولاتَعْتَدُّوا بِها واعْتَبِرُوهَا باطِلاً وزُوراً، نَكْفُرُ بِها، نَكْفُرُ بِها ولا نَعْتَبِرُها شيئاً موجوداً، هذا هو دِيننا، وهذا هوَ أَمْرُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ: **«إنَّ اللهَ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُما: عيدَ الفِطْرِ، وعِيدَ الأضْحَى»** فليسَ لَنَا إلا هذانِ العيدانِ في الإسلامِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واقتصرُوا على ما شَرَعَهُ اللهُ لَكُمْ، ولاتَبْتَغُوا بدينِ الإسلامِ بديلاً.

واعلموا أن خيرَ الحديثِ كتابُ الله.. إلخ الخطبة.

* * *

في الحَثّ على الكَسْبِ الحلالِ، وتَرْكِ الكَسْبِ الحرامِ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، أَمَرَنا بطلبِ الرزقِ الحلالِ، ويسَّرَ لنا أسبابَهُ، ونهانا عن الكَسْبِ الحرامِ، وبيَّن لنا عاقِبتَهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَتَجَنَّبَهُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللهَ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وهو الرزاقُ ذُو القوةِ المتينِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الصادقُ الأمينُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يومِ الدينِ.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، وانْظُرُوا في مكاسِبِكُمْ، ونَزِّهُوها عن الحرامِ، فإنَّ ذلكَ أَطْيَبُ لكمْ وأحسنُ عاقبةً، رَوَى مسلمٌ في صحيحِهِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى طَيِّبٌ لايَقْبَلُ إلا طَيِّباً، وإنَّ اللهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بِما أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فقالَ سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماءِ: يارَبِّ، يارَبِّ، ومَطْعَمُهُ حرامٌ، وَمَشْرَبُهُ حرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ، فأنَّى يُستجابُ لذلكَ؟!»[1].

ومعنى قولِهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ طَيِّبٌ»، أي: مُنَزَّهٌ عن صِفَاتِ النَّقائِصِ والعُيوبِ، متصفٌ بصفاتِ الكمالِ «لا يَقْبَلُ إلاّ طَيِّباً» أيْ: لا يَقْبَلُ مِنَ الأعمالِ إلاّ الطيبَ، وهو: ما كانَ خالصاً لوَجهِهِ، خالياً من البِدَعِ والمُحْدَثاتِ. ولايَقْبَلُ مِنَ الصدقاتِ «إلاّ ما كانَ طَيِّباً» أيْ: مِنْ كَسْبٍ حلالٍ. ثُم ذَكَرَ ﷺ مِثالاً لذلكَ، ذَكَرَ

---

(١) مسلم (١٠١٥)، والترمذي (٢٩٩٢).

رجلاً اجتمعتْ فيه صفاتُ إجابةِ الدعاءِ، إلا أنَّهُ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، فهو يطيلُ السفرَ، وذلكَ مِنْ أسبابِ قبولِ الدعاءِ؛ لما يَمَسُّهُ مِنَ التَّعَبِ، ولما يَمَسُّهُ مِنَ الجُوعِ، وكذلكَ أيضاً ظَهَرَتْ عليه مظاهرُ البُؤْسِ فهو «أَشْعَثَ أَغْبَرَ» فهو مَحَلٌّ لِلْعَطْفِ والرحمةِ «يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ» وهذا مِنَ الإلحاحِ على اللهِ سبحانه وتعالى، فَمَدُّ اليدينِ في الدُّعاء مِنْ أسبابِ الإجابةِ، ويلحُّ على ربِّه بصفةٍ مِنْ أعظمِ صفاتِهِ، وهي الرُّبوبيةُ ويَتوسَّلُ إليه بِها: «ياربِّ ياربِّ»، ويكررُ ذلكَ، فكُلُّ هذهِ الصفاتِ مِنْ أسبابِ الإجابةِ. ولكنْ حَالَ دُونَ قَبُولِ دعائِهِ مانِعٌ خطيرٌ، وهو أنهُ كَانَ يَتَغَذَّى بالحرامِ أكْلاً ومَشْرباً وملبساً، فكانَ ذلكَ مَانِعاً مِنْ قبولِ دعائِهِ، ولاحولَ ولاقوةَ إلا باللهِ.

فهذا حديثٌ عظيمٌ، يبيِّنُ لنا أنَّ اللهَ سبحانه لايقبلُ الدعاءَ مِمَّنْ يأكلُ الحرامَ، وإذا لَمْ يُقبل دعاؤُهُ عندَ اللهِ سبحانه، فماذا تكونُ حالُهُ؟ لأنَّ أحَداً لايَسْتَغْنِي عن اللهِ سبحانه وتعالى طَرْفَةَ عينٍ، وهذا حائلٌ حالَ بينهَ وبينَ رَبِّه، وهو أَكْلُ الحرام واستعمالُهُ، والحرامُ في هذا الزمانِ قد انتشرَ بينَ الناسِ، إلا منْ رحمَ اللهُ، وتساهلَ الناسُ في أَخْذِ الحرام، كما جَاءَ في الحديثِ، إنَّ مِنْ علاماتِ الساعةِ أنَّ الرَّجَلَ في آخِرِ الزمانِ لايُبالي أَخَذَ المالَ مِنْ حلالٍ أو من حرامٍ. فهذهِ مصيبةٌ عظيمةٌ.

ومنْ أعظمِ أنواعِ الحرامِ التي فَشَتْ في هذا الزمانِ وعمّتْ ـ إلا مَنْ رحمَ اللهُ ـ أَكْلُ الرِّبَا، الذي حَرَّمهُ اللهُ وتوعَّدَ عليهِ بأشَدِّ الوعيدِ، وآذَنَ مَنْ أَكَلَهُ بالحَرْبِ، وتوعَّدَهُ بأشدِّ العقوباتِ، ممّا لايخفى على كُلٍّ مِنْ يَقرأُ القرآنَ أو يَسْمَعُ القرآنَ.

والرِّبا ـ ياعبادَ اللهِ ـ هو: أَخْذُ الزيادةِ في أموالٍ مخصوصةٍ، زيادةً غيرَ شَرْعِيَّةٍ، ومنْ ذلكمُ القَرْضُ بالفائدةِ، كأنْ تُقْرِضَ شخصاً مبلغاً مِنَ المالِ على أنْ يَرُدَّ عليكَ أَكْثَرَ منهُ، فهذا رباً صريحٌ، قالَ ﷺ: «كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعًا فهو رِبًا»[1].

---

(١) انظره في الإرواء (١٣٩٨).

وأَجْمَعَ علماءُ المسلمينَ على أنَّ أيَّ فائدةٍ يستفيدُها المقرضُ منَ المقترِض، إذا كانَ المقرضُ قَدْ شَرَطَها عليهِ عندَ القَرْضِ، فإنَّها رباً، سواءٌ كانتْ زيادةً ماليةً، كأنْ يقرضَهُ مئةً ليردَّ عليه مئةً وَعَشْرَةً أَوْ أَكْثَرَ، أو كانتِ الزيادةُ منفعةً، كأنْ يُسكنَهُ دارَهُ، أو يُركِبَهُ دابَّتَه، أو يعطِيَهُ شيئاً ينتفعُ بِهِ إلى أنْ يُسَدِّدَ لَهُ القَرْضَ، أو كانت المنفعةُ هَدِيَّةً يُهدِيها إليهِ، ولَمْ يَكُنْ مِنْ عادَتِهِ أنْ يُهْدِيَ لَهُ قَبْلَ القَرْضِ.

فَكُلُّ هذهِ الفوائدِ رباً صريحٌ؛ لأنَّ القرضَ المطلوبُ منهُ وَجْهُ اللهِ سبحانه وتعالى، فهو عقدُ إرفاقٍ يَقْصِدُ مِنهُ المُقْرِضُ نَفْعَ المُقْتَرِضِ، وسدادَ حاجتِهِ، ثم يردَّ عليهِ مثلَهُ منْ غيرِ زيادةٍ، وليستَ المقصودُ منَ القرضِ المنافعَ الدنيويةَ، وإنَّما المقصودُ منَ القرضِ: التيسيرُ على المُعْسِرينَ، والتَّنْفِيسُ عنِ المَكْرُوبينَ، ثم يَرُدُّونَ مِثْلَ ما أَخَذُوا، هذا هو المقصودُ بالقرضِ، ولهذا يُسَمَّى بالقرضِ الحسنِ، وهو الذي يُقْصَدُ بِهِ الأَجْرُ والثوابُ.

وكَذَلِكُمْ مِنْ أنواعِ الرِّبا: ما يَجْرِي في البُنُوكِ من الإيداعِ بالفوائدِ الرِّبَوِيَّةِ، يُودعُ عندهمْ مبلغاً مِنَ المالِ، ويُعْطُونَهُ عليهِ فوائدَ ربويةً كُلَّ شهرٍ، أو كُلَّ سنةٍ. هذا رباً صريحٌ، نسألُ اللهَ العافيةَ، وقد لَعَنَ النبيُّ ﷺ: آكِلَ الرِّبا ومُوكِلَهُ وشاهِدَيْهِ وكاتِبَهُ، كُلُّهُم مَلْعُونُونَ؛ لأنَّهم تعاونوا على الإثْمِ والعُدْوانِ.

ومنْ أنواعِ الرِّبا: ما يجري في بيعِ النقودِ بالنقودِ، فإنْ كانتِ النقودُ منْ جِنْسٍ واحدٍ، فإنَّهُ يجبُ فيها التقابضُ في المجلسِ، ولايجوزُ فيها التأجيلُ، ويجبُ فيها التساوي في المقدارِ، ريالاً بريالٍ، عشرةَ ريالاتٍ بعشرةِ ريالات، من غيرِ زيادةٍ، ومنْ غيرِ تأجيلٍ، مِثلاً بمثلٍ، يداً بيدٍ وإنْ كانتِ النقودُ مختلفةً، كالريالِ بالدولارِ، أو بالجُنَيْهِ الإسترليني، أو النقودِ الأخرى التي تصدرُ منْ دولٍ أُخرى، فلا بأسَ بالتفاضُلِ، وهذا مايسمى بالمصارَفَةِ، لكنْ لابدَّ مِنَ التقابضِ في

المجلسِ، ولا يجوزُ أنْ يَتفرَّقا وبينَهما شيءٌ.

ومن أنواعِ المكاسبِ المحرَّمةِ: المَيْسرُ، وهو: القُمَارُ، وقدْ أصبحَ غالبُ تجاراتِ العالمِ بالمقامراتِ وأسواقِ القمارِ، وهو الميسرُ الذي حرَّمهُ اللهُ ورسولُهُ، ومنهُ المسابقاتُ والمراهناتُ، فَأَخْذُ العِوَضِ على المسابقاتِ والمراهناتِ هوالميسرُ، إلا ما استثناهُ الرسولُ ﷺ في قولِهِ ﷺ: «لا سَبَقَ إلاَّ في نَصْلٍ أوْ خُفٍّ أوْ حَافِرٍ»[1] فلا يجوزُ أَخْذُ الجوائزِ على المراهناتِ والمسابقاتِ، إلا في هذهِ الثلاثةِ: النَّصْلُ، وهوَ التَّسَابُقُ في الرِّماية. أوْ خُفٌّ، وهو: التسابقُ على الإبِلِ. أو حافِرٍ، وهو: السباقُ على الخيلِ؛ لأنَّ هذهِ منْ أدواتِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، فلا بأسَ بِأخْذِ السَّبَقِ عليها. أمّا بَقِيَّةُ المسابقاتِ والمراهناتِ فإنَّها هي المَيْسِرُ الذي حَرَّمَهُ اللهُ ورسولُهُ. ومن ذلك المسابقات التجارية الدعائية وهي كثيرة.

ومنْ أنواعِ المكاسبِ المحرَّمةِ القبيحةِ: الرِّشْوَةُ: وهي: مايُدْفَعُ للموظفِ أو للحاكمِ، في مقابِلِ أنْ يُنجزَ الأعمالَ التي عندَهُ للمراجعينَ؛ لأنَّ الموظفَ مطلوبٌ منهُ أنْ يُنْجِزَ الأَعْمالَ الوظيفيةَ بدونِ أنْ يأخذَ مقابلاً من المراجعينَ، وإنَّما يكْتَفِي براتبِهِ الذي أَحَلَّهُ اللهُ لَهُ، فإذا أَخَذَ شيئاً مِنَ المراجعينَ، دَرَاهِمَ، أو هديةً، أوْ غيرَ ذلكَ، فإنَّ هذهِ هي الرِّشْوَةُ التي لَعَنَ النبيُّ ﷺ عليها، حيث لعنَ الراشِي وهو دَافِعُ الرِّشْوَةِ، ولَعَنَ المُرْتَشِي وهو الذي يَأْخُذُ الرِّشْوةَ، ولَعَن الرَّائِشَ وهو الذي يَسْعَى بينَهما في أَخْذِ الرِّشْوَةِ. فهيَ جريمةٌ خطيرةٌ تَفْسِدُ الأَحْكَامَ، وتُغَرِّرُ بالحُكّامِ، وتغيِّرُ النظامَ، وتضيِّعُ الحقوقَ، وتسبِّبُ الفَوْضَى في المجتمعِ. فالرشوةُ ما فَشَتْ في مجتمعٍ إلا فَسَدَ وآذَنَ بالعقوبةِ. بعضُ الموظفينَ

---

(١) أبو داود (٢٥٧٤)، والترمذيُّ (١٧٠٠)، والنسائيُّ (٣٥٨٥)، وابنُ ماجة (٢٨٧٨)، وغيرهُم.

ممّا يُنْقَلُ ويُذكَرُ عنهُم: أنَّهم لاينجزونَ أعمالَ المراجعينَ إلاّ إذا دَفَعُوا لهم رشوةً؛ مِنْ أجلِ أنْ يُنجزوا لهم أعمالَهُمْ، فإذا كانَ موظفاً يريدُ النقلَ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ، أو مِنْ بلدٍ إلى بلدٍ، فلا ينقلُهُ المسئولُ إلاّ برشوةٍ يَدْفَعُها لَهُ، وقد لايأخذُهَا منه مباشرةً، ولكنْ يَجْعَلُ واسطةً، يقولُ لأشخاصٍ: اذهبوا إلى هؤلاءِ المراجعينَ وقولُوا لهم: نحنُ نَسعى في إنجازِ أعمالِكُمْ في تعيينكم، وفي نَقْلِكُمْ منْ وظيفةٍ إلى وظيفةٍ، أو منْ بلدٍ إلى بلدٍ. نسعى بذلك عندَ الموظفينَ، لكنْ بشرطِ أنْ تُعْطُونَا مقابلَ ذلكَ مبلغاً من المالِ، ظاهرُهُ أنَّهُ في مقابلِ التعبِ (تعبِ المراجعِ لهُمْ) ولكنَّ باطنَهُ أنَّهُ مُتَّفِقٌ مع الموظفينَ على أنْ يأخذَ هذا المبلغَ ويتقاسمَهُ هو والموظفُ الذي عندَهُ المطلوبُ. هذه رشوةٌ صريحةٌ، وحيلةٌ على ما حَرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى، ومن صفاتِ اليهودِ: أنَّهمْ يَسْتَحلُّونَ محارمَ اللهِ بأدْنَى الحِيَلِ، فهذهِ حيلةٌ قبيحةٌ.

فالواجبُ على كُلِّ مسلمٍ أن يُنَزِّهَ نَفْسَهُ عنِ الرِّشْوةِ؛ لأنَّها سُحْتٌ، وقد وَصَفَ اللهُ اليهودَ بأنَّهُمْ ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ والسحتُ هو: الرشوةُ والحرامُ بجميعِ أنواعِهِ، وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، هذه الآيةُ نزلتْ في تحريمِ الرشوةِ، فيجبُ على كُلِّ مسلمٍ أنْ ينزِّهَ نفسَهُ عن الرشوةِ، لايأخذُها، ولايدفُعها، ولايسعى في تَحْصِيلها؛ لأنَّها سُحْتٌ وحرام، ملعونٌ مِنْ فَعَلَها، أو أعانَ على فِعْلِها، نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ.

ومن المكاسبِ المحرمةِ: بيعُ الموادِ المحرَّمةِ، وأَكْلُ ثَمَنِها، وقد لعنَ اللهُ اليهودَ؛ لأن الله لما حرَّم عليهم الشحوم جَمَلُوها، يعني: أَذَابُوها، ثم باعُوها وأَكَلُوا ثَمَنَها، قال ﷺ: «إنَّ اللهَ إذا حَرَّم شيئاً حَرَّمَ ثَمَنَهُ»[1]، فبيعُ الأشياءِ

---

(١) أخرجه الدارقطني بهذا اللفظ، ورواه أبو داود (٣٤٨٨) بنحوه.

المحرمةِ حرامٌ، والثمنُ الذي يَحْصُلُ منها حرامٌ وسُحْتٌ، كالذي يبيعُ صُوَرَ ذواتِ الأرواحِ، سواءٌ كانتْ للآدميينِ أو للبهائِمِ أو للطيورِ أو لِكُلِّ ذاتِ روحٍ، فالذي يبيع الصورَ يبيعُ موادَّ محرمةً، وثَمَنُها حرامٌ، وكذلِكُمُ الذي يبيعُ الدخانَ وَيأكُلُ ثمنهُ، هذا البيعُ حرام، وثمنُهُ حرامٌ؛ لأنَّ الدُّخانَ مادةٌ خبيثةٌ مضرةٌ بالإنسانِ، فبيعُها للناسِ بيعٌ للحرامِ، وثمنُها حرامٌ، والكَسْبُ الذي يَحْصُلُ منها كُلُّهُ حرامٌ. وكذلكَ بيعُ القاتِ، وهو أشَدُّ مِنَ الدُّخَان. وكذلكَ بَيعُ المخدراتِ والمسكراتِ، وهذا أشَدُّ وأشْنَعُ، والعياذُ باللهِ.

وقد لَعَنَ النبيُّ ﷺ في الخَمْرِ عَشْرَةً، ومنهم: بائعُها ومبتاعُها.

وكذلكمْ مِنَ المكاسبِ المحرمةِ: الغِشُّ في المعاملاتِ، كالذي يخدعُ الناسَ في البيعِ والشراءِ، ويُخفي عنهم عيُوبَ السِّلَعِ وربَّما يَحْلِفُ بالله ـ حَلِفاً كاذباً ـ على أن هذه السلعةَ سليمةٌ، وأنَّها مِنَ الصِّنْفِ الجيدِ، وهي ليستْ كذلكَ. وقد جاءَ في الحديثِ: **«ثَلَاثَةٌ لايُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القيامةِ، ولايَنْظُرُ إليهِمْ، ولايُزَكِّيهِمْ، ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: المُسْبِلُ** (أي الذي يُسْبِلُ ثيابَهُ تحتَ الكَعْبَيْنِ) **والمنّانُ** (أي: الذي يَمنُّ بَصَدَقَتِهِ) **والمنفِّقُ سِلْعتَهُ** (أي المُرَوِّجُ لها) **بالأَيْمانِ الكاذِبَةِ»**[1] فهو من الذينَ لايكلمهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهِمْ، ولايزكيهِمْ، ولهم عذابٌ أليمٌ. فالغِشُّ في البيعِ والشراءِ جريمةٌ عظيمةٌ، وأَكْلٌ لأموالِ الناسِ بالباطـلِ، فقدْ مَرَّ النبيُّ ﷺ على بائع طعامٍ، فأدْخَلَ ﷺ يَدَهُ في الطعام، فأدرك في أسفله بللاً، فقال: **«ما هذا يا صاحب الطعام؟»** قال: أصابَتْهُ السماءُ يارسولَ اللهِ ـ أيْ: أصابَهُ المطـرُ ـ قال: **«هَلَّا جَعَلْتَهُ ظاهِراً حتى يراهُ**

---

(١) رواه مسلم (١٠٦).

الناسُ؟ مَنْ غَشَّنا فليسَ مِنَّا»[١].

وكم تَرَوْنَ الآنَ مِنَ الغشِّ في البيعِ وإخفاءِ العيوبِ والتَّدْلِيسِ على الناسِ، والأقوالِ الكاذبةِ منَ الباعةِ؛ لترويجِ سلعِهِمْ، كُلُّ هذهِ الأمورُ مِنَ المكاسبِ المحرمةِ التي إنْ أَكَلُوا مِنْها أَكَلُوا حراماً، وإنْ لَبِسُوا منها لَبِسُوا حراماً، وإنْ شربُوا منها شربُوا حراماً، وإنْ تصَدَّقوا منها لَمْ تُقْبَلْ صدقاتُهُمْ، وإن تَرَكُوهَا خَلْفَهُمْ وَوَرَّثُوها لغيرِهِمْ، كانتْ زَادَهُمْ إلى النارِ، كما جاءَ في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وانظروا في مكاسبِكُمْ ونَزِّهُوها عنِ الحرامِ؛ حتى تكونَ هذه المكاسبُ عوناً لكم على طاعةِ اللهِ، إنْ أَكَلْتُمْ منها، أو لبستمْ منها، أو شربتمْ منها، أو تَغذيّتم بِها، أو تصدقتمْ منها، تكونُ طيبةً يقبلُها اللهُ سبحانَهُ وتعالى؛ لأنَّ اللهَ طيِّبٌ لايَقْبَلُ إلا طيِّباً، وقد صَحَّ في الحديثِ: أنَّ مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقةٍ من كَسْبٍ طيب، ولايقبلُ اللهُ إلا الطيبَ، فإنْ اللهَ يَأْخُذُها بيمينِهِ ـ جلّ وعلا ـ ويربِّيها لصاحِبِها، كما يربّي أحدُكُمْ فُلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثْلَ الجَبَلِ العظيمِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ في مكاسِبكُمْ، وفي مطاعِمكُمْ ومشارِبِكُمْ وملابِسِكُمْ، وفي جميعِ تصرفاتِكُمْ، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى رَقِيبٌ وحَسِيبٌ على الجميعِ، لاتَخْفَى عليهِ خافيةٌ.

أعوذ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

بَاركَ اللهُ لي ولكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

---

(١) رواه مسلمٌ (١٠٢).

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشكرُهُ على جميعِ نِعَمِهِ، وأَسْأَلُهُ المزيدَ لي ولكم منْ فضلِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى. واعلموا أنَّ هذهِ الأموالَ التي تجمعونَها ستُسألونَ عنها يومَ القيامةِ، وتُحاسَبُونَ عليها حِساباً دَقيقاً، فقد جاءَ في الحديثِ: أنَّهُ ﷺ «قالَ: لاتزُولُ قَدَما عَبْدٍ يومَ القيامةِ حَتَّى يُسألَ عَنْ أَرْبَعٍ: عنْ عُمُرِهِ فيما أَفْنَاهُ، وعنْ شَبَابِهِ فِيما أَبْلاَهُ، وعَنْ عِلْمِهِ ما عَمِلَ بِهِ، وعن مَالِهِ منْ أينَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيما أَنْفَقَهُ»[1] يُسألُ عن هذا المالِ دُخولاً وخُروجاً: منْ أينَ دَخلَ عليهِ؟ هَلْ دَخَلَ منْ حلالٍ، ومِنْ كَسْبٍ حلالٍ، أو لا؟ ثم يُسأَلُ: فيما أَنْفَقَهُ؟ هَلْ أنفقَهُ في طاعةِ اللهِ وفيما أَحَلَّ اللهُ؟ أو أنفقهُ في معصيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ؟

فلا يَحملنَّكُمْ حُبُّ المالِ على المغامرةِ من غيرِ تفكيرٍ في العَوَاقِبِ، فإنَّ المالَ الحرامَ ـ كما سَمِعْتُم ـ إنْ أكَلَ منهُ الإنسانُ، أو شربَ منهُ، أو لبسَ منهُ، كانَ ذلك سبباً في الحَيْلُولَةِ بينَهُ وبينَ قَبُولِ الدعاءِ عندَ رَبِّهِ سبحانه وتعالى: وإنْ تَرَكَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ وورَّثَهُ لغيرِهِ، فإنَّهُ يَتَحَمَّلُ أوزارَهُ، ويكونُ لغيرِهِ الفائدةُ، ويكونُ عليهِ العُقوبةُ، يكونُ لغيرِهِ نَفْعُهُ، وعليهِ ضَرَرُهُ، فإذا خَلَّفَهُ وَرَاءَ ظهرِهِ، كانَ زادَهُ إلى النارِ، هو المسؤولُ عنهُ يومَ القيامةِ.

وكذلكَ الوارثُ، إذا عَلِمَ أنَّ هذا المالَ بِعَيْنِهِ حرامٌ، فإنَّهُ لايجوزُ لَهُ أنْ يأْخُذَهُ؛ لأنَّهُ حرامٌ. أمّا إذا لَمْ يَعْلَم، فالمسؤوليةُ على مَنْ ورَّثَهُ، لكنْ إذا عَلِمَ أنَّهُ حرامٌ، فإنَّهُ يجبُ عليهِ اجتنابُهُ والابتعادُ عنهُ؛ لأنَّهُ حرامٌ وخبيثٌ، واللهُ جلَّ وعلا يقولُ: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى

---

(١) الترمذيّ (٢٤١٩).

ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

فلا يَحْمِلَنَّكُمُ الطمعُ وحُبُّ المالِ على المغامراتِ، ولاتَغْتَرُّوا بمن لايبالونَ، فإنَّ بعضَ الناسِ يقولُ: هذا شيءٌ عامٌّ، وهذا شيءٌ عليهِ الناسُ، فيُسَوِّغُ لنفسِهِ أنْ يَدْخُلَ مَدَاخِلَ الناسِ، ولايعلمُ أنَّهُ مسؤولٌ يومَ القيامةِ بمفردِهِ عن نفسِهِ، ولايُسْأَلُ عن أعمالِ غيرِهِ، وإنما يُسْأَلُ عنْ أعمالِهِ هو.

فالواجبُ على كُلِّ مسلمٍ: أنْ يَنْجُوَ بنفسِهِ وألاَّ يَغْتَرَّ بمنْ هَلَكَ: كيفَ هَلَكَ؟ وإنما يعتبرُ بمنْ نَجا، كيفَ نَجا؟ وهذا يحتاجُ إلى وَرَعٍ، وإلى تقوى، وإلى بصيرةٍ، وإلى محاسبةٍ للنفسِ؛ لأنَّ المالَ فتنةٌ، كما قالَ اللهُ سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٦ـ٨]، والمرادُ بالخيرِ: المالُ، فالإنسانُ يحبُّ المالَ حباً شديداً.

وفي الآيةِ الأُخرى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠]، وهذا غريزةٌ في الإنسانِ، ولكنْ عليهِ أنْ يتقيَ اللهَ سبحانه وتعالى، وأنْ يأْخُذَ المالَ مِنْ حِلِّه، وأنْ ينفقَهُ في وُجُوهِهِ، وأنْ يُخَلِّص نَفْسَهُ منْ مسئوليتِهِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ: وحاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ على مكاسِبِكُمْ وأموالِكُمْ فإنَّ هذهِ الأموالَ مهما كَثُرَتْ وتَضَخَّمتْ وبلغتِ الملايينَ والملياراتِ، فإنكَ مسؤولٌ عنها يومَ القيامةِ درهماً درهماً، ومتحمِّلٌ لإثمِها وعاقبَتِها، فخلِّصْ نفسكَ مادمْت على قيدِ الحياةِ.

ثم اعلموا ـ عبادَ الله ـ أنَّ خير الحديث كتابُ الله . . إلخ الخطبة.

* * *

في الحثِّ على العملِ الصالحِ

الحمدُ للهِ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨]، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، إقراراً بِهِ وتوحيداً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً مَزِيداً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقو اللهَ تعالى وأطيعوهُ، واعلموا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى خلقكمْ في هذهِ الدنيا لتَعْمَلُوا لأنفسكُمْ ما تجدونَهُ في آخِرَتِكُمْ، فإنَّ الدنيا دارُ عملٍ، وإنَّ الآخرةَ دارُ جزاءٍ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣]، والهُدَى هو: العلمُ النافعُ، ودينُ الحقِّ هوَ: العملُ الصالحُ. فاللهُ سبحانه أرسلَ رسولَهُ بالعلم النافع والعمل الصالح، وهما مقترنانِ، لايَنْفَكُّ أحدهما عنِ الآخرِ، فمن الناسِ مَنْ أَخَذَ بِهما جميعاً، فيتعلَّمُ العلمَ النافعَ ويعملُ الأعمالَ الصالحةَ، وأولئكَ هم المفلحونَ.

ومنَ الناسِ منْ يأخذُ العلمَ النافعَ ويتركُ العملَ الصالحَ، وهؤلاء هم المغضوبُ عليهِمْ مِنَ اليهودِ ومنْ سارَ على نَهْجِهِمْ من علماء الضلال.

ومنَ الناسِ منْ يأخذُ بالعملِ ويتركُ العلمَ، وهؤلاءِ هم النصارى ومنْ تشبَّهَ بِهِمْ منَ الصُّوفِيَّةِ وغيرهم من المبتدعين والمخرفين.

ومنَ الناسِ مَنْ تركَ العلمَ والعملَ جميعاً، وهؤلاءِ هم العَجَزَةُ، قال ﷺ: «الكيِّسُ منْ دانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لما بعْدَ الموتِ، والعاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاها،

وتَمَنَّى على اللهِ الأَمَانِيَّ»(١)، وقالَ ﷺ: «مَنْ بطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

ونحن نقرأُ هذا في سورةِ الفاتحةِ في كُلِّ ركعةٍ من صلاتنا، وفيها هذه الأقسامُ الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٦ـ٧]، فالذينَ أَنْعَمَ اللهُ عليهمْ هُمُ: الذينَ جَمَعُوا بينَ العِلْمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، وهم الذينَ قالَ اللهُ تعالى فيهِمْ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝ ﴾ [النساء: ٦٩].

وأمّا المغضوبُ عليهم فهمُ: الذينَ عندَهُمْ عِلْمٌ بدونِ عملٍ، وذلكَ يشملُ كُلَّ مَنِ اتصفَ بهذهِ الصفةِ منَ اليهودِ وغيرِهِمْ.

وأمّا الضالونَ فهمُ الذينَ يعملونَ على غيرِ علمٍ، سمّاهُمُ اللهُ ضالينَ؛ لأنَّهم يسيرونَ على غير هُدىً، كالذي يسيرُ مَعَ طريقٍ وهو لايَعْرِفُهُ، ولايَدْرِي إلى أينَ يَنْتَهي، فإنَّ مآلَهُ إلى الهلاك.

ثم اعلموا عبادَ اللهِ: أنَّ العملَ الصالحَ لايُقبلُ عندَ اللهِ سبحانه إلا إذا توفر فيهِ شرطانِ أساسيانِ.

الشرطُ الأولُ: أنْ يكونَ خالصاً لوجهِهِ سبحانه وتعالى، ليسَ فيه شِرْكٌ أصغرُ ولا أكبرُ، فإنَّ الشركَ الأكبرَ ـ والعياذُ باللهِ ـ يُحبِطُ جميعَ الأعمالِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ ﴾ [الزمر: ٦٥]. وأمّا الشركُ الأصغرُ، كالرياءِ والسُمعةِ، فإنَّهما يُحْبِطانِ العملَ الذي وُجدا فيهِ فقطْ، فمنْ عَمِلَ يُرائي، أو يريدُ

---

(١) الترمذيُّ (٢٤٦١).

السمعةَ والمدحَ والثناءَ، فإنَّهُ لاثوابَ له عندَ اللهِ، يقولُ اللهُ لَهُ يومَ القيامةِ: اذهبْ إلى الذينَ كُنْتَ ترائيهِمْ في الدنيا: هَلْ تجدُ عندَهم جزاءً؟

وأمّا الشرطُ الثاني: فإنَّهُ المتابعةُ للرسولِ ﷺ، بأنْ يكونَ العملُ موافقاً لما جاءتْ بِهِ سنةُ الرسولِ ﷺ، وهذا بخلافِ البِدْعَةِ، فإنَّ البدعةَ مَرْدُودَةٌ؛ لأنَّها ليستْ مما جاءَ بِهِ النبيُّ ﷺ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «منْ عَمِلَ عمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1]، أي: مردود عليهِ، لايُقْبَلُ عندَ اللهِ؛ لأنَّهُ بدعةٌ، لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ، واللهُ ـ جلَّ وعلاَ ـ لايقبلُ مِنَ الأعمالِ إلاّ ما شَرَعَهُ على لسانِ رسولِهِ ﷺ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «وإيَّاكُمْ ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النارِ»[2] فَمَهْمَا أَتْعَبَ المبتدعُ نَفْسَهُ، فإنَّهُ لايَصْعَدُ لَهُ عملٌ إلى اللهِ سبحانه، وأعمالُهُ البِدْعيةُ كُلُّها مردودةٌ عليهِ، بِنَصِّ هذا الحديثِ الشريفِ وغيرِهِ.

وأيضاً: قدْ يَعْمَلُ الإنسانُ أعمالاً صالحةً خالصةً لِوَجْهِ اللهِ عَزَّ وجلَّ، وموافقةً لسنَّةِ الرسولِ ﷺ، ولكنَّهُ يُسَلِّطُ عليها ما يُتْلِفُها ويذهبُ بها، وذلكَ بأنْ يتسلَّطَ على الناسِ بالظلمِ لهمْ، ويتسلطَ على الناسِ بالغيبةِ والنميمةِ والشتم والسباب وغيرِ ذلكَ، ويتسلطُ على الناسِ في أموالِهِمْ، فيظلمُ الناسَ بِسَلْبِ أموالِهِمْ، إمَّا بالغَصْبِ وإمّا بالسَّرِقَةِ، وإمّا بالخُصُوماتِ الفَاجِرَةِ، وإما بالغش في المعاملة، ثم يأتي يومَ القيامةِ بأعمالٍ صالحةٍ أمثالِ الجبالِ، فيأتي وقَدْ ضَرَبَ هذا، وقدْ شَتَمَ هذا، وأَخَذَ مالَ هذا، فيؤخذُ لهذا منْ حسناتِهِ، ولهذا منْ حسناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حسناتُهُ قبلَ أنْ يَقْضِي ما عليهِ للغُرماءِ، فإنَّهُ يُؤْخَذُ من سيِّئاتِ المظلومينَ ثم تُطرحُ عليهِ فيطرحُ في النارِ.

وقد قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ

---

(١) مسلم (١٧١٨). (٢) أبو داود (٤٦٠٧).

﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾[محمد: ٣٣]، نَهى سبحانه وتعالى أنْ يُبطِلَ الإنسانُ عملَهُ، أو يُتلفَ عملَهُ بعدَ ما يتعبُ فيهِ، فيأتي يومَ القيامةِ ولاثوابَ لَهُ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، أو يأتي يوم القيامة بأعمال صالحة يأخذها المظلومون منه.

فعلى المسلمِ أنْ يحاسبَ نفسَهُ، وأنْ يُصْلِحَ عملَهُ، وأنْ يتخلَّصَ منْ مظالمِ العبادِ قبلَ أنْ يأتي يومٌ لايمكنُهُ أنْ يتخلَّصَ مِنها.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحاسِبُوا أنفسَكُمْ قبلَ أنْ تُحاسَبوا، وزِنُوها قبلَ أنْ تُوزَنُوا، وتأهَّبوا للعَرْضِ الأكبرِ على اللهِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ١٨-٣٢].

فتحفَّظوا - عبادَ اللهِ - على أعمالِكُمْ أكثرَ ممَّا تَحفَّظُون على أموالِكُمْ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيم.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم. ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

باركَ اللهُ لي ولكُمْ في القرآنِ العظيم.

الخطبةِ الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واعلموا أنكم غداً بينَ يَدَي اللهِ مَوْقُوفُونَ، وعلى أعمالِكُمْ محاسبونَ ومَجْزِيُّونَ، وعلى تفريطِكُمْ نادمُون ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

قالَ ﷺ: «يقولُ اللهُ جلّ وعلاَ: ياعِبادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ، أُحْصِيها لَكُمْ ثُمَّ أُوفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، ومَنْ وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ»[1]، وفي الحديثِ القُدُسِيِّ الآخَرِ: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يقول: «وما تَقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشيء أحبَّ إليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، ولايَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بِها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بِها ولَئِنْ سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنْ استعاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»[2].

فأَوَّلُ ما يجبُ على الإنسانِ: أنْ يعتنيَ بِهِ الفرائضُ التي فَرَضَها اللهُ سبحانه وتعالى: ثُمَّ بعدَ ذلكَ يَتَقَرَّب إلى اللهِ تعالى بالنوافِلِ، وأما من يتقرب بالنوافل ويضيع الفرائض فإنه لا ثواب له عند الله تعالى، وكُلُّ عاملٍ سَيَجِدُ عَمَلَهُ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٦ـ٨].

ثم اعلَمُوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).
(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

في شُكْرِ اللهِ على نِعْمَةِ الإسْلامِ، وَوُجوبِ التَّمَسُّكِ بِهِ، وتَحْريمِ التَّشَبُّهِ بالكفَّارِ

الحمدُ للهِ الذي أعزَّنا بالإسلامِ، وجعلنا - إنْ تمسَّكنا بِهِ - خيرَ أُمةٍ أُخرجتْ للناسِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ في رُبُوبيَّتِهِ وإلهيَّتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسُولُهُ، بلَّغَ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ ونَصحَ الأُمةَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِهِ، وتركَ أُمَّتَهُ على البيضاءِ لايزيغُ عنها إلا هالكٌ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واشكروهُ على نِعْمَةِ الإسلام، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٦].

عبادَ اللهِ: كانَ الناسُ قبلَ الإسلامِ في جاهليةٍ جَهْلاَءَ، وضلالةٍ عمياءَ، ولاسيَّما العربُ، فإنَّهُمْ كانُوا أسوأَ العالمِ حَالاً، كانُوا مُشَتَّتِينَ بينَ العالمِ، وكانَ يأكلُ قويُّهُمْ ضعيفَهُمْ، ويتسلَّطُ شرارُهُمْ على خيارِهِمْ، يعيشونَ النَّهْبَ والسَّلْبَ

والوَحْشِيَّةَ، وكانتْ عقائِدُهُمْ وَثَنِيَّةً، وكانتْ معاملاتُهُمْ معاملاتٍ سيئةً، مِنَ الرِّبا والمَيْسِرِ وأَكْلِ المحرَّماتِ، كانُوا وحوشاً ضاريةً.

فلما بعَثَ اللهُ نبيَّهُ محمداً ﷺ بالهُدى ودينِ الحقِّ، جَمَعَ اللهُ بِهِ القُلُوبَ، ووحَّدَ بِهِ الكلمةَ، فأصبحَ المسلمونَ أعِزَّةً، وأصبحوا سادةَ العالمِ، ومَلَكُوا المشارِقَ والمغارِبَ، بعد أنْ كانُوا أذلةً مضطهدينَ في الأرضِ، أعزَّهم اللهُ بالإسلامِ، ورَفَعَ شأْنَهُمْ، وجَعَلَ الدولَ تَخْضَعُ لسُلْطَانِهِمْ، السُّلْطَانِ الذي أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السماءِ على رسولِهِ ﷺ، بذلكَ سادُوا العالمَ، وَمَلَكُوا المشارقَ والمغاربَ فلا عزَّ للمسلمينَ إلاَّ بِهذا الدينِ، قالَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه: نَحْنُ قَوْمٌ أعزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا العِزَّ بِغَيرِهِ أذَلَّنا اللهُ. وقالَ رضيَ اللهُ عنه: إنَّما تُنقَض عُرَى الإسلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً إذا نَشأَ في الإسلامِ مَنْ لايَعْرِفُ الجاهليةَ.

أيها المسلمونَ: إنَّ أعداءَ هذاالدينِ مازالُوا ـ ولايزالُون ـ يكيدونَ للإسلامِ والمسلمينَ، ويريدونَ أنْ يُحَوِّلُوا المسلمينَ عن هذا الدينِ؛ حَسَدًا وبَغْيًا بَعْدَ ما تَبَيَّنَ لهمُ الحقُّ ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾، [البقرة: ٢١٧]. ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾، [النساء: ٨٩]. ولذلكَ حذَّرنا اللهُ مِنْهُمْ، وأَمَرَنا بِأَخْذِ الحَيْطَةِ منْ شَرِّهِمْ، وعَدَمِ الانخداعِ بمكرهِمْ، لأنَّهم أعداؤُنا، لايزالونَ يكيدونَ لنا المكائِدَ، ويتربَّصونَ بِنا الدوائر، بِشَتَّى الحِيَلِ.

ولذلكَ قَطَعَ اللهُ صِلَةَ المودةِ والموالاةِ بينَ المسلمينَ والكفارِ، قالَ سبحانهُ وتعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١]، ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٣].

والموالاةُ معناها: المَحَبَّةُ في القُلُوبِ، فيجبُ على المسلمينَ أنْ يُبْغِضُوا أعداءَ اللهِ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١]، فالمودةُ في القلوبِ أعظمُ الموالاةِ للكفارِ. وكذلكَ مُناصَرَةُ الكفارِ على المسلمينَ، ومعاونةُ الكفارِ على المسلمينَ. واللهُ جَلَّ وعلاَ قَطَعَ المناصرةَ بينَ المسلمينَ والكفارِ، وقطعَ المودةَ بينَ المسلمينَ والكفارِ؛ منْ أجلِ الحفاظِ على هذا الدينِ، ومنْ أجلِ إبعادِ الكفارِ وعدمِ تمكينِهِمْ منَ الكَيْدِ لهذا الدينِ لأنَّنا إذا أَحْبَبْنَاهُمْ وَوَالَيْنَاهُمْ، تمكَّنُوا مِنَ الدُّخولِ للإفسادِ وتغييرِ هذا الدينِ، الذي مَنَّ الله تعالى به علينا؛ لايزالونَ يعملونَ الأعمالَ، ويخططونَ الخططَ والمكائدَ؛ لإضلالِ المسلمينَ عن دينِهِمْ، فيجبُ أَخْذُ الحذرِ منْ هؤلاءِ دائماً وأبداً.

وإنَّ مِنْ أعظمِ الأدلةِ على موالاةِ الكفارِ: التَّشَبُّهَ بهمْ في الظاهرِ، كالتشبهِ

بِهِمْ في العباداتِ، والتشبُّه بِهِمْ في العاداتِ والتقاليدِ الخاصةِ بِهِم، والتَّشَبه بِهِم في الاحتفالاتِ البدعية والتشبهِ بِهِم في أعيادِهِمْ ومناسباتِهِمْ، والتشبُّهِ بِهِمْ في الزِّيِّ في الأبدانِ، وكُلُّ ما كانَ خاصّاً بالكفارِ، فإنَّهُ يجبُ على المسلمين أنْ يبتَعِدُوا عنه. وأعظمُ ذلكَ: التشبهُ بِهِمْ في دينِهِمْ وعباداتِهِمْ، فالكفارُ ـ مِنَ اليهودِ والنصارى وغيرهم ـ إنَّما يَشْرَعُونَ ديناً منْ عندِ أنفسِهِمْ، ولا يرجعونَ إلى دينِ الأنبياءِ، وقد حذَّرنا النبيُّ ﷺ منْ إحداثاتِهِمْ وبِدَعِهِمْ في دِينِهِمْ، قالَ ﷺ: «إنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كانُوا يَبْنُونَ القُبُورَ على المساجِدِ، ألاَ فَلَا تتخذُوا القُبُورَ مساجدَ، فإني أَنْهَاكُمْ عَنْ ذلكَ»[1]، فالبناءُ على القُبورِ، والصلاةُ عندَ القبورِ، والدعاءُ عندَ القبورِ، منْ دينِ اليهودِ والنصارى، وقد حذَّرنا النبيُّ ﷺ مِنَ التشبُّهِ بهمْ في ذلك لأنَّ هذا وسيلةٌ إلى الشركِ باللهِ عزَّ وجل، ودعوةِ الأولياءِ والأمواتِ منْ دُونِ اللهِ عزّ وجلّ، كما هُوَ الواقعُ، فما حَصَلَ في بلادِ المسلمينَ منْ عبادَةِ القبورِ إنَّما هو بسببِ التشبُّهِ باليهودِ والنصارى، بالبناء على القبورِ.

وكذلكَ حتى في العبادةِ المشروعةِ، النبيُّ ﷺ أَمَرَنَا أنْ نُخَالِفَهُمْ في صورةِ العبادةِ، ولهذا صامَ النبيُّ ﷺ يومَ عاشوراءَ، ولما بَلَغَهُ أنَّ اليهودَ يصومُونَهُ قال: «صُومُوا يوماً قَبْلَهُ، أو يَوْماً بَعْدَهُ» خالِفُوا اليهودَ.

وكذلكَ التَّشَبُّهُ بهم في كُلِّ ماهو منْ خصائِصِهِمْ، قالَ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بقَوْمٍ فهوَ مِنْهُمْ»[2]، وقال ﷺ: «لَيْسَ منّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنا»[3].

وقالَ ﷺ: «لاتَـتَشَبَّهوا باليهود ولا بالنصارى ولا بالأعاجم»[4]، فنهى ﷺ

---

(١) مسلم (٥٣٢) عن جُندب رضي الله عنه.
(٢) أبو داود (٤٠٣١).
(٣) الترمذيّ (٢٦٩٦).
(٤) الترمذي (٢٦٩٦) دون لفظة «ولا بالأعاجم».

عَنِ التشبهِ بالكفارِ عُموماً، وباليهودِ والنصارَى خُصوصاً، وَنَهى عَنْ التشبهِ بالأعاجِمِ، ونهى عن التشبهِ بأهلِ الجاهليةِ؛ لأنَّ الإسلامَ - وللهِ الحمدُ - غنيٌّ بما شَرَعَ اللهُ فيه مِنَ الكَمَالاَتِ، غَنِيٌّ عن أنْ يَسْتَوْرِدَ أَيَّ عبادةٍ، أو أيَّ عَادَةٍ، من عباداتِ وعوائِدِ الكفارِ والمشركينَ.

فيجبُ على المسلمينَ أنْ يَسْتَقِلُّوا بِدِينِهِمْ، وأنْ يعتزُّوا بإسلامِهِمْ، وأنْ يَفْرَحُوا بنعمةِ اللهِ عليهمْ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨]، فَكَيْفَ يتنازلُ الأَعْلَى إلى الأسفلِ؟ واللهُ جلَّ وعلاَ يقولُ: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾، [آل عمران: ١٣٩]، فدينُ الإسلامِ دينُ العزةِ ودينُ الكمالِ.

وكذلكَ نهانا النبيُّ ﷺ عن التشبهِ باليهودِ والنصارى والأعاجِمِ، بِحَلْقِ اللِّحَى وتوفيرِ الشوارِبِ، قال ﷺ: «خَالِفُوا المُشْرِكِينَ، وفِّروا اللِّحىَ، وجُزُّوا الشَّوارِبَ»، «أرْسِلُوا اللِّحَى»، «أكْرِمُوا اللِّحَى»، «أَعْفُوا اللِّحى»[1] أوامرُ يؤكدُ بعضُها بعضًا في أنَّ المسلمَ يجبُ عليهِ أنْ يُبقي على هذه السُّنَّةِ العظيمةِ، وهي إعفاءُ اللِّحْيةِ، التي جَعَلَها اللهُ فارقةً بينَهُ وبينَ المرأةِ، وجَعَلَها جمالاً لَهُ، وأَمَرَهُ أنْ يجزَّ الشاربَ إذا طالَ. فأبَى بعضُ الناسِ إلا مخالفةَ النبيِّ ﷺ، ومعاندةَ النبيِّ ﷺ في ذلكَ، فَحَلَقُوا لِحَاهُمْ ووفروا شواربهم، ففي كُلِّ صباح لايَخْرُجُ الواحدُ منْ بيتِهِ إلاّ وقد تأكَّد أنْ ليسَ في لحيتِهِ شَعْرَة! وأمَّا الشاربُ: فيطيلونَهُ ويغذُّونَهُ، مَعَ أنَّ النبيَّ ﷺ أمَرَهُمْ بإعفاءِ اللِّحى وجَزِّ الشوارِبِ وإحْفائِها، فهمْ بهذا يعملونَ على مخالفةِ النبيِّ ﷺ، وتقليدِ الكفارِ، وتقليدِ اليهودِ والنصارى والمجوسِ

---

(١) البخاريُّ (٥٨٩٢)، ومسلمٌ (٢٥٩، ٢٦٠).

والمشركينَ، أما هذا مِنَ الخُذْلان؟ أنَّ الإنسانَ يتحولُ منَ الكمالِ الرُّجُوليِّ إلى مشابهةِ النساءِ ومشابهةِ الكفارِ والمشركينَ.

وكذلكَ نهانا النبيُّ ﷺ عن التشبهِ بالكفارِ في لِباسِهِمْ وفي زيِّهمْ، وعاداتِهمْ وتقاليدِهِمْ الخاصةِ بِهِمْ، ولكنْ لايحلو لبعضِ المسلمينَ إلا ماكانَ مُسْتَوْرَداً منْ عاداتِ الكفارِ وتقاليدِ الكفارِ، فلذلكَ تَجِدُهُمْ يتبجَّحونَ باستعمالِ عاداتِ الكفارِ وتقاليدِ الكفارِ، في أجسامِهِمْ وفي ثيابِهِمْ وفي كلامِهِمْ وفي سائِرِ أمورِهِمْ؛ لأنَّهُمْ يَرَوْنَ أنَّ ما يأتي مِنَ الكفارِ فهو شيءٌ عظيمٌ، وأنَّ ما يَأْمُرُ بِهِ الإسلامُ إنَّما هو عاداتٌ وتقاليدٌ باليةٌ وتأخُّرٌ، كما يقولونَ: نسألُ اللهَ العافيةَ.

ومنَ التشبهِ بالكفارِ: ما سَرَى بين النساءِ مِنْ تقليدِ الكافراتِ في شُعُورِهِنَّ وفي ألوانهنَّ وفي لباسِهِنَّ وفي سائرِ أمورِهِنَّ، فتجدُ المرأةَ المسلمةَ تَظْهَرُ بمظهرِ المرأةِ الكافرةِ، حتى إنَّها تغيِّرُ لونَ شَعْرِها ـ بما يشبهُ شُعُورَ الكافراتِ ـ بالأصباغِ، وتُغَيِّرُ لونَ عَيْنَيْهَا بما يشبهُ أَعْيُنَ الكافرات، بِلبْسِ العَدَساتِ الملونةِ التي تشبهُ ألوانَ أعينِ نساءِ الكفارِ، إلى غيرِ ذلكَ. وأما اللباسُ: فَحَدِّثْ ولا حَرَجَ عن الموضَاتِ الحديثةِ، والأزياءِ الحديثةِ، التي يأخذُها نساؤنا مِنَ البَثِّ التلفزيونيِّ، ومنْ مجلاتِ الأزياءِ الخليعةِ، ثُمَّ تجعلُ لباسها على شَكْلِ ما تراهُ وما تسمعُهُ منْ أوصافِ ملابسِ الكافراتِ، فلاحولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ.

أيّها المسلمونَ: عُودُوا إلى دينكمْ، تمسَّكُوا بأخلاقكمْ، لاتهبطُوا إلى الحَضيضِ فتكونُوا من الذينَ قالَ اللهُ تعالى فيهم ﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ابراهيم: ٢٨، ٢٩].

نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكُمْ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهُ وأصحابِهِ، ومنْ تمسَّكَ بسنتِهِ وسارَ على نَهْجِهِ إلى يومِ الدينِ.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى.

واعلَمُوا أنَّ أعظمَ وسيلةٍ للتشبهِ، يتأثرُ بها بعضُ المسلمينَ نساءً ورجالاً هي عن طريق هذهِ الأقمارُ الصناعيةُ التي تَبثُّ الشَّرَّ في الأجواءِ، ثُمَّ يتلقَّفُها عن هَذِهِ الأقمارِ هَذِهِ الدشوشُ الفضائيةُ التي تصبُّها في بيوتِ المسلمينَ، ويجلسُ أهلُ البيتِ كبارُهُمْ وصغارُهُمْ، ورجالُهُمْ ونساؤُهُمْ، كالتلاميذِ أمامَ المعلِّمِ، فتصبّ عليهِمْ عاداتِ الكفارِ، وأخلاقَ الكفارِ الخليعةَ، من فسادٍ في الأخلاقِ، وفسادٍ في العقيدةِ، وفسادٍ في كل الأشياءِ، وهمْ لايُوَرِّدُونَ لكم ولايُرْسِلُونَ لَكُمُ الخَيْرَ، وإنَّما يرسلونَ لكمُ الشَّرَّ فهذهِ المحطاتُ الفضائيةُ إنما يتحكمُ فيها اليهودُ والنصارى، والماسونيةُ التي تريدُ تدميرَ العالمِ، وألاّ يَبْقَى على وَجْهِ الأرضِ إلا هُمْ فقطْ، إنْ بقيَ أَحَدٌ فإنَّهم يريدونَ أنْ يبقَى بلا دينٍ، ليكونَ ذليلاً خاضعاً لهم، هذا ما يريدونَ، وقد نجحُوا في كثيرٍ مِنْ مخططاتِهِمْ؛ بسببِ غَفْلَةِ المسلمينَ وجَهْلِهِمْ.

فهل يتصورُ أنْ يأتِيَ الرجلُ الرشيدُ العاقلُ بهذهِ الآلةِ (الدِّشِّ وما شَابَهَهُ) ويَنْصِبَ في بيتِهِ كُلَّ الشُّرورِ والمخازي، ويتربَّى على ذلك أولادُهُ ونساؤُهُ وبناتُهُ، ويتخرَّجُ مِنْ هذا البيتِ أفواجٌ ممّنْ تأثَّرُوا بالكفارِ في عاداتِهِمْ وتقاليدهمْ وأخلاقهمْ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ؛ يامنْ تفعلونَ ذلكَ كيفَ تَجْلِبُونَ الدَّمارَ إلى بُيوتكمْ وإلى عوائِلِكُمْ؟ أينَ الغيرةُ؟ أينَ الدينُ؟ أينَ كراهةُ الكفارِ؟ تزعمونَ أنكم تبغضونَ الكفارَ، ولكنَّكُمْ تستوردونَ ماهمْ عليهِ بهذهِ الوسائلِ القبيحةِ،

وتُنَمَّونَ عليها أهلَ بُيوتِكِمْ، وتربُّونَهمْ عليها، فأينَ هو بُغْضُ الكفارِ وعداوةُ الكفارِ التي أمركمُ اللهُ جلّ وعلا بها في مُحْكَمِ كتابِهِ؟

يامنِ ابْتُليتُمْ بهذهِ الآلةِ الخبيثةِ عليكم بالمبادرةِ بإزالتها والتوبة إلى اللهِ عزَّ وجلَّ والتحذير منها، فإنَّها آلةُ تدميرٍ، إنّها شَرٌّ منَ الصواريخ، وشرٌّ منْ أسلحةِ الدمارِ التي يَتحاذَرُ مِنها العالمُ؛ لأنَّ هذه الصواريخَ وهذهِ الآلاتِ المدمرةَ إنما تَقْضِي على النفوسِ والأجسامِ، ولكنَّ هذهِ الآلات الخبيثةَ تقضي على الأخلاقِ، وتقضي على الدينِ. وما فائدةُ الإنسانِ أنْ يعيشَ بدونِ دينٍ وبدون أخلاق؟ ولاسيَّما إذا كان مسلماً وتحوَّلَ إلى غيرِ مسلمٍ، ولاحولَ ولاقوةَ إلاّ باللهِ!

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحذَرُوا مكائدَ أعدائِكُمْ، ولاتغترُّوا بمنْ يفعلُ ذلك ممّن حولكمْ، وتقولون فلان فعلَ كذا، وفلانٌ فعلَ كذا. أنت مسؤولٌ أمامَ اللهِ عَنْ نَفْسِكَ وعمّنْ تحتَ يَدكَ يومَ القيامةِ «كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[١].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحَاسِبوا أَنْفُسَكُمْ، وفكِّروا في أَمْرِكُم قَبْلَ الفواتِ. واعلَمُوا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ الله.. إلخ الخطبة.

* * *

---

(١) البخاريُّ (٨٩٣)، ومسلمٌ (١٨٢٩).

في التحذيرِ مِنَ الزِّنى وأسبابِه

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، حَرَّمَ الفواحشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، ونَهَى عن فِعْلِ الأسبابِ المُوَصِّلَةِ إليها؛ حمايةً للمسلمينَ مِنَ الشرورِ والفتنِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، شهادةً شَهِدَ بها لنَفْسِهِ، وشهدَ لَهُ ملائكتُهُ وأولُو العلمِ منْ خلْقِهِ. ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، بَلَّغَ البلاغَ المبينَ، وتَرَكَ أُمَّتَهُ على البيضاءِ لَيْلِها كنهارِها، لايزيغُ عنها إلاّ هالكٌ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، نهى سبحانه وتعالى عباده أن يقربوا الزنى، وهذا نهي عن فعل الزنى وعن أسبابه الموصلة إليه؛ وذلكَ لشَنَاعَتِهِ وقُبْحِهِ وسُوءِ آثارِهِ على المجتمعِ، ولهذا قالَ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ والفاحشةُ هي: ما تَنَاهى قُبْحُهُ، فالزِّنى قبيحٌ، تَنْفرُ مِنْهُ العُقولُ السليمةُ، والفِطرُ المستقيمةُ، وتنهى عنه جميعُ الشرائعِ الربانية؛ لما فيهِ مِنَ القُبْحِ، ولما فيه مِنَ الشناعَةِ؛ لأنَّ هذا الإنسانَ خلَقَهُ اللهُ وكَرَّمَهُ، وأباحَ لَهُ الطيباتِ، فإذا تعدَّى الحلالَ إلى الحرامِ سَقَطَ مِنَ الإنسانيةِ إلى حَضِيضِ البهيميةِ.

ولهذا يقولُ جلّ وعلاَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥ـ٧]، اللهُ جلّ وعلاَ أباحَ لعبادِهِ الاستمتاعَ بما أحلَّ لهمْ مِنَ الحلالِ

مِنَ الزوجاتِ ومِلْكِ اليمينِ؛ لما في ذلكَ من المصالحِ العظيمةِ، ولما في ذلكَ منْ بقاءِ النسلِ، والانكفافِ عما حرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى، ولهذا يقولُ النبيُّ ﷺ: **«يامَعْشَرَ الشَّبابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّهُ أَغَضُّ للبصرِ وأَحْصَنُ للفَرْجِ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بالصَّوْمِ، فإنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»**[1].

فالزنى قبيحٌ متناهي القُبحِ، وسمَّاه اللهُ جلّ وعلاَ: فاحشةً، وهذا أبلغُ في الذَّمِّ والتنفيرِ عنهُ، وقال النبيُّ ﷺ: **«لا أَحَدَ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أو تَزْنِي أَمَتُهُ»**[2] فمنْ فَعلَ الزِّنى فقدْ أغضبَ اللهَ سبحانه وتعالى، وحَرِيٌّ أنْ يُنزلَ اللهُ بهِ العقوبةَ الشنيعةَ، حيث قال عنه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، ساءَ طريقاً إلى الشرِّ والهلاكِ، فالزنى طريقٌ إلى الهلاكِ؛ لما فيه من إفسادِ المجتمعاتِ، ولما فيهِ مِنْ جَلْبِ الأمراضِ الفتاكةِ، ولما فيهِ مِنْ خَلْطِ الأنسابِ، ولما فيه منْ ضياعِ الأعراضِ، ولما فيهِ من إيقاعِ العَداواتِ بينَ الناسِ، فهو سبيلٌ إلى كُلِّ هلاكٍ وإلى كُلِّ دمارٍ.

ولذلكَ حرَّم اللهُ الوسائلَ: التي تُفضي إلى الزِّنى، فحرَّم سبحانه وتعالى النظَرَ إلى ما لايجوزُ النظرُ إليهِ مِنَ النساءِ والصُّوَرِ الفاتنةِ؛ لأنَّ ذلكَ يدعُو إلى الوقوعِ في الفاحشةِ، فالنظرةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ منْ سهامِ إبليسَ. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، [النور: ٣٠، ٣١]، وقال النبي ﷺ: **«لاتتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الثانية»**[3] أيْ لا إثْمَ عليكَ في النظرةِ الأُولى التي وقعتْ مِنْ غيرِ قصدٍ منك،

---

(١) البخاريُّ (١٩٠٥)، ومسلمٌ (١٤٠٠).
(٢) البخاريُّ (٥٢٢)، ومسلمٌ (٩٠١).
(٣) أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٨).

ولكنَّ النظرةَ الثانيةَ ليستْ لك، بل هي حرامٌ عليكَ؛ لأنَّكَ تكونُ مُتعمداً لها، فالنظرُ المُحرم وسيلةٌ منْ وسائِلِ الزِّنا.

فلا يجوزُ النظرُ إلى النِّساءِ بشهوةٍ، ولايجوزُ النظرُ إلى صُوَرِ النساءِ الفاتنةِ التي تُعرَضُ على الشاشاتِ في الفيديو أو التلفزيونِ أو غيرِ ذلكَ، أو الصورِ التي تُعرضُ في المجلاتِ الخليعةِ والجرائدِ الماجنةِ، أو الصورِ التي تُتبادلُ بينَ الرجالِ والنساء؛ لأنَّها وسيلةٌ إلى الزِّنى، تقودُ إلى الفاحشةِ وتزينُ القبيحَ. فالواجبُ: غَضُّ البَصَرِ عن هذهِ النظراتِ الآثمةِ بجميع أشكالِها، فإنَّها تَجُرُّ إلى الحرام، وتُوقعُ في الآثام.

وكذلك حرَّم الإسلامُ: الخلوَةَ بينَ الرجلِ والمرأةِ التي لاتَحِلُّ لَهُ، قالَ ﷺ: «مَا خَلا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلاّ وثَالِثُهما الشيطانُ»[١]، فلا يجوزُ للرجل أنْ يَخْلُوَ بامرأةٍ لاتحلُّ لَهُ، سواء كانتْ هذه الخُلْوةُ في بيتٍ، أو في بَرِيَّةٍ، أو في سيارةٍ، أو في مكتبٍ، أو عيادةِ طبيبٍ، أو غيرِ ذلكَ، لايجوزُ لمسلمٍ أنْ يَخْلُوَ بامرأةٍ لا تَحِلُّ لَهُ في أيِّ مكانٍ، وإن كانَ يقولُ: إنَّني لا أقصدُ شيئاً من المَحْذُورِ، وهذه امرأةٌ لها حاجةٌ، هذه امرأةٌ تعملُ مَعي في المكتبِ، هذه امرأةٌ بحاجةٍ إلى مَنْ يُوَصِّلُها إلى مدرستِها، أو إلى السوقِ، أو إلى غيرِ ذلكَ، فيحملُها معهُ وإنْ كانَ في الأَوَّلِ لايقصدُ الشَّرَّ، لكنْ إذا ركبتْ معهُ أو خَلَتْ معهُ، حَضَرَ الشيطانُ فزيَّن ما بينَهما، وقَرَّبَ ما بينَهما، وكَمْ وَقَعَ بسببِ هذهِ الخُلُواتِ بين الرجالِ والنساءِ منْ قبائحَ وفظائعَ.

كذلك حرَّم الإسلامُ: الدخولَ على النساءِ في بيوتِهِنَّ، فإذا جئتَ إلى بيتٍ وليسَ فيه إلا امرأةٌ، وهذهِ المرأةُ ليستْ منْ مَحَارِمِكَ، فلا يجوزُ لكَ أنْ تدخلَ

---

(١) لم أجده بهذا السياق والنهي عن الخلوة في الصحيحين وغيرهما.

عليها، إلا أنْ يكونَ معها في البيتِ منْ تزولُ بهِ الخُلْوَةُ من الرجالِ أو النساءِ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «إيَّاكُمْ والدُّخُولَ على النساءِ» قالَ رجلٌ: أرأيتَ الحَمُو يارسولَ اللهِ؟(الحَمُو: قَريبُ الزوجِ الذي يتردَّدُ على بيتِ قريبِهِ) قالَ ﷺ: «الحَمُو المَوْتُ»[1] أيْ: أنَّهُ أشدُّ خطراً منْ غَيْرِه. فلا يجوزُ أنْ تَدْخُلَ في بيتٍ ليسَ فيهِ إلاّ امرأةٌ أجنبيةٌ منكَ، ولو كانتْ زوجةً لأخيكَ مثلاً، أو مِنْ محارمِ قريبكَ، فإنكَ لاتدخلُ عليها؛ لما في ذلكَ من الفتنةِ والشَّرِّ، إلا إذا كانتْ منْ محارمِكَ.

وكذلكَ حَرَّمَ الإسلامُ: السُّفُورَ، وهو أنْ تكشفَ المرأةُ عَنْ وَجْهِها أو كَفَّيْها أو شيءٍ منْ بَدَنِها أمامَ الرجالِ؛ لأنَّ الواجبَ على المرأةِ أنْ تسترَ كَامِلَ جِسْمِها عنِ الرجالِ الذين لَيْسُوا منْ محارِمِها بِما في ذلكَ الوجهُ والكفانِ، فالوجهُ أشَدُّ فتنةً، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١].

فحرَّمَ على المرأةِ أنْ تُبْدِيَ شيئاً منْ جِسْمِها عندَ رجلٍ أو عندَ رجالٍ ليسُوا من محارِمِهَا؛ لما في ذلكَ مِنَ الفتنةِ، وكثيرٌ من النساءِ أَصْبَحْنَ اليومَ لايَعْبأنَ بهذا الأمْرِ الإلٰهيِّ، فيظهرنَ محاسنَهُنَّ، ويظهرنَ مفاتِنَهُنَّ عندَ الرجالِ أو خارجَ بيوتِهِنَّ، ويتباهين بذلكَ خصوصاً في حفلاتِ الزواجِ، وفي بيوتِ الأفراحِ، وفي الأسواقِ التجاريةِ، لاتبالي المرأةُ بما ظهرَ مِنها؛ لانَّ الشيطانَ يزيِّن لَها أنْ

(١) البخاريُّ (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢)، وغيرهما.

تعرض محاسنَها ومفاتِنَها على شياطينِ الإنسِ وعلى كلابِ البشرِ؛ لتفْتِنَهُمْ بذلكَ. وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُما: رِجَالٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِها النَّاسَ، ونِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عارِيَاتٌ مائِلاتٌ مُمِيلَاتٌ، رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لايَدْخُلْنَ الجَنَّةَ ولايَجِدْنَ رِيحَهَا»[1]، يلبسنَ لِبَاساً غَيْرَ ساترٍ ويَلْبَسْنَ ملابِسَ فاتِنَةً تُغْرِي بالنَّظَرِ إلَيْهِنَّ، فهذِهِ المرأةُ تعتبرُ سافرةً، وتعتبرُ هَاتِكةً للحجابِ الذي جَعَلَهُ اللهُ حمايةً لها وسُوراً يَحْمِيها منْ كلابِ البشرِ.

وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، والمرادُ بالحجابِ: ما يَسْتُرُ المرأةَ مِنْ جدارٍ أو بابٍ، أو ثوبٍ يسترُ جميعَ جِسْمِهَا عَنِ الرَّجُلِ ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، أي: هذا الحجابُ فيهِ الطهارةُ للقلوبِ، قلوبِ الرجالِ وقلوبِ النساءِ، منْ نجاسةِ الشهوةِ المحرّمةِ، وقذارةِ الأخلاقِ.

وكذلكَ حَرَّمَ الإسلامُ: سَفَرَ المرأةِ بدونِ محرمٍ، قالَ ﷺ: «لايَحِلُّ لامرأةٍ تُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ تسافِرَ إلا ومَعَها ذُو مَحْرمٍ»[2]، حَرَّم عليها السَّفَر بدونِ مَحْرَمٍ لأيِّ قصدٍ كانَ هذا السفرُ، حتى ولو كانَ للحجِّ والعُمْرَةِ، جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يارسولَ اللهِ، إنَّ امرأتي خَرجتْ حَاجَّةً، وإني اكتتبتُ في غَزْوَةِ كَذا وكَذا، قال: «اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأتِكَ»[3] فانظروا كيفَ أرْجَعَهُ مِنَ الغزوِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ، ليحجَّ مع امرأتِهِ ويكونَ مَحْرَماً لها. فلا يجوزُ سَفَرُ المرأةِ

---

(١) مسلمٌ (٢١٢٨).

(٢) البخاريُّ (١٨٦٢)، ومسلم (١٣٤١).

(٣) البخاريُّ (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١).

بدونِ محرمٍ لأيِّ قصدٍ كانَ، للحجِّ أو للعمرةِ أو للزيارةِ أو لغيرِ ذلكَ، لابدَّ منْ محرمٍ يكونُ معها، يصونُها ويحميها ويتولَّى شؤونَها؛ لأنَّها امرأةٌ ضعيفةٌ وَمَطْمَعٌ للرجالِ في أيِّ مكان، إنْ لَمْ يَكُنْ معها محرمٌ يصونُها ويكفُّ عنها شرَّ الأشرارِ وسواءٌ كانَ السفرُ على الأقدامِ، أو على الإبلِ، أو على السياراتِ، أو الطائراتِ، أو البواخرِ، أو غيرِ ذلكَ، فالنبيُّ ﷺ حرَّمَ السفر على المرأةِ مُطْلَقاً في أيِّ زمانٍ، وبأيِّ وسيلةٍ، إلا ومَعها ذُو محرمٍ يصاحبُها ويصونُها.

وكذلك حرَّمَ الإسلامُ: تبرُّجَ المرأةِ، وهو: تجمُّلُها وتزيُّنها وتَطيُّبها عندَ الخروجِ للشوارعِ، حتى الخروجَ للمساجدِ، فالمرأةُ مَنْهيَّةٌ أن تتزينَ إذا خرجتْ للمسجدِ، أوْ أنْ تَتَطيَّبَ، فكيفَ إذا خَرَجَتْ إلى غيرِهِ؟ قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والتبرجُ هو إظهارُ المحاسنِ، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ. «لاتَمْنَعُوا إماءَ اللهِ مساجِدَ اللهِ، وبيوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ، وليَخْرُجْنَ تَفِلَاتٍ»(١) (يعني يخرجنَ بغيرِ زينةٍ وبغيرِ طيبٍ حتى لايفتنَّ غيرهنَّ منَ الرجالِ والنساءِ).

فالواجبُ على المرأةِ: أنْ تتقيَ اللهَ في نفسِها وفي مجتمعها، وأنْ تتجنَّبَ ما حرَّمَ اللهُ عليها، وواجبٌ على أولياءِ النساءِ القيامُ عليهنَّ، وإلزامهنَّ بأحكامِ الإسلامِ، ومنعهنَّ منْ مخالفةِ الآدابِ الإسلامية، خصوصًا في هذا الزمانِ الذي كثرتْ فيهِ الفتنُ والمغرياتُ والشرورُ، وكَثُرَ فيهِ خروجُ النساءِ للأسواقِ وللأعمالِ ولغيرِ ذلكَ.

فالواجبُ على ولاةِ النساءِ: أنْ يَتَّقُوا اللهَ فيهنَّ، لأنهنَّ رَعِيَّةٌ تَحتَ رعايتهِمْ،

---

(١) روى الجزء الأول منه البخاريُّ (٩٠٠)، ومسلم (٤٤٢) زاد أبو داود (٥٦٥) «ولكن ليخرجن تفلات» وفي لفظٍ له (٥٦٧): «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خيرٌ لهن».

وهُمُ المسؤولونَ عنهنَّ ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

فالواجبُ على أولياءِ النساءِ، أن يَتَّقُوا اللهَ، وأنْ يَرْعَوْا نساءَهُمْ، ولايَتْرُكُوا لهنَّ الحَبْلَ على الغارِبِ، ولايتركوا لهنَّ الحريةَ فيما يُرِدْنَ، حتى المكالماتِ التليفونيةَ والمكالماتِ في الجوالاتِ، على الرجالِ أن يراعُوا النساءَ، وأنْ يتابعُوا مكالماتِهنَّ، لأنَّ المرأةَ إذا أُطلقَ لها العَنانُ، وأُعطيتْ وسيلةَ الاتصالِ، لايُؤمَنُ أنْ تَتَّصِلَ أو يُتَّصَلَ عليها، وأنْ يَحْصُلَ الكلامُ، ثم يَحْصُلَ الخروجُ، ثم يحصلَ الفسادُ.

فالواجبُ على المسلمينَ: يَتَّقُوا اللهَ في نسائِهِمْ، وأنْ يَحْمُوا نساءَهُمْ مما حرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى.

نسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يوفِّقَ جميعَ المسلمينَ للعملِ بما يرضيهِ، وأنْ يجنِّبَهُمْ أسبابَ مساخِطِهِ ومعاصِيهِ، إنَّهُ سميعٌ مجيبٌ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم: ٦].

باركَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ في رُبُوبِيَّتِهِ وإلٰهيَّتِهِ وأسمائِهِ وصِفاتِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: لما تنزَّلتْ هذهِ الأحكامُ ـ التي فيها الحمايةُ والحَيْطَةُ

للمسلمينَ ـ على رسولِ اللهِ ﷺ، وتمسَّكَ بِها المسلمونَ، وسارُوا على نَهْجِها، صارَ مجتمعُ المسلمينَ طاهراً نظيفاً عفيفاً، مَضْربَ المَثَلِ في الطهارةِ والنزاهةِ والعِفَّةِ، بعدَ أنْ كانُوا في الجاهليةِ على ضياعٍ في الأخلاقِ، وكانتِ النساءُ مُضَيَّعاتٍ نهباً لكلابِ البشرِ.

فلما جَاءَ الإسلامُ، صانَهُنَّ وحَفِظَهُنَّ وحماهُنَّ، فأصبحَ مجتمعُ المسلمينَ طاهراً نزيهاً تقيًّا نقيًّا، فلمَّا حَصَلَ بعدَ ذلكَ مِنْ بعض المسلمينَ أو كثيرٍ مِنَ المسلمينَ تساهلٌ في هذهِ الأحكامِ، وانقيادٌ لأخلاقِ الكفارِ وعاداتِ الكفارِ، حَصَلَ في مجتمعاتِ المسلمينَ مِنَ الضياعِ والتشردِ، وحصلَ فيها مِنَ الخَلَلِ، مالايخفى على ذي عقلٍ ولُبٍّ. ويتمثلُ هذا في المجتمعاتِ التي تَرَكَتِ الحَبْلَ على الغَارِبِ لنسائِها، يفعلنَ ما يَحْلُو لهنَّ منْ دونِ حسيبٍ ولا رقيبٍ، ماذا حصلَ في هذه المجتمعاتِ مِنْ ضياعِ الأخلاقِ، وتفكُّكِ الأُسَرِ، وضياع الأنساب، وانتشار الأمراض، وضياعِ الغَيْرَةِ؟ حتى أصبحتْ مجتمعاتٍ هَمَجِيَّةً، عادتْ إلى الجاهليةِ الأُولى، ولاحولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ.

فاتقوا اللهَ: أيّها المسلمون: وحافِظُوا على كرامَتِكُمْ، وتمسَّكُوا بأخلاقِ دينِكُمْ، حتى تكونُوا مِثْلَ سَلَفِكُمْ طاهرينَ نقيِّينَ في مجتمعاتِكُمْ.

واعلموا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . إلخ الخطبة.

* * *

في وقاية النفس والأهل من النار

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أَمَرَ بالزواجِ لقضاءِ الوَطَرِ، وانتشارِ البَشَرِ، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ [النساء: ١]، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وكَفَى باللهِ حَسيبًا، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ مبشراً ونذيراً، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسِراجاً مُنيراً، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله سبحانه وتعالى، واتقوا النارَ التي وَقُودُها الناسُ والحجارةُ، أعدتْ للكافرينَ. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم: ٦]. إنّكُمْ مُكلَّفُونَ بوقايةِ أَنْفُسِكُمْ منْ هذهِ النارِ، وبوقايةِ منْ ولاَّكُمُ اللهُ عليهمْ منْ أَهْلِيكُمْ منْ أولادِكُمْ وأزواجِكُمْ، وكُلِّ منْ يَسْكُنُ في بُيُوتِكُمْ، فإنّكُمْ مكلفون بوقايتِهِمْ بعدَ وقايةِ أنفسكُمْ منْ هذهِ النارِ التي لابدَّ منْ وُرُودِهَا ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]، ولاينْجُو مِنْها إلاَّ أهلُ التقوى ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢].

عبادَ اللهِ: إنَّ مُهِمَّةَ الأولادِ مُهِمَّةٌ عظيمةٌ، ومسؤوليةٌ كبيرةٌ، ومِنْ ثَمَّ كانتْ من دعواتِ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ: الدعاءُ بصلاحِ ذريَّاتِهِمْ، والدعاءُ لهمْ مَعَ الدعاءِ لأنفسِهِمْ، فهذا خَليلُ اللهِ إبراهيمُ، عليه الصلاةُ والسلامُ، يقولُ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ [الصافات: ١٠٠]، سألَ رَبَّهُ أنْ يَهَبَ لَهُ ذُرِّيَّةً

صالحةً، ويقولُ هوَ وإسماعيلُ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وهذا نبيُّ اللهِ زكريَّا يقولُ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨]، وهؤلاء عبادُ الرحمٰنِ يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤] وإبراهيم الخليلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ لِرَبِّهِ ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ويقولُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠].

فكانَ الأنبياءُ عليهم الصلاةُ والسلامُ يطلبونَ مِنَ اللهِ أنْ يَهَبَ لهمْ ذُرِّيَّةً صالحةً، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ الإسلامَ يهتمُّ بشأنِ الذريةِ، فإنَّ النبيَّ ﷺ يحثُّ على اختيارِ الزوجةِ الصالحةِ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «فَاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[1]، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «تَزَوَّجُوا الوَلُودَ، فإنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيامةِ»؛[2] وذلكَ لأنَّ الذريةَ الصالحةَ تَقْوَى بِها الأمةُ الإسلاميةُ، ويَعِزُّ بها جانبُ المسلمينَ، ويحصلُ بِها غيظُ الأعداءِ من الكفارِ والمنافقينَ. فيختارُ المسلمُ الزوجةَ الصالحةَ؛ لأنَّها تَعْمُرُ بيتَهُ بطاعةِ اللهِ عزَّ وجلّ، وتربِّي أولادَها على الخيرِ.

فالأمُّ هي اللّبِنَةُ الأُولى في الأسرةِ الصالحةِ، بل هي الأساسُ الذي تُبنى عليه الأُسرةُ الصالحةُ، وكذلك النبيُّ ﷺ وَجَّه الآباءَ عندَما يُولَدُ لَهُمْ ذُرِّيَّةٌ، أن يختاروا لمواليدِهِم الأسماءَ الحسنةَ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «خَيْرُ الأَسْماءِ: عبدُ اللهِ وعبدُ الرحمٰنِ» فيختارُ الأبُ لمولودِهِ الاسمَ الحسنَ؛ لأنَّ الإسمَ لَهُ تأثيرٌ على المُسَمَّى، ولأنَّ الإسمَ الحَسَنَ يَبْعَثُ على الفَألِ الحَسَنِ، ولهذا كانَ النبيُّ ﷺ إذا

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦) وأبو داود (٢٠٤٧) والنسائي (٣٢٣٠).
(٢) أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائيُّ (٣٢٢٧).

سمعَ الاسمَ الحسنَ تَفَاءَلَ بِهِ واستبشرَ، وكانَ ﷺ يغيِّرُ الأسماءَ غيرَ المناسبةِ إلى أسماءَ حسنةٍ، كما غيَّر بعضَ أسماءِ أصحابِه.

ويحرُمُ منَ الأسماءِ مَا عُبِّدَ لغيرِ اللهِ، كعبدِ الحسينِ، وعبدِ الكعبةِ، وعبدِ الرسولِ. فلا يجوزُ أنْ يُعَبَّدُ اسمٌ لغيرِ اللهِ عزّ وجلَّ.

وكذلكَ الشارعُ الحكيمُ شَرَعَ للآباءِ، إذا وُلِدَ لَهُمُ الأولادُ، أنْ يَخْتنُوهُمْ، ويزيلُوا عنهم القُلْفَةَ التي يكونُ بقاؤُها سبباً للأمراضِ، وسبباً لتراكُم النجاساتِ، فالختانُ مِنْ سُنَنِ الأنبياءِ، ومنْ خِصَالِ الفِطْرَةِ، وفيه مخالفةٌ للنصارى الذين لايَخْتِنُونَ، فَلِما في الختانِ مِنَ المصالحِ العظيمةِ فيبادرُ الأبُ بختانِ ابنِهِ عملاً بالسنةِ، وتزيينًا لهذا المولودِ.

وكذلكَ شُرِعَ لَهُ أنْ يَعُقَّ عنهُ، بأنْ يذبحَ عنهُ، عَنِ الغلامِ شَاتَيْنِ، وعن الجاريةِ شاةً؛ لما في العقيقةِ مِنَ التعبُّدِ للهِ بالذبحِ، ولما فيها مِنَ الشكرِ للهِ عزّ وجلّ، ولما فيها منْ فِداءِ المولودِ، كما فَدَى اللهُ سبحانه وتعالى إسماعيلَ عليه السلامُ بالذِّبحِ العظيمِ. العقيقةُ سُنَّةٌ نبويةٌ، عَمِلَ بِها رَسُولُنا محمدٌ ﷺ، فهيَ عبادةٌ عظيمةٌ.

وكذلكَ على الأبِ والأمِّ، إذا بلغَ المولودُ سَبْعَ سنينَ، أنْ يَأمُرُوهُ بالصلاةِ، وأنْ يَضْرِبُوهُ على تَرْكِها إذا بَلَغَ عَشْرَ سنينَ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**مُرُوا أولادَكُمْ بالصلاةِ لِسَبْعٍ، واضْرِبُوهُمْ عليها لعَشْرٍ، وفرِّقُوا بينهُمْ في المضاجِعِ**»[1]؛ وذلك لِيَنْشَأَ الطِّفْلُ على عبادةِ اللهِ، ويَتَضَمَّنُ أَمْرُهُ بالصلاةِ أمْرَهُ بالطهارَةِ، فيعلِّمُهُ والدُهُ كيفَ يتطهَّرُ مِنَ النجاسةِ، وكيف يتطهَّرُ مِنَ الحَدَثِ؛ لأجلِ الصلاةِ، ويتضمنُ كذلكَ أَمْرُهُ بالصلاةِ: إحضارَهُ إلى المساجِدِ والصلاةَ معَ المسلمينَ؛

---

(١) أبو داود (٤٩٤)، وغيره.

ليألف المساجدِ، وليتعرفَ على إخوانِهِ المسلمينَ، وليكتسبَ مِنْ أخلاقِهِمُ الطيبةِ، وينشأَ على ذِكْرِ اللهِ عزّ وجلّ.

وكذلكَ أَمَرَ النبيُّ ﷺ بضربِهِمْ على ترك الصلاة عندَ بلوغِ سِنِّ العاشرة، ليذوقوا عقوبةَ المعصيةِ إذا تركوا الصلاةَ، ويتضمنُ هذا ضَرْبَهُمَ على كُلِّ ما يخالفُ الأخلاقَ الكريمةَ والآدابَ الشرعيةَ، فإنَّ الضربَ وسيلةٌ منْ وسائِلِ التربيةِ، لكنَّهُ الضربُ المتوسطُ، الذي ليسَ فيه شدةٌ تخرِجُ عن المطلوب، ويحصلُ منهُ الضررُ، ولايكونُ بالضربِ الهيِّنِ الذي لا أَثَرَ لَهُ، بل يكونُ ضرباً متوسطاً، ويكونُ بعددٍ محدودٍ، خَمْسِ ضرباتٍ إلى عَشْرِ ضرباتٍ متوسطةٍ؛ حتى يذوقَ العقوبةَ على المخالفاتِ، فيبغضَ المخالفاتِ، ويبغضَ المعاصي فالضربُ وسيلةٌ منْ وسائِلِ التربيةِ أَهْمَلَها كثيرٌ منَ الناس، بزعمهمْ أنهمْ يرحمونَ الأولادَ، والرحمةُ إنما هي في تأديبهم، فتأديبُ الصغيرِ يؤثِّرُ في نَفْسِهِ، بُغضاً للمخالفاتِ، ويعلمُ أنَّ هناكَ عقوباتٍ أشدَّ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، فَيَنْشَأُ على البعدِ عنِ المخالفاتِ.

وكذلكَ أوصى النبيُّ ﷺ بالتفريق بينَهم في المضاجِعِ إذا بلغوا العَشْرَ، فإنَّهُمْ لايُتْرَكُونَ ينامونَ جميعاً بعضَهم إلى جانبِ بعضٍ؛ لما يُخشى أنْ تدبَّ بينَهُمُ الفتنةُ والشهوةُ، فيباعَدُ فراش بعضِهِمْ عنْ فراشِ الآخَرِ، فإذا كانَ الآباءُ مسؤولينَ عن الأولادِ في مَرَاقِدِهِمْ، فكيفَ لايكونونَ مسؤولينَ عن الأولادِ في خُرُوجِهِمْ منَ البيوتِ، وفي مخالطتِهِمْ للناسِ؟ ولاسيَّما لأهلِ السَّفَهِ والفسادِ والمعاصي؟

إنَّهُ يجبُ على الآباء: أنْ يُرَاقِبُوا أولادَهُمْ، وأنْ يُجنِّبوهُمْ مجالسَ السُّوءِ وقُرناءَ السُّوءِ، فليسَ اسْتِصْلاحُهُمْ مَقْصُوراً على البيوتِ فقطْ، وإنَّما استصلاحُهُمْ خارجَ البيوتِ آكَدُ وأشَدُّ، لاسيَّما في مثلِ هذا الزمانِ الذي كثُرتْ

فيه الفتنُ، وكثُر فيهِ دعاةُ السوءِ والفسادِ، فيجبُ على الآباء أنْ يتابِعُوا أولادَهُمْ: أينَ يذهبونَ؟ وإلى مَنْ يجلسونَ ويُجالسونَ؟ عليهمْ أنْ يتابِعُوا أولادَهُمْ ويجنِّبوهُمْ المجامعَ المشبوهةَ ولايتركوهمْ إلا مَعَ من يثقونَ بدينه وأَمانتِهِ، فإنَّ الأولادَ رعيةٌ تحتَ آبائِهِمْ، قالَ ﷺ **«كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**. فكيفَ لو رأيتَ كثيراً مِنَ الناسِ اليومَ لايُبالُون بأولادِهِمْ: أينَ يذهبونَ؟ ولامِنْ أينَ يَأْتُونَ؟ وربَّما لايأتونَ إلى البيوتِ إلا في آخِرِ الليلِ، أو بَعْدَ صلاةِ الفَجْرِ، ولايَدْرِي مِنْ أينَ جَاءُوا؟ ولا إلى أينَ ذَهَبُوا؟ فلا حولَ ولاقوةَ إلا بِاللهِ، مِنْ أينَ يُرْجَى الصلاحُ مع هذا الإهمالِ العظيمِ؟!

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ في أولادِكُمْ، واعَلمُوا أنَّكُمْ مَسْؤولونَ عنهم، فكيفَ بالآباءِ الذين يَجْلِبون لأولادِهِمْ مايفسدُهُمْ في البيوتِ، يجلبونَ لَهُمُ الصورَ الخليعةَ، ويَجْلِبُونَ لهم الدُّشُوشَ التي تَبُثُّ بينهَم أنواعَ الفتنةِ وأنواعَ الشرورِ، مِنْ مُخْتَلَفِ محطات العالمِ الماجنةِ، تَصبُّ في بُيُوتِهِمْ، وعلى مَرْأَى ومَسْمَعٍ منهمْ، وتفسدُ أولادَهُمْ، وتَفْسِدُ أَهْلَ بُيُوتِهِمْ، وهم راغِبُونَ في ذلكَ، ويعتبرونَهُ مِنَ التقدمِ، ويعتبرونَهُ من المَدَنيَّةِ، ويعتبرونَهُ مِنَ الحريةِ إنَّهُ مِنَ التَّمَدُّنِ المَمْقُوتِ، والتمُّدنِ المذمومِ، فإنَّ التمدنَ الصحيحَ هو: ما جاءَ بِهِ الإسلامُ، وماجَاءَ في آدابِ الإسلامِ، هذا هو التمدنُ الصحيحُ، أم التمدُّنُ الغربيُّ، والتمدُّنُ ألأمريكيُّ، والتمدُّن الكافرُ، فإنَّ هذا فسادٌ ودمارٌ، أَفْسَدَ مجتمعاتِهِمْ، ويريدونَ أنْ يُفْسدُوا بِهِ مجتمعاتِنا.

إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُعْنَى بالشبابِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ مُوَجِّهاً للشباب: **«يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّهُ أَغَضُّ للبَصَرِ، وأَحْصَنُ للفَرْجِ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بالصَّوْمِ، فإنَّهُ لَهُ وجَاءٌ»**[1]. وقالَ ﷺ لعُمَرَ بن أبي

---

(١) البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠).

سَلَمةَ ـ وكان ربيباً له في حِجْرِهِ معلِّماً لَهُ كَيْفَ يأكلُ، ومعلِّما لَهُ آدابَ الطعام: «يا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وكُلْ بِيَمِينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[1]، وقالَ ﷺ لابنِ عَمِّهِ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما، وكان غلاماً صغيراً: «ياغلامُ، إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بِاللهِ، واعلمْ أنَّ الخَلْقَ لو اجْتَمَعُوا على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيءٍ قدكَتَبَهُ اللهُ لَكَ، ولو اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ»[2].

هذهِ توجيهاتٌ مِنَ النبيِّ ﷺ لشبابِ المسلمينَ، وكَمْ لَهُ ﷺ مِنْ مِثْلِها من التوجيهاتِ العظيمةِ؛ مِمّا يَدُلُّ على العنايةِ بشبابِ المسلمينَ؛ لأنَّهُمْ عُدَّةُ المستقبلِ، وهُمْ أَمَلُ الأُمَّةِ.

فاتقوا اللهَ بشبابِكُمْ عموماً، واتقوا اللهَ في أولادِكُمْ ومنْ تَحتَ أيْدِيكُمْ خُصوصاً.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

بارَكَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فَضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه

---

(١) البخاريُّ (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢) وغيرُهما.
(٢) الترمذيُّ (٢٥١٨).

وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله سبحانه وتعالى.

عبادَ اللهِ: اعلَمُوا أنَّ لاستصلاحِ الأولادِ وتربيتِهِمْ على الخيرِ مصالحَ عظيمةً لآبائِهِمْ ولعُمُومِ المسلمينَ، قالَ ﷺ: **«إذا مَاتَ ابنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، إلا مِنْ ثلاثٍ: صَدَقةٍ جَارِيةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالحٍ يَدْعُو لَهُ»**[١] فصارَ في استصلاحِ المولودِ وتربيتِهِ على الخيرِ والطاعةِ فائدةٌ عظيمةٌ في الحياةِ وبعدَ المماتِ، ففي الحياةِ يكونونَ قُرَّةً لأعينِ آبائِهِمْ، يُسَرُّون بِهِمْ في حياتِهِمْ، ويَنْفَعُونَهُمْ، وإذا ماتُوا فإنَّهم يَدْعُونَ لَهُمْ، ويتصدَّقونَ عَنْهُم، ويحجونَ ويعتمِرُونَ عَنْهم، ويستغفرونَ لَهُمْ.

فما بَالُكُمْ بالأولادِ الفاسدينَ، والأولادِ غيرِ الصالحينَ؟ ماذا ينتفعُ آباؤهم منهم في حياتِهِمْ وبعدَ مماتِهِمْ، إنَّهُمْ لايَجْنُون منهم إلا الضرَر والحَسَراتِ، كما هو الواقعُ لكثيرٍ مِمَّنْ ضَيَّعوا أولادَهُمْ.

كذلكَ يا عبادَ اللهِ، مِنَ التربيةِ الصحيحةِ: أنْ لايَحِيفَ الوالدُ مَعَ بعضِ أولادِهِ، فيُعْطِي بعضَهم ويُحْرِمُ البَعْضَ الآخر، قال ﷺ: **«اتقُوا اللهَ واعْدِلُوا بَيْنَ أوْلادِكُمْ»**[٢]، ولما أَعْطَى بعضُ الصحابةِ بَعْضَ وَلَدِهِ عطيةً وجاءَ ليشهدَ الرسولَ ﷺ قـالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: **«أكُلّ أولادِكَ أعطيتَ مثل هذا؟»** قالَ: لا. قال: **«أَشْهِدْ على هذا غَيْرِي، فإنِّي لا أَشْهَدُ على جَوْرٍ. أَيَسُرُّكَ أنْ يَكُونُوا في البرِّ لَكَ سواءً؟»** قال: نَعَمْ، قال: **«فلا إذاً»**[٣].

---

(١) مسلم (١٦٣١)، وأبوداود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، والنسائي (٣٦٥١).
(٢) مسلم (١٦٢٣).
(٣) مسلم (١٦٢٣).

وبعضُ الآباءِ إذا نُصح في تربية أولادِهِ ومتابعتِهِمْ، يقولُ: الصلاحُ بِيَدِ اللهِ، والهدايةُ بِيَدِ اللهِ. نَعَمْ، إنَّ الصلاحَ بيدِ اللهِ، والهدايةَ بيدِ اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ولكنْ للصلاحِ والهدايةِ أسبابٌ تَبْذُلُها أنتَ، فإذا قمتَ بالأسبابِ وأدَّيتَ الواجبَ، فإنَّ الهداية بيدِ اللهِ، أمّا إذا أَهْمَلْتَ وضيَّعتَ، فإنَّ اللهَ يعاقبُكَ بفسادِ أبنائِكَ؛ لأنَّكَ أَهْمَلْتَهُمْ وضيَّعْتَهُمْ، ولَمْ تَقُمْ بالواجبِ عليكَ نَحْوَهُمْ، ولَمْ تَبْذُلِ الأسبابَ الصحيحةَ. والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرةِ، فأبواهُ يُهوِّدَانِهِ أو يُنصِّرانِه أو يُمَجِّسَانِه**»[1]، المولودُ يُولَدُ على فِطْرةٍ صحيحةٍ قابلَةٍ للخيرِ والتوجيهِ، فهيَ مثلُ التُّرْبَةِ الصالحةِ، قابلةٌ للزراعةِ والنباتِ، ولكنَّ هذه التربةَ وهذهِ الفطرةَ إذا أُهملتْ وتُركتْ، أوْ وُجِّهَتْ وِجهةً سَيِّئَةً، فإنَّها تُفْسِدُ وتُضَيِّعُ؛ ولهذا قالَ ﷺ «**فَأَبَواهُ يُهَوِّدَانِه**» أيْ يَجْعَلانِهِ يهودياً «**أو يُنَصِّرَانِه**» أيْ: يجعلانِهِ نصرانياً أو يُمَجِّسَانِهِ أيْ: يَجْعَلانِهِ مَجُوسياً. وذلكَ بسببِ تربيتهِ على هذه المِلَلِ الكافرةِ، وصَرْفِهِ عن مِلَّةِ الإسلام التي وِلِدَ مَفْطورًا عليها.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمونَ وحافِظُوا على فِطَرِ أولادِكُمْ، واغْرِسُوا فيها الخيرَ، فإنَّها قابلةٌ لذلكَ، ولاتَتْرُكُوها عُرضةً للشَّرِّ والفسادِ والمفسدينَ، فإنَّ مَسْؤُولِيَّتَكُمْ عَنْهُمْ أمامَ اللهِ عظيمةٌ.

واعلَمُوا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ الله.. إلى الخطبة.

* * *

---

(١) البخاريُّ (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

في الاعتبار بما يجري من الحوادث والكوارث وانحبـــاس الأمطـــــــار

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، يُعْطِي ويَمْنَعُ، ويُخْفِضُ ويَرْفَعُ، لا مانعَ لما أَعْطَى، ولا مُعْطِيَ لما مَنَعَ ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وَحدَهُ لاشريكَ لَهُ في رُبُوبيَّتِهِ وإلٰهيَّتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، المبعوثُ بالرحمةِ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّابعدُ: أيّها الناسُ: اتقو اللهَ تعالى، واعَلمُوا أنَّهُ مانزَلَ بَلاءٌ إلاّ بِذَنْبٍ، ولارُفِعَ إلا بِتَوْبَةٍ، وأنَّ الذنوبَ والمعاصي هي سَبَبُ العذابِ والشقاءِ في الدنيا والآخرةِ، فما هَلَكَ قَوْمُ نُوحٍ وعادٌ وثمودُ وقومُ إبراهيمَ وأصحابُ مَدْيَنَ والمُؤْتَفِكَاتُ، وغيرُهُمْ مِنَ الأُمَمِ، إلا بِسَبَبِ الذنوبِ والمعاصي.

فاتقوا اللهَ، وحاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ، وأَصْلِحُوا ما فَسَدَ مِنْ أعمالِكُمْ، بالتوبةِ والرجوعِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى فإنَّ الذنوبَ سببٌ لكُلِّ شرٍّ، وإنَّ الطاعاتِ سببٌ لكلِّ خيرٍ، قالَ تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

فالفسادُ في البَرِّ: بما يصيبُ الناسَ مِن انحباسِ الأمطارِ، الذي يترتبُ عليهِ غَوْرُ الآبارِ، وموتُ الأشجارِ، وقلةُ الثمارِ، وغلاءُ الأسعارِ، وغيرُ ذلكَ من المصائبِ.

والفسادُ في البحرِ: بما يصيبُ البحرَ منْ تَلَفِ الأموالِ، وغرقِ المراكبِ، وغير ذلكَ، وانقطاع وسائلِ السفرِ والنقلِ بينَ أرجاءِ الأرضِ؛ بسببِ هيجانِ البحارِ.

كُلُّ ذلكَ بسببِ الذنوبِ والمعاصي، كما قال تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، والحِكْمَةُ في ذلكَ ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا﴾، ولو أذاقَهُمْ كُلَّ الذي عَمِلُوا، لما بقيَ على الأرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥].

وأنتمْ تسمعونَ ما يحدثُ في أرجاءِ الأرضِ من المصائبِ والنَّكَبَاتِ، وتشاهدونَ بعضَهُ، مِنَ الزلازلِ المدمِّرةِ، والفيضاناتِ المُغْرِقةِ، والحروبِ الطاحنةِ، كُلُّ ذلكَ يحدثُ ويتكررُ على مَرْأَىً ومَسْمَعٍ منكُمْ، فأينَ الاعتبارُ؟ وأينَ العِظَةُ؟ وماتعيشونَهُ الآنَ من انحباسِ المطرِ عنكمْ، وتأخُّرِ نزولِهِ عليكمْ، ماهو إلاّ بسبب ذُنُوبِكُمْ ومعاصيكُمْ، ففي الحديث الذي رواه ابنُ ماجَه قولُ النبيِّ ﷺ: «ومَا نَقَصَ قَوْمٌ المَكَايِيلَ والمَوَازِينَ إلا ابْتُلُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المَؤُونَةِ وجَوْرِ السلطانِ، ومامَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أمْوَالِهِمْ إلا مُنِعوا القطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، ولَوْلاَ البَهائِمُ لم يُمْطَرُوا»[1].

ذَكَرَ ﷺ أنَّ بَخْسَ المكاييلِ، يعني: نقصَ المكاييلِ والموازينِ، وبَخْسَ الناس أشياءَهُمْ، سَبَبٌ للعقوباتِ الكثيرةِ المتنوعَةِ، من السِّنِينَ، وهي: الجَدْبُ الذي يصيبُ الناسَ، وشِدَّةُ المؤونةِ، مِنْ غلاءِ الأسعارِ وقِلَّةِ المكاسِبِ، وجَوْرِ السلطانِ، جَوْرِ الولاةِ الظَّلَمَةِ على الناسِ في دمائِهِمْ وأموالِهِمْ، كُلُّ ذلكَ بسبَبِ هذهِ الجريمةِ العظيمةِ، وهي بَخْسُ الناسِ حُقُوقَهُمْ، ومِنْ ذلكَ: تطفيفُ

(١) ابنُ ماجة (٤٠١٩).

المكاييلِ والموازينِ، بِنَقْصِها عن المقدارِ الواجبِ، والقسطاسِ المستقيمِ الذي يُؤَدِّي الحقَّ إلى أهْلِهِ مِنْ غَيرِ ظُلْمٍ ولاحَيْف، وقدْ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١]، مَنْ هُمْ؟ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٢ـ٦].

فَهُمْ إذا أَخَذُوا حقَّهُمْ أَخَذُوهُ وافيًا، وإذا دَفَعُوا حُقُوقَ الناسِ دَفَعُوهَا ناقِصَةً.

ومِنْ ذلكَ: نَقْصُ الأكياسِ بِسَحْبِ شيءٍ منها خُفْيَةً، ونقصِ الصناديقِ بسحبِ شيءٍ منها خَلْسةً وخُفيةً، وبَيْعِها على أنَّها وافيةٌ تامةٌ، ومنْ ذلكَ: تدليسُ السِّلَعِ، بإخفاءِ عيوبِها وسَتْرِها، وإظهارِهَا المظهرِ اللائقِ، ومنْ ذلكَ: تغييرُ ما في أسافِلِ الأَوْعِيَةِ مِنَ الخُضارِ والتُّمورِ وغيرِ ذلكَ، بأنْ يَجْعَلَ جَيِّدَها أعْلاَها، ورديئَها أسْفَلَها، حتى يَنْخَدِعَ مَنْ لايَفْطُنُ لهذِهِ الحيلةِ الخبيثةِ، ويظنُّها كُلها سواءً، وقد مَرَّ النبيُّ ﷺ ببائعِ طعامٍ، فأدْخَلَ ﷺ يَدَهُ في الطعامِ، أَدْخَلَ يَدَهُ الشريفةَ في هذا الطعامِ، فأدركَ في أسْفَلِهِ بللاً لَمْ يُظْهِرْهُ البائعُ، فقالَ: «مَا هَذايا صَاحِبَ الطعامِ؟!» فقالَ: أَصَابَتْهُ السماءُ يارسولَ اللهِ (يعني: أَصَابَهُ المَطَرُ) قالَ: «هَلاَّ جَعَلْتَهُ ظاهِراً حتى يَرَاهُ الناسُ؟! مَنْ غَشَّنا فليسَ مِنَّا»(١).

يا لَها مِنْ مصيبةٍ عظيمةٍ! يَعْتَبِرُ كثيرٌ مِنَ الناسِ أنها مِنَ المهارة، وأنَّها من الحَذْقِ في البَيْعِ والشراءِ والمعاملةِ، أنْ يَخْدَعَ الناسَ، وأنْ يَمْكُرَ بالناسِ، وأنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ منهمْ وافياً، ويَدْفَعُ حُقُوقَهم ناقصةً، في مكاييلِهِمْ وموازينِهِمْ وأكياسِهِمْ وصناديقِهِمْ وأوعيةِ طعامِهِمْ، ولايُظهرُ لهم ما فيها مِنَ العيُوب،

---

(١) مسلمٌ (١٠٢).

ولا يُخبِرهُمْ عما فيها مِنَ النَّقْصِ ، بل يكذبُ عليهمْ ويَخْدَعُهُمْ. إنَّ اللهَ أَهْلَكَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ بِسَبَبِ ذلكَ، كَمَا أَهْلكَ قَوْمَ شُعَيْبِ الذينَ يَنْقُصُونَ المكاييلَ والموازينَ، ويبخسونَ الناسَ أشياءَهُم، أَهْلَكَهُمُ اللهُ عن آخِرِهِم، كما قَصَّ اللهُ ذلكَ عليكُمْ في مُحْكَمِ كتابِهِ؛ منْ أجْلِ أنْ تَعْتَبرُوا وتَتَّعِظُوا.

وأمّا الجريمةُ الثانيةُ المذكورة في هذا الحديثِ، فهي قولُهُ ﷺ: «وما مَنَعَ قَوَمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السماءِ ولولا البَهائِمُ لم يُمْطَرُوا»، اللهُ جلّ وعَلا أَوْجَبَ الزكاة في أموالِ المسلمينَ، وفرضها عليهم، وجعلها هي الركنَ الثالثَ مِنْ أركانِ الإسلامِ، وهي قرينةُ الصلاةِ في كتابِ الله عزّ وجلّ، وهي ﴿حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، حَقٌّ ليسَ للإنسانِ فيه فَضْلٌ وإنَّما هُوَ حَقٌّ واجِبٌ عليهِ، وفريضةٌ عليهِ، ورُكْنٌ مِنَ أركانِ دِينِهِ، فيجبُ عليه أنْ يُخْرِجَ زكاةَ مالِهِ تامةً وافيةً، فإنَّ نَقَصَ شيئاً مِنْ زكاةِ مالِهِ، وبقيَ شيء من ماله لم يُزَكَّ، فإن ذلك بِسبب عُقُوبَتَيْنِ:

عقوبةٌ خاصةٌ بالمجرِمِ، وهي: أنَّ الله يَمْحقُ بَرَكَةَ مالِهِ، أو يُتْلِفُهُ، فما هَلَكَ مالٌ في بَرٍّ أو بحرٍ إلا بسببِ منعِ الزكاةِ.

وعقوبةٌ عامةٌ وهي مَنْعُ القَطْرِ منَ السماءِ، فإنَّ الناسَ إذا مَنعُوا الزكاةَ، أو كانَ فِيهم مَنْ يمنعُ الزكاةَ ولا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، فإنَّ اللهَ يمنعُ القَطْرَ منَ السماءِ جزاءً بما كَسَبَتْ أيديهِمْ، فكما مَنَعُوا حقَّ اللهِ سبحانه وتعالى في أموالِهِمْ مَنعَ اللهُ فَضْلَهُ عنهمْ، وليْسوا في غنىً عَنِ اللهِ سبحانه وتعالى طَرْفَةَ عَيْنٍ.

ولهذا منْ منعَ الزكاةَ جحداً لوُجُوبِها، فإنَّهُ يكفرُ ويرتدُّ عنْ دينِ الإسلامِ، ويجبُ استتابَتُهُ، فإنْ تابَ وأدّى الزكاةَ وإلا فإنَّهُ يُقْتَلُ مرتداً خارجاً عنْ دينِ الإسلامِ، وإنْ منعهَا بُخلاً بِها مع إقرارِهِ بوجُوبِها، فإنَّهُ يُلْزَمُ بإخراجِها، ويُعزَّرُ بما يراهُ وليُّ أَمْرِ

المسلمينَ رادعاً لَهُ، ولو أدَّى ذلكَ إلى قتالِهِ، كما قاتلَ أبُوبكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ عنهُ وصحابةُ رسولِ الله، قاتلوا مانعي الزكاةِ حتى أَخَذُوها منْهم قَهْراً.

فَأَمْرُ الزكاةِ ليسَ بالأمرِ الهيِّنِ، وبعضُ الناسِ قد يتساهلُ بشأنِ الزكاةِ، خصوصاً إذا كانتْ زكاةُ مالِهِ مبالغَ كثيرةً، قد يكونُ عندَ الإنسانِ الملايينُ والملياراتُ منَ الأموالِ، فتكونُ زكاتُها مِقْدَاراً كثيراً، فيتثاقَلُ عنْ إخراجِهِ، فلا يخرجُهُ كاملاً، أو لايخرجُ منهُ شيئاً، فيسبِّبُ ذلكَ هلاكَهُ وهلاكَ غيرِهِ مِنَ الناسِ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يغارُ إذا انتُهكت محارِمُهُ، ويغضَبُ سبحانه وتعالى إذا تُركتْ فرائضُهُ وارتُكبتْ محارِمُهُ، وغَضَبُ اللهِ جلّ وعلاَ لايقوم لَهُ شيءٌ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحاسِبُوا أنفسَكُمْ، وأخرجُوا زكاةَ أموالكمْ، طيبةً بها نُفُوسُكُمْ، أخرجُوها كاملةً، لايكفي فيها الخَرْصُ والتخمينُ، بأنْ يقدِّر الإنسانُ مقداراً منَ المالِ ويقولُ: هذا يَكْفِي أو ربَّما أنَّ هذا أكثرُ مِنَ الذي يجبُ عليّ، أو ينقصُ قليلاً. لايجوزُ التقديرُ والتخمينُ لابدَّ منَ الحسابِ، أنْ يحسبَ الإنسانُ حساباً دقيقاً ما عندَهُ مِنَ الأموالِ عِنْدَ رأسِ الحَوْلِ، من النقودَ ومنَ البضائِعِ فيَجْرُدُ البضائعَ التي عندَهُ للبيعِ، يجردُهَا واحدةً واحدةً، ويقدرُ أثمانَها بما تساوِي عند تمامِ الحَوْلِ، ثم يخرجُ زكاتَها بمقدارِ رُبْعِ العُشْرِ، أي بمقدارِ ريالينِ ونصفٍ في كُلِّ مِئَةٍ، لابدَّ منَ الحسابِ التامِّ والحسابِ الدقيقِ والإحصاءِ لكلِّ ما عِنْدَهُ؛ حتى تَبْرَأ ذمتُهُ، وحتى يؤدِّيَ الواجبَ عليهِ، لأنَّها فريضةٌ منْ فرائِضِ اللهِ سبحانه وتعالى، وهي قرينةُ الصلاةِ.

فكما يَجِبُ على المسلمِ أنْ يقيمَ الصلاةَ، يجبُ عليهِ أنْ يُؤْتِيَ الزكاةَ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أمَرَ اللهُ بِهِما في كثيرٍ منَ الآياتِ القرآنيةِ. ولهذا يقولُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ، لما عَزَمَ على قتالِ مانِعي الزكاةِ،

قالَ: واللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فرَّقَ بَيْنَ الصلاةِ والزكاةِ. وفي روايةٍ: واللهِ لو مَنَعُونِي عِقالاً كانُوا يؤدُّونَهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، لقَاتَلْتُهُمْ عليهِ. وفي روايةٍ: لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كانُو يؤدُّونَها إلى رسولِ اللهِ ﷺ لقاتلتُهمْ عليها. يقاتلهُم على العِقالِ، وعلى العَنَاقِ الصغيرةِ، فكيفَ بالذي يمنعُ المبالغَ الطائلةَ منَ الزكاةِ ولايخرجُها؟ نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ «ومَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السماءِ» تأخّرَ عنكُمْ نُزُولُ المطرِ، وبيَّن لَكُمْ رسولُ اللهِ ﷺ سَبَبَ ذلكَ «ما مَنَعَ قَوْمٌ زكاةَ أموالِهِمْ إلا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّماءِ».

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأدُّوا ما أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ، منَ إخراجِ زكاةِ أموالِكُمْ، ومِنَ الصِّدْقِ في معاملاتِكُمْ وبَيْعِكُمْ وشرائِكُمْ، أَعْطُوا الناسَ حُقُوقَهُمْ كَامِلةً، كما تَأْخُذُونَ مِنْهُمْ حُقوقَكُمْ كامِلَةً.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

بَاركَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، والْهَجُوا بالدعاءِ إلى اللهِ والاستغفارِ والتوبةِ إلى اللهِ؛ منْ أجْلِ أنْ يَرْفَعَ مابِكُمْ، ومنْ أجلِ أنْ يَسْقِيَكُمُ الغَيْثَ، قالَ اللهُ سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٨﴾ [الشورى: ٢٨]، فلا تَقْنَطُوا منْ رحمةِ اللهِ سبحانه وتعالى، ولكنِ

اعمَلُوا الأسبابَ التي تسبِّبُ رحمةَ اللهِ سبحانه وتعالى، فإنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ منَ المحسنينَ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣].

فأكْثِرُوا مِنَ الاستغفارِ والتوبةِ إلى اللهِ، وادْعُوا اللهَ أنْ يُغيثَ المسلمينَ، فإنَّ اللهَ جلَّ وعلاَ قريبٌ مجيبٌ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه وتعالى عن نوحٍ عليهِ السلامُ إنَّهُ قالَ لقومِهِ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ـ١٢]، وقال هُودٌ عليهِ السلامُ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

وليسَ الاستغفارُ باللسانِ فقطْ، ولكنَّهُ استغفارٌ باللسانِ، واستغفارٌ بالأعمالِ، بإصلاحِ الأعمالِ، بأداءِ الواجباتِ، وتَرْكِ المحرماتِ، والرجوعِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، هذا هو الاستغفارُ النافعُ، أمَّا الاستغفارُ باللسانِ فقطْ مع الاستمرارِ على المخالفاتِ والذنوبِ والمعاصي، فإنَّ هذا الاستغفارُ لايَنْفَعُ.

ثم اعلَمُوا رحمكمُ اللهُ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

التَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ

الحمدُ للهِ ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقو اللهَ تعالى بفعلِ أوامرِهِ وتركِ نواهيهِ، واعبدُوهُ حقَّ عبادتِهِ، فإنَّهُ سبحانه وتعالى لذلكَ خَلَقَكُمْ، وبذلكَ أَمَرَكُمْ، قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]، وقالَ سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أيُّها المؤمنونَ: إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَبْتَلِي عبادَهُ في هذهِ الحياةِ، يبتليهمْ بالخيرِ والشرِّ، ويبتليهمْ بأنواعٍ مِنَ الابتلاءاتِ؛ ليتميزَ المؤمنُ مِنَ المنافقِ، ويتميزَ الصادقُ مِنَ الكاذبِ، إنَّ الإنسانَ في هذه الحياةِ مُعَرَّضٌ لكثيرٍ مِنَ الفتنِ التي تصدُّهُ عنْ طاعةِ اللهِ، وتُغريهِ بالمعاصِي والمخالفاتِ، نَفْسٌ أمّارةٌ بالسوءِ، إلا ما رَحِمَ رَبِّي، وشياطينُ منْ شياطينِ الإنسِ والجنِ ﴿ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ

زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، يَدْعونَ الناسَ إلى المعاصي والذنوبِ، ويزيِّنونَ لَهُمُ القبائحَ والعيوبَ، ويبغِّضُونَ إليهمُ الطاعاتِ وهناكَ مغريات كثيرةٌ مِنَ الشهواتِ والشُّبهاتِ يتعرَّضُ لها الإنسانُ، مادامَ على قَيْدِ الحياةِ، فهو بحاجةٍ إلى أَمْرَيْنِ:

الأمرُ الأولُ: الاستعانةُ باللهِ سبحانه وتعالى، والتوكُّلُ عليه، والاعتمادُ عليه سبحانه في أنْ يَحْمِيَهُ منْ هذهِ الفتنِ وهذهِ الشرورِ، فإنَّ مَنِ استجارَ باللهِ أجَارَهُ، ومن استعاذَ باللهِ أعاذَهُ. وعليه الصبرُ على طاعةِ اللهِ، والصبرُ عنْ محارمِ اللهِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

الأمرُ الثاني: إذا وَقَعَ في شيءٍ من المعاصِي والمخالفاتِ، فعليهِ أنْ يبادِرَ بالتوبةِ، والتوبةُ هي: الرجوعُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، بالرجوعِ إلى طاعتِهِ مِنْ معصيتِهِ، والرجوعِ إلى طريقِ الحقِّ منْ طريقِ الخَطَأِ، فالتوبةُ معناها: الرجوعُ، الرجوعُ مِنَ الشرِّ إلى الخيرِ، والرجوعُ من الخطأ إلى الصوابِ، الرجوعُ مِنَ الذنوبِ إلى الطاعاتِ، وقد أمَرَ اللهُ سبحانه وتعالى عبادَهُ المؤمنينَ بالتوبةِ، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١]، فالمومنُ مَهْمَا كانَ منْ قوةِ الإيمانِ ومِنَ الصلاحِ، فهو بحاجةٍ إلى التوبةِ؛ ولذلكَ أَمَرَ اللهُ بها جميعَ المؤمنينَ.

وكانَ النبيُّ ﷺ يتوبُ إلى اللهِ في اليومِ أكثرَ من سبعينَ مرةً، ويُحْصِي لَهُ أصحابُهُ في المَجْلسِ الواحدِ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ»[1] أكثرَ منْ مِئَةِ مرةٍ، وهو

---

(١) مسلمٌ (٢٧٠٢).

رسولُ اللهِ ﷺ. فليسَ أحَدٌ في غنىً عنِ التوبةِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، واللهُ جلّ وعلاَ أمَرَ بالتوبةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

فالتوبةُ مَطْلُوبَةٌ دائماً وأبَداً، منْ كُلِّ مؤمنٍ، ولاسيَّما منْ أصحابِ المخالفاتِ والمعاصي، عليهِمْ أنْ يبادِرُوا بالتوبةِ، واللهُ جلّ وعلاَ أَمَرَ بالتوبَةِ، وسمَّى نفسَهُ بالتوابِ والغفّارِ ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه: ٨٢]، وقال عنْ نَفْسِهِ: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾ [البقرة: ١٦٠]، وأخْبَرَ النبيُّ ﷺ: أنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدَهُ بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ، وينزلُ جلّ وعلا كُلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخرِ، فيقولُ: «هَلْ منْ سائلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تائِبٍ فأتوبَ عليهِ؟»[1] يعرضُ على عبادِهِ التوبةَ والاستغفارَ كُلَّ ليلةٍ؛ لرحمتِهِ بِهِمْ سبحانه وتعالى: يَدْعُوهُمْ إلى التوبةِ، ويَعِدُهُمْ إذا تابُوا أنْ يَقْبَلَ توبتَهم، وأنْ يَمْحُوَ سَيِّئَاتِهِمْ فهذا فَضْلٌ منَ اللهِ: أنَّهُ يطلبُ منْ عبادِهِ التوبةَ، ولايعاجِلُهُمْ بالعُقوبةِ؛ رحمةً منهُ وإحساناً، وهو غنيٌّ عنهمْ وعنْ عبادتهمْ وطاعتهمْ، وهم يَنْفِرُونَ منْ رَبِّهِمْ وهُمْ أَحْوَجُ ما يكونُونَ إليهِ سبحانه وتعالى، ولا غنَى بهم عنهُ طَرْفَةَ عينٍ.

ثمَّ إنَّ التوبةَ تَجُبُّ ما قبلَها، مهما كانَ منْ كفرٍ وشركٍ ومعاصٍ، فإنَّ التوبةَ الصادقةَ تَمْحُو ما كانَ قبلَها، حتى الكفرَ والشركَ، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. (إن ينتهوا) يعني يتوبوا (يغفر لهم ما قد سلف) مِنْ شِرْكِهِمْ وكفرهمْ وعداوتهمْ للهِ ولرسولِهِ،

---

(١) البخاريُّ (١١٤٥)، ومسلمٌ (٧٥٨).

ويصبحونَ أولياءَ للهِ مقرَّبين منهُ سبحانه وتعالى.

واللهُ سبحانه وتعالى وَعَدَ بالتوبةِ منْ جميعِ الذنوبِ ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، فلا يَقْنَطُ الإنسانُ منْ رحمةِ اللهِ عز وجل، مهما بَلَغَتْ ذنوبُهُ، ولكنْ لايعتمدُ على الرجاء، بل يتوبُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، يرجُو رحمةَ اللهِ، ويَخْشى عِقابَهُ، يبادرُ بالتوبةِ. واللهُ يقبلُ التوبةَ مِمَّنْ تابَ.

ولكنَّ التوبةَ ـ يا عبادَ اللهِ ـ ليستْ أقوالاً تُرَدَّدُ على اللسانِ، وإنَّما التوبةُ ـ كما عرفتُم ـ هي الرجوعُ عَنْ معصيةِ اللهِ إلى طاعةِ اللهِ، ولها ثلاثةُ شروطٍ لاتصحُّ إلا بِها:

الشرطُ الأوَّلُ: الإقلاعُ عن الذنبِ، أيْ: تركُ الذنبِ، أما الذي يتوبُ بلسانِهِ، ويستغفرُ اللهَ بلسانِهِ، وهو مقيمٌ على الذنوبِ والمعاصي لايتركُها، فهذا كاذبٌ في توبته، ولا تنفعهُ شيئاً؛ لأنَّها كلامٌ على اللسانِ فقطْ. فلا بُدَّ أنْ يتركَ الذنوبَ التي تابَ منها، ويبتعدَ عنْها في الحالِ، ولايؤخِّر ذلكَ.

الشرطُ الثاني: الندمُ على ما فاتَ في الماضي، بأنْ يحزنَ على ما قصَّر فيهِ منْ طاعةِ اللهِ، وما ارتكبَ منْ معصيةِ اللهِ، ولايزالُ ذلكَ يَحُزُّ في نفسِهِ، ويؤلمُ نَفْسَهُ كُلَّما تذكَّر ذنوبَهُ، فإنَّهُ يَحْزَنُ ويخافُ مِنَ اللهِ، ويَبْكي ويتضَّرعُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى. وأمَّا الذي لايندمُ على ذنوبِهِ الماضيةِ، أو ربَّما يمدحُ نفسَهُ بِها، فهذا لاتصحُّ توبتُهُ؛ لأنَّهُ لو كانَ صادقاً لندمَ على ما حَصَلَ منهُ مِنَ الذنوبِ والمعاصِي، ولايَأْمَنُ أنْ تحيطَ بِهِ ذنوبُهُ فلا يغترَّ ويقولُ: أنا تُبْتُ إلى اللهِ، أنا تائبٌ إلى اللهِ، ويَنْسَى ذنوبَهُ الماضيةَ، بلْ عليهِ أنْ يخافَ مِنْها دائماً وأبداً.

الشرطُ الثالثُ: العَزْمُ في المستقبلِ أنْ لايعودَ إلى المعاصِي، فإنْ كانَ في

نيَّتِهِ وقلبِهِ أنَّهُ سيعودُ إلى المعاصِي في المستقبلِ، فإنَّ توبتَهُ مردودةٌ؛ لأنَّها توبةُ الكذّابين؛ لأنَّ التائبَ توبةً صحيحةً لايعودُ إلى الذنوبِ، فيجبُ عليهِ أنْ يَعْزِمَ وَيَنْوِيَ ويَعْتَقِدَ بقلبِهِ أنَّهُ لَنْ يعودَ إلى المعاصِي، فإنْ عَلِمَ اللهُ منْهُ أنَّهُ ينوِي العودةَ إلى المعاصِي إذا تمكَّن منها، فإنَّ اللهَ لايَقْبَلُ توبتَهُ؛ لأنَّهُ ما تابَ على الحقيقةِ فيعزمُ ألاّ يعودَ إلى المعاصِي ما بقيَ حيّاً ولكنْ لو حَصَلَ منهُ عَوْدٌ بَعْدَ العَزْمِ والتصميمِ، فليكررِ التوبةَ إلى اللهِ عزّ جلّ، كلما أذْنَبَ، فإنَّهُ يتوبُ إلى رَبِّهِ سبحانه وتعالى.

وهذا إذا كانَتِ الذنوبُ بينَ العَبْدِ وبينَ اللهِ سبحانه وتعالى، فإنَّها تُشْتَرَطُ لَها هذهِ الشروطُ الثلاثةُ؛ حتى تكونَ توبةً صحيحةً.

وإنْ كانتِ الذنوبُ بينَهُ وبينَ الناسِ، بأنْ ظَلَمَهُمْ، أو أَخَذَ أموالَهُمْ، أو تكلَّمَ في أعراضِهِمْ، أو ضَرَبَهُمْ، أو ظَلَمَهُمْ بأيِّ نوعٍ منَ الظُّلمِ والاعتداءِ، فلابدَّ منْ شرطٍ رابعٍ، وهو: أن يردَّ المظالمَ إلى أهلها، أو يطلبَ منهمُ المسامحةَ، فإن سَمَحُوا وإلا فلابدَّ أنْ يَرُدَّ عليهمْ حقوقَهُمْ، وإلا فإنَّ حقوقَ العبادِ لابد فيها مِنَ القصاصِ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، فقد جاءَ في الحديث: أن أُناساً يومَ القيامةِ يأتونَ بأعمالٍ جليلةٍ مِنَ الطاعاتِ أمثالَ الجبالِ، فيأتي وقد ظلمَ هذا، وضربَ هذا، وأخذَ مالَ هذا، فَيُقْتَصُّ لهذا منْ حسناتِهِ، ولهذا منْ حسناتِهِ، ولهذا منْ حسناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حسناتُهُ ولم يَقْضِ ما عليهِ منَ المظالمِ، فإنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْ سيئاتِ المظلومينَ، وتُطْرحُ عليهِ، فيطرحَ في النارِ.

فلابدَّ منْ إرجاعِ الحقوقِ إلى أهلِها أو طلبِ المسامحةِ منها، لأنَّ حقوقَ الناسِ لاتسقطُ إلاّ بأحدِ أمرين: إمَّا بِمُسَامَحَتِهِمْ عنها أو ردها إليهم، وإمَّا بالقصاصِ يومَ القيامةِ، قالَ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لأخيهِ مَظْلَمَةٌ، فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ اليومَ، قَبْلَ أنْ لايكونَ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ (يعني يومَ القيامةِ) إنْ كانَ لَهُ حسناتٌ أُخِذَ

مِنْ حسناتِهِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حسناتٌ أُخِذَ مِنْ سيئاتِ المظلومِينَ، فطُرِحَتْ عليهِ، فطرحَ في النارِ»[١].

ثُمَّ إنَّ التوبةَ لها وَقْتٌ، إذا فاتَ فإنَّها لاتُقْبَلُ منْ صاحِبها، وذلكَ أنَّ الإنسانَ إذا حَضَرَهُ الموتُ، فإنَّها لاتُقْبَلُ منهُ التوبةُ، قال ﷺ: «إنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَالَمْ يُغَرغِرْ»[٢] (يعني ما لم تبلغْ روحُهُ الغرغرةَ عندَ الموتِ) فحينئذٍ لايقبلُ منهُ توبةٌ؛ لأنَّ وقتَ التوبةِ انتهى، ولم تأتِ التوبةُ في وقتِها، وكذلكَ لاتقبلُ التوبةُ إذا طلعتِ الشمسُ مِنْ مَغْرِبِها.

فالوقتُ الأولُ: بِحَسَبِ الأفرادِ، لا تقبلُ التوبةُ من التائبِ مالَمْ يُغرغرْ. الثاني: وَقْتٌ لجميعِ الناسِ، لاتقبلُ فيهِ توبةٌ منْ أحدٍ كائناً مَنْ كانَ، وذلكَ عندَ طُلُوعِ الشمسِ منْ مَغْرِبِها في آخرِ الزمانِ، وذلكَ منْ علاماتِ الساعةِ الكبارِ، فإذا طلعتِ الشمسُ منْ مَغْرِبِها فإنَّهُ لاتُقْبَلُ التوبةُ منْ أَحَدٍ، لا مِنَ الكفارِ ولا مِنَ المذنبينَ، قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «لاتَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حتى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حتى تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»[٣].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وبادِرُوا بالتوبةِ النَّصُوحِ منْ ذُنُوبِكُمْ وسيئاتكمْ قبلَ أنْ يَفُوتَ الأوانُ، ومنْ يَدْرِي: هلْ يَدْرِكُ الوقتَ الذي يؤمِّلُهُ أو لا يدركُهُ؛ لأنَّ المَوتَ غائبٌ عنكَ، ولاتَدْرِي متى يَحْضُرُ هذا الغائبُ في أيِّ لحظةٍ منْ ليلٍ أو

---

(١) البخاريُّ (٢٤٤٩) وغيرُه.
(٢) الترمذي (٣٥٣١)، وابنُ ماجة (٤٢٥٣) وغيرهما.
(٣) أبو داود (٢٤٧٩)، وغيرُه.

نهار، وعلى أيِّ حالٍ كُنتَ ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٩ـ١١]، فإذا كانَ الإنسانُ لايَدْري متى يموتُ، وقد يكونُ الموتُ قريباً منهُ، فإنَّ عليهِ أنْ يبادِرَ بالتوبة؛ لئلاّ يفوتَ وقتُها، وينتقلَ إلى الدارِ الآخرةِ وهو مَحمَّلٌ بذنوبِهِ وسيئاتِه.

أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥ـ١٣٦].

بارِكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهَ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى، فإنَّهُ يشتدُّ الحذرُ كلما تأخَّر الزمانُ وكثرتِ الفتنُ والمغرياتُ، فإن الإنسانَ يكونُ في خَطرٍ أشدَّ، فعليهِ أنْ يحذرَ، وأنْ يخافَ، وأنْ يتمسكَ بدينِهِ، وأنْ يستعيذَ باللهِ مِنَ الفِتَنِ وشُرُورِها، قالَ ﷺ: «بَدَأَ الإسْلامُ غَرِيباً، وسيعودُ غريباً كما بَدَأَ، فطُوبَى للغرباء»[1] قالُوا: يارسولَ

---

(١) مسلم (١٤٥).

اللهِ، ومن الغرباءُ؟ قالَ: «الذين يَصْلُحُونَ إذا فَسَدَ الناسُ» وفي روايةٍ «الذينَ يُصْلِحُونَ ما أفْسَدَ الناسُ»، وقال ﷺ: «يأْتِي على الناسِ زَمَانٌ يَكُونُ القَابِضُ على دِينِهِ كالقَابِضِ على الجَمْرِ وخَبْطِ الشَّوْكِ»؛[1] وذلكَ لكثرةِ الفتنِ والمغرياتِ والصوارفِ، فلا يَثْبُتُ على الدينِ إلا مَنْ عندَهُ صَبْرٌ وتَحَمُّلٌ؛ لأنَّ الفتنَ عظيمةٌ ـ والعياذُ باللهِ ـ كما قالَ ﷺ: «فِتَنٌ كَقِطَعِ الليلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً ويُمْسِي كَافِراً، ويُمْسِي مُؤْمِناً ويُصْبِحُ كافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا»[2].

وكما تعلمونَ اليومَ كَثُرَتِ الفِتَنُ، وكَثُرَتِ المغرياتُ، ودعاةُ السوءِ، وجلساءُ السوءِ، كما تعلمونَ ما ينتشرُ بينَ الناسِ في البيوتِ وفي كُلِّ مكانٍ بواسطةِ وسائلِ الإعلامِ المرئيةِ والمقروءةِ والمكتوبةِ، من الفتنِ، والدعوةِ إلى الإباحيةِ، والدعوةِ إلى الشرورِ، والتنفيرِ منَ الدينِ وأهلِ الدينِ، فتنٌ عظيمةٌ.

فعلينا جميعاً أنْ نسألَ اللهَ العِصْمَةَ والثباتَ على الدينِ، وعلينا أنْ نَصْبِرَ على دِيننا مهما كلَّفنا ذلكَ منْ المشقَّةِ، وأنْ نَصْبِرَ على أَذَى الناسِ وما يقولونَهُ في أَهْلِ الخيرِ وأهلِ الإيمانِ، فإنَّ هذا من بابِ الابتلاءِ والامتحانِ، نسألُ اللهَ أنْ يثبِّتنا وإيّاكمْ على دينهِ الحقِّ، وأنْ يجنبنا وإياكُمْ شرَّ الفتنِ، ما ظهرَ منها وما بطنَ.

اعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هديُ محمدٍ ﷺ.. إلخ الخطبة.

* * *

(١) الترمذيُّ (٢٢٦١).
(٢) أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١).

في التَّذَكُّرِ والاعتِبَارِ بما يَجرِي في الكَوْنِ

الحمدُ للهِ على نِعَمِهِ التي لاتُحصى، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، لَهُ الأسماءُ الحُسْنَى، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، النبيُّ المصطفَى، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، أَهْلِ البِرِّ والتَّقْوَى، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى، كما أَمَرَكُمْ، قالَ اللهُ تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، يَأْمُرُ اللهُ سبحانه وتعالى جَمِيعَ الناسِ أنْ يَعْبُدُوهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ وأنْ يتركُوا عبادةَ ما سِوَاهُ؛ لأنَّهُ هو الخالقُ المُنْعِمُ بجميعِ النِّعَمِ، فهو الذي يستحقُّ العبادَةَ، وقد خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ لذلكَ، كما قالَ تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبيَّنَ سبحانه وتعالى ثَمَرَةَ العبادَةِ فقالَ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أيْ: أنَّ عبادَةَ اللهِ سبحانه وتعالى تَقِي منْ عذابِهِ، وتَقِي من نَقَماتِهِ، ثم بيَّن سبحانه وتعالى نِعَمَهُ على العبادِ، فقال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ هذه الأرضُ التي تعيشونَ على ظهرِهَا، تَفْتَرِشُونَها، تنامُونَ عَلَيْها، تسيرونَ عليها، تَبْنُونَ عَلَيْها مساكنَكُمْ، تزرعونَها، تَحْرُثُونَها، مُسَخَّرةً لكمْ، هذا منْ أعظمِ نعمِ اللهِ عليكمْ. ثُمَّ إنَّهُ سبحانه ثبَّتَ هذهِ الأرضَ وأقرَّها، ولمْ يَجْعَلْها متحركةً متكفئةً، بلْ أرساها

بالجبالِ؛ لئلاّ تميدَ بِكُمْ فلا تَسْتَقِرُّوا على ظَهْرِها.

أرأيتُمْ أو سمعتُمْ ما يحدثُ مِنَ الزلازلِ؟ وهي: حركاتٌ يسيرةٌ تحدثُ للأرضِ بإذنِ اللهِ سبحانه وتعالى في بضعِ ثوانٍ، أو جزءٍ مِنَ الثانيةِ، فماذا يحدثُ منْ آثارِ ذلكَ منَ التدميرِ، وهلاكِ النفوسِ، وضياعِ الأموالِ؟ وماذا يحدثُ مِنَ الترويعِ؟ وماذا يحدثُ منَ التشريدِ؟ على إثْرِ حركةٍ بسيطةٍ، يحركُ اللهُ جلّ وعلا بها جُزْءاً منَ الأرضِ، يُخَوِّفُ بذلكَ عبادَهُ سبحانه ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧ ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

إنّكُمْ تسمعونَ مايحدثُ منْ هذهِ الزلازلِ المروِّعةِ، وتسمعونَ ما يحدثُ مِنَ الأعاصيرِ المدمِّرةِ، وتسمعونَ ما يحدثُ مِنَ الحروبِ الطاحنةِ، وتسمعونَ ما يحدثُ منْ حوادثِ المراكبِ الجويةِ والبريةِ والبحريةِ، مِمَّا يَنْجُمُ عنهُ هلاكُ كثيرٍ منَ النفوسِ في لحظةٍ واحدةٍ، كُلُّ ذلكَ يخوِّف اللهُ به عبادَهُ؛ لأنه سبحانه وتعالى غَيُورٌ، يَغَارُ إذا عُصي أمْرُهُ لا أحَدَ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، ولكنَّهُ حليمٌ يُمْهِلُ ولايُهْمِلُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ۝١٠٢ ﴾ [هود: ١٠٢].

فهذهِ الأمورُ التي تحدثُ منْ هذهِ الحوادثِ المروِّعةِ والمتنوعةِ، كلُّها مُذَكِّرَاتٌ للعبادِ ليتُوبُوا إلى اللهِ؛ لأنّها ما حدثتْ إلا بسبب ذنوبِهِمْ، وبسببِ معاصيهمْ ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩٩ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ

ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٩٦ـ ١٠٢]، فالله جلّ وعلا يُمهِلُ ولا يُهمِلُ، وإذا أخذ فإنَّ أخذَهُ أليمٌ شديدٌ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢].

فعلى العبادِ أنْ يتقوا اللهَ، وأنْ يتنبَّهوا منْ هذهِ الحوادثِ، ويخافُوا مِنْ رَبِّهِمْ عزّ وجلّ، وتكونُ عظةً لهمْ، ولكنْ مَعَ الأسَفِ مانسمعُ مَنْ يَعْتَبِرُ، بل ما نسمعُ إلا منْ يقولُ: هذهِ ظواهرُ طبيعيةٌ! يفسِّرُونَها بأنَّها ظواهرُ طبيعيةٌ، يعني: أنه شيءٌ عاديٌّ يحدث، ولايُرجِعُونَ ذلكَ إلى اللهِ جلّ وعلا، ولايعتبرونَهُ بسبب ذُنُوبِهِمْ وإنَّما يقولونَ: هذهِ ظواهرُ طبيعيةٌ. ولو كانتْ هذهِ الكلمةُ تَصْدُرُ مِنَ الكفارِ ما استَكْثَرناها منْهم؛ لأنَّهُ ليسَ بَعْدَ الكفرِ ذنبٌ، ولكنَّها ـ مع الأسفِ ـ تصدرُ منْ بَعضِ المسلمينَ، بلْ ومنَ المثقفينَ والمتعلِّمينَ، فلا نجدُ في وسائِلِ الإعلامِ، حينَما تذكُرُ هذهِ الحوادثَ، لانجدُ فيها تذكيراً وموعظةً للناسِ وتبصيراً، وتحذيراً منْ عقوباتِ اللهِ سبحانه وتعالى: بلْ لانَجِدُهُمْ إلا يقولونَ: هذهِ ظواهرُ طبيعيةٌ، كما قالَها منْ قَبْلَهم: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف: ٩٥]، فيعتبرونَها أموراً عاديةً جَرَتْ على الناسِ مِنْ قبلُ، ولايقولونَ: هذا بأمرِ الله، وهذهِ عقوباتُ ذنوبِنَا ومعاصِينا. فيتوبونَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى.

فالواجبُ على العبادِ: أن يَتَّقُوا اللهَ سبحانه، وأنْ يستفِيدُوا منْ هذهِ الكوارثِ، وهذهِ الوقائعِ المروِّعةِ، فيتوبُوا إلى اللهِ منْ ذُنوبهم، ويعتبرُوا، ويذكِّروا الناسَ بِها، وأنَّها ما حدثتْ عبثاً، ولاحدثتْ على أنَّها أُمورٌ عاديةٌ

وظواهرُ طبيعةٌ، لا واللهِ، إنَّما حدثتْ منبِّهاتٍ وموقظاتٍ، وإلا فإنَّ العبادَ إذا لم يتَّعِظُوا بها فإنَّ اللهَ يَسْتَدْرِجُهم ثم يَأخُذهُمْ على غِرَّةٍ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام: ٤٢]، فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا يعني: رَجَعُوا إلى اللهِ، وتابُوا إلى اللهِ، واعتبرُوا هذهِ الحوادثَ نقَمَاتٍ منَ اللهِ سبحانه وتعالى على معاصِيهم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ما تزيدُهُمْ هذهِ الحوادثُ إلا قسوةً في القلوبِ، وغفلةً عنْ ذِكْرِ اللهِ سبحانه وتعالى.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ نَسُوا هذهِ الحوادثَ ومرَّتْ عليهمْ على أنَّها أمورٌ عاديةٌ ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنَ الاستدراجِ والغُرُورِ، وأعطاهُمُ اللهُ مِنَ النِّعَمِ، واستدرجَهُمْ بذلكَ، حتى يزيدُوا من طغيانِهِمْ وعُتُوِّهِمْ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]، هذهِ سُنَّةُ اللهِ سبحانه وتعالى، إنَّ منْ لَمْ توقظْهُ المواعظُ، فإنَّ اللهَ يستدرجُهُ بالنعمِ حتى يزيدَ في طغيانِهِ وإعراضِهِ عنِ اللهِ، ثم يأخذهُ اللهُ عزّ وجلّ في عُنْفُوانِ قُوَّتِهِ، وفي عنفوانِ غفلتِهِ ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الحمدُ للهِ على كُلِّ حالٍ؛ لأنهُ لايُوقعُ هذه العقوباتِ إلا بمنْ يستحقُّها، ولا يُعْطي النِّعَمَ والإيمانَ إلا منْ يستحق ذلك، فهو المحمودُ سبحانه وتعالى على أفعالِهِ الحكيمةِ التي تضعُ الأمورَ في مواضِعِها اللائقةِ بها.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتنبَّهوا لأنفسِكُمْ ونبِّهوا إخوانكُمْ.

ثم لا نَرى مَنْ يتضرَّعُ إلى اللهِ عندَ هذهِ الحوادثِ، بل نراهمْ يتضرَّعونَ إلى الدُّولِ، ويطلبونَ المساعداتِ منَ الدُّولِ، ولا يسمعُ منهمْ كلمةً يرفعونَها إلى اللهِ في أنْ يغيثَهُمْ ويرحمَهُمْ، وأنْ يزيلَ عنهمْ ما وَقَعَ بِهِمْ. ما نسمعُ هذا، وإنما

نسمعُ استغاثاتٍ بالدولِ، وطلبٍ للإمداداتِ. طَلَبُ الإمدادِ منَ الخَلْقِ لابأسَ بِهِ بما يقدرون عليهِ، ولكنْ أنْ يُقتصرَ على ذلكَ، ولانسمعُ مَنْ يدعُو اللهَ ومنْ يتضرَّعُ إلى الله، فهذا هو مَحَلُّ العَجبِ، ولاحولَ ولاقوةَ إلاّ باللهِ!

نسألُ اللهَ سبحانه وتعالى أن يُوقظَ قلوبَ المسلمينَ، وأنْ يَجْعَلَ ما يَجْرِي في هذا الكون عبرةً وعظةً للمتقينَ.

أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشكرهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاّ الله وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: عبادَ اللهِ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واعلَمُوا أنَّ شُكْرَ النِّعَمِ لايكونُ باللسانِ فقطْ، بل لابدَّ أنْ يكونَ باللسانِ وبالقلبِ وبالأفعالِ، باللسانِ: ثناءً على اللهِ سبحانه وتعالى، وبالقلبِ: اعترافاً بنعمةِ اللهِ عزّ وجلّ، وبالأفعالِ: بأنْ تُصْرَفَ هذهِ النعمُ في طاعةِ اللهِ وفيما يُرْضِي اللهُ، ولاتُصْرفُ في معاصِي اللهِ عزّ وجلّ، ولاتصرفُ في الشهواتِ المحرمَةِ، ولاتصرفُ فيما يغضبُ اللهِ سبحانه وتعالى، وإنَّما تصرفُ فيما خلقتْ لَهُ منَ الاستعانةِ بِها على طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

فإذا توفَّرتُ هذه الشروطُ، أو هذهِ الأركانُ كانَ الشكرُ صحيحاً، أمّا الشُّكْرُ

باللسانِ فقطْ، مع إنكارِ القلبِ، أو مع صَرْفِ النِّعَمِ في معصيةِ اللهِ، فإنَّ هذا ليسَ شكراً للهِ سبحانه وتعالى.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واشكرُوهُ حَقَّ الشُّكْرِ، واستعملُوا نِعَمَهُ في طاعةِ اللهِ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: ٥].

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في تَوْجِيهِ الشّبَابِ، وتَرْبِيَةِ الأَوْلادِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ

أَمَرَ الآباءَ بتربيةِ الأَوْلادِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، شهادةً تُبَرِّىءُ من قالها بِصِدْقٍ وإخلاصٍ مِنَ الشركِ والإلحادِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى.

ياشبابَ الأمةِ الإسلاميةِ اسمعوا قول الرسولِ ﷺ قال ﷺ: **«سبعةٌ يُظلهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظِلُّهِ إمامٌ عادلٌ وشابٌّ نشأ في عبادَةِ اللهِ»**[1].

وكانَ النبيُّ ﷺ يوجِّهُ للشبابِ نصائِحَ خاصةً، فيقولُ ﷺ: **«يامَعْشَرَ الشبابِ، مَنِ استطاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَنْ لَمْ يَسْتطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فإنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»**[2]، وقال ﷺ لعَمْرِو بن أبي سَلَمَة، وكانَ طِفْلاً رَبِيباً في حِجْرِ النَّبيِّ ﷺ فقالَ لَهُ: **«ياغلامُ، سَمِّ اللهَ، وكُلْ بِيَمِينِكَ، وكُلْ مِمّا يليكَ»** علَّمه ﷺ آدابَ الأكْلِ. وقال لعبدِ اللهِ بن عباسٍ، وكان غلاماً صغيراً: **«يا غُلامُ، إنِّي أُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ.»**[3] الخ الحديث.

فاتقوا اللهَ أيُّها الشبابُ، واعملوا بما وصّاكمْ بِهِ نبيُّكُمْ ﷺ؛ لتكونُوا مِنَ الشبابِ الذينَ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهِ. وقد جاء في الحديثِ أيضاً أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَعْجَبُ مِنَ الشابِّ الذي لَيْسَ لَهُ صَبْوَةٌ، وهو: الذي يَحْفَظُ شبابَهُ مِنَ الانحرافِ.

---

(١) ، (٢)، (٣) سبق تخريجُها.

أيها الآباءُ: إنّكُمْ مسؤولونَ أمَامَ اللهِ سبحانه وتعالى عَنْ توجيهِ أولادِكُمْ، فإنَّ اللهَ استرعاكُمْ عليهم وحمَّلَكُمْ أمانَتَهُمْ، قال ﷺ: «مُرُوا أولادَكُمْ بالصلاةِ لسَبْعٍ، واضْرِبُوهُمْ عَلَيْها لِعَشْرٍ، وفرقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ»[1] وهذا ليسَ خاصًا بالصلاةِ، ولكنَّهُ ذَكَرَ الصلاةَ، لأنَّها أَهَمَّ أنواعِ العباداتِ، ولأنَّ مَنْ حَافَظَ عليها حافَظَ على ماسِواها مِنْ بابِ أَوْلَى، قالَ جلّ وعلاَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

فوجِّهوا أولادَكُمْ الوجهةَ السليمةَ، ورَبُّوهُمْ التربيةَ الحَسَنَةَ، وكونُوا قدوةً صالحةً في أنفسِكُمْ؛ حتى يقتدُوا بِكُمْ.

أصْلِحُوا بيوتَكُمْ، ونظِّفُوهَا مِنْ وسائِلِ الشَّرِّ؛ حتى تكونَ بُيوتاً نزيهةً، لايدخلُ فيها ما يكونُ وسيلةً لانحرافِ أولادِكُمْ، فإنَّ الآباءَ مُحَمَّلُونَ أمانةَ أولادِهِمْ، فإذا قامُوا بما أوجَبَ اللهُ عليهِمْ أثابَهُمُ اللهُ على ذلك، وصارُوا سبباً في صلاحِ أولادِهِمْ، وصارَ أولادُهُمْ قرةَ أَعْيُنٍ لَهُمْ في الدنيا وفي الآخِرَةِ، حتى في الجنةِ: إذا صَلَحَ الأولادُ بأسبابِ آبائِهِمْ، فإنَّ اللهَ يَجْمَعُ بينَهم في منزلةٍ واحدةٍ في الجنةِ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١]، وهذا يحتاجُ منكُمْ ـ أيّها الآباءُ ـ إلى عنايةٍ واهتمامٍ، وصبرٍ وتحملٍ، يحتاجُ منكمْ إلى جُهْدٍ جهيدٍ، خصوصاً في هذا الزمانِ الذي تلاطمتْ فيهِ أمواجُ الفتنِ منْ كُلِّ صَوْبٍ، فصارَ الشبابُ كالأغنامِ في منطقةِ السِّباعِ الضاريةِ:

ومَــنْ رَعَــى غنمــاً فــي أرضٍ مُسَبَّعــةٍ ونــامَ عنهــا تــولَّــى رَعْيَهــا الأســدُ

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥).

فاتقوا اللهَ في أولادِكُمْ، حافِظُوا عليهمْ، ربُّوهُمُ التربيةَ الصالحةَ، نَشِّئُوهُمْ على طاعةِ اللهِ، فقدْ كانَ السلفُ الصالحُ يعتنونَ بأولادِهِمْ غايةَ العنايةِ، يحفِّظونهمْ كتابَ اللهِ، ويحفِّظونهمْ سنةَ رسولِ اللهِ ﷺ، ويسلِّمونهمْ إلى المدرسينَ والموجِّهينَ ويُنْفِقُونَ في توجيهِهِم وتعليمِهِمُ الأموالَ الكثيرةَ، والأوقاتَ الكثيرةَ؛ لما يَرْجُونه مِنَ الثمراتِ المستقبليةِ، ولايتركونَهُمْ والفراغَ والغناءَ والشبابَ، فإنَّ هذهِ كُلَّها أُمُورٌ خطرةٌ:

إنَّ الشبـــابَ والفـــراغَ والجِـــدَة مَفْسَـــدَةٌ للمَـــرْءِ أيَّ مَفْسَـــدَة

إذا كانَ عندَهمْ فراغٌ، وكانَ عندَهُمْ شبابٌ وقوةٌ، وعندَهُمْ جِدَةٌ، يعني: غِنىً، فهذهِ أسبابُ الفسادِ، فاحذَرُوا منْ هذهِ الأمورِ، أشغلُوا وَقْتَهُمْ فيما ينفعُهم، واحْفَظُوا وقتَهُمْ مِنَ الضياعِ، ولاتُغْدِقوا عليهمُ الأموالَ، بل أَعْطُوهُمْ بقدرِ حاجتِهِمْ وكفايتِهِمْ التي لابدَّ مِنها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

أيُّها المُعَلِّمُونَ: إنَّكُمْ حُمِّلْتم أمانةً عظيمةً أمامَ اللهِ سبحانه وتعالى، وأمامَ ولاةِ أمورِ المسلمينَ، وأمامَ أولياءِ الطلبةِ، فولاةُ الأمورِ أسنَدُوا إليكمُ القيامَ بمهمةِ التدريسِ وائْتَمَنُوكُم عليها، ودفعوا لكم الأموالَ؛ لتتفرَّغُوا لها، والآباءُ سَلَّموكمْ أولادَهُمْ وفَلَذَاتِ أكبادِهِمْ، فاتقوا اللهَ فِيهم، فإنَّهم ماداموا بينَ أيديكمْ في المدرسةِ، فأنْتُمُ المسؤولونَ عنْهم، فاحفَظُوا وقتَهُمْ فيما ينفَعُهُمْ، أَلْزِمُوهُمْ بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى وطاعةِ رسولِهِ ﷺ، ألزِمُوهُمْ بدراسةِ المقرراتِ التي هي سَبَبٌ في ثقافتِهِم، واستعدادِهِمْ لِتَحَمُّلِ المسؤولياتِ في المستقبلِ. أنتمُ المسؤولونَ عنهمْ في هذهِ المهمةِ العظيمةِ. فإنَّ مهمَّةَ التدريسِ منْ أعظمِ

المهماتِ، فالمسؤولونَ في المدارسِ من المديرين والمدرسينَ والمراقبينَ، كُلُّهم مسؤولونَ أَعْظَمَ المسؤوليةِ، ومحمَّلونَ بأمانةٍ هي منْ أعظمِ الأماناتِ.

فاتقوا اللهَ أيّها المدرسونَ، واعلمُوا أنكمْ مسؤولونَ ومحاسبونَ عنْ هذهِ الأمانةِ التي حُمِّلتمْ إيَّاها، اتقوا الله في أولادِ المسلمينَ، كونُوا قدوةً صالحةً في أنفسِكُمْ؛ حتى يَقْتَدِي بكُمْ طلابُكُمْ، فإنَّ الطالبَ يقتدِي بمعلمِهِ، في الصلاحِ أو في الفسادِ، فكونُوا قدوةً صالحةً في أنفسِكُمْ؛ حتى تؤثِّروا فيهم، وحتى تكُونُوا قدوةً لهم. لايكنْ هَمُّكُمْ الوظائفَ والترقياتِ فقطْ، دونَ أنْ تَدْفَعُوا الثمنَ لذلكَ.

أيّها المسلمون: اعلَمُوا أنَّ الكفارَ يخطِّطونَ لأولادِكُمْ، يخططونَ لشبابِ المسلمينَ لإفسادِهِمْ؛ لأنَّهم يعلمونَ أنَّ مجتمعَ المسلمينَ يقومُ على الشبابِ، فمنَ الشبابِ يكونُ القادةُ، ويكونُ القضاةُ، ويكونُ الدعاةُ إلى اللهِ، ويكونُ المجاهدونَ في سبيلِ اللهِ، إذا صَلُحُوا واستقامُوا.

فالكفارُ يعلمونَ مالشبابِ المسلمينَ منْ أهميةٍ؛ فلذلكَ يوجهونَ إليهمْ وسائلَ التدميرِ ووسائلَ الفسادِ، يحاولونَ تغييرَ المناهجِ الدراسية بأن يحوِّلُوها منْ مناهجَ إسلاميةٍ إلى مناهجَ كُفْرِيَّةٍ، ومناهجَ أجنبيةٍ؛ ليَصْرِفُوا شبابَ المسلمينَ عنْ طريقِهِمْ الصحيحِ، يغيِّرونَ وسائلَ الإعلامِ من إذاعةٍ وتلفزةٍ وصحافةٍ، يغيِّرونَها إلى بثِّ ما يُفْسِدُ عقائدَ شبابِ المسلمينَ؛ ليصرفُوهم عن مهمتِهِمُ التي خُلِقُوا منْ أَجْلِها. وكذلكَ زيادةً على إفسادِهِمْ مناهجِ التعليمِ، وإفسادِهِمْ لمناهجِ الإعلامِ، أيضاً يُسَلِّطُونَ عليهمْ تياراتِ الشهواتِ المحرَّمةِ والإباحيةِ، ويجلبونَ لهم المخدِّراتِ والمُسْكِراتِ والمفتِّراتِ؛ ليَفْتِكُوا بأبدانِهِمْ وعقولِهِمْ؛ حتى يصبحُوا آلةَ فسادٍ وتدميرٍ في مجتمعِهِمْ، أو يصبحُوا عالةً على غيرِهم.

فتنبَّهوا لأعدائِكُمْ، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ

وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ٨٩].

لقد حذَّرَكُمُ اللهُ منْ أعدائكُمْ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، لكنْ مَتَى تكونُ عليهمْ حَسْرةً؟ ومتى يُغلبونَ؟

إذا قامَ المسلمونَ تجاهَهُمْ بما أَوْجَبَ اللهُ عليهمْ، من جهادِهِمْ ومقاومَتِهِمْ، والتنبُّهِ لأخطارِهِم. أما إذا استَسْلَمَ المسلمونَ لشرِّ الأعداءِ، وسلَّموا القيادةَ لهمْ، فإنَّهم يقودونَهُمْ إلى النارِ، وبئسَ القرارِ، كما قالَ اللهُ سبحانه وتعالى عن قائِدِهِمْ إبليسَ لَعَنَهُ الله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، فهم اتباعُ إبليسَ وحِزْبُ إبليسَ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتنبَّهوا لمكانَتِكُمْ، وتنبَّهوا لَموْقِفِكُمْ منْ أعدائِكُمْ، وتنبَّهوا لموقفكمْ مِنْ أولادِكُمْ وذرِّيَّاتِكُمْ.

إنَّ هؤلاءِ الأولادَ سيكونونَ عمادَ المستقبلِ وقوةَ المستقبلِ، بإذنِ اللهِ، إذا صَلُحوا، يكونُونَ الأوصياءَ بَعْدَكُمْ على أموالِكُمْ وتركَاتِكُمْ وعلى القُصَّار مِنْ أبنائِكُمْ وبناتِكُمْ، فإذا كانُوا صالحينَ قامُوا بهذهِ المهمةِ وصارُوا امتداداً لحياةِ آبائِهِمْ قال ﷺ «إذا مَاتَ ابنُ آدَمَ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاّ مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أوْ وَلَدٍ صالحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، اتقوا اللهَ في مسؤولياتِكُمْ نحو أولادِكُمْ وأَهْلِ بيوتِكُمْ.

أعوذ باللهِ من الشيطانِ الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

---

(١) مسلم (١٦٣١) وأبو داود (٢٨٨٠) والترمذي (١٣٧٦) والنسائي (٣٦٥١).

ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ واقْتَدُوا بِسَلَفِكُمُ الصالحِ معَ الأولادِ، فقد كانَ السلفُ الصالحُ يهتمونَ بشؤونِ أولادِهِمْ، ويربُّونَهُمُ التربيةَ الصالحةَ، ويوجِّهونَهُمُ الوجهة السليمةَ، قالَ الإمامُ إبراهيمُ النَّخَعِيُّ رحمه اللهُ: كانُوا يَضْرِبُونَنَا على الشَّهادَةِ والعَهْدِ ونحنُ صغارٌ. إذا سَمِعُوا الطفلَ يَحْلِفُ ضَرَبُوهُ؛ منْ أجلِ أنْ يُعَظِّم اليمينَ باللهِ، ويتجنبَ الكذبَ، وإذا شهدَ الطفلُ ضربُوهُ، من أجلِ أنْ يتجنبَ شهادةَ الزورِ والكذبَ، ولايقولونَ: هذا طفلٌ صغيرٌ؛ لأنَّ الطفلَ الصغيرَ ينشأُ على ما تعوَّدَهُ، فتنمُو مَعَهُ هذهِ الأخلاقُ، إنْ كانتْ صالحةً أو كانتْ فاسدةً.

فلا تتهاونُوا بشأنِ الأطفالِ وتقولُوا: هؤلاء أطفالٌ صغارٌ، فالنبيُّ ﷺ أمَرَكُمْ أنْ تأمُرُوهُمْ بالصلاةِ لسَبْعٍ، أي: في سِنِّ التميزِ، مع أنَّهم أطفالٌ لاتجبُ عليهمُ الصلاةُ، لكنْ منْ أجلِ أنْ ينشؤُوا على العبادةِ ويألَفُوها، وتَكْبُرَ مَعَهُمْ أهميتُها، حتى تسهلَ عليهمْ بعدَ بُلُوغِهِمْ؛ لأنَّهُمْ تعوَّدُوها وعُوِّدُوها في صِغَرِهِم.

وماذا كانَ منْ عنايةِ السلفِ الصالحِ ـ رحمهم الله منْ صحابةٍ وتابعينَ وأتباعِ التابعينَ، منْ آثارٍ حميدةٍ في توجيهِ شبابِهِمْ؟ وقد نشأَ منهمُ القادةُ الذين فَتَحُوا

الفُتُوحاتِ في المشارقِ والمغاربِ، كخالدِ بن الوليدِ والمثنَّى بنِ حارثةَ، وأسامةَ ابنِ زيدٍ، ومحمدِ الثقفي، وغيرِ هؤلاءِ منْ شبابِ المسلمينَ، الذين قادُوا الجيوشَ وهمْ في سِنٍّ مبكرةٍ، وفَتَحُوا البلادَ؛ لأنَّهم وُجِّهوا الوجهةَ السليمةَ، ونُشِّئُوا النشأةَ الصالحةَ، فجمعُوا بينَ قوةِ الشبابِ وقوةِ الإيمانِ، كانَ مِنْهُمُ الفقهاءُ العظماءُ، الذينَ لايوجَدُ بالأممِ مِثْلَهُمْ، كانَ منهمُ القضاةُ الذين ضَرَبُوا أَرْوَعَ المُثُلِ في العدالةِ في القضاءِ، والحُكْمِ بينَ الناسِ، كان منهمُ الدعاةُ إلى اللهِ الذينَ اهتدَى على أيديهمْ غالبُ أهلِ الأرضِ منْ عربٍ وعجمٍ.

كُلُّ ذلكَ بجهودِ الشبابِ الصالحينَ؛ لأنَّ الكبارَ، وإنْ كانَ فيهمُ الخيرُ الكثيرُ، وفيهمُ الحِكْمَةُ، لكنَّ الكِبَرَ يحولُ بينَهم وبينَ مزاولةِ هذهِ الأعمالِ الشاقةِ. أمَّا الشبابُ: فإنَّ اللهَ أعطاهُمْ قوةَ الشبابِ، وقوةَ التفكيرِ والإدراكِ، فإذا وُجِّهوا وجهةً سليمةً، كانُوا قوةً لاتُضاهى بأيدي المسلمينَ، أمّا إذا لَعِبَتْ فيهمُ الشهواتُ والمخدراتُ والمسكراتُ والإباحيةُ، وعَكَفُوا على التلفزيونِ وعلى السِّينمَا والمسرحياتِ، وعَكَفُوا على وسائِلِ التدميرِ، فماذا تَرْجُونَ منهمْ بعدَ ذلكَ؟!

اتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافظُوا على أولادِكُمْ، ولاتتهاونُوا في هذا الأمرِ أو تَكِلُوهُ إلى غيرِكُمْ، كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولون عن رَعيَّتِكُمْ.

واعلَموا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في وُجوبِ التَّمَسُّكِ بِدِينِ الإسلامِ

الحمدُ لله الذي هدانا للإسلامِ وجَعَلَنا إنْ تمسَّكنا بهِ خيرَ أمةٍ أُخرجتْ للناسِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، قالَ تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ رسولُهُ، قال ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ للإسْلَامِ، ورُزِقَ كَفَافاً، وقَنَّعَهُ اللهُ بِما آتَاهُ»، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: قالَ اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال إبراهيمُ ويعقوبُ عليهما السلامُ: ﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

إنَّ الاسلامَ هو: الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ، والانقيادُ لَهُ بالطاعةِ. والخُلُوصُ مِنَ الشركِ وأَهْلِهِ، فَمِنَ الناسِ مَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ للهِ، وهذا مُسْتَكْبِرٌ. ومنهمْ مَنِ استسلمَ للهِ ولغيرِهِ، وهذا مُشْرِكٌ. وكُلٌّ مِنَ المستكبرِ والمشركِ في نارِ جهنمَ خالدينَ فيها. ولاينجو مِنها إلا مَنِ استمسكَ بالإسلامِ، وماتَ عليهِ، قال اللهُ تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

إنه يجبُ علينا معرفةُ هذا الإسلامِ، ومعرفةُ ما يضادُّهُ ويناقِضُهُ ويُفْسِدُهُ، حتى نكونَ على حَذَرٍ ممَّا يُفْسِدُ دينَنا ويخلُّ بعقيدتِنا.

وإنَّ رأسَ الإسلامِ، وأساسَ الإسلامِ هو: العقيدةُ الصحيحةُ، شهادةُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، نُطقاً وَعَملاً واعتقاداً، فالإسلامُ هو: شهادَةُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ بيتِ الله الحرامِ منَ استطاعَ إليه سبيلا هذا هو الإسلامُ وهذا

أساسُهُ الذي يقومُ عليهِ، فأساسُ الإسلامِ العقيدةُ الصحيحةُ السليمةُ منَ الشركِ والبِدَعِ والمحدثاتِ، وأداءُ الواجباتِ، وتركُ المحرماتِ.

ونواقضُ الإسلامِ ومفسداتُهُ كثيرةٌ، ومِنْها مايتساهلُ فيهِ الناسُ، أو يجهلونَهُ ويقعونَ فيهِ؛ لأنَّهُمْ لايعرفونَهُ، ومنْ لايعرفِ الشرَّ يقعْ فيهِ.

فمنْ ذلكَ: أنَّ مِمَّنْ يَدَّعُونَ الإسلامَ ويُصَلُّونَ ويصومونَ ويتقرَّبونَ إلى اللهِ، يَخْلِطُونَ عَمَلَهُمْ بشركٍ، فيدْعُونَ غيرَ اللهِ، يدعونَ أصحابَ القبورِ والموتَى والأولياءَ والصالحينَ، ويعكفُون على قبورِهِمْ، ويذبحونَ لهمْ، وينذرونَ لهمْ، ويستغيثونَ بِهِمْ. وهؤلاءِ لاحظَّ لهمْ في الإسلامِ، وما يعملونَهُ منْ أعمالٍ صالحةٍ فإنَّها حابِطَةٌ لاتَنْفَعُهُمْ شيئاً عندَ اللهِ، لأنَّ الشركَ يُحْبِطُ الأعمالَ، وتصبحُ الأعمالُ لاقيمةَ لَها مَعَ الشركِ، مَهْمَا أَتْعَبَ الإنسانُ نفسَهُ فيها، فهؤلاءِ ليسُوا بمسلمينَ، مادامَ أنَّهُمْ يَدْعُونَ غيرَ اللهِ، ويتقربونَ إلى غيرِ اللهِ بأنواعِ العباداتِ وإنْ كانُوا يقولونَ: لا إلٰه إلا اللهُ، محمدٌ رسولُ اللهِ. وإن كانُوا يُصَلُّونَ ويزكُّونَ ويحجُّونَ ويصمونَ ويتصدَّقونَ ويعتمرونَ، فأعمالُهُمْ هباءٌ منثُورٌ، والعياذُ باللهِ؛ لأنَّها لَمْ تُبْنَ على أساسٍ صحيحٍ.

ومن الناسِ: مَنْ يَدَّعي الإسلامَ، ويُصلِّي ويَصُومُ ويتقرَّبُ بالعباداتِ، ولكنَّهُ يذهبُ إلى السَّحَرَةِ وإلى الكهّانِ والمنجِّمينَ والمُشَعْوِذِينَ؛ بحجةِ أنَّهُ يتعالجُ عندَهُمْ، فيذهبُ إليهمْ ويسألهمْ ويصدِّقهمْ بما يقولونَ. وهذا عملٌ مُبْطِلٌ للإسلامِ، قال ﷺ: «مَنْ أَتَى كاهناً أو عَرّافاً، فصدَّقهُ بِمَا يقولُ فَقَدْ كَفَرَ بِما أُنْزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ»[1]، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ أَتَى عَرّافاً لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صلاةٌ أربعينَ يوماً»[2]، وهذا ممّا يتساهلُ فيهِ هؤلاءِ؛ بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ مَرْضَى، وأنَّ هؤلاءِ

---

(١) رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) مسلم (٢٢٣٠).

يعالِجُونَ، فيذهبونَ إليهمْ، وهم يعلمونَ أنَّهمْ كهّانٌ، وأنهم سَحَرَةٌ، وأنهمْ مُشَعْوِذُونَ، ودجّالونَ، يعلمونَ هذا، ولكنْ يقولونَ: نحنُ نريدُ العلاجَ.

والعلاجُ لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ فيما حرَّمَ على عبادِهِ، اللهُ جلّ وعلا ما أنزلَ داءً إلا أنزلَ لَهُ شفاءً، فأنزلَ الداءَ وأنزلَ الشفاءَ، فالواجبُ أنْ يتعالجَ المسلمُ بِما أباحَ اللهُ سبحانه، مِنَ الأدويةِ النافعةِ المباحةِ، ويتجنَّبَ الأدويةَ المحرَّمةَ، فلا يتعالجُ بحرامٍ، ولا يتعالجُ بِنَجسٍ، ولا يتعالجُ بتصديقِ الكهنةِ والسحرةِ والمُشَعْوِذِينَ.

وأعظمُ منْ ذلكَ: أنَّهُمْ يأمرونَ مَنْ يَأْتُونَهُمْ فيذبحونَ لغيرِ اللهِ، فيقولونَ لَهُ: اذبحْ شاةً ـ أو خروفاً ـ صفتُها كَذا وكَذا، أو: اذبحْ دجاجةً، ولاتذكرِ اسمَ اللهِ عليها، أو: اذْبَحْها في مكانِ كذا وكذا، تقرباً إلى الشيطانِ، وإلى الجنِّ، حتى تُشْفَى منْ مرضِكَ فيعملُ هذا بما يقولونَ، ويذبحُ لغيرِ اللهِ، ويشركُ باللهِ الشركَ الأكبرَ، ويعالجُ بَدنَهُ ـ بزعمهِ ـ بفسادِ عقيدتِهِ، بكفرِهِ باللهِ عزّ وجلّ وشِرْكِهِ، ويبيعُ دينَهُ بأسهلَ مايمكنُ، ولاحولَ ولاقوةَ إلاّ باللهِ.

ومنهمْ مَنْ يتَّصلُ على السحرةِ والمشعوذينَ في أيِّ مكانٍ بواسطةِ التليفونِ، ويذكرُ لهم ما فيه منَ المرضِ، فيسألونَهُ عن اسمِ أُمِّهِ واسمِ أبيهِ، ويطلبونَ منهُ أنْ يرسلَ لهمْ مبلغاً مِنَ النقودِ في مقابلِ العلاجِ، كما يزعمونَ ويطلبونَ منهُ أنْ يرسلَ إليهمْ شيئاً منْ ثيابِهِ أو ملابِسِهِ، فيمتثلُ مايقولونَ، ويطيعُهُمْ في معصيةِ اللهِ عزّ وجلّ، وهو يعلمُ أنَّهُمْ سحرةٌ، وأنهمْ مُشَعْوِذُونَ، وربَّما يقولُ: هذا منْ بابِ الضرورةِ، هل ليس هناك علاج مباح وهلِ الضرورةُ تبيحُ لكَ أن تكفرَ باللهِ عزّ وجلّ، وأنْ تشركَ باللهِ؟ قالَ ﷺ: «لاتشركْ باللهِ وإنْ قُتِلْتَ وحُرِّقْتَ»[١].

---

(١) ابن ماجة (٤٠٣٤).

فلا يجوزُ الشركُ باللهِ عز وجل، ويجوزُ الكفرُ وصرفُ العبادةِ لغيرِ اللهِ عز وجل، فلا يجوزُ تصديقُ السحرةِ والكهَّانِ والمنجِّمينَ والمشعوذينَ، فهذا الذي فعلَ هذهِ الأفاعيلَ قدْ باعَ دينَهُ، والعياذُ باللهِ، وأفسدَ عقيدتَهُ. ثم ماذا لو ابْتُلي وشُفِيَ منْ مرضِهِ، وعاشَ على غيرِ عقيدةٍ وعلى غيرِ دينٍ؟ فماذا يفيدُهُ هذا العلاجُ الذي باعَ بِهِ دينَهُ؟ والعياذُ باللهِ. ولو شُفيَ ابتلاءً وامتحاناً، فإنَّهُ قد باعَ دينَهُ وباعَ عقيدتَهُ، فليتقِ اللهَ مسلمٌ يَعْلَمُ أنَّهُ سيلقى اللهَ سبحانه وتعالى اليومَ أو غداً أو عمَّا قريبٍ، وهو مشركٌ وكافرٌ بهِ، ولاحولَ ولاقوةَ إلا باللهِ، قالَ ﷺ: «منْ ماتَ وهو لايُشْرِكُ باللهِ شيئاً دَخلَ الجنةَ، وَمنْ ماتَ وهو يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً دَخلَ النَّارَ»[1].

إنَّ اللهَ قَدْ أغنانا بحلالِهِ عنْ حرامِهِ، وبفضلِهِ عمنْ سواهُ، فجعلَ لَنَا أسباباً مباحةً نتعالجُ بِها، منَ الأدويةِ النافعةِ، والأدويةِ المباحةِ، وأنزلَ علينا القرآنَ العظيمَ نتعالجُ بِهِ ونَرْقِي بِهِ أَنْفُسَنَا، وأنْ نستعمَلَ الأَوْرَادَ الشرعيةَ في الصباحِ والمساءِ، وأنْ نتوكلَ على اللهِ سبحانه وتعالى ونعتمدَ عليهِ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾، [الطلاق: ٣]، فمنْ توكَّلَ على اللهِ كَفَاهُ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٣٦]، فمنْ توكَّل على الله كَفَاهُ، ومنْ توكَّل على غيرِهِ وكَّلَهُ اللهُ إليهِ، وكَّلَهُ إلى ضعيفٍ مِثْلِهِ، ومَنْ وُكِّلَهُ اللهُ إلى غيرِهِ فإنَّهُ يضيعُ ويهلكُ في الدنيا والآخرة.

كذلكَ منَ المسلمينَ: الذينَ يشهدونَ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، ويعيشونَ معَ المسلمينَ، مَنْ يُضيِّعونَ الصلاةَ، ولايُصلُّونَ، ويَتْرُكُونَ الصلاةَ متعمدينَ، ويظنونَ أنَّ الإسلامَ يَصِحُّ بدونِ صلاةٍ، وهذهِ مغالطةٌ شنيعةٌ،

---

(١) البخاريُّ (١٢٣٨)، ومسلمٌ (٩٢).

قال ﷺ: «بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الكُفرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[١]، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ كَفَرَ»[٢]، فبينَ المسلم وَبينَ أنْ يخرجَ إلى الكفرِ: تركُ الصلاةِ، فإذا تركَ الصلاةَ صارَ كافراً، وإنْ كانَ يَزْعُمُ أنَّهُ مسلمٌ، وقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإسلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»[٣]، فالصلاةُ هي عمودُ الإسلامِ، ولا يستقيمُ الإسلامُ إلا على الصلاةِ، كما يستقيمُ البناءُ إلا على العَمُودِ، فلا إسلامَ لمنْ لا صلاةَ لَهُ.

وهذا شيءٌ يتساهلُ فيهِ كثيرٌ مِنَ الناسِ اليومَ، إلاّ مَنْ رَحِمَ اللهُ، فالواجبُ على مَنِ اِبْتُلُوا بشيءٍ منْ هذهِ الأمورِ التي يظنونَ أنَّهَا يسيرةٌ، وهي مُهْلِكاتٌ ومُفْسِدَاتٌ للإسلامِ، تَجْعَلُهُمْ يعيشونَ بِلا إسلامٍ. وإذا استمرُّوا عليهَا ماتُوا على غيرِ الإسلامِ، عليهِمْ أنْ يتوبُوا إلى اللهِ منْ هذهِ الأعمالِ الشنيعةِ، وألاَّ تَأْخُذَهُمُ التقاليدُ الباطلةُ، والاقتداءُ بالناسِ الذينَ لايبالونَ بدِينهم، لاتَأْخُذُهُمُ التقاليدُ الباطلةُ فيقولونَ: نحن نعملُ مثلَ مايعملُ فُلانٌ وعلانٌ.

كذلكَ لاينخدعُوا بدعاةِ الضلالِ منْ شياطينِ الإنسِ والجنِّ الذينَ يَدْعُونَ قومهمْ لِيكونُوا منْ أصحابِ السعيرِ، فيزيِّنونَ لهمْ هذهِ الأمورَ ويحسِّنونَ لهمْ هذا الباطلَ، ويسهِّلونَ عليهمْ أَمْرَ الرِّدَّةِ وأَمْرَ الشِّرْكِ، بأنواعٍ منَ الحيلِ والخداعِ. وإنَّ اللهَ جلّ وعلا لايُخدَعُ، إنَّ الله سبحانه وتعالى عزيزٌ ذو انتقامٍ، علاَّمُ الغُيوبِ، يعلمُ مافي الصدورِ، يعلمُ السِّرَّ وأَخفى، فلا تَخْدَعُهُ الحِيَلُ فَليتقِ اللهَ مَن اِبتُلي بشيءٍ منْ هذهِ الأمورِ الخَطِرَةِ، وليبادرْ إلى التوبَةِ، ولينصحْ إخوانَهُ، ويُحَذِّرْهُمْ مِنَ الوقوعِ في مِثْلِ هذهِ الأمورِ، فإنَّ الدينَ النصيحةُ.

---

(١) مسلمٌ (٨٢)، وغيرُه.
(٢) الترمذيُّ (٢٦٢٣)، والنسائيُّ (٤٦٢) وغيرُهما.
(٣) الترمذيُّ (٢٦١٩).

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على دينكمْ، وحافِظُوا على عقيدتكمْ، وحافِظُوا على إسلامِكُمْ، واحْرِصُوا على أنْ تَمُوتُوا على الإسلامِ؛ لأجلِ أنْ تكونُوا منَ الناجينَ يومَ القيامةِ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فمنْ لَقِيَ اللهَ على غيرِ الإسلامِ فإنَّهُ يكونُ مِنْ أهلِ النارِ الخالدينَ فيها، لامَطْمَعَ لَهُ في النجاةِ، فالإسلامُ هو الطريقُ الوحيدُ للنجاةِ فتمسَّكُوا بِهِ، واثْبُتُوا عليهِ، واصبِرُوا عليهِ، ولا تَبغُوا بِهِ بديلاً، مَهمَا كَلَّفَكمُ الأمرُ، فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى مَعَ الذينَ اتقوا والذينَ هُمْ محسنونَ.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنْ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، بلَّغَ البلاغَ المبينَ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعينَ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدينِ.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واعلموا أنَّ هناكَ في هذا الوقتِ نَشَرَاتٍ تُطبعَ وتصوَّرُ وتوزَّعُ على الناسِ، فيها مِنَ الباطلِ، وفيها من الكَذِبِ، وفيها من التهديدِ والوعيدِ، وفيها من الترغيبِ والترهيبِ، مايخدعُ الجاهلَ. يقولونَ: مَنْ صَدَّقَها وصوَّرَها وَوَزَّعها، يحصلُ على كذا وكذا، مِنَ الترفيع في الوظيفةِ، وحصولِهِ على مطلوبه.. ويذكرونَ أنواعاً مِنَ المرغِّبات. ومَنْ كذَّبَ بِها وتَهاونَ بِها فإنَّهُ يموتُ على غيرِ الإسلامِ، وأنَّهُ يَخْسَرُ دنياهُ، ويَخْسَرُ وظيفتَهُ... فإذا قَرَأَهَا الجاهلُ انخدعَ بِها فصوَّرَها وَوَزَّعها، طمعاً في هذهِ الوعُودِ، وخوفاً منْ هذا الوعيدِ، الذي ذَكَرُوهُ، وهم كاذبون.

ومنْها: أنَّهُمْ يقولونَ: إنَّ امرأةً أصابَها المرضُ زمناً طويلاً، وأعياهَا

العلاجُ، ولا وجدتْ شفاءً، حتى رأتْ في المنامِ امرأةً قالتْ لها: افعلي كذا وكذا، وذكرت لها كلاماً تقولُهُ، وأنَّها لما قالتْ هذا الكلامَ وعملتْ بهذهِ الرؤيا شفاهَا اللهُ. ويوزِّعونَ هذا في المدارسِ، ويوزِّعونَهُ في محطاتِ البنزينِ، ويوزِّعونَهُ في الأسواقِ.

وهؤلاء دعاةُ الضلالِ، والعياذُ باللهِ، فاحذَرُوهُمْ. والواجبُ على كُلِّ مسلمٍ: إذا وَجَدَ هذهِ الأوراقَ، أنْ يُبادرَ بإحراقِها وإتلافِها، وأنْ يبلِّغَ عمن يوزعها ولاةَ الأمورِ، حتى يَأْخُذُوا على أَيْدي هؤلاءِ المخرِّفينَ الدَّجَّالينَ، الذينَ يريدونَ أن يُفسدُوا عقائدَ المسلمينَ، بمثلِ هذه السُّبُلِ فاحذَرُوا منْ هذهِ المنشوراتِ وهذهِ الخرافاتِ، التي تُوزَّعُ وتُرَوَّجُ بينَ المسلمينَ وفي بلادِ التوحيدِ، تواصَوْا بإتلافِها وإحراقِها، وتواصَوْا بإمساكِ منْ يوزِّعُها، والإخبارِ عنهُ وضبطِهِ، وإبلاغِ ولاةِ الأمورِ عنه، إبلاغِ الهيئاتِ عنْ هذا الذي يروِّجُ هذهِ الأمورَ. وربَّما يكونُ مَنْ يروجُونَها، هم الذينَ كَتَبُوها، أو يستأجرونَ. من يروِّجُها، وربَّما يكونُ مَنْ يروِّجُها منخدعاً بها، ويظنُّ أنَّهُ لو لَمْ يرَوِّجْها أصابَهُ ما أصابَهُ، وإذا روَّجها حَصَلَ لَهُ ما يُريدُ من المَطَالِبِ، إلى غيرِ ذلكَ.

فالواجِبُ: الحذَرُ والتحذيرُ مِنها، فإنَّها باطلةٌ. وفي كتابِ اللهِ، وسنةِ رسولِهِ ﷺ، وكلامِ أهلِ العلمِ الراسخينَ في العلمِ، غُنْيَةٌ عنْ هذهِ الأباطيلِ، وعنْ هذهِ الخرافاتِ، وعنْ هذهِ الأوراقِ المشبوهةِ. فاحذَرُوا منها - وفقكمُ اللهُ - وحَذِّرُوا مِنها إخوانَكُمْ، وتعاونُوا على مَنْعِها وإتلافِها ومصادَرَتِها، والأَخذِ على أيدي مَنْ يروِّجُونَها. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ثم اعْلَمُوا - وفقكمُ اللهُ - أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله.. إلخ الخطبة.

الأُخُوَّةُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ومُتَطَلَّبَاتُهَا

الحمدُ للهِ الذي جَعلَ المسلمينَ إخوةً متحابينَ، وأمَرهُمْ بالتعاونِ على مصالحِ الدنيا والدينِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، ولا نَعْبُدُ إلا إياهُ، مخلصينَ لَهُ الدينَ، ولو كَرِه المشركونَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الصادقُ الناصحُ الأمينُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ. وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. واعلَمُوا أنَّ اللهَ سبحانه أوْجَبَ الأُخوةَ بينَ المسلمينَ، وتعاونَهُم على ما يُصْلِحُ دِينَهُمْ ودُنياهُمْ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقالَ جل وعلا: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢]، وقالَ النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في توادِّهِمْ وَتراحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ الواحِدِ، إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعىَ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى»(١)، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «المُسْلِمُ للْمُسْلِمِ كالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»(٢) وشبَّكَ بَيْنَ أصابِعِهِ ﷺ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «المُسلمُ أَخُو المُسْلِمِ، لايَحْقِرُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولايُسْلِمُهُ، بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ. كُلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ»(٣).

فإذا كانَ هذا هو الواجبُ على المسلمينَ بَعْضُهُمْ مَعَ بعضٍ، فإنَّ هذهِ الأُخُوَّةَ

---

(١) البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) البخاريُّ (٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥)، والترمذيُّ (١٩٢٩)، والنسائيُّ (٢٥٦٠). كلهم بلفظ «المؤمن للمؤمن...».

(٣) الترمذيُّ (١٩٢٨).

بينَ المسلمينَ توجبُ عليهمْ حُقوقاً لبعضِهم على بعضٍ:

أهمُّها: المحبةُ في اللهِ، منْ غيرِ أنسابٍ بينَهم، ومنْ غيرِ أطماعٍ تَحْمِلُهم على ذلكَ، بلْ لأجلِ اللهِ، قالَ ﷺ: «لايؤمنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١] وقالَ ﷺ: «لاتَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولاتُؤْمِنُوا حَتَّى تَحابُّوا»[٢]، وقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكُونَ اللهُ ورسولُهُ أَحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لايُحِبُّهُ إلا باللهِ، وأنْ يكره أن يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ إذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ»[٣]، وفي الحديث: «أَوْثَقُ عُرَى الإيمانِ: الحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ»[٤]، ومِنَ السَّبْعَةِ الذينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاظِلَّ إلا ظِلُّهُ: «رَجُلانِ تحابَّا في اللهِ، اجْتَمَعَا عليهِ وتَفَرَّقا عليهِ»[٥]. وقال عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهما: مَنْ أَحَبَّ في اللهِ، وأبْغَضَ في اللهِ، ووالَى في اللهِ، وعادَى في اللهِ، فإنَّما تنالُ ولايةُ اللهِ بذلكَ.

وقد صارتْ عَامَّةُ مؤاخاةِ الناسِ على أَمْرِ الدنيا، وذلكَ لايُجْدِي على أَهْلِهِ شيئاً.

كذلكَ: مِنْ حَقِّ المسلمِ على المسلمِ: الإصلاحُ بينَ المسلمينَ، إذا حَصَلَ بينَ أَحَدٍ منْهُمْ نُفْرَةٌ أو فُرْقَةٌ أو نِزَاعٌ، فإنَّ واجِبَ المُسْلِمِ نَحْوَ إخوانِهِ المتنازعينَ المتخاصمينَ: أنْ يُصْلِحَ بينهما، قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ

---

(١) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).
(٢) مسلم (٥٤).
(٣) البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢١٥ رقم ١١٥٣٧) وصححه الألباني.
(٥) أخرجه البخاري (رقم ٦٦٠) ومسلم (رقم ١٠٣١).

ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ١]، والإصلاحُ معناهُ: تَسْوِيَةُ النزاعِ، وإعادةُ المحبةِ بينَ المسلمينَ، والإنصافُ بينَ المتخاصمينَ، وقد عَدَّ النبيُّ ﷺ الإصلاحَ بينَ المسلمينَ صَدَقَةً منَ الصدقاتِ. فالواجبُ على المسلمينَ إذا بَلَغَهُمْ عنْ أحدٍ منْ إخوانِهِمْ نِزاعٌ أو خِصامٌ أو نُفْرةٌ فيما بينهَم، أنْ يُصْلِحُوا بينَهم، وأنْ يُسَوُّوا النزاعَ بينَهمْ، وأن يَعْدِلُوا بينَهمْ؛ حتى تعودَ الأُخُوَّةُ بينَ المسلمينَ، وحتى لايتصدَّعَ بناءُ المسلمينَ، وحتى لاتَسْنح الفرصةُ للمُفْسِدينَ من شياطينِ الإنسِ والجنِّ، الذينَ يريدونَ تَفْرِيقَ كَلِمَةِ المسلمينَ، وإشاعةَ البغضاءِ بينَهم.

وكذلكَ: منْ حقوقِ المسلمينَ بعضِهم على بعضٍ: الصدقُ في المعاملةِ، أنْ يتعامَلُوا بصدقٍ، فلا يَكْذِبُوا، ولايَخْدَعُوا، ولايُغُشُّوا في بَيْعِهِم وشرائهم. إنَّما يكونُ بيعُهُمْ وشراؤُهُمْ بَيْعَ المسلمِ لأخيهِ المسلمِ، مبنيًّا على النُّصْحِ، فلا يَكْتُمِ العيوبَ التي في السِّلَعِ ولايُدَلِّسُها، ولايكذبُ في أثمانِها وأسعارِها، وإنَّما يقولُ الصدقَ في ذلكَ، والصدقُ منجاةٌ، قالَ ﷺ: «إذَا تَبَايَعَ المسلمانِ فَهُمَا بالخِيَارِ، فإنْ صَدَقَا وبَيَّنا بُورِكَ لَهُمَا في بَيْعِهِمَا، وإنْ كَذَبَا وكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[١]، ومَرَّ ﷺ على بائعِ طعامٍ فأدخَلَ ﷺ يَدَهُ فِيهِ فَوَجَدَ في أسفلِهِ بَلَلاً فَقَالَ: «مَا هَذَا يا صاحِبُ الطعامِ؟» قال: أَصَابَتْهُ السَّماءُ يارسولَ اللهِ (يعني: المَطَرَ)، قال: «أفَلاَ جَعَلتهُ فَوْقَ الطعامِ؛ حتى يَراهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»[٢].

وكذلكَ: مِنْ حَقِّ المُسْلِمِ على أَخِيهِ المسلمِ: الدعاءُ لهُ بالخيرِ، والدعاءُ لَهُ بالمغفرةِ، والدعاءُ لهُ بما يصلحُ دينَهُ ودنياهُ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى لنبيِّهِ ﷺ:

---

(١) البخاري (٢٠٢٩)، ومسلم (١٥٣٢)، وغيرُهما.

(٢) مسلم (١٠٢).

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]، وقالَ ﷺ: «حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ سِتٌّ إذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وإذا دَعَاكَ فأَجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ لَهُ، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ وإذا مَاتَ فاتَّبِعْهُ»[1]، فهذِهِ سِتَّةُ حقوقٍ منْ حقوقِ المسلمِ على أخيهِ المسلمِ:

الأولُ: إذا لقيَ المسلمُ أخَاهُ المسلمَ، فليبدأْهُ بالسلامِ، والبداءةُ بالسلامِ سُنَّةٌ، وأمّا رَدُّ السلامِ فإنَّهُ واجِبٌ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦]، فالبداءةُ بالسلامِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وردُّ السلامِ واجبٌ. فعلى المسلمينَ أنْ يُفْشُوا السلامَ بَيْنَهُمْ، قالَ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رضي الله عنه، فيما سمعَهُ مِنَ النبيِّ ﷺ، أنَّهُ يقولُ: «أيُّها الناسُ، أفْشُوا السَّلَامَ، وأَطْعِمُوا الطَّعامَ؛ وصِلُوا الأرْحَامَ، وصَلُّوا بالليلِ والنَّاسُ نيامُ، تَدْخُلوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ»[2]، فَجَعَلَ إفشاءَ السلامِ مَعَ إطعامِ الطعامِ؛ لما في ذلكَ منْ بثِّ المحبةِ بينَ المسلمينَ، وإزالةِ الوَحْشَةِ بينَ المسلمينَ.

وهذا السلامُ فيه سِرٌّ عظيمٌ، إذا فَشَا بينَ المسلمينَ حَصَلَتْ بَيْنَهُمْ المَحَبَّةُ، وتعارُفُ القُلوبِ، وحَصَلَتِ الأُلفةُ، وإذا لم يَكُنْ هناكَ إفشاءٌ للسلامِ حَصَلَتِ النُّفْرَةُ، وحَصَلَ التَّدابُرُ، فهذا السلامُ رابطةٌ عظيمةٌ بينَ قلوبِ المسلمينَ، فعليهمْ أنْ يَحْرِصُوا على إفشائِهِ بينَهُمْ، قالَ ﷺ: «لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولاتُؤْمِنُوا حتى تَحابُّوا، ألا أَدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فَعَلْتُموهُ تَحابَبْتُمْ، أفْشُوا السلامَ

(١) مسلم (٢١٦٢).
(٢) الترمذي (٢٤٨٧)، وابنُ ماجة (٣٢٥١).

بَيْنَكُمْ»[١]، فَجَعَلَ إفشاءَ السلامِ سبباً للمحبةِ بينَ المسلمينَ، وهذا يدلُّ على أنَّ عَدَمَ إفشاءِ السلامِ يُسَبِّبُ البغضاءَ والنُّفْرَةَ بينَ المسلمينَ.

وقولُهُ ﷺ: «وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ» أيْ: إذا دعاكَ إلى وَلِيمةٍ، أو دعاكَ إلى حُضُورٍ في مناسبةٍ، فعليكَ الإجابةُ، إلا إذا كانَ هناكَ عُذْرٌ شرعيٌّ يَمْنَعُكَ مِنَ الحضورِ، أو يَشُقُّ عليكَ الحضورُ، فإنَّكَ تستأذنُ منهُ وتطيِّبُ خاطِرَهُ، وإذا كانَ هناكَ مُنْكَرٌ في الوليمةِ، أو في بعضِ الاجتماعاتِ، فإنْ كانَ عندَكَ مقدرةٌ على الإنكارِ وإزالةِ المنكرِ، وَجَبَ عليكَ الحضورُ وإنكارُ المنكرِ، وإنْ لَمْ يكنْ عندَكَ مقدرةٌ على إزالةِ المنكرِ، فإنكَ لاتَحْضُرُهُ؛ لأنَّ في حضورِكَ وَعَدمِ إنكارِكَ لَهُ إقراراً للمنكرِ.

ثم قال ﷺ: «وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصحْ لَهُ» أي: إذااستشارَكَ في أَمْرٍ مِنَ الأُمورِ، وطَلَبَ مِنْكَ الرَّأيَ السَّدادَ، فعليكَ أنْ تَجْتَهِدَ في نصيحتِهِ، سواءٌ كانَ ذلكَ فيما يُحبُّهُ أو فيما لايُحِبُّه، فلا تُوافِقْهُ على مايريدُ، بلْ إذا كنتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأَمْرَ الذي اسْتَشَارَكَ فيه لاخَيْرَ لَهُ فِيهِ، فعليكَ أنْ تُصارِحَهُ وأنْ تبيِّنَ لَهُ عَدَمَ المُضِيِّ في هذا الطريقِ، سواءٌ استشارَكَ في أَمْرِ زواجٍ، أوِ استشارَكَ في مُشَارَكَةِ شَخْصٍ، أو استشاركَ في مُعامَلَةٍ مِنَ المعاملاتِ، أو غيرِ ذلكَ منَ الأمورِ، عليكَ أنْ تُخلِصَ لَهُ النصيحةَ، وأنْ تَدُلَّهُ على ما ترى فيه لَهُ الخيرَ، عاجِلاً وآجِلاً، ولاتَكْتُمْ عَنْهُ سِرّاً في ذلكَ، فإنَّ هذا مُوجَبُ النصيحةِ.

وقوله ﷺ: «وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ» العطاسُ نعمةٌ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى؛ لأنَّهُ يفرِّغ مافي البَدَنِ من الهواءِ الضارِّ فإذا عَطَسَ الإنسانُ فإنَّ هذه نعْمَةٌ

---

(١) مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣)،وكذا رواه الترمذيُّ وابن ماجة.

يَحْمَدُ اللهَ عليها، فإذا حَمِدَ اللهَ عليها فإنَّهُ يَجِبُ على مَنْ عندَهُ أنْ يُشَمِّتَهُ، بأنْ يقولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. ثم يقولُ العاطِسُ: يَهْدِيكُمْ اللهُ ويُصْلِحُ بالَكُمْ، وهذا مِنْ أحْسَنِ مايكونُ بينَ المسلمينَ، فتشميتُ العاطِسِ إذا حَمِدَ اللهَ واجِبٌ، أمَّا إذا لَمْ يَحْمَدِ اللهَ فإنَّكَ لا تُشَمِّتْهُ.

وقوله ﷺ: «وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ» عيادةُ المريض زيارتهُ وفيها خَيْرٌ كثيرٌ، لما فيها مِنَ الصِّلةِ بينَ المسلمينَ، ولما فِيها مِنْ تَطْيِيبِ خاطِرِ المريضِ، وتَطْيِيبِ خواطِرِ أهلِهِ، ولما فيها مِنَ التوسعةِ على المريضِ وانشراحِ صدرِهِ؛ لأنَّهُ في هَمٍّ مِنَ المرضِ، فإذا زَارَهُ أَخُوهُ وجَلَسَ عِنْدَهُ ودَعَا لَهُ، فإنَّ ذلكَ يُدْخِلُ عليهِ السُّرُورَ، ويُقَوِّي فيهِ الرَّجَاءَ باللهِ عز وجل.

ومنْ آدابِ زيارةِ المريضِ: أنْ تكونَ غِبّاً أيْ: يوماً بَعْدَ يَوْمٍ، فلا يزورُهُ في كلِّ يومٍ؛ لما في ذلكَ مِنَ المشقةِ عليهِ، إلاّ أنْ يكونَ المريضُ يُحِبُّ ذلكَ مِنْهُ. ومنْ آدابِ زيارةِ المريضِ: أنْ يَدْعُوَ لَهُ بالشفاءِ وأنْ يُطَمِّعَهُ في الشفاءِ، وأنْ يُوَسِّعَ عليهِ الأَمْرَ، حَتَّى يَنْشَرِحَ صَدْرُهُ، فَيُدْخِلَ عليهِ السُّرُورَ. ومنْ آدابِ زيارةِ المريضِ: أيْ: لايطيلَ الجلوسَ عندَهُ، بلْ يَجْلِسُ عِندَهُ قليلاً، حتى لايُثْقِلَ عَلَيْهِ، إلاّ إذا كانَ المريضُ يُؤْثِرُ أنْ يُطِيلَ الجُلُوسَ عندَهُ، ويأْنَسُ به، فلا بَأْسَ بذلك.

ثم قال ﷺ: «وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ» أيْ: اتبعْ جنازَتَهُ؛ لما في ذلكَ مِنَ الدعاءِ لَهُ والاستغفارِ لَهُ، ولما في ذلك من تطييبِ خواطِرِ أوليائِهِ وأقاربِهِ، ولما في ذلكَ منْ تعظيمِ شأنِ المسلمِ الميتِ، وهذا منْ محاسنِ الإسلامِ، فمنْ حَضَرَ الجنازةَ وصَلَّى عليها وَدعَا لها، حَصَلَ لَهُ مِنَ الأجرِ قيراطٌ، ومَنْ صلى عليها ومَشَى مَعَها حتى تُدْفَنَ حَصَلَ لَهُ قيراطانِ، قيلَ: يارسولَ اللهِ، وما القيرطانِ؟ قالَ ﷺ: «مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ»[١].

---

(١) البخاري (١٣٢٥)، (٩٤٥).

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على حُقُوقِ إخوانِكُمْ ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢].

باركَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى واعلموا أنَّ مِنْ حُقُوقِ المسلمينَ بعضِهِمْ على بعضٍ: الأمْرُ بالمعروفِ والنهيُ عنِ المنكرِ، فلايَسَعُكَ إذا رأيتَ أخاكَ على معصيةٍ، أو على مخالفةٍ، أو على مالا يليقُ بِهِ، لايليقُ بِكَ أنْ تَسْكُتَ عنهُ، بلْ عليكَ أنْ تناصِحَهُ سرّاً فيما بينَكَ وبينَهُ، وأنْ تُرَغِّبَهُ في الخيرِ، وأنْ تحذِّرَهُ مِنَ الشَّرِّ. هذا مِنْ حَقِّ المُسلمِ على المسلمِ، تأمُرُهُ بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، وتنهاهُ عنِ المنكرِ، فإنَّ هذا منْ أَعْظَمِ حقوقِ المسلمينَ بعضِهِمْ على بعضٍ، وهذا أعظمُ منْ أنْ تُعطِيَهُ الذهبَ والفضةَ والأموالَ الطائلةَ، فإنَّ النصيحةَ وإنَّ الأمْرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ، مِنْ خيرِ مايَبْذُلُهُ المسلمُ لأخيهِ المسلمِ.

وليسَ مِنَ النصيحةِ، لأخيك وليسَ منْ حقِّهِ عليكَ، أنْ تجامِلَهُ وأنْ تَسْكُتَ عنْ معصيتِهِ، بلْ عليكَ أنْ تعالجَهُ بالتي هيَ أحسنُ، وأنْ تَدْعُوَهُ باللُّطْفِ واللِّينِ، وأنْ تَدْعُوَهُ بالرَّأْفَةِ والرحمةِ؛ حتى يعلمَ أنكَ أَخُوهُ، وأنكَ مُشْفِقٌ عليه، بلا تَعييرٍ، وبلا تَنْفيرٍ، وبلا قَسْوَةٍ، بلْ يكونُ ذلكَ فيما بينك وبينه بالحكمةِ، والموعظةِ الحسنةِ، والجدالِ بالتي هي أحسنُ. هذا مِنْ أَعْظَمِ حقوقِ المسلمينَ بعضِهِم على بعضٍ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وقومُوا بِما أَوْجَبَ اللهُ عليكُمْ نحو إخوانِكُمْ المسلمينَ، فإنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «الدينُ النصيحةُ» قلنا: لمنْ يارسولَ اللهِ؟ قالَ: «للهِ، ولكتابِهِ، ولرَسُولِهِ، ولأئمةِ المسلمينَ وعامَّتِهِمْ»[1].

فاتقوا اللهَ عباد اللهِ، واحْرِصُوا على حقوقِ إخوانِكُمْ، فكما أنكَ تَطْلُبُ مِنْ إخوانِكَ حقوقَكَ التي لَكَ عليهِمْ، فكذلكَ يَجِبُ عليكَ أنْ تَبْذُلَ لإخوانِكَ حقوقَهُمُ التي عليكَ، وإلا فإنَّكَ تكونُ مِنَ الذينَ قالَ اللهُ تعالى فيهِمْ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ١ـ٣]، هـذا يَعُـمُّ الكَيْـلَ والـوَزْنَ فـي الأطعمـةِ والمكيـلاتِ والموزوناتِ، ويعمُّ كذلكَ الكَيْلَ والوزنَ في الأُمورِ المعنويةِ في حقوقِ المسلمينَ بعضِهِمْ على بعَضٍ، فكما أنَّكَ تُحِبُّ أنْ يُوَفُّوكَ حُقُوقَكَ، فكذلكَ يجبُ عليكَ أنْ تُوَفِّيهم حقوقَهُمْ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . إلخ الخطبة.

* * *

---

(١) مسلم (٥٥).

بَيَانُ صِفاتِ المُؤمِنِينَ، وصِفَاتِ المُنَافِقِينَ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، بَيَّنَ صِفاتِ المؤمنينَ وصفات المنافقين؛ لِيَمِيزَ الخبيثَ مِنَ الطيبِ، ويظهر الفرق بين الفريقين.

وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، شهادةَ الحقِّ واليقينِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الصادِقُ الأمينُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ والتابعينَ، ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. واعلَمُوا أنَّ النفاقَ والإيمانَ خُلُقانِ مختلفانِ متضادانِ:

فالنِّفاقُ هو: إظهارُ الإيمانِ وإبطانُ الكفرِ، إظهارُ الخيرِ وإضمارُ الشَّرِّ، فالمنافقُ يُظهرُ غيرَ مايبطنُ، ولايكونُ النفاقُ إلا إذا قويَ الإسلامُ، ولذلكَ لَمْ يَظْهَرِ النفاقُ إلا بعدَ هجرةِ النبيِّ ﷺ إلى المدينةِ، وبعدَ غَزْوَةِ بدرٍ بالذاتِ، لمّا رأى فريقٌ مِنَ الكفارِ الذينَ يسكنُونَ المدينةَ أنَّ الإسلامَ قد قَوِيَ، وأنَّهُمْ لايستطيعونَ مقاومتَهُ، لَجَؤُوا إلى حيلةٍ خبيثةٍ، وهي أنْ يُظْهِرُوا الإسلامَ، ويُبْقُوا على الكفرِ في قلوبهمْ وضمائِرِ نفوسِهِمْ، فَقَبِلَ النبيُّ ﷺ علانيتهم، ووكَّلَ سريرتَهُمْ إلى اللهِ سبحانه وتعالى.

فَعَلُوا ذلكَ ليعيشُوا بينَ المسلمينَ، ولأجلِ أنْ يَأْمَنُوا على دمائِهِمْ وأموالِهِمْ، ولم يُظْهِرُوا الإسلامَ محبةً لَهُ، ولا اقتناعاً بِهِ، وإنما أظهروهُ لمصالحهمْ الدنيويةِ، ولكنْ لَمْ يَقْتَصِرُوا على ذلكَ، بل صَارَ يَظْهَرُ منهمُ العداءُ للمسلمينَ، ويُظْهِرُونَ الشِّقَاقَ، ويظهرونَ العداوةَ، ويفرّقونَ بينَ المسلمينَ

ويحرِّشونَ بينَهم، ويوقدونَ الفتنَ بينَ المسلمين، وإذا صارَ للكفارِ ظهورٌ بعضَ الأحيانِ انحازُوا إلى الكافرينَ، وإذا صارَ للمسلمينَ انتصارٌ على الكفارِ انحازُوا إلى المسلمينَ، كما قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النساء: ١٤٣]، هذهِ صفةُ المنافقينَ.

أمَّا الإيمانُ: فإنَّهُ خَيْرٌ كُلُّهُ، ظاهراً وباطِناً، فالمؤمنُ الحقيقيُّ لايخالفُ ظاهِرَهُ باطِنَهُ، ولِهذا يقولُ بعضُ السَّلَف: الإيمانُ لَيْسَ بالتحلِّي، ولابالتمنِّي، ولكنَّهُ ما وَقَرَ في القُلوبِ وصَدَّقَتْهُ الأعمالُ. هذا هو الإيمانُ، فالمؤمنُ لايتقلَّبُ؛ والمؤمنُ لا يَخْدَعُ ولا يَغُشُّ ولا يَخُونُ؛ لأنَّهُ ناصحٌ مخلصٌ لِرَبِّهِ ولنفسِهِ وللمسلمين ظاهراً وباطنًا. هذا هو المؤمنُ الحقيقيُّ، ولهذا يقولُ العلماءُ: الإيمانُ: قولٌ باللسانِ، واعتقادٌ بالقلبِ، وعملٌ بالجوارحِ.

ليسَ الإيمانُ في ناحيةٍ واحدةٍ، بل هو يشملُ جميعَ النواحي، فهو قولٌ باللسانِ، فلا يَنْطِقُ إلا بالكلامِ الطَّيِّبِ، والكلامِ المفيدِ المباح، لايَنْطِقُ إلا بِذِكْرِ اللهِ والتسبيحِ والتهليلِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ، والدعوةِ إلى اللهِ، والإصلاحِ بينَ الناسِ، دائماً كلامُهُ في الخَيْرِ، لايَنْطِقُ بالكَذِبِ، ولا بالغيبَةِ، ولا بالنميمَةِ، ولا بشهادةِ الزُّورِ.

واعتقادٌ بالقلبِ: فلا يَعْتَقِدُ بقلبِهِ إلا الإيمانَ بالله ورسوله وكتابه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والخيرَ والنُّصحَ، وَمَحَبَّةَ اللهِ ورسولِهِ، ومحبةَ عبادِهِ المؤمنينَ.

ولايعملُ بجوارحِهِ إلا ماهو في رضا اللهِ عزّ وجلّ، منَ الصلاةِ والصيامِ، والجهادِ في سبيلِ اللهِ، وسائرِ أعمالِ البِرِّ، وصلةِ الأرحامِ وبِرِّ الوالدينِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ والعمرةِ، وغيرِ ذلكَ مِنْ أمورِ الطاعاتِ، فلا يعملُ بجوارحِهِ إلا

ما يُرضِي اللهَ سبحانه وتعالى، ولايعملُ بجوارحِهِ إلا ما فيهِ مصلحتُهُ ومصلحةُ إخوانِهِ المسلمينَ. هذا هو المؤمنُ الحقيقيُّ.

وقدْ ذَكَرَ اللهُ سبحانه وتعالى في سورةِ التوبةِ صفاتِ المنافقينَ، وصفاتِ المؤمنينَ، قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ ﴾ دَلَّ على أنَّ النفاقَ يكونُ في الرجالِ، ويكونُ في النساءِ ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ يُشْبِهُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً في القُبْحِ والخُبْثِ والشَّرِّ، يتشابهونَ في ذلكَ رجالاً ونساءً، لايختلفُ بعضُهم عنْ بعضٍ، سِيرَتُهُمْ واحدةٌ، وسَرِيرَتُهُمْ واحدةٌ، يَتَشَابَهُونَ، لايختلفُ هذا عنْ هذا ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ وهو: كُلُّ معصيةٍ للهِ ومخالفةٍ لشرعِ اللهِ عزّ وجلّ، فهمْ يأمرونَ بِكُلِّ منكرٍ مِنَ القولِ والفِعْلِ والعَمَلِ، يأمرونَ بالشِّركِ باللهِ عزَّ وجلَّ، ويسمونَهُ بغيرِ اسمِهِ، يسمونَهُ مِنْ بابِ محبَّةِ الصالحينَ، واتخاذِهِمْ وسائِطَ إلى اللهِ، بلْ يقولونَ: إنَّ الشركَ تعظيمٌ للهِ؛ لأنَّهُ لا يُتوصَّلُ إليهِ إلا بواسطةٍ وبشفاعةٍ. فهم يَدْعُونَ إلى الشركِ، ويُزَيِّنونَهُ للناسِ.

كذلكَ يَدْعُونَ إلى نَبْذِ الكتابِ والسنةِ، وتحكيمِ القوانينِ والأنظمةِ الطاغوتيةِ، يريدونَ أنْ يحكموا بِها بينَ الناسِ، وأنْ يتحاكَمُوا إليها، ويَدْعونَ إليها، ويقولونَ: إنَّها أحْسَنُ مِن القرآنِ، وأحْسَنُ مِنْ سُنَّةِ الرسولِ ﷺ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

يدعونَ إلى العُرْيِ وكَشْفِ العَوْرَاتِ، وظُهورِ الفواحِشِ، يدعونَ إلى التبرجِ، واختلاطِ النساءِ بالرجالِ، ومشاركةِ المرأةِ للرجلِ، في المحافِلِ، وفي النوادي، وفي المؤتمراتِ، وغيرِ ذلكَ؛ حتى تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمَنُوا، هذا ما يَأمُرُ به المنافقونَ دائماً وأبداً. يَدْعُونَ إلى النارِ، واللهُ يَدْعُو إلى الجنةِ.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ يَنْهَوْنَ عن التوحيدِ، ويتنقَّصونَ التوحيدَ، ويقولونَ: إنَّ التوحيدَ يَكْفِي عنهُ أنَّ الإنسانَ يكونُ مُسْلِماً ظاهراً أو يدَّعي الإسلامَ، أمَّا أنَّ الإنسانَ يشتغلُ بالتوحيد، ويُعلِّمُ التوحيدَ، ويَدْعُو إلى التوحيدِ، فهذا تحصيلُ حاصلٍ. فهم يزهِّدونَ في التوحيد؛ لأنَّهُمْ يَنْهَوْنَ عنِ المعروفِ. وأعظمُ المعروفِ هو: التوحيدُ، فلا يطيقونَ سماعَهُ، ولايطيقونَ تعلُّمَهُ وتعليمَهُ، ولايطيقونَ الدعوةَ إليهِ ولايطيقونَ جَعْلَهُ في مُقَرَّرات الدراسةِ والعياذُ باللهِ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

كذلكَ يَنْهَوْنَ عَنِ السِّتْرِ، ويَنْهَوْنَ عَنِ الحجابِ، وينهونَ عَنِ احتشامِ المرأةِ، وينهونَ عَنْ بقائِها في بَيْتِها؛ لإصلاحِ بَيْتِها وإصلاحِ أولادِهَا وتَسَتُّرِها. ويأمرونَ بخروجِهَا وبروزِهَا وسَفَرِها، وغيرِ ذلكَ مِنْ ظهورِ النساءِ بينَ الرجالِ وبينِ ذئابِ البشرِ، ويعتبرونَ أنَّ هذا هو الرُّقِيُّ، وهذه هي الحضارةُ، وهذا هو التقدمُ، لماذا؟ لأنَّ أوربا وأمريكا تعملُ ذلكَ، وما علمتْهُ أوربا وأمريكا فهو سبيلُ التقدمِ وسبيلُ الرقي عندهم، فهو ينهونَ عَنِ المعروفِ ينهونَ عنْ حضورِ الصلاةِ في المساجِدِ، ويريدونَ أنْ يَبْقَى الناسُ في الأسواقِ والدكاكينِ، ينهون عن إقامةِ الصلاةِ وعنْ إغلاقِ المحلاتِ للصلاةِ، وعنِ الأمرِ بالصلاةِ. وأشدُّ

ما عليهم إذا قيل لهم: صَلُّوا، اذهَبُوا إلى المسجِدِ.

هذهِ صفاتُ المنافقينَ، ينادونَ بأنْ يُترَكَ الناسُ يَسْرَحُون ويَمْرَحُونَ، لايَتَّجِهُونَ إلى المساجِدِ، ولايُجيبُونَ داعيَ اللهِ ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ هذهِ منْ أَقْبَحِ صفاتِهِمْ، فهمْ ـ والعياذُ باللهِ ـ ضِدٌّ لكُلِّ خيرٍ، وهمْ، ـ والعياذُ باللهِ ـ دعاةٌ إلى كُلِّ شرٍّ.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي يبخلونَ بالأمْوَالِ، فلا يَتصدَّقُونَ، ولايُزَكُّونَ، ولايُخرِجُونَ زكاةَ أموالِهِمُ التي هي رُكْنٌ مِنْ أركانِ الإسلامِ، لايتصدقونَ على المحتاجينَ، ولايغيثونَ الملهوفينَ، ولاينفقونَ في سبيلِ اللهِ وفي الجهادِ في سبيلِ اللهِ ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ تركوا ذِكْرَ اللهِ وطاعةَ اللهِ، وأَعْرَضُوا عن اللهِ سبحانه وتعالى، وتَرَكُوا طاعتَهُ ومرضاتَهُ، فَنَسِيَهُمُ اللهُ، يعني: تَرَكَهُمْ في معاصِيهِمْ، وتَرَكَهُمْ في ضلالِهِمْ، وتَرَكَهُمْ منْ رحمتِهِ سبحانه وتعالى؛ عقوبةً لهم. وهذا من بابِ الجزاءِ؛ لمّا نَسُوا اللهَ نَسِيَهُمُ اللهُ، يعنى: تَرَكَهُمُ اللهُ، ولَمْ يَرْحَمْهُمْ، ولَمْ يَهْدِهِمْ إلى الصراطِ المستقيمِ؛ لأَنَّهُمْ لايريدونَ الهدايةَ، ولايريدونَ الخيرَ، فاللهُ جلّ وعلا تركَهُمْ في ضلالِهِمْ يَعْمَهُونَ؛ إمهالاً لهمْ، واستدراجاً لهمْ وإلاّ فإنَّ اللهَ جلّ وعلا لايَنْسَى. والنسيانُ على قسمينِ: نسيانٌ بمعنى: الذهولُ والغَفْلَةُ، وهذا يُنَزِّهُ اللهُ جل وعلا عنه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم: ٦٤]، ونسيانٌ بمعنى: تَرْكُ الشيءِ وعدمُ الاهتمامِ بِهِ، وهذا يَجْرِي منَ اللهِ سبحانه وتعالى؛ عقوبةً لأعدائِهِ ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝١٩﴾ [الحشر: ١٩].

ثم قالَ جل وعلا في ختامِ الآيةِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝٦٧﴾ أيْ: الخارجونَ عن طاعةِ اللهِ. حَصَرَ سبحانه وتعالى الفِسْقَ

فيهِمْ فهم شَرٌّ مِنَ الكفارِ، فالكفارُ فاسقونَ أيضاً لكنَّهم يصرحونَ بفِسقهِمْ، ولكن فسق المنافقين أشدّ لأنهم يخفونَهُ خِداعاً، ولذلكَ جَعلَهُمُ اللهُ ﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء ١٤٥]، لأنَّ الكفارَ صرَّحوا بكفرِهِمْ، وهؤلاءِ سَتَرُوا كُفرَهُمْ، وخَدَعُوا الناسَ، وانخدعَ بِهِمْ كثيرٌ منَ الناسِ، فَضرَرُهُمْ على المسلمينَ أشدُّ مِنْ ضَرَرِ الكفارِ، ولهذا قال جل وعلا: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾. هذه أهمُّ صفاتِ المنافقينَ.

ثم ذَكَرَ اللهُ سبحانه وتعالى جَزاءَهُمْ عندَهُ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨]، هذا جزاؤُهُمْ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ من الرجالِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ من النساءِ ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ الذينَ أَظْهَرُوا الكُفرَ باطناً وظاهراً. جَمَعَ بينَهم وبينَ الكفارِ؛ لأنَّهُ لا فرقَ بينَهم فكلهمْ أعداءٌ للهِ ولرسولِهِ وللمسلمينَ، فَجَمَعَ بينَهم سبحانه وتعالى بالجزاءِ، ولَمْ يَنْفَعْهُمْ إظهارُهم للإسلامِ، ولم يميِّزْهُمْ عنِ الكفارِ كما ميزهم عنهم في الدنيا ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾. [التوبة: ٦٨].

نارُ جهنَّم أشَدُّ أنواعِ النارِ؛ لأنَّ النارَ طبقاتٌ ودركاتٌ: جهنمُ، وسقرُ، والهاويةُ، وغيرُ ذلكَ منْ أسمائِها، فهي دَرَكَاتٌ والعياذُ بالله. والمنافقونَ والكفارُ في نارِ جهنَّمَ، والمنافقونَ تحتَ الكفارِ ﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا طَمَعَ لهمْ في الخروجِ مِنْها أبَدَ الآبادِ، والعياذُ باللهِ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٥] ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦]،

لا طَمَعَ لهمْ في رحمةِ اللهِ، ولا طَمَعَ لهمْ في النجاةِ منَ النارِ ﴿هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧]. آيِسُونَ مِنَ الخروجِ مِنها، وآيِسُونَ مِنْ رحمةِ اللهِ، وآيِسُونَ مِنْ تخفيفِ العذابِ عنهم، نسألُ اللهَ العافيةَ.

﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ هذا زيادةُ عذابٍ، واللَّعْنُ هو: الطَّرْدُ والإبعادُ عنْ رحمةِ اللهِ، فليسَ لهمْ طَمَعٌ في رحمةِ اللهِ عزّ وجلّ، وإذا انقطعتْ عنهمْ رحمةُ اللهِ فماذا يكونُ حالُهم؟ والعياذُ باللهِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾ عذابٌ لا يعلمُ عِظَمَهُ وشدَّتَهُ إلا اللهُ سبحانه وتعالى، وهو دائم.

نسألُ اللهَ العفوَ والعافيةَ، وأنْ يَعْصِمَنا وإياكمْ وجميعَ المسلمينَ مِنَ النفاقِ، وأنْ يجعلنا مَعَ عبادِهِ المؤمنينَ، إنَّهُ قريبٌ مجيبٌ.

أقول قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكمْ ولجميع المسلمينَ مِنْ كُلِّ ذنب.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنْ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى. يقولُ اللهُ جلّ وعلا في عذابِ المنافقينَ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾ أيْ: عذابٌ لا يَرْحَلُونَ عنهُ، ولا يَرْحَلُ عنهمْ، بلْ هو ملازمٌ لهمْ، غرامٌ، والعياذُ باللهِ، والعذابُ الغرامُ أيْ: ملازمٌ لهم ملازمة الغريمِ لغريمِهِ، ملازمةُ الغريمِ لغريمِهِ لا ينفكُّ ولا يزولُ، والعياذُ باللهِ.

ثم ذَكَرَ سبحانه وتعالى صفاتِ المؤمنينَ، فقالَ جلّ وعلاَ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ لاحِظُوا أنَّ الإيمانَ يكونُ في الرجالِ وفي النساءِ، وقد يكونُ في النساءِ مِنَ المؤمناتِ مَنْ هو أَفْضَلُ منْ كثيرٍ مِنَ الرجالِ، إذا اسْتَقَمْنَ على طاعةِ اللهِ

عز وجل ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ . [التوبة: ٧١].

هذهِ أولُ صفاتِهم: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ همْ كالجَسَدِ الواحدِ، وكالبنيانِ المرصوصِ ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾، يُحِبُّ بَعْضُهم بعضاً، ويساعدُ بعضهُم بعضاً، ويَنْصَحُ بعضُهم لبعضٍ، ويَسْعَوْنَ بالإصلاحِ بينَ المسلمينَ، ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ؛ لأنَّ هذا موجبُ الولايةِ في اللهِ عزّ وجل ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهو: كُلُّ طاعةٍ، وكُلُّ خيرٍ يقرِّبُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ وهو: كُلُّ شَرٍّ وكُلُّ فُحْشٍ. يأمرونَ بتوحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإخلاصِ العبادةِ لَهُ، يأمرونَ بتحكيمِ شَرْعِ اللهِ والتحاكُمِ إليهِ، يأمرونَ بالسَّتْرِ والعِفَّةِ والحياءِ، يأمرونَ النساءَ بالتزامِ الحجابِ، والبُعدِ عنْ مواطِنِ الفتنةِ، كما أَمَرَ اللهُ سبحانه وتعالى، يأمرونَ بكلِّ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ، وكُلِّ ما أَمَرَ بِهِ رسولُهُ ﷺ. هذا هو المعروفُ.

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ وهو: كُلُّ مانَهى اللهُ عنه، أو نَهى عنهُ رسولُهُ ﷺ. فالمؤمنونَ ينهونَ عمّا نَهى اللهُ عنه، وينهونَ عمّا نهى عنهُ رسولُ اللهِ ﷺ، ينهونَ عنِ الشركِ باللهِ عزّ وجل، ينهونَ عن السُّفُورِ، ينهونَ عن الإباحيةِ، ينهونَ عنِ التشبُّهِ بالكفارِ، ينهونَ عنْ كُلِّ شَرٍّ وكُلِّ منكرٍ هذهِ صفةُ المؤمنينَ.

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وإقامةُ الصلاةِ قِسْمان: إقامةٌ في الظاهرِ، وهو الإتيانُ بِها كَمَا شَرَعَها اللهُ، بشروطِها وأركانِها وواجباتِها، وما تيسَّرَ مِنْ سُنَنِها، يقيمونَها، أيْ: يأتونَ بِها قائمةً، كما أَمَرَ اللهُ سبحانه وتعالى. وإقامةٌ في الباطِنِ وهي: الخشوعُ للهِ، والخشيةُ للهِ، والإقبالُ على اللهِ، فالصلاةُ تقامُ ظاهراً، وتقامُ في الباطِنِ في القلبِ.

وأمّا المنافقونَ فإنَّهم ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة: ٥٤]، ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ [النساء:

١٤٢] فهمْ لايُريدونَ الصلاةَ، وإنّما يريدونَ مراعاةَ الناسِ، وإرضاءَ الناسِ فقطْ، لايريدونَ رضا اللهِ عزّ وجل.

وقال في المؤمنين: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المؤمنونَ يؤتونَ الزكاةَ التي فَرَضَها اللهُ في أموالِهِم حقًّا للسائِلِ والمحرومِ، طيبةً بها نفوسُهُمْ، لايَنْقُصُونَ منها شيئاً، بل يخرِجُونها كاملةً طيبةً بِها نُفوسُهُمْ.

أمّا المنافقونَ: فإنَّهم يقبضونَ أَيْدِيَهُمْ عن الزكاةِ، وعن الصدقاتِ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٥٤﴾ لأنهّم لايريدونَ طاعةَ اللهِ، فهمْ يكرهونَ إنفاقَ المالِ شُحًّا بِهِ وبُخلاً به، ويُؤثرونَ شهواتِهِمْ على طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

والمؤمنون: قال الله عنهم: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، فإذا أَمَرَ اللهُ بِأَمْرٍ، ابتدرُوا إليهِ، وإذا أَمَرَ الرسولُ ﷺ بأمرٍ ابتدرُوا إليهِ، وإذا نَهى اللهُ عنْ شيءٍ، أو نهى الرسولُ عن شيءٍ، اجتنبوهُ وابتعدُوا عنه، ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ سبحانه وتعالى عاقِبَتَهُمْ، فقالَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ يُدْخِلُهُمُ اللهُ في رَحْمَتِهِ الواسعةِ.

أمّا المنافقونَ: فقدْ لَعَنَهُمُ اللهُ، وأبْعَدَهُمْ عَنْ رحمتِهِ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ قويٌّ سبحانه وتعالى، لايُغالبُ ولايمانعُ سبحانه وتعالى، حَكِيمٌ يَضَعُ الأمورَ في مواضِعِها، فيضعُ الإكرامَ فيمنْ يستحقُّهُ، ويضعُ الجزاءَ الحَسَنَ فيمنْ يستحقُّهُ، ويضعُ العقوبةَ فيمنْ يستحقها، هذا هو الحكيمُ، واللهُ جل وعلا يوصفُ بأنَّهُ حكيمٌ؛ لأنَّهُ سبحانه وتعالى يضعُ الأمورَ في مواضِعها اللائقةِ بِها.

ثم قالَ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ لايعلمُ صفتَها إلا اللهُ سبحانه وتعالى ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ مِنْ تحتِ قُصورِها وأشجارِها ومبانِيها، أنهارٌ من العَسَلِ، ومن اللبنِ، ومنَ الخَمْرِ، ومِنَ الماءِ غيرِ الآسِنِ،

أنهارٌ تجري كثيرةً، يشربونَ مِنها، ويتنعمّونَ بِها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لايخافونَ أنْ يخرجوا منها، لايخافون أن يموتوا، وأن يتركوها، لايخافون أن يمرضوا، لايخافون أن يَهْرَموا، لايخافون أن يتسلَّطَ عليهم ظالمٌ ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ نسألُ اللهَ الكريمَ مِنْ فضلِهِ وواسعِ إحسانِه.

واعلَمُوا ـ أيّها المسلمونَ ـ أن خيرَ الحديثِ كتابُ الله.. إلخ الخطبة.

* * *

في الابتلاءِ والامتحانِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، حَذَّرَنا منْ شُرُورِ الفتنِ، ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، لايَخْفَى عليه شيءٌ بل يَعْلَمُ السِّرَّ والعَلَنَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ رسولُهُ، أَمَرَنا عندَ ظُهورِ الفتنِ باتباعِ الكتابِ والسُّننِ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى: قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، نَبْلُوكُمْ، أيْ نَخْتَبِرُكُمْ؛ ليظهرَ الصادقُ مِنَ الكاذبِ، والمؤمنَ مِنَ المنافقِ، كما قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ ﴾، [البقرة: ١٥٥ـ ١٥٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

﴿ بِٱلشَّرِّ ﴾ أيْ بجميع ماتكْرَهُونَ، من المصائبِ في الأنفسِ وفي الأموالِ وفي الأقاربِ؛ ليظهرَ مِنَ يَصْبِرُ عندَ ذلكَ ويَحْتَسِبُ، ولايجزعُ، ولايتسخطُ لقضاءِ اللهِ وقدرِهِ، بل يرضَى ويسلِّم، ممّنْ يَجْزَعُ، ويلجأُ إلى ما حرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى، من النياحةِ، وضربِ الخُدودِ، وشقِّ الجيُوبِ، ودَعْوى الجاهليةِ، ومَنْ يَلْجَأُ إلى السَّحَرَةِ والكُهّانِ والمشَعْوِذينَ؛ ليتعالجَ عندهم، ولو أَفْسَدَ دينَهُ

وعقيدتَهُ بالشركِ باللهِ، وطاعةِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ فيما يأمرونَهُ بِهِ مِنَ الشركِ باللهِ ومعصيةِ اللهِ ورسولِهِ.

﴿والخير﴾ كُلُّ ما يُحِبُّهُ الإنسانُ مِنَ المالِ ومنَ الجاهِ، ومِنَ الملذَّاتِ والمَسَرَّاتِ وسَعَةِ الرزقِ، ليظهرَ بذلكَ مَنْ يشكرُ نعمةَ اللهِ سبحانه وتعالى، ويستعملُها في طاعةِ اللهِ، ويستعينُ بِها على رضوانِ اللهِ، ويُؤَدِّي منها حقَّ اللهِ الذي فَرَضَهُ عليهِ، ممَّنْ يَبْطَرُ ويَتَكَبَّرُ، ويَجْحَدُ نعمةَ اللهِ عليهِ، ويكفرُ نعمةَ اللهَ عليهِ.

وقولُهُ جل وعلا ﴿فتنة﴾ أي: ابتلاءً واختباراً وامتحاناً؛ ليتميزَ بذلكَ المؤمنُ منَ المنافقِ، والصادقُ مِنَ الكاذبِ، فعندَ حُصُولِ الفتنِ يتميزُ الناسُ إلى فريقينِ، فريقٍ يؤمنُ باللهِ ورسولِهِ، ويتمسَّكُ بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ الله ﷺ، ويصبرُ على ما أصابَهُ، وفريقٍ ينحرفُ عنْ طاعةِ اللهِ ويَكْفُرُ ويَفْسُدُ دِينُهُ، كما قال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كَقِطَعِ الليلِ المُظْلِم، يصبحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً ويُمْسِي كافِراً، ويُمْسِي مُؤْمِناً ويُصْبِحُ كافِرًا، يبيعُ دينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا»[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٧]، فلابدَّ مِنَ الابتلاءِ والامتحانِ حكمةً بالغةً مِنَ اللهِ سبحانهُ ولو تُرِكَ النَّاسُ بدونِ ابتلاءٍ وامتحانٍ، لَمْ يَظْهَرِ الفرقُ بينَ العِبادِ، ولكنَّ اللهَ سبحانه وتعالى - بِحِكْمَتِهِ - يُجري هذهِ الفتنَ وهذهِ الابتلاءاتِ والامتحاناتِ ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

والفتنُ تكونُ متنوعةً، فَتكونُ الفتنةُ في الدينِ، والعياذُ باللهِ، وذلكَ

---

(١) رواه مسلم (١٨٨) والترمذي (٢١٩٦).

بالشُّبهاتِ والشَّهواتِ التي تنحرفُ بالإنسانِ عنْ دينِهِ، فإذا أصْغَى الإنسانُ إلى الشُّبهاتِ وإلى دعاةِ الضلالِ، ومالَ إلى الجَدَلِ والمُخَاصَمَةِ في دينِ اللهِ عز وجل، فإنَّهُ بذلكَ يَنْحَرِفُ عَنْ دينِهِ، وتَصْرِفُه الشياطينُ عن دينِهِ.

وكذلكَ مع الشَّهواتِ: فالإنسانُ قد يَتَّبِعُ الشهواتِ، ويتركُ عبادةَ رَبِّهِ عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] فالمؤمنُ إذا تَعَارضَتِ الشهواتُ مع دِينِهِ، تمسَّك بدينِهِ وتَرَكَ الشهواتِ. والمنافقُ بالعكسِ: إذا تعارضتِ شهواتُهُ وأهواؤُهُ مع دينهِ اتَّبَعَ الشهواتِ وأعْرَضَ عنْ دينهِ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١].

وكذلكَ يَبْتَلِي اللهُ العبادَ بالأموالِ وبالأولادِ، كما قالَ سبحانه: ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي ابتلاءٌ وامتحانٌ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، فاللهُ يُعطي بعضَ الناسِ الأموالَ والأولادَ؛ لِيَخْتَبِرَهُ بذلكَ: هل يُؤْثِرُ حُبَّ المالِ وحُبَّ الأولادِ على طاعةِ اللهِ ورسولِهِ، فيكونَ منَ الخاسرينَ؟ أو يَتَّبِعُ طاعةَ اللهِ في أموالِهِ، فيخرجُ منها الزكاةَ والصدقاتِ، وطاعةَ اللهِ في أولادِهِ، فيَأْمُرُهُمْ بالمعروفِ وينهاهمْ عن المنكرِ ويُرَبِيهمْ على طاعةِ اللهِ ويُجَنِّبُهُمْ معصيةَ اللهِ، فيكونُ لَهُ بذلكَ الأجرُ والقدوةُ الحسنةُ.

فالأموالُ والأولادُ فتنةٌ، كما قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥]، فالأموالُ والأولادُ قدْ يكونَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ على العبدِ، إذا استعمَلَها في طاعةِ

اللهِ، وقدْ يكونانِ شقاوةً على العبدِ إذا استعملَ ذلكَ في معصيةِ اللهِ ورسولِهِ.

كذلكَ يَبْتَلِي اللهُ العبادَ بعضَهم ببعضٍ، كما قالَ سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾، فالمؤمنُ يُبْتَلَى بالكافرِ، ويُبتلى بالمنافقِ، ويُبتلَى بأصحابِ الفِسْقِ والمعاصي؛ ليَظْهَرَ بذلكَ مَوْقِفُهُ مَعَ هؤلاءِ: هلْ يكونُ مَوْقِفُهُ موقفَ المؤمنِ باللهِ عزّ وجل؟ أو يكونُ موقفُهُ موقفَ المسالمِ المُنْخَذِلِ، الذي لايغارُ لدينِ اللهِ عزّ وجل، ولايُحركُ ساكِناً مَعَ أعداءِ اللهِ سبحانه؟ ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

فالمؤمنُ في هذهِ الحياةِ مُعَرَّضٌ للابتلاءِ والامتحانِ، لا أَحَدَ يَسْلَمُ مِنَ الابتلاءِ والامتحانِ، لم يَسْلَمِ الرُّسُلُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ منَ الابتلاءِ والامتحانِ، ولَمْ يَسْلَمْ أتباعُ الرُّسلِ مِنَ الابتلاءِ والامتحانِ، ولَمْ يَسْلَمِ المسلمونَ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ من الابتلاءِ والامتحانِ بأعداءِ اللهِ ورسولِهِ، لكنَّ أهلَ الإيمانِ يقفونَ مَعَ دينِ اللهِ عزّ وجل؛ نصرةً لدينِ اللهِ، وجهاداً في سبيلِ اللهِ بألْسِنَتِهِمْ وأموالِهِمْ وأنفسِهِمْ، يجاهدونَ في سبيلِ اللهِ. وأمّا أهلُ النفاقِ، الذينَ يُظْهِرُونَ الإيمانَ ويُبْطِنونَ الكُفْرَ، فإنَّهُمْ يقفونَ مَعَ أعداءِ اللهِ، ويُضَادُّونَ أَمْرَ اللهِ رسولِهِ، لكنَّ الجزاءَ يَوْمَ القيامةِ ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾، [الأنبياء: ٣٥]، فالجزاءُ يَوْمَ القيامةِ؛ يَجْزِي الصادقينَ بِصِدْقِهِمْ ﴿ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

فاللهُ سبحانه وتعالى في هذهِ الدنيا يُجري الابتلاءَ والامتحانَ على جميعِ

العبادِ، لايُستَثْنَى منْ هذا أحَدٌ، ثم تظهرُ النتائجُ بعدَ انقشاعِ الفتنةِ، فينقسمُ الناسُ إلى مؤمنٍ وكافرٍ، وإلى مؤمنٍ ومنافقٍ، وإلى مؤمنٍ وفاسقٍ. والجزاءُ إنَّما يكونُ في يومِ القيامةِ، فالدنيا دارُ ابتلاءٍ وامتحانٍ، والآخرةُ دارُ حسابٍ وجزاءٍ ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ هذا تذكيرٌ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى لعبادِهِ، في أنَّهُمْ سيرجعونَ إليهِ، وأنَّهُ لَنْ يتركَهُمْ سُدًى، ولمْ يَخْلُقْهُمْ هَمَلاً، بل هناكَ حسابٌ وجزاءٌ يومَ القيامةِ، فيجازَى كُلُّ عاملٍ بِعَمَلِهِ، وهناك تظهرُ النتائجُ، ويُفلحُ أهلُ الإيمانِ، ويَخسرُ أهلُ النفاقِ والكفرِ، في يومٍ لايَنفَعُهُمْ فيهِ ﴿ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

عبادَ اللهِ، إننا في هذا الزمانِ، وكُلَّمَا تَأَخَّرَ الزمانُ فإنَّها تَعْظُمُ الفتنُ وتشتدُّ، إلى أنْ تقومَ الساعةُ، فعلينَا أنْ نَحْذَرَ منْ هذهِ الفتنِ غايةَ الحَذَرِ، وأنْ نتمسَّكَ بكتابِ رَبِّنا وسُنَّةِ نَبِيِّنا ونَثْبُتَ على ديننا وعلى إيمانِنا ونَصْبرَ على ذلكَ إلى أن نلقى اللهَ سبحانه وتعالى، فالمؤمنُ لايَتَزَعْزع عن إيمانِهِ، إنْ جاءَهُ خيرٌ شَكَرَ اللهَ تعالى، وإن جاءَهُ شرٌّ صَبَرَ على ذلكَ، وثبَتَ على دينِهِ ولقيَ اللهَ سبحانه وتعالى صابراً مُحْتَسِباً.

هذهِ حِكْمَةُ اللهِ سبحانه وتعالى في خَلْقِهِ وأمْرِهِ، الابتلاءُ والامتحانُ دائماً وأبداً، فعلى المسلمِ أنْ يستشعرَ ذلكَ ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، أنتُمْ تقرأُونَ ما ذَكَرَهُ اللهُ عنِ المؤمنينَ والكفارِ في الأزمنةِ الماضيةِ الغابِرَةِ، وما جَرَى لهمْ منَ الابتلاءِ والامتحانِ، وما حَصَلَ مِنَ العواقِبِ الحميدةِ لأهلِ الإيمانِ على صَبْرِهِمْ وثَبَاتِهِمْ، وما حَصَلَ مِنَ العواقِبِ الوخيمةِ على أَهْلِ الكفرِ والنفاقِ مِنَ الهلاكِ والدمارِ، فَخُذُوا من ذلكَ الأسوةَ والقدوةَ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، أحمدُهُ وأشكرُهُ وأتوبُ إليهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ في رُبُوبِيَّتِهِ وإلٰهيَّتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، بلَّغ البلاغَ المبينَ، وتَرَكَنَا على البيضاءِ لايزيغُ عنها إلا هالكٌ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وكُلِّ مَنِ اتبعَ سُنَّتَهُ وتمسَّكَ بدينِه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ: أيها الناسُ: لايَخْفَاكُمْ ما تَعِجُّ بِهِ دُنْيا الناسِ اليومَ مِنَ الفتنِ العظيمةِ مِنْ جميعِ النَّواحي، وخُصوصاً: ما تجلبُهُ وسائلُ الإعلامِ المرئيةُ والمسموعةُ والمقروءةُ مِنَ الشُّرورِ والفتنِ، فِتَنِ الشُّبُهاتِ في الدينِ، وفتنِ الشهواتِ ممّا يعرضُ في وسائِلِ الإعلامِ منْ مختلفِ أقطارِ العالمِ، ولاسيَّما في الفضائياتِ ـ التي غَزَتْ بلادَ المسلمينَ أشَدَّ مِنْ غَزْوِ الصواريخِ المدّمرةِ تَصُبُّ في بُيُوتِ كثيرٍ مِنَ الناسِ اليوم لكن الناس لاينتبهون ماذا تجلب هذهِ الوسائلُ مِنَ العُرْي والتفسُّخِ، وخَلْعِ جلبابِ الحياءِ، وفعلِ الفواحشِ، وتعليمِ السرقةِ والسَّطْوِ والنهبِ، وغيرِ ذلكَ منْ تدميرِ العقائِدِ، وتدميرِ الأخلاقِ، وتدميرِ مصالحِ الدنيا والدِّينِ. وهذا ما يريدُهُ أعداؤنا، وهذا سلاح اليهودِ الذينَ يريدونَ تدميرَ العالمِ، يُريدونَ ألاّ يَبْقَى إلا هُمْ على وَجْهِ الأرضِ، وإنْ بقي أحَدٌ فيريدونَهُ مُنسلخاً عنِ

الدينِ، لادينَ لَهُ؛ لأنَّهُمْ شَعْبُ اللهِ المختارُ، كما يقولونَ، يريدونَ من غيرَهم أن يكونَ خادِماً لهمْ، يسيطرونَ عليهِ. هذهِ خطةُ اليهودِ، لعنهمُ اللهُ، وقد جُنِّدتْ لها هذه الوسائِلُ الخبيثةُ التي ليسَ فيها حَرْبٌ، وليس فيها سلاحٌ، وليس بها تعبٌ، تأتي إلى الناس في عُقْرِ دُورهم، وتؤثِّر في قُلُوبِهِمْ، وتؤثر في سلوكِهِمْ، وتؤثر في أخلاقِهِمْ، وتُفسدُ نِسَاءَهم وأولادَهُم، وتفسدُ كُلَّ شيءٍ، إلا مَنْ رحمَ اللهُ عزَّ وجل.

فاتَّقُوهَا ياعبادَ اللهِ، اتَّقُوهَا واحْذَرُوهَا، واحذَرُوا عقابَ اللهِ أنْ يَعُمَّ الجميعَ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥]، فعلينَا أنْ نَحْذَرَ مِنْ هذِهِ الفتنِ العظيمةِ، وكانَ النبيُّ ﷺ يقولُ «استعيذوا باللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، من عَذَابِ جَهَنَّمَ، ومِنْ عذابِ القَبْرِ، ومنْ فتنةِ المحيا والمماتِ، ومن فتنةِ المسيح الدجالِ»[1] شرع لنا ﷺ هذا الدعاءَ أن نقوله في كُلِّ صلاة، في التشهدِ الأخيرِ من الصلاةِ؛ لعظيم فائدتِهِ؛ لأنه حِصْن حَصِين يقي المسلم، إذا قاله بقلب حاضر واستحضر معناه، ودَعَا اللهَ بِهِ، فإنَّ اللهَ يَحْمِيهُ ويَعْصِمهُ منْ هذهِ الفتنِ، وهذهِ الشرورِ الحاضرةِ والمستقبلَةِ، في الحياةِ وبعدَ المماتِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلَمُوا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . إلخ الخطبة.

* * *

---

(١) النسائيُّ (٥٥١١) ومعناه عند الشيخين وغيرهما.

النهي عن المكاسب المحرَّمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أغْنَانَا بحلالِهِ عنْ حرامِهِ، وكَفَانَا بفضلِهِ عمّنْ سواهُ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، ولانَعْبُدُ إلا إياهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، وخليلُهُ ومُصْطَفَاهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومنْ والاهُ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، وتذكَّروا قولَ الرسولِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لايَقْبَلُ إلا طَيِّباً، وإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِما أَمَرَ بِهِ المرسلينَ، قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماءِ: يارَبِّ يارَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّيَ بالحَرَامِ، فأنّى يُسْتَجابُ لذلكَ**»[1].

واللهُ سبحانه وتعالى قَدْ فَصَّلَ لَنَا ما حرَّمَ علينا، ومنْ ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

إنَّ الخَمْرَ: كُلُّ ما غَطَّى العَقْلَ وأسْكَرَ، مِنْ أيِّ مادةٍ كانَ، قالَ ﷺ: «**ما أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ**»[2] وحَرَّمَ اللهُ الخَمْرَ؛ لأنَّهُ يَذْهَبُ بالعَقْلِ، ويُخَبِّلُ

---

(١) مسلم (١٠١٥).

(٢) أبو داود (٣٦٨١)، والترمذيُّ (١٨٦٦).

الإنسانَ، ويجعلُهُ أَحَطَّ مِنَ البهائِمِ، ويتصرفُ تصرفاتٍ لاتليقُ بالخنازيرِ ولا بالكلابِ، وقد يَقَعُ على أُخْتِهِ وأُمِّهِ ومحارِمِهِ، وقد يَسُبُّ ويشتمُ أباهُ وأمَّهُ، وقد يقتلُ النفوسَ بغيرِ حقٍّ؛ لأنَّهُ فَقَدَ العَقْلَ الذي بِهِ مَيَّزَ اللهُ هذا الإنسانَ على غيرِهِ مِنَ المخلوقاتِ، فهو نِعْمَةٌ أَنْعَمَ اللهُ بها على هذا الإنسانِ، فيعتدِي عليهِ بِما يأكلُ ويشربُ مِنَ المُسكراتِ، حتى يذهبَ عَقلُهُ.

وأمّا المَيْسِرُ، فالمرادُ بِهِ: القُمارُ، وهو كُلُّ المراهناتِ والمغالباتِ والمسابقاتِ التي تُؤْخَذُ عَلَيْها الأموالُ، وقد تكونُ أَمْوَالاً طائلةً منْ غيرِ مقابلٍ، فلا يجوزُ أَخْذُ المالِ على المراهناتِ ولا على المسابقاتِ والمغالباتِ، إلا ما استثناهُ النبيُّ ﷺ بقولِهِ: «لاسَبَقَ إلاَّ في نَصْلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ»[1] والسَّبَقَ ـ بفتح الباء ـ هو: الجائزة التي تؤخذ على المسابقةِ. والنَّصْلُ، المرادُ بِهِ: الرِّمايةُ، فيجوزُ أَخْذُ الجائزة على الرمايةِ؛ لما في ذلك منْ تعليمِ وسائِلِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، ويجوزُ أَخْذُ الجائزة على المسابقةِ على الإبلِ؛ لأنَّها منْ دوابِّ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وكذلكَ يجوزُ أَخْذُ الجائزة على ركوبِ الخيلِ؛ لأنَّ ذلكَ منْ وسائِلِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، فلذلكَ أُبيحَ أَخْذُ الجائزة على هذهِ الأمورِ.

وأمّا مَا عَداهَا منَ المسابقاتِ والمراهناتِ والجوائزِ التي تُعطى على ذلكَ، كُلُّ ذلكَ حرامٌ لأنَّهُ قمارٌ وميْسِرٌ، لأنَّهُ أَكْلٌ للمالِ بغيرِ حقٍّ. ومنْ ذلكَ ما تفعلُهُ الشركاتُ والمؤسساتُ والمحلاتُ التجاريةُ الآنَ، منْ وَضْعِ الجوائِزِ عنْ طريقِ مايسمونَهُ بِسَحْبِ الأرقامِ، وما يدفعونَهُ للزبائنِ إذا اشْتَرَوْا مِنْهم كميةً معينةً، وما يضعونه في المعلبات من جوائز خفية من عثر عليها فاز بها، كُلُّ ذلكَ دَاخِلٌ في

---

(١) أبو داود (٢٥٧٤)، والترمذيُّ (١٧٠٠) ورواه أيضاً النسائيُّ وابنُ ماجة.

المَيْسِرِ وداخلٌ في القُمارِ؛ لأنَّهُ أَكْلٌ للمالِ بغيرِ حقٍّ ولأنَّ في ذلكَ إضراراً بأهلِ السُّوقِ؛ لأنَّ هذا الذي يَدْفَعُ هذِه الجوائِزَ وهذهِ المسابقاتِ يَصْرِفُ الزبائنَ إليهِ عنْ جيرانِهِ، فيَضْطَرُّ جيرانُهُ إلى إغلاقِ محلاتِهِمْ، إلاَّ أنْ يَفْعَلُوا مِثْلَ ما فَعَلَ، فهذا فيهِ أَكْلٌ للمالِ بالباطلِ، ومَيْسِرٌ وقُمارٌ، وفيهِ مُضَارَّةٌ بالآخرينَ.

فالواجبُ على المسلمِ: أنْ يَتَّقِيَ اللهَ، وأنْ يتركَ هذهِ الأعمالَ المحرَّمةَ، وأنْ يقتصرَ على مَاأَحَلَّ اللهُ سبحانه وتعالى:

وأشَدُّ مِنَ الخَمْرِ أيضاً: المُخَدِّرَاتُ، التي تُتَنَاوَلُ عنْ طريقِ تناولِ الحبوبِ، أو عنْ طريقِ الحُقَنِ، أو غيرِ ذلكَ؛ بحيثُ إنَّها تُخَدِّرُ الإنسانَ ويصاب بالإدمان فلا يصبر عنها، فيتحوَّلُ منْ إنسانٍ إلى بهيمةٍ، وقدْ لا يأْنَفُ منْ فِعْلِ الفواحِشِ، ثم تَفْتِكُ بِهِ هذهِ المخدراتُ، فلا يستطيعُ أنْ يتحركَ، ولا أنْ يَدْخُلَ، ولا أنْ يَخْرُجَ، ولا أنْ يَكْتَسِبَ لنفسهِ ولا لعائلتِهِ، فيصبحُ عالةً على أَهْلِهِ، ويؤدِّي بِهِ ذلكَ إلى الهلاكِ المحققِ، ويتمنَّى أهلُهُ أنْ يَمُوتَ ليستريحوا مِنْهُ؛ لأنَّهُ أصبحَ لافائدةَ فِيهِ، بِسَببِ هذهِ المخدراتِ الخبيثةِ التي قَضَتْ على جِسْمِهِ وعَقْلِهِ وعلى صِحَّتِهِ، فجعلتْهُ كالجمادِ المُلقَى على الأَرْضِ، ولاحولَ ولا قوةَ إلا باللهِ. وماذا استفاد هذا المسكينُ منْ هذهِ المخدراتِ؟

وهذا مايريدُهُ أعداؤُنا، يريدونَ أنْ يُضْعِفُوا المسلمينَ، وأنْ يَقْضُوا على قُوَّتِهِمْ وعلى رجالِهِمْ، وأنْ يُوقِعُوا بينَهُمُ العداوةَ والبغضاءَ، التي أرادَهاَ سيدُهُمْ وإمامُهُمُ الشيطانُ الرجيمُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١].

وكذلك المُفَتِّرَاتُ، وهي الدخانُ والقاتُ، وكُلُّ ما يُفَتِّرُ الإنسانَ ويصيبُهُ بالإدمانِ، فإنَّها تلتحقُ بهذهِ المحرَّماتِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ في دَرَجَتِها، لكنَّها تلتحَقُ

بِها في الحُرْمةِ؛ لأنَّها تَضُرُّ بالعقلِ وبالجسمِ عندما يفقدُهَا متعاطِيها، ويَمْرَضُ مِنْ أجلها، فهيَ مُلْحَقَةٌ بهذهِ المحرَّماتِ فهي محرمةٌ لايجوزُ تعاطِيها، ولايجوزُ بَيْعُها، ولاشِرَاؤُها، ولازراعتُها، ولا المتاجرةُ بِها؛ لأنَّها موادُ محرَّمةٌ ضارةٌ وفتَّاكَةٌ، والمالُ الذي يَحْصُلُ مِنْ ورائِها حرامٌ وسُحْتٌ، يأكُلُهُ صاحبُهُ سُحْتاً، يتغذَّى بِهِ في جِسْمِهِ، و«كُلُّ جِسْمٍ نَبَتَ مِنَ السُّحْتِ فالنارُ أَوْلَى بِهِ»[1]. كما وَرَدَ عن رسولِ اللهِ ﷺ.

وأمَّا الأنصابُ فالمرادُ بِها: حجارةٌ كانتْ تُعْبَدُ في الجاهليةِ، ويذبحونَ عندَهَا ويلطخُونَها بالدماءِ تَبَرُّكاً بِها، فالذبيحةُ التي تذبحُ على النُّصبِ حرامٌ؛ لأنَّها قد أُهِلَّ بِها لغيرِ اللهِ، فكُلُّ ذبيحةٍ ذُبحتْ لأجلِ تعظيمِ هذهِ الأصنامِ أو هذهِ القبورِ والأضرِحَةِ، أو ذُبِحَتْ للجنِّ؛ لاتقاءِ شَرِّهِمْ، أو للشياطينِ لاتقاءِ شَرِّهِمْ، فإنَّها مُحَرَّمَةٌ ومَيْتَةٌ، وهي مما أُهِلَّ بِها لغيرِ اللهِ.

ومنْ ذلكَ: ما يفعلُهُ بعضُ المغرورينَ المقلِّدينَ للكفارِ والكُهّانِ، إذا أرادَ أنْ يَفْتِتِحَ مشروعاً أو مصنعاً، أوْ أنْ يسكُنَ بيتاً، يأتي بشاةٍ أو ببعيرٍ، فَيَذْبَحُهُ على البابِ ويلطِّخُ بِهِ المدخلَ إنْ كانَ بَيْتًا، أو يلطخُ بِهِ الآلياتِ إنْ كانَ مَصْنَعاً، أو غيرِ ذلكَ، فهذا ممّا أُهِلَّ بِهِ لغيرِ اللهِ، وهو داخِلٌ فيما ذُبِحَ للنُّصُبِ.

وأمَّا الأزلامُ: فهي رقاعٌ كانُوا يحتكمونَ إليها عندما يُشْكِلُ عليهمْ أمْرٌ مِنَ الأمُورِ، كانُوا في الجاهليةِ يعملونَ رقاعاً، أيْ: أوراقاً صغيرةً، فيكتبونَ على بَعْضِها: افعلْ، وعلى الأُخرى: لاتفعلْ والثالثةُ يجعلونَها مُهْمَلَةً مِنَ الكتابةِ، ثم يضعونَها في كِيسٍ، فإذا هَمُّوا بأمرٍ، وتردَّدُوا: هل يفعلونَهُ أو لايفعلونَهُ؟ يُدْخِلُ

---

(١) أحمد والدارمي وابن حِبان والحاكم عن جابر رضي الله عنهما.

أَحَدُهُمْ يَدَهُ في الكيسِ، فإنْ خَرَجَ الذي مكتوبٌ عليهِ: افعلْ، مَضَى وعَزَمَ واطمأنَّ لهذا العملِ. وإن خرجَ المكتوبُ: لاتفعلْ، تأخَّرَ وامْتَنَعَ مِنَ المُضيِّ فيما أرادَ. وإنْ خَرَجَ المُهْمَلُ الذي ليسَ عليهِ كتابةٌ، أعادُوا مرةً ثانيةً، حتى تخرجَ لهمْ كتابةٌ.

فهذا منْ أمورِ الجاهليةِ ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ فحرَّم اللهُ ذلكَ، وعوَّضنا مِنْ ذلكَ بِصَلاةِ الاسْتِخَارَةِ: إذا هَمَّ الإنسانُ بشيءٍ وتردَّدَ: هلْ يفعلُهُ أو لا؟ فإنَّهُ يُصَلِّي ركعتينِ منْ غيرِ الفريضةِ، ثم إذا سَلَّمَ يَدْعُو اللهَ بدعاء الاستخارَةِ المعروفِ الثابتِ عنِ الرسولِ ﷺ، وفيهِ اللجوءُ إلى اللهِ، وفيهِ الاستعانَةُ باللهِ سبحانه وتعالى، فصلاةُ الاستخارةِ عبادةٌ وتوحيدٌ، ولجوءٌ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وهي بديلٌ مِنَ الاسْتِقْسَامِ بالأَزْلامِ التي هي أمورٌ جاهليةٌ، وكُلُّ ما كانَ منْ أمورِ الجاهليةِ فإنَّهُ محرَّمٌ على المسلمينَ؛ لأنَّ اللهَ أغْنَى المسلمينَ بما شَرَعَهُ لهمْ في هذا الدينِ العظيمِ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فاللهُ أَغْنَى المسلمينَ عنْ أمورِ الجاهليةِ؛ ولهذا يقولُ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيُوبَ، (يعني: عندَ المصيبةِ) وَدَعَا بدعوى الجاهليةِ»(١) وقال ﷺ: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ فأَعضُّوهُ بِهِنِ أَبِيهِ ولا تُكْنُوا»(٢).

فالواجبُ على المسلمينَ: أنْ يتركُوا أمورَ الجاهليةِ، ومنها: الخمرُ والمَيْسِرُ والأنصابُ والأزلامُ؛ لأنَّها إمّا مكاسبُ مُحَرَّمَةٌ، أو مشاربُ محرمةٌ، أو

---

(١) البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

(٢) أحمد (٥/١٣٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٣٦، ٩٤٦)، والطبراني في «الكبير» (١/٢٧/٢).

مآكِلُ محرمةٌ، أو اعتمادٌ على الشركِ وعلى غيرِ اللهِ سبحانه وتعالى؛ لأنَّ الاستقسامَ بالأزلامِ يدخلُ في ادِّعاءِ عِلْمِ الغَيْبِ الذي لا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ سبحانه وتعالى، فلا يُطْلِعُ على الغيبِ إلا اللهُ، إذا أشْكَلَ عليكَ أمرٌ فالجأْ إلى عَلاَّمِ الغُيُوبِ، وصَلِّ، وادعُ اللهَ سبحانه وتعالى، ثُمَّ اللهُ جل وعلا يَدُلُّك على مافيهِ الخيرُ والسدادُ والرشادُ، والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ.

أقولُ قَوْلِي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولَكُمْ ولجميعِ المسلمينَ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، وأَشْكُرُهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واعلَموا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى شَرَعَ في هذا الدينِ العظيمِ ما يحمي الضرورياتِ الخمسَ للمسلمينَ:

ما يَحْمِي النفوسَ مِنَ القتلِ بغيرِ حَقٍّ، وذلكَ بالقصاصِ.

ومايَحْمِي العقولَ، وذلكَ بِحَدِّ المُسْكِرِ، فمنْ شربَ مسكراً، وَجَبَ أنْ يُجْلَدَ ثمانينَ جلدةً، حتى يَتُوبَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى.

وحَمَى الأعراضَ منْ أنْ تُنتهكَ بالقذفِ بالفاحشةِ، والرَّمْي بالزِّنا أو اللِّوَاطِ، فَشَرَعَ حَدَّ القذفِ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [النور: ٤، ٥].

وحَمَى الأموالَ، وذلك بِقَطْعِ يدِ السارقِ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾ [المائد: ٣٨].

وقال تعالى في قُطّاعِ الطريقِ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [المائدة: ٣٣]. وحَدُّ قطّاعِ الطريقِ فيهِ صيانةٌ للأموالِ، وفيه صيانةٌ للأَمْنِ، وفيه صيانةٌ للطُّرُقِ، طُرُقِ المسلمينَ في الأسفارِ.

وحَمَى سبحانه وتعالى الأنسابَ، وذلك بِحَدِّ الزِّنا ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢]. هذا إذا كانَ الزاني بِكْراً، يعني: لم يَسْبِق له أنْ وَطِىء امْرأتَهُ في نكاحٍ صحيحٍ، وأما إذا كان الزاني مَنْ تزوجَ زواجاً صحيحاً وَوَطِىءَ زوجتَهُ بالحلالِ، ثم زَنَا بعدَ ذلكَ، وثبتَ عليهِ الزِّنا بإقرارٍ أوْ ببيِّنَةٍ، فإنَّهُ يُرْجَمُ بالحجارةِ حتى يموتَ تحتَ الحجارةِ.

كُلُّ ذلكَ صيانةٌ لأنسابِ المسلمينَ أنْ تَخْتَلطَ، وصيانةٌ لأعراضِهِمْ أنْ تُنْتَهكَ، وصيانةٌ لأموالِهِمْ أنْ تُنْتَهبَ وتُسْلَبَ، وصيانةٌ لعُقُولِهِمْ أنْ يُجنَى عليها بِشُربِ المسكرِ والمخدِّرِ، وغيرِ ذلكَ مما يضرُّ بالعقولِ، وصيانةٌ لدمائِهِمْ منَ العدوانِ عليها. فالحمدُ للهِ على هذا الدينِ العظيمِ، الذي يَحْمِي للمسلمينَ أَمْنَهُمْ واستقرارَهُمْ، بلْ ويحمي قبلَ ذلكَ دينَهُمْ وعقيدتَهُمْ، ويَجْعَلُهُمْ إخوةً متحابينَ في اللهِ عزّ وجل.

ثم اعلموا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في التوبة والاستغفار

الحمدُ للهِ الغفورِ الشكورِ، يقبلُ التوبةَ عنْ عبادِهِ ويعفُو عنِ السيئاتِ ويعلمُ ما تفعلونَ، وأشهدُ أنْ لاإلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ يُحيي ويميتُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، القائِلُ: «**يا أَيُّها النَّاسُ، تُوبُوا إلى اللهِ، فإنِّي أَتوبُ إلى اللهِ في اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومنِ اهتدى بهداهُ وتمسَّكَ بِسُنَّتِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**ياعِبادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئونَ في اللَّيْلِ والنَّهارِ، وأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لكُمْ**».

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قَدْ فَتَحَ بابَ التَّوْبَةِ لِعبادِهِ، ولايُغْلَقُ هذا البابُ إلا إذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مغربِها، أو بلغت الروح الغرغرة، رحمةً بعبادِهِ سبحانه وتعالى، يَعْصُونَهُ ويخطئونَ في حَقِّهِ ثم إذا تابُوا تابَ عليهِمْ، وغَفَرَ لهمْ، ومحا عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وهذا فَضْلٌ مِنَ اللهِ تفضَّلَ بِهِ على عبادِهِ وهو غَنِيٌّ عنهمْ، ولكنْ رحمةً بِهِمْ وإحساناً إليهمْ، فهمُ المحتاجونَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى.

عبادَ اللهِ: الاستغفارُ هو طلبُ المغفرةِ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، والتوبةُ هي الرجوعُ مِنَ الذنوبِ والمعاصِي إلى الطاعاتِ، وهي واجبةٌ على جميعِ الخلقِ، وعلى المؤمنينَ خاصةً، قالَ تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور ٣١]. والتوبةُ ليستِ التوبةَ باللسانِ فقطْ، ولكنَّ التوبةَ

الصحيحةَ والتوبةَ النَّصُوحَ: ما توفّرَ فيها شروطٌ ثلاثةٌ أوْ أربعةٌ:

الشرطُ الأوَّلُ: الإقلاعُ عنِ الذنوبِ، أيْ: تَرْكُ الذنوبِ والابتعادُ عنها.

والشرطُ الثاني: العَزْمُ على ألاّ يعودَ إليهَا إلى المماتِ.

والشرطُ الثالثُ: الندمُ على ما حصَلَ منهُ مِنَ الذنوبِ؛ لأنَّ الندمَ يحثُّهُ على تَرْكِ الذنوبِ وعلى فِعْلِ الطاعاتِ.

وإذا كانت المعصيةُ بينَ العَبْدِ وبينَ المخلوقينَ، بأنْ تعدَّى عليهِمْ، أو ظَلَمَهُمْ، أو أَكَلَ أموالَهمْ، أو انتهكَ أعراضَهُمْ، أو قَتَلَ النُّفُوسَ، أو ضربَ الأبدانَ، ظُلماً وعُدْواناً، فإنَّ التوبةَ مَعَ هذهِ الشروطِ الثلاثةِ الماضيةِ يشترطُ لها شرطٌ رابعٌ، وهو: أنْ يتحلَّلَ منْ هؤلاءِ المظلومينَ، ويطلبَ منهمُ المُسَامَحَةَ، أو يردَّ عليهمْ حقوقَهُمْ التي اغْتَصَبَها مِنْهُمْ أو ظَلَمَهُمْ فِيها، ويمكِّنُ مِنْ نَفْسِهِ للقصاصِ ممّا ظَلَمَ الناسَ فيه.

فإذا توافرتْ هذهِ الشروطُ، فالتوبةُ مقبولةٌ ـ بإذنِ اللهِ ـ كما وَعَدَ اللهُ سبحانه وتعالى بذلكَ.

ثُمَّ هناكَ شَرْطٌ عامٌّ، وهو: أنْ تكونَ التوبةُ قبلْ أن ينزلَ مَلَكُ الموتِ لقبضِ الرُّوحِ ويعاينَ ملكَ الموتِ، فحينئذٍ لاتُقْبَلَ منهُ التوبةُ، قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ»[1] أيْ: ما لم تَبْلُغْ رُوحُهُ الغَرْغَرَةَ. وقالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ

---

(١) الترمذي (٣٥٣١)، وابن ماجة (٤٢٥٣) وغيرهما.

يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

عبادَ اللهِ: والذنوبُ تَنْقَسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: الشركُ باللهِ عزّ وجل والكفرُ، وهذانِ الذنبانِ لايغفرانِ إلا بالتوبةِ، فمنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ شِرْكِهِ وكُفْرِهِ ومات على ذلكَ، فإنَّهُ قد حَرُمت عليهِ الجنةُ، ومأواهُ النارُ، كما قالَ سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

القسمُ الثاني: الكبائرُ التي دونَ الشركِ والكفرِ، كالزنا والسرقةِ وشربِ الخمرِ، وضابطُ الكبيرةِ: ما وُضِعَ عليهِ حَدٌّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرةِ، أو خُتِمَ بِلَعْنَةٍ أو غضبٍ أو نارٍ. فهذهِ الذنوبُ كبائرُ، وهي كثيرةٌ، ومنْها: الموبقاتُ المُهْلِكَاتُ وهي تزيدُ على سبعمِئَةٍ أوْ أكثرَ، وهذهِ الكبائرُ: منْ تابَ إلى الله منها قُبلتْ توبتُهُ، ومُحيتْ ذنوبُهُ. ومن ماتَ عليها ولم يتُبْ منها، فإنَّه تحتَ مشيئةِ اللهِ، إنْ شاء غَفَرَ لَهُ، وإنْ شاءَ عذَّبَهُ بقدرِ ذُنُوبِهِ، وقد يَمْكُثُ في النارِ أَحْقاباً ومُدداً طويلةً، ثم يُخْرَجُ مِنها كالفَحْمَةِ، فَيُوَضعَ في نهرٍ يقالُ لَهُ: نهرُ الحياةِ، فينبتُ جِسْمُهُ، ثم بعدَ ذلكَ يؤذنُ لَهُ بدخولِ الجنةِ، وذلكَ بإيمانِهِ باللهِ عزّ وجل، وتجنُّبِهِ للشِّركِ والكفرِ، لكنَّهُ قد يُعذَّبُ بذنوبِهِ وكبائرِهِ، وقد يكونُ العذابُ طويلاً، والعياذُ باللهِ. ولو كان العذابُ لحظةً في نارِ جَهَنَّمَ، فمنْ يُطِيقُه؟! فكيف إذا كان العذابُ دهوراً وأحقاباً ومدداً طويلة، فالخطرُ عظيمٌ والخطبُ جسيمٌ.

القسمُ الثالثُ: الصغائرُ، وهي كُلُّ ما نَهى اللهُ عَنْهُ ورسولُهُ، ولم ينطبقْ عليهِ تعريفُ الكبيرةِ. وهذه الصغائرُ تُغْفَرُ بشيئَيْنِ:

الشيءُ الأولُ: تَجَنُّبُ الكبائرِ.

والشيءُ الثاني: عَمَلُ الطاعاتِ. فمن عَمِلَ الطاعاتِ، وتجنّبَ الكبائرَ، فهذا يُغفرُ لَهُ بتجنُّبِ الكبائرِ وبعملِ الطاعاتِ، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤]، وقالَ جلّ وعلاَ: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء: ٣١]، وقال النبيُّ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ ورَمَضَانُ إلى رمضانَ كَفَّارةٌ لما بينَهنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبائِرُ»[1].

فاتقوا اللهَ، عبادَ اللهِ وراجعوا أنفسكم وحاسبُوا أنفسَكُمْ: وتوبُوا منَ ذُنُوبِكُمْ وسيِّئَاتِكُمْ، فإنَّ التوبةَ تَجُبُّ ما قَبْلَها مِنَ الكُفْرِ والشركِ والكبائرِ وسائرِ المعاصي، قالَ اللهُ جلَّ وعلاَ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة: ٧٣ـ٧٤]، وقال جلّ وعلا: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾[الزمر: ٥٣ـ٥٤].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وبادِرُوا بالتوبَةِ قَبْلَ الفَوَاتِ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣) والترمذي (٢١٤).

﴿أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم: ٨].

باركَ اللهُ لي ولكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشكُرُهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، إنّكُمْ تُخْطِئُونَ بالليلِ والنهارِ، ومنْ رحمةِ رَبّكُمْ بِكُمْ أنْ فَتَحَ لَكَمْ بابَ التوبةِ كلَّ وقتٍ، وَوَعَدَكُم أن يتقبلَ منكم، وهو لايخلفُ وَعْدَهُ، ومن رحمتِهِ: أن جعلَ لكم المواسمَ العظيمةَ؛ زيادةً في حسناتِكُم، وزيادةً في أعمارِكُم، فإنَّ أعمارَكُم قصيرةٌ، ولكنِ اللهُ جعلَ هذه المواسمَ زيادةً في أعمارِكُم؛ لتتقرَّبوا إليه فيها بالطاعاتِ، وتُخَلِّصوا أنفُسَكُمْ منَ الهَلَكاتِ، فاغتنموها، واسألوا اللهَ أنْ يبلِّغكم إيَّاها، وأن يعينكم على اغتنامِهَا وأنْ يتقبَّلها منكم، فلا تكونُوا مِنَ الغافلينَ الذين تأتي عليهم هذه المواسمُ، وهُمْ في غفلةٍ معرضون، وفي طغيانهم يعمهون.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وقدِّرُوا لهذِهِ المواسِمِ قَدْرَهَا، واشكُرُوا رَبّكُمْ إذْ وَفَّقَكُمْ لبلوغِها، واسألوهُ أنْ يعينكُمْ على الاستفادةِ مِنها.

واعلَموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في الحثّ على صلاةِ الجماعةِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، جَعَلَ الصلاةَ كتاباً مَوْقوتاً على المؤمنينَ، وقالَ: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحَمْدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسولُهُ، بلَّغَ البلاغَ المبينَ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، ومنْ تمسَّكَ بسُنَّتِهِ إلى يومِ الدينِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى. قالَ الله سبحانه وتعالى: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فالصلاةُ صِلَةٌ بين اللهِ جلّ وعلا وبين عباده، وهي وصيةُ نَبيِّهِ محمدٍ ﷺ عندَ خُرُوجِهِ مِنَ الدنيا، فكانَ ﷺ يعاني سكراتِ الموتِ، وهو يقولُ «عبادَ اللهِ، الصلاةَ، الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانكُمْ»(١) فمازالَ يُكَرِّرُها حتى ثَقُلَ بها لسانُهُ ﷺ. وكانت قُرَّةَ عينِهِ من هذهِ الدنيا، قالَ ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ مِنَ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ والطِّيبُ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ»(٢).

وكذلكَ الصلاةُ كانتْ هي قُرَّةَ أَعْيُنِ صَحَابَةِ رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه: مَنْ سَرَّهُ أنْ يلقَى اللهَ غداً مُسلماً، فليُحافِظْ على هذهِ الصلواتِ الخمسِ، حيثُ يُنادَى بهنَّ، فإنَّ اللهَ شَرَعَ لنبيِّكُمْ سُنَنَ الهُدى وإنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدى، ولو أنكُمْ صلَّيتمْ في بُيُوتِكُمْ كَمَا يصلِّي هذا المتخلِّفُ في بيتِهِ، لتركتمْ سُنَّةَ نبيكمْ، ولو تركتمْ سنةَ نبيكمْ لضَلَلْتمْ، ولقدْ كانَ الرجلُ يُؤْتى بِهِ

---

(١) ابن ماجة (١٦٢٥). (٢) النسائي (٣٩٤٠) وغيره.

يُهادَى بينَ الرجلينِ حتى يُقامَ في الصَّفِّ.

إنَّ الصلاةَ ـ ياعبادَ اللهِ ـ هي الركنُ الثاني منْ أركانِ الإسلامِ بعدَ الشهادتينِ، وهي أولُ مافُرِضَ على النبيِّ ﷺ مِنْ هذهِ الفرائضِ بعدَ الشهادتينِ، فقد فُرضتْ على النبيِّ ﷺ وعلى أُمَّتِهِ ليلةَ الإسراءِ والمعراجِ، قبلَ الهجرةِ، وصلاَّها ﷺ في مكةَ قبلَ أنْ يهاجرَ إلى المدينةِ، ولما هاجرَ إلى المدينةِ فُرضتْ عليهِ بقيةُ فرائِضِ الإسلامِ، وقال ﷺ : «رأسُ الأمْرِ الإسلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وذُرْوَةُ سنامِهِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ»[(١)] فجعلَ الصلاةَ هي عمودَ الإسلامِ، فكما لايستقيمُ بيتٌ بلا عمودٍ، فكذلكَ لايستقيمُ إسلامٌ بدونِ صلاةٍ، فالذي يدَّعي الإسلامَ، وهو لايحافظُ على هذهِ الصلواتِ الخمسِ، فإنَّهُ ليسَ لهُ إسلامٌ.

والصلاةُ مكانتُها عندَ اللهِ عظيمةٌ، ولهذا فَرَضَها اللهُ في اليومِ والليلةِ خمسَ مراتٍ، وأمرَ بالاجتماعِ لها في بيوتِهِ التي هيَ المساجدُ وأمَرَ بالأذانِ لَها بأعلى صوتٍ لحضورِهَا، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

والصلاةُ هي الفارِقَةُ بينَ المسلمِ والكافرِ، قالَ ﷺ: «العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَها فقدْ كَفَرَ»[(٢)]، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ : «بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الكُفْرِ والشِّرْكِ: تَرْكُ الصَّلاَةِ»[(٣)]. واللهُ سبحانه وتعالى أَمَر بقتالِ الكفارِ حتى يتوبُوا ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ

---

(١) الترمذي (٢٦١٩). (٢) مسلم (٨٢). (٣) الترمذي (٢٦٢٣) والنسائي (٤٦٢).

كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]، وأخبرَ سبحانه وتعالى أنَّ أهلَ النار إذا أُلقوا في النار، وسُئِلُوا: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ أي: ماهوَ السَّبَبُ الذي أَدْخَلَكُمْ جَهَنَّمَ؟ ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ فأولُ جَوَابٍ يجيبونَ بِهِ: أنَّهُمْ لمْ يكونُوا مِنَ المصلِّينَ.

فمنْ تَرَكَ الصلاةَ متعمداً فقدْ كفرَ، وخلعَ رِبقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِهِ، وإنْ كانَ يدَّعي أنَّهُ مسلمٌ، فإنَّ الإسلامَ ليس بالانتسابِ ولا بالتحلِّي، وإنما الإسلامُ حقيقةٌ: قَولٌ وعملٌ واعتقادٌ، والصلاةُ هي أهمُّ شيءٍ بعدَ التوحيدِ، فمنْ تَرَكَها متعمداً فإنَّهُ يكونُ كافِراً الكُفرَ الأكْبَرَ المخرجَ من المِلَّةِ، وإن كان يقر بوجوبها على القول الصحيح، وإنْ كانَ يشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، فإنَّ هاتينِ الشهادتينِ ليستا مجردَ نُطْقٍ يُنْطَقُ بِهِ باللسانِ، ولكنَّهما لهما مَعْنى ومدلولٌ، ولهما حقيقةٌ وحقوقٌ، فلابدَّ منْ أداءِ حقوقِ الشهادتينِ، وإنَّ الصلاةَ هي أعظمُ حقوقِ الشهادتينِ.

وإذا كانَ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ تعالى عنه قاتلَ مَنْ مَنَعَ الزكاةَ، والزكاةُ هي قرينةُ الصلاةِ، وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ: إن الرسول ﷺ قال: «إلا بحقها» وإن الزكاة من حقها. واللهِ لو مَنَعُونِي عِقالاً كانوا يُؤَدُّونَهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عليهِ، فكيفَ لو رَأى منْ يتخلَّفُ عَنِ الصلاةِ، ويتركُ الصلاةَ، ولا يبالي بِها؟ بل قدْ يكونُ طُولَ حياتِهِ لَمْ يَرْكَعْ للهِ رَكْعَةً، وهو يزعمُ أنَّهُ منَ المسلمينَ، وينطقُ بالشهادتينِ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

واللهُ سبحانه وتعالى وَعَد المضَيِّعينَ للصلاةِ، والساهينَ عنها، بأشدِّ الوعيد، مع أنَّهمْ يصلونَ، ولكنهمْ لايصلونَ الصلاةَ على الوَجْهِ المطلوبِ، توعَّدَهُمْ بأشدِّ الوعيدِ، فكيفَ الذي لايصلِّي أصْلاً؟! قالَ اللهُ سبحانه وتعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ ﴾

[مريم: ٥٩، ٦٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، ومعنى ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ومعنى ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أنهم يتهاونونَ بأحكامِ الصلاةِ، فمنهمْ مَنْ يؤخِّرُها عنْ وقْتِها الذي أمَرَ اللهُ أنْ تُؤدَّى فيهِ، ومنْ أخَّرهَا عنْ وَقْتِها فهو مضيّعٌ لها، وإنْ كانَ يصلِّي في الظاهرِ والصورةِ، إلا أنَّهُ لايُصَلِّي في الحقيقةِ؛ لأنَّه لمْ يؤدِّ الصلاةَ في الموعدِ الذي حَدَّدَهُ اللهُ لَها، ومنْ لَمْ يصلِّ في المَوْعِدِ فإنَّها لاتُقْبَلُ منهُ. وكذلكَ مِنَ السَّهْوِ عن الصلاةِ وتَضْيِيعِها: تركُ إقامَتِها مَعَ جماعةِ المسلمينَ، فالذي يتركُ صلاةَ الجماعةِ ويصلي في بيتِهِ مُنْفَرِداً، أو يُصَلِّي مَعَ جماعةٍ في بيتِهِ ويتركُ الحضورَ إلى المَسْجِدِ من غير عذر، فإنَّهُ يكونُ مِنَ المضَيِّعينَ للصلاةِ ولهذا كما سمعتمْ عنْ عبد اللهِ بنِ مسعودٍ في قوله: لو أنكمْ صَلَّيتمْ في بيوتكمْ، كما يُصلِّي هذا المتخلِّفُ في بيتِهِ، لتركتمْ سُنَّةَ نبيكمْ، ولو تركتمْ سنةَ نبيكمْ لَضَلَلْتُمْ، ولقدْ كانَ الرجلُ يُؤْتى بهِ يُهادَى بينَ الرجلينِ حتى يُقامَ في الصفِّ.

وقالَ ﷺ في الحديثِ الصحيحِ: «**لقدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بالصَّلاةِ فتُقام، ثُمَّ آمُرَ رجُلاً يؤمُّ النَّاسَ ثُمَّ أُخالفُ إلى رجالٍ لايشْهدونَ الصلاةَ، فأُحرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بالنَّارِ**»[1]، فالنبيُّ ﷺ هُمَّ بتحريقِهِمْ بالنارِ على تركِ الحضورِ للمسجدِ، ولمْ يسألْ: هلْ كانُوا يصلونَ في بيوتهمْ أوْلا؟ فدل على أنَّهُ لاتجوزُ لهمُ الصلاةُ في بُيُوتِهِمْ إذا كانُوا يقدرونَ على الحُضُورِ إلى الصلاةِ في المسجدِ.

وقالَ ﷺ: «**مَنْ سَمعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إلاَّ مِنْ عُذْرٍ**»[2] قيلَ لابنِ عباسٍ رَاوِي الحديثِ: وما العُذْرُ؟ قالَ: خَوْفٌ أو مَرَضٌ. فمنْ تركَ صلاةَ الجماعةِ، وهو يقدرُ على حُضُورِها، وصَلَّى في بيتِهِ، فإنَّهُ قدْ تَرَكَ وَاجِباً عَظِيماً.

وقدْ وصَفَهُ النبيُّ ﷺ بالنفاقِ، فقالَ ﷺ: «**أثْقَلُ الصَّلَواتِ على المنافِقِينَ**

---

(١) البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١). (٢) ابن ماجة (٧٩٣).

صَلاةُ العِشَاءِ وصَلاةُ الفَجْرِ، ولَوْ يَعْلَمُونَ مافِيهِمَا لأَتَوْهُما ولَوْ حَبْواً»[1] فَوَصَفَهُمْ بالنفاقِ؛ لأنَّهُمْ يَتَثَاقَلُونَ عنْ صلاةِ العشاءِ وعنْ صلاةِ الفجرِ، وكذلكَ ـ منْ بابِ أوْلى ـ من يتثاقلُ عنْ بقيةِ الصلواتِ، ولكنْ هاتينِ الصلاتينِ لهما مَزِيَّةٌ على غيرِهِما مِنَ الصلواتِ، ولهذا قالَ جلّ وعلا: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

ومِنَ المحافظةِ على الصلواتِ والصلاةِ الوُسْطَى: المحافظةُ على صلاةِ الجماعةِ، وقد جاءَ في الأثَرِ: «لاَ صَلاَةَ لجارِ المسجدِ إلا في المَسْجِدِ»[2] فما الذي يَمْنَعُ هذا الرجلَ أنْ يَحْضُرَ ويُصلي مع المسلمينَ، ثم يرجعُ إلى بيتِهِ وإلى أعمالِهِ؟ قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠]، وهذا في سائرِ الصلواتِ أيضاً: أنَّ الإنسانَ إذا سمعَ النداءَ فإنَّهُ يتركُ أعمالَهُ الدنيويةَ، ويقبلُ على طاعةِ رَبِّهِ عزَّ وجلّ، ويتجهُ إلى المساجِدِ؛ ليؤدِّي ما أَوْجَبَ اللهُ سبحانه وتعالى عليه، ثم يعودُ إلى أعمالِهِ، فيكونُ منْ عُمّارِ المساجِدِ، الذين قالَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧].

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيم.

---

(١)، (٢) رواهما البخاري ٦٥٧، ومسلم ٦٥١.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى. يقولُ اللهُ تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ـ١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ـ٢٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥].

وجاءَ في الحديث: «مَنْ حَفِظَها وحافَظَ عَلَيْها كانَتْ لَهُ نُوراً وبُرْهَاناً وَنَجاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، ومَنْ لَمْ يحافِظْ عَلَيْها لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ولا نَجاةٌ ولابُرْهانٌ يَوْمَ القيامةِ، وحُشِرَ مَعَ فرعونَ وهامانَ وقارونَ وأُبَيِّ بن خَلَفٍ»[1] قالَ العلماءُ رحمهمُ اللهُ: وسببُ حشْرِهِ مَعَ قادةِ الكفرِ: أنهُ إنِ اشتغلَ عَنِ الصلاةِ بملكِهِ فإنهُ يُحشرُ معَ فرعونَ، وإن اشتغلَ عَنِ الصلاةِ بوزارتِهِ فإنَّهُ يحشرُ مع هامانَ وزيرِ فرعونَ، وإن اشتغلَ عنِ الصلاةِ بمالِهِ فإنَّهُ يحشرُ مع قارونَ، وإن اشتغلَ عنِ الصلاةِ ببيعِهِ وشرائِهِ وتجارتِهِ فإنَّهُ يحشرُ معَ أُبَيِّ بن خَلَفٍ تاجرِ الكفارِ بمكةَ، فيحشرُ مَعَ نظرائِهِ منْ أئمةِ الكفرِ يومَ القيامةِ. وهذا دليلٌ واضحٌ على كفرِ تاركِ الصلاةِ، نعوذُ باللهِ منَ الخذلانِ.

---

(١) أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وابن حبان في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

إنَّ ميزانَ الصلاةِ اليومَ عِندَ كثيرٍ منَ الناسِ قَدْ خَفَّ، وقد ذكَرَ العلماءُ ـ رحمهم اللهُ ـ أنَّ منزلةَ الإسلامِ في قلبِ الإنسانِ تُعرفُ من منزلةِ الصلاةِ في قلبِهِ، فمنْ أرادَ أنْ يعرفَ منزلةَ الإسلامِ في قلبِهِ، فلينظرْ إلى مكانةِ الصلاةِ في قلبِهِ، فالصلاةُ هي عنوانُ السعادةِ، ولهذا يقولُ جلّ وعلا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

كثيرٌ منَ الناسِ اليومَ يسكنونَ إلى جوارِ بُيُوتِ الله يميناً وشمالاً، ويدخلونَ في بُيُوتِهِمْ ويخرجونَ مِنها على مرأىً ومسمعٍ منْ جيرانِهِمْ، ومنَ المُصلينَ، ولا يُرَوْنَ في المساجِدِ لا ليلاً ولا نهاراً، وهمْ قابِعُونَ في بُيُوتِهِمْ. إنَّ هؤلاءِ يستحقونَ أنْ يُعاقَبوا أشدَّ العقوبةِ، كما هَمَّ النبيُّ ﷺ بتحريقِ بيوتِ أشباهِهِمْ مِمّنْ كانُوا يتخلَّفونَ عنِ الصلاةِ.

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على صلواتِكُمْ، فإنَّ الصلاةَ هي آخِرُ ما يُفْقَدُ منْ هذا الدينِ، قالَ ﷺ: «أوّلُ ما تَفْقِدُونَ مِنْ دينكُمُ: الأمانةُ، وآخِرُ ماتفقدونَ منهُ الصلاةُ»[1]. قالَ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ: كُلُّ شيءٍ ذهَبَ آخِرُهُ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شيءٌ، فإذا ذهبتِ الصلاةُ، لم يَبْقَ منَ الإسلامِ شيءٌ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على صلواتِكُمْ، ولاتكونُوا مِنَ الذين ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، [مريم: ٥٩]، ولاتكونُوا من الذين اشتغلُوا بدنياهُمْ عنْ دينِهِمْ، اشتغلوا ببيعهِمْ وشرائِهِمْ ووظائِفِهِمْ عن إقامةِ الصلواتِ في المساجِدِ، فتكونُوا منَ الخاسرينَ. قالَ اللهُ سبحانه وتعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

ثم اعلَمُوا أنَّ خيرَالحديثِ كتابُ اللهِ. . إلخ الخطبة.

---

(١) رواه الطبرانيُّ عن شداد بن أوسٍ رضي الله تعالى عنه.

في الحث على الزَّكَاةِ وبيان أنواعها
تلقى في آخر شهر رمضان المبارك

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، جَعلَ في أموالِ الأغنياءِ حقاً للفقراءِ والمساكينِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، ولانعبدُ إلا إيّاه، مخلصينَ لَه الدينَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الصادقُ الأمينُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّابعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: ١ـ٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ البقرة: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦ـ٧].

عبادَ اللهِ: الزكاةُ معناها: الطهارةُ والنَّماءُ والزيادةُ، فهي تطهِّر المُزَكِّين، وتُنَمِّي أموالَهُمْ وأعمالَهُمْ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾. والزكاةُ على ثلاثةِ أنواعٍ: زكاةُ النفسِ، وزكاةُ البَدَن، وزكاةُ المالِ.

فأمّا زكاةُ النفسِ، فالمرادُ بها: تطهيرُ النفسِ منَ الأعمالِ القبيحةِ والأخلاقِ السيئةِ؛ تُطهِّرُها بالأعمالِ الصالحةِ، والأخلاقِ الفاضلةِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٦، ١٠]، فتزكيةُ النفسِ تكونُ بالأعمالِ الصالحةِ

والأخلاقِ الطيبةِ، وتركِ الأعمالِ والأخلاقِ القبيحةِ. وأمّا تزكيةُ النفسِ بالمدحِ والثناءِ عليها فإنَّ هذا منهيٌّ عنه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢].

أمّا زكاةُ البَدَنِ، فهيَ: صدقةُ الفِطرِ التي تُدْفَعُ في آخِرِ شهرِ رمضانَ، فَرَضَها رسولُ اللهِ ﷺ على الحُرِّ والعَبْدِ، والذَّكَرِ والأُنثى، والصغيرِ والكبيرِ، صاعاً مِنْ بُرٍّ، أوْ صاعاً منْ شعيرٍ، أو صاعاً منْ تَمْرٍ، أو صاعاً مِنْ زَبيبٍ، أو صاعاً مِنْ أَقْطٍ. ويجزىءُ عنْ هذهِ الأصنافِ كُلُّ طعامٍ يُقتاتُ في البلدِ، فكُلُّ أَهْلِ بلدٍ وأَهْلِ كُلِّ زمانٍ يُخرجونَ مايقتاتُ في بلدِهِمْ، منْ أَوْسَطِ مايُطْعِمُونَ أهْلِيهِمْ، وإنْ أَخْرَجُوا مِنَ النوعِ الجيدِ فَحَسَنٌ، أمّا النوعُ الرديءُ فلا يجوزُ في الصدقاتِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، والخبيثُ: الرديءُ.

والصاعُ النبويُّ الذي فَرَضَهُ رسولُ اللهِ ﷺ يساوي ثلاثةَ كيلواتٍ تقريباً؛ بالمعيارِ المعروفِ اليومَ. ولايجزىءُ فِيها دَفْعُ القيمةِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أَمَرَ بإخراجِها مِنَ الطعامِ، ولو كانتِ القيمةُ مجزئةً لأَمَرَ بِها؛ لأنَّ الدراهمَ والنقودَ كانتْ موجودةً في عَهْدِهِ ﷺ؛ فلما عَدَلَ عن النقودِ إلى الطعامِ تعيَّنَ الطعامُ، والعملُ بسنةِ الرسول ﷺ لا بأقوال الناس، ولهذا لمّا سئلَ الإمامُ أحمدُ رحمهُ اللهُ عن قومٍ يأمرونَ بإخراجِ القيمةِ، أو يَرَوْنَ إخراجَ القيمةِ، قالَ رحمهُ اللهُ: يتركونَ سُنّةَ رسولِ الله ﷺ، ويذهبونَ إلى رَأْيِ فلانٍ. وقدْ فَرَضَها رسولُ اللهِ ﷺ صاعاً منْ بُرٍّ، أو صاعاً منْ شَعيرٍ، أو صاعاً منْ تمرٍ، أو صاعاً من زَبيبٍ، أو صاعاً من أَقْطٍ. فالواجبُ التقيُّدُ بِما أَمَرَ بِهِ الرسولُ ﷺ، وفيه الخيرُ، وفيه البركةُ، وفيه العملُ بِما أَمَرَ بِهِ الرسولُ ﷺ، ولا مجالَ للاجتهادِ في مقابلِ النَّصِّ، وقدْ نَصَّ

النبيُّ ﷺ على الطعامِ، فلابدَّ مِنْ إخراجِها مِنَ الطعامِ، والذي لايقبلُ أخذها مِنَ الطعامِ، هذا غيرُ محتاجٍ، فتدفعُ إلى مَنْ هو محتاجٌ إلى الطعامِ في يومِ العيدِ؛ لأجلِ إغنائِهِمْ عنِ السؤالِ في هذا اليوم، كما قالَ النبيُّ ﷺ، تدفعُ للفقراءِ والمساكينِ الذين لايجدونَ مايقتاتونَ، ولايجدونَ أعمالاً في يومِ العيدِ يتعيَّشونَ منها، ولا محلاًّ يشترونَ منهُ الطعامَ، فيُوَاسَوْنَ بصدقةِ الفِطْرِ؛ لِيَفْرَحُوا مع المسلمينَ، ولْيَطْعَمُوا مع المسلمينَ.

وإذا ثَبَتَ هلالُ شوالٍ، فإنَّهُ يبدأ وقتُ إخراجِها، ويَسْتَمِرُّ إلى صلاةِ العيدِ، وكُلَّما تأخرتْ إلى ماقبلِ صلاةِ العيدِ فهو أفضلُ، ويجوزُ تقديمُها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومينِ، كَمَا رَخَّصَ بذلكَ بعضُ السَّلَفِ، ولأجلِ تمكينِ الناسِ منْ إخراجِها؛ لأنَّهُ قدْ يضيقُ عليهِمُ الوقتُ إذا تأخَّرُوا، فيباحُ لهمْ أنْ يُخْرِجُوها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومينِ، ولم يَرِدْ أكثرُ منْ ذلكَ عن السّلَفِ رحمهم الله، فيما نعلم.

ويخرجُ الإنسانُ عنْ نفسِهِ، وعَمَّنْ يَمُونُهُمْ، يعني: عَمَّنَ ينفقُ عليهِمْ، يخرجُ عنْ نفسِهِ وعَمَّنْ يَمُونُهُمْ منْ أهلِ بيتِهِ وأقاربِهِ الذينَ ينفقُ عليهِمْ؛ لأنَّها تابعةٌ للنفقةِ، ويخرجها في البلدِ الذي هو فيه، وإذا أخرجَ الإنسانُ عنْ نفسِهِ أَجْزأَتْ ولَوْ لَمْ يخرجْها عنهُ منْ يمونُهُ. ويستحبُّ إخراجُها عنِ الحملِ الذي تمَّ لَهُ أربعةُ أشهرٍ فأكثرَ، كما جاءَ عنْ عثمانَ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ، ولأنَّهُ إنسانٌ قدْ نُفِخَتْ فيهِ الروحُ، فيستحبُّ إخراجُها عنهُ، أمَّا المولودَ فإنَّهُ يَجِبُ إخراجُها عنهُ كالكبيرِ.

فهذهِ صدقةُ الفِطْرِ، وهي في ختامِ الشهرِ، وفيها تطهيرٌ للصومِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفثِ، وفيها تطهيرٌ للصائمِ، وفيها طُعْمَةٌ للمساكينِ، كما قالَ النبيُّ ﷺ، فاحِرْصُوا عليها، رحمكمُ اللهُ.

ويتولَّى الإنسانُ إخراجَها بنفسِهِ؛ لأنَّها واجبةٌ عَليهِ، وإنْ وَكَّلَ مَنْ يَدْفَعُها عنهُ في الوقتِ المحددِ ممنْ يثقُ بِهِ، ومِمّنْ يُوَصِّلُها إلى مستحقِيها، جازَ ذلكَ، ولكنْ لاتتأخرُ عنْ صلاةِ العيدِ فإذا لَمْ تجدِ الذي تريدُ أنْ تَدْفَعَها إليهِ في هذا الوقتِ، أو لَمْ تَجدْ وكيلَهُ، فلا تُبْقِهَا عندكَ أو عندَ أحدٍ وديعةً؛ لأنَّ هذا ليسَ إخراجاً لها، بل ادْفَعْهَا لمنْ هوَ موجودٌ في هذا الوقتِ، فلا يجوزُ تأخيرُها عنْ صلاةِ العيدِ، فإنْ أخَّرها ناسيًا لها، وجب عليه إخراجها في يوم العيد أو بعد يوم العيد لايسقطُ إخراجُها عنهُ، فإنْ كانَ متعمداً تأخيرها، فهو يَأْثَمُ، وإن كان ناسياً فلا إثْمَ عليهِ.

وأمّا زكاةُ الأموالِ، فهي حقٌّ معلومٌ، كَمَا قالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، فهي حَقٌّ واجبٌ، وفَرْضٌ لازمٌ وليستْ تَطَوُّعاً، قَرَنَها اللهُ جلّ وعلاَ بالصلاةِ في أكثرَ منْ ثمانينَ مَوْضِعاً من القرآنِ، فمنْ جَحَدَ وَجُوبَها كَفَرَ وارتدَّ عنْ دينِ الإسلامِ، ويجبُ على وَلِيِّ الأَمْرِ أنْ يَسْتَتِيبَهُ، فإنْ تابَ وإلا قُتِلَ مُرْتدًا، وتُصادَرُ أموالُهُ لبيتِ المالِ، ولا يَرِثُهُ أحدٌ؛ لأنَّهُ مُرْتَدٌّ عنْ دينِ الإسلامِ، فلا يرثُهُ أقاربُهُ، لا المسلمونَ ولا الكفارُ.

وأمّا إنْ كانَ مَنَعَها بخلاً، فإنَّهُ يجبُ على وَلِيِّ الأَمْرِ أَخْذُها منهُ قَهراً؛ لأنَّها حَقٌّ لغيرِهِ واجبٌ عليهِ، فيجبُ على وليِّ الأمرِ أنْ يَأْخُذَها منهُ قَهراً، وأنْ يُوَصِّلَها إلى مستحقِّيها. فإنْ لَمْ يُمْكِنْ أخذُها منهُ إلا بالقتالِ فإنَّهُ يُقاتَل، كما قاتلَ الصِّدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ مانِعِي الزكاةِ، حتى أَخْضَعَهُمْ لحُكْمِ الإسلامِ.

فليسَ هذا الأمرُ بالهيِّنِ، وقدْ توعَّدَ اللهُ مَنْ مَنَعَ الزكاةَ بأشدِّ الوعيدِ، قالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ

وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة : ٣٤، ٣٥].

والكنز هو : المالُ لم تُخْرَجْ زكاتُهُ، أمَّا ما أُخرِجَتْ زكاتُهُ فليسَ بكنزٍ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨٠].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأدُّوا زكاةَ أنْفُسِكُمْ، وزكاةَ أبدانِكُمْ، وزكاةَ أموالِكُمْ، طيبةً بِها نفوسُكُمْ، مُغْتَبِطينَ بِها؛ لأنَّها خَيْرٌ لَكُمْ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، وما عندَ اللهِ خَيْرٌ وأبقَى.

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ : أيُّها الناسُ : اتقوا اللهَ تعالى، واعلموا أنكمْ في آخرِ شهرٍ كريمٍ، ووافدٍ عظيمٍ، قد عَزَمَ على الرحيلِ عنكمْ والانتقالِ بعد مقامِهِ بَيْنَكُمْ، فودِّعوهُ بخيرِ الأعمالِ، وودِّعوهُ بالتوبةِ والاستغفارِ، وودِّعوه بالجدِّ والاجتهادِ، واختموهُ بخيرِ ختامٍ؛ فإنَّ الأعْمالَ بالخواتيمِ.

واعلموا أنَّ شهرَ رمَضانَ يُتبعُ بالأعمالِ الصالحةِ، ولايُتبعُ باللهوِ واللعبِ الذي يخرجُ عن الحَدِّ، بل يُتبع بالأعمالِ الصالحةِ، يتبعُ بالتكبيرِ ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٥]، تكبِّرونَ ليلةَ العيدِ،

وعندَ الخروجِ لصلاةِ العيدِ، تُظهرونَ التكبيرَ بأصواتٍ مرتفعةٍ في حقِّ الرجالِ، وأما النساءُ فتكبرُ سرًّا تكبّرونَ في البيوتِ، وفي المساجدِ، وفي الأسواقِ، تظهرونَ هذهِ الشعيرةَ التي أَمَرَ اللهُ جلّ وعلا بها.

ويختمُ هذا الشهرُ بصلاةِ العيدِ التي يَبْرُز لها المسلمونَ رجالاً ونساء منْ جميعِ البلدِ في صعيدٍ واحدٍ، يَبْرُزونَ لربِّهم، يصلُّونَ لَهُ ويَذْكُرُونَهُ، ويشكرونَهُ على ما أنْعَمَ عليهمْ، ويسألونَهُ القَبُولَ.

ويُتبعُ شهرُ رمضانَ بصيامِ ستةِ أيامٍ منْ شوالٍ، قالَ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضانَ وأتْبَعَهُ سِتًّا منْ شوالَ، فكأنَّما صَامَ الدَّهْرَ»[1].

هذا ما يُتبعُ بِهِ شهرُ رمضانَ؛ بالأعمالِ الصالحةِ، لايُتبعُ بالسيئاتِ، وينطلقُ الإنسانُ إلى ما كانَ يعملُهُ مِنَ السيئاتِ قَبلَ شهرِ رمضانَ، فإنَّ اللهَ جل وعلا مُطَّلعٌ عليهَ في شهرِ رمضانَ وفي غيرِ شهرِ رمضانَ، فَرَبُّ الشهورِ واحدٌ، وهو على أعمالِنا مُطَّلِعٌ وشاهدٌ. وكما أنَّ المسلمَ مسلمٌ في رمضانَ، فإنَّهُ يجبُ أنْ يكونَ مسلماً في جميعِ أيامِهِ، وفي جميعِ شهورِهِ، وفي جميعِ عُمرِه، فهو عبدٌ للهِ عز وجل، فمنْ كانَ يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حَيٌّ لايموتُ، ومنْ كانَ يعبدُ شهرَ رمضانَ، فإنَّ شهرَ رمضانَ قد انتهى ومَضَى، وكُلُّ مَنْ عليها فانٍ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحْرِصُوا على الأعمالِ الصالحةِ، وواصِلُوا أعمالَكُمْ معَ رَبِّكُمْ عزّ وجلّ في بقيةِ دَهْرِكُمْ، لاتَقْطَعُوا الصلةَ بربِّكمْ، ولاتَهْجُرُوا الأعمالَ الصالحةَ، وتظنونَ أنَّها مُؤَقَّتةٌ في شهرِ رمضانَ فقطْ. ماشهرُ رمضانَ إلا زيادةُ خيرٍ لكمْ، وزيادةٌ في أعمالِكُمْ، وليسَ معناهُ أنهُ يُكَفِّرُ عنكمْ تَرْكَ الفرائضِ والواجباتِ، وفِعْلِ المحرماتِ والسيئاتِ التي تفعل في غيرِ شهرِ رمضانَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

---

(١) رواه مسلمٌ (١١٦٤) وكذا أصحاب السنن الأربعة.

في البِشَارَةِ بِقُدُومِ شهْرِ رمضانَ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، جَعَلَ لعبادِهِ مَوَاسِمَ للخيراتِ، يتسابقونَ فيها إلى الطاعاتِ ورفعةِ الدرجاتِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ في رُبُوبِيَّتِهِ وإلٰهيَّتِهِ والأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أولُ سابقٍ إلى الخيراتِ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ذَوِي المناقِبِ والكَرَامَاتِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّهاالناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واعلَمُوا أنَّكمْ على مَقْرُبَةٍ منْ شهرٍ عظيمٍ مباركٍ، مَنْ أَمَدَّ اللهُ في عُمُرِهِ؛ فإنَّهُ سَيُدْرِكُهُ، وقد كانَ النبيُّ ﷺ يبشرُ أصحابَهُ بقدومِ هذا الشهرِ، فقد رَوَى أبوهريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: كانَ النبيُّ ﷺ يبشرُ أصحابَهُ بقدومِ شهرِ رمضانَ فيقولُ: **«أيُّها الناسُ قَدْ أظلَّكُمْ شَهْرٌ مبارك كَتَبَ اللهُ عليكُمْ صيامَهُ. فيهِ تُفْتَحُ أبْوَابُ الجِنانِ، وتُغلقُ أبْوَابُ الجحيمِ، وتُغَلُّ فيهِ الشياطينُ، فيهَ ليلةٌ خَيْرٌ منْ ألفِ شهرٍ، مَنْ حُرِمَ خيرَها فقدْ حُرِمَ»**[١].

وكانَ السلفُ الصالحُ رحمهمُ اللهُ، يسألون اللهَ أنْ يبلِّغَهُمْ شهرَ رمضانَ، ثمَّ يسألونَهُ أنْ يَتَقَبَّلَهُ منهمْ؛ لمَا يعلمونَ في هذا الشهرِ منَ الخيرِ والبركاتِ، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قدْ جعلَ لعبادِهِ مواسمَ يوميةً وأسبوعيةً وسنويةً، يتسابقونَ فيها إلى الخيراتِ، ويزيدُهُمْ فيها مِنَ المغفرةِ ورفعةِ الدرجاتِ، زيادةً على ما يعملونَهُ في سائِرِ عامِهِمْ، وفي ساعاتِهِمْ وأوقاتِهِمْ، فإنَّ عُمُرَ المسلمِ كله من أوله إلى آخره لَيس فيه وقتُ فراغٍ، بلْ إنَّ وقتَ المسلمِ كُلَّهُ مَشغولٌ بأنواعِ الطاعاتِ

---

(١) رواه ابنُ خزيمة وفيه ابن جدعان وهو ضعيف.

وأنواعِ البركاتِ والخيراتِ، فيمَا ينفعُهُ في دينِهُ ودنياهُ، إنَّما وقتُ الفراغِ للعاطلينَ الذينَ نَسُوا الدارَ الآخرةَ، وانشغلُوا بالدنيا. أماأهلُ الإيمانِ فإنَّ جميعَ أوقاتِهِمْ أوقاتٌ ثمينةٌ لاتُقَدَّرُ بقيمةٍ.

جعلَ اللهُ سبحانه وتعالى للمسلمينَ موسماً يتكررُ عليهمْ في اليومِ والليلةِ خمسَ مراتٍ، وهو الصلواتُ الخمسُ المفروضةُ، وجعلَ لهم موسِماً يتكررُ كُلَّ أسبوعٍ وهو صلاةُ الجُمُعَةِ، ويومُ الجمعةِ الذي هو خيرُ الأيامِ، وجعلَ لهمْ موسماً يتكررُ كُلَّ سنةٍ، وهو شهرُ رمضانَ المباركُ، قال ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ، كَفَّارَةٌ لما بَيْنَهُنَّ، إذا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ»[١]، والمسلمُ إنَّما يفرحُ بطولِ العمرِ؛ من أجل أن يستغلهُ في طاعةِ اللهِ. وأماالكافرُ والمنافقُ، فإنَّهُ يفرحُ بطولِ العُمُرِ منْ أجلِ أنْ ينالَ منْ شهواتِهِ وغفلاتِهِ في هذهِ الدنيا، ويعيشُ كعيشةِ البهائِمِ، وقد قالَ اللهُ سبحانه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

أمّا المؤمنُ الذي يطولُ عُمُرُهُ، ويستغلُّهُ في طاعةِ اللهِ، فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ»[٢]، واللهُ جلّ وعلا يقولُ في مُحْكمِ التنزيلِ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ـ٣]، أَقْسَمَ سبحانه وتعالى بالعصرِ، الذي هو الزمانُ الذي يعيشُهُ الإنسانُ، وهو جلّ وعلاَ يقسمُ بما شاءَ، ولايقسم إلاَّ بشيءٍ عظيمٍ، وفيهِ أسرارٌ، فالزمانُ عظيمٌ، والوقتُ عظيمٌ، وفيه

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣) والترمذي (٢١٤).

(٢) بنحوه الحاكم عن جابرٍ رضي الله عنه.

أسرارٌ وخيراتٌ وبركاتٌ، لمنْ وفقهُ اللهُ، واستغلّهُ في طاعةِ الله.

أقْسَمَ أنَّ الإنسانَ، أيْ كُلَّ إنسانٍ، لايُستثنى أحدٌ، لا الملوكُ ولا الصعاليكُ، ولا الأغنياءُ ولا الفقراءُ، ولا العربُ ولا العجمُ، ولا الأحرارُ ولا العبيدُ، ولا الذكورُ ولا الإناثُ، كُلُّ إنسانٍ، فهو خاسرٌ، ومُضَيِّعٌ لزمانِهِ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾. اتصفُوا بهذهِ الصفاتِ الأربعِ: الإيمانُ، والعملُ الصالحُ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ، والصبرُ على طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

إنَّ المسلمَ ليسَ لعملِهِ غايةٌ دونَ الموتِ، بلِ المسلمُ يعملُ كُلَّ وقتِهِ، ويستغلُّ كُلَّ ساعاتِهِ وأيامِهِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحِجْر: ٩٩]، واليقينُ المرادُ بِهِ: الموتُ، أَمَرَ نبيَّهُ ﷺ بالمداومَةِ على عبادةِ اللهِ سبحانه وتعالى، حتى يأتِيَهُ الموتُ وهو على ذلكَ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فهذا الشهرُ العظيمُ، شهرُ رمضانَ، قريبٌ حُلُولُهُ على المسلمينَ، وقد جَعَلَهُ اللهُ سبحانه وتعالى موسماً عظيماً لِمَنْ وفقَهُ اللهُ سبحانه وتعالى، فهوَ شهرُ الصيامِ، وهوَ شهرُ القيامِ، هو شهرُ تلاوةِ القرآنِ، هو شهرُ الصدقاتِ، هو شهرُ الذِّكرِ والعبادةِ، فاغتنمُوهُ ـ رحمكمُ اللهُ ـ بما يهديكُمْ اللهُ إليهِ، ويُوَفِّقُكُمْ لَهُ، منْ صالحِ الأعمالِ، فإنَّ الأعمالَ في هذا الشهرِ مضاعفةٌ.

واستقبلوهُ بخيرِ ما يُسْتَقْبَلُ مِنَ التوبةِ النصوحِ، والرغبةِ في الخيرِ، والاستبشارِ بقدومِهِ، فإنَّهُ وافدٌ كريمٌ، وموسمٌ عظيمٌ وغنيمةٌ في صحيفةِ المسلمِ الذي يُوَفِّقُهُ اللهُ لاغتنامِهِ، والعملِ بطاعةِ اللهِ جلَّ وعلا. وإنْ كانَ المسلمُ مأموراً بطاعةِ اللهِ في كُلِّ حياتِهِ، وفي كُلِّ أوقاتِهِ، ولكنْ في مواسِمِ الخيرِ: ينبغي للمسلم

أنْ يزدادَ اهتماماً وعنايةً واستدراكاً لمواسمِ الخيرِ؛ لتكونَ زيادةً في حسناتِهِ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى.

مُسْلِمٌ تتكررُ عليهِ الصلواتُ الخمسُ كُلَّ يومٍ وليلةٍ، تتكررُ عليهِ صلاةُ الجمعةِ كُلَّ أسبوعٍ، يتكررُ عليهِ شهرُ رمضانَ كلَّ سنةٍ، يتكررُ عليهِ الحَجُّ كُلَّ سنةٍ، إنَّ هذا المسلمَ قد حَظِيَ مِنَ اللهِ عزّ وجلَ بخيرٍ كثيرٍ إذا هو تنبَّه لذلكَ، واهتمَّ بِهذا الخيرِ العظيمِ.

أمّا الغافِلُ والمُضيِّعُ: فإنَّهُ لا يَدْرِي عنْ مُرُورِ الأيامِ والأسابيعِ والشهورِ؛ لأنَّهُ معَ الذينَ ذَكَرَ اللهُ في غفلةٍ معرضونَ عن طاعةِ اللهِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

فعلى المسلمِ أنْ يهتمَّ بِهذا الشهرِ، فمنْ كانَ على طاعةِ اللهِ في سَنَتِهِ، مواصلاً للعملِ الصالحِ، فَلْيَزْدَدْ في هذا الشهرِ خيراً وبركةً على أعمالِهِ الصالحةِ، فيكونُ شهرُ رمضانَ زَيادةَ خيرٍ لَهُ على خيرٍ قد أسْبَقَهُ واستمرَّ عَلَيْهِ.

ومنْ كانَ متساهلاً في شُهورِهِ وأيّامِهِ، وعندَهُ كسلٌ، وعندَهُ تأخرٌ عنِ الطاعةِ ولَمْ يَكُنْ مضيِّعاً لها فإنَّهُ يَنْشَطُ في شهرِ رمضانَ، ويتنبهُ ويرغبُ في الخيرِ، وربَّما يكونُ ذلكَ حافزاً لهُ في بقيَّةِ عُمُرِهِ على الاستمرارِ في الجدِّ والاجتهادِ في عبادَةِ اللهِ، والتنبُّهِ منْ غفلتِهِ، واليقظةِ منْ رَقْدَتِهِ.

ومنْ كانَ عاصياً للهِ، مرتكباً لمحارمِ اللهِ، مضيِّعاً لفرائضِ اللهِ، فعليهِ أنْ يتوبَ إلى اللهِ توبةً نصوحاً، توبةً صادقةً، يستقبلُ بِها هذا الشهرَ، فيجتهدُ فيهِ بما وفقَهُ اللهُ لَهُ منَ الطاعاتِ، ويستمرُّ بعدَهُ على طاعةِ اللهِ، فيكونُ هذا الشهرُ منطلقاً لَهُ مِنَ الأَسْرِ، وفكاكا لَهُ منْ قَيْدِ الشيطانِ، يتوبُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، حتى يدخلَ عليهِ هذا الشهرُ وقدْ تابَ إلى اللهِ فيدركُ منْ خيراتِهِ ومنْ بركاتِهِ، ثم يستمرُّ

على طاعةِ اللهِ في بقيةِ عُمُرِهِ.

ولهذا جاءَ في الحديثِ: أنَّ هذا الشهرَ أوَّلَهُ رحمةٌ، وأوسطَهُ مغفرةٌ، وآخرَهُ عِتْقٌ مِنَ النارِ. فأوَّلُهُ رحمةٌ للمحسنينَ، الذينَ كانُوا على طاعةِ اللهِ في سائرِ أيامِ العامِ، فزادَهُمُ اللهُ رحمةً إلى رحمةٍ، وزادُوا في أعمالِهِمْ ودرجاتِهِمْ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، قالَ اللهُ جلّ وعلاَ ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وأوْسطُهُ مغفرةٌ: لمنْ كانتْ عندهُ ذنوبٌ وخطايا، لكنَّها دونَ الكبائرِ بأنْ كانَ عندَهُ بعضُ التقصيرِ وبعض السيئاتِ من الصغائرِ، فيكفِّرها اللهُ جلّ وعلاَ بهذا الشهرِ العظيمِ، الذي حَظَوْا مِنهُ بالبركةِ والخيرِ.

وآخرُهُ عتقٌ من النارِ: لأصحابِ الكبائرِ الذين كانُوا على معاصٍ: كبائرَ ومُوبقاتٍ ومهلكاتٍ، لو استمرُّوا عليها لأَوْرَدَتْهُمُ النارَ، فتابُوا إلى الله سبحانه وتعالى في هذا الشهرِ، فَأَعْتَقَهُمُ اللهُ مِنَ النارِ.

وليستِ التوبةُ باللسانِ، ولكنَّ التوبةَ هي ماتوفَّرَ فيها ثلاثةُ شروطٍ:

الشرط الأولُ: الإقلاعُ عن الذنوبِ، أيْ: تَرْكُ الذُّنُوبِ نهائيًا.

الشرطُ الثاني: العزمُ ألاَّ يعودَ إليها طولَ حياتِهِ.

الشرطُ الثالثُ: أنْ يندمَ على ما فَرُطَ منهُ، وما حَصَلَ منهُ مِنَ الذنوبِ.

فإذا توفَّرتْ هذهِ الشروطُ في التائبِ، تابَ اللهُ عليهِ، وغفرَ لَهُ ذنوبَهُ.

أمَّا الذي يتوبُ بلسانِهِ، هو مقيمٌ عَلَى المعاصِي، فهذا لاتنفعُه التوبةُ؛ لأنَّها ليستْ توبةً في الحقيقةِ، وإنما هو لفظٌ يردِّدُ على اللسانِ فقطْ، وكذلكُمْ مَنْ تابَ إلى اللهِ توبةً مؤقتةً بشهرِ رمضانَ أوْ بوقتٍ معينٍ، ثُمَّ بعدَها يعودُ إلى المعاصِي، فتوبتُهُ غيرُ مقبولة، إذا علمَ اللهُ منْهُ أنهُ يريدُ الرجوعَ إلى المعاصي بعد أيام أو بعد

شهر أو بعد سنة، إذا علم الله منه ذلك، فإنَّ اللهَ لا يقْبلُ توبتَهُ.

وكذلكم الذي لايندمُ على ذُنُوبِهِ، ولا يَبْكي على سيئاتِهِ، ولا يعتبرُها شيئاً مُهِمًّا، ما كأنَّهُ حَصَلَ منهُ شيءٌ، لايفكر فيها ولا يخافُ منْ عقوباتِها، ولا يعتبرُها إلاّ شيئاً سهلاً، فهذا لاتقبلُ منهُ توبتهُ؛ لأنَّه غيرُ صادقٍ في توبتِهِ.

وإذا كانتِ المظالمُ التي عندَ الإنسانِ مظالمُ للناسِ، قد ظَلَمَهُمْ في أعراضِهِمْ، أو في أمْوَالِهِمْ، أو في أجسادِهِمْ، فمنْ شروطِ التوبة أيضاً: أنْ يردَّ المظالمَ إلى أصحابِها، وأنْ يطلبَ منهم المسامحةَ؛ لأنَّ حقوقَ المخلوقينَ لاتسقطُ إلا بأدائِها إليهِمْ، أو بمسامَحَتِهِمْ عنها، وإلاّ فإنَّهُمْ سيقتصُّونَ منهُ يومَ القيامةِ، ويأخذونَهُ منْ حسناتِهِ، إنْ كانتْ لَهُ حسناتٌ، وإلاَّ فإنَّها توضعُ عليهِ سيئاتُ المظلومينَ، فيطرحُ في النارِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وفكِّروا فيمَا أنتمْ قادمونَ عَلَيْهِ.

والواجبُ على المسلمِ: أنْ يتنبَّهَ قبلَ أنْ يُؤْخَذَ على غِرَّةٍ، لاتدري أيها المسلمُ: هل تعيشُ إلى رمضانَ؟ وإذا عشتَ إلى رمضانَ: هل تُكْمِلُ رمضانَ، أو تموتُ قَبْلَهُ، أو قَبْلَ أنْ يَكْمُلَ؟ وإذا أَكْمَلْتَهُ، لاتدري: هل تُدْرِكُ رمضانَ القادمَ، أو لاتُدْرِكُهُ؟ فعليكَ بالمبادرةِ بالتوبةِ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

بَاركَ اللهُ لي ولكُمْ في القرآنِ العظيمِ، ونفعَنَا بما فيهِ منَ الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكُم ولجميعِ المسلمينَ منْ كُلِّ ذنبٍ، فاستغفروهُ وتوبُوا إليهِ، إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى.

مِنَ الناسِ منْ لايهتمُّ بمواسمِ الخيرِ، ولايُلقِي لَهَا بالاً تَمُرُّ عليهِ كَمُرورِ السحابِ، لايستفيدُ مِنْها، بلْ يُحْرَمُ مِنْ خيرِها وأجرِها، فلا يهتمُّ بالصلواتِ الخمسِ، ولايُلْقِي لها بالاً، وكأنَّها عندَهُ مِنَ الأمورِ العاديّةِ، إنْ شاءَ فَعلَها، وإنْ شاءَ تَرَكَها، لاقيمةَ للصلاةِ عندَهُ، فهذا ليسَ بملسمٍ.

ولهذا يقولُ بعضُ السلفِ: إذا أردت أنْ تعْرِفَ قَدْرَ الإسلامِ عندَكَ، فانظر إلى قَدْرِالصلاةِ عندَكَ. فالذي يُقدِّرُ الصلاةَ، ويهتمُّ بها، فهذا عَندَهُ معرفةٌ بالإسلامِ، واحترامٌ للإسلامِ، وتقديرٌ للإسلامِ. أمّا الذي يتهَاونُ بالصلاةِ، ولايُلْقِي لها بَالاً، ويعتبرُها مِنَ الأمورِ العاديةِ، فهذا لاقيمةَ للإسلامِ عنْدَهُ؛ لأنَّ الصلاةَ هي الميزانُ، وهي الفارقةُ بينَ المسلمِ والكافرِ.

منَ الناسِ منْ لايهتمُّ بصلاةِ الجمعةِ، بلْ يخرجُ إلى المنتزهاتِ وإلى الاستراحاتِ، أو ينامُ معظمَ النهارِ، ويعتبرُ يومَ الجُمُعَةِ يومَ نومٍ وراحةٍ، ولايَحْضُرُ صلاةَ الجُمُعَةِ، أو يحضُرُها مُتَأخِّراً، ولايدركُ منْها إلاَّ القليلَ فهذا في الحقيقة لاقيمةَ لصلاةِ الجمعةِ عندَهُ.

ومِنَ الناسِ منْ لايهتمُّ بشهرِ رمضانَ على أنَّهُ شهرُ عبادةٍ، وإنَّما يهتمُّ بِهِ على أنَّهُ شهرُ مآكلَ ومشاربَ، فيشتري أنواعَ المأكولاتِ وأنواعَ المشروباتِ والمشتهياتِ، ويملأُ بطنَهُ مِنها، ثم يسهرُ على القيلِ والقالِ، وعلى معاصي الله

سبحانه وتعالى، ثم يملأُ بطنَهُ مرةً ثانيةً في آخِرِ الليلِ، ثم ينامُ ويتركُ صلاةَ الفجرِ، وقد يستمِرُّ في نومِهِ إلى غُرُوبِ الشمسِ، لايُصلي، ولا يذكرُ اللهَ عز وجل، جيفةٌ بالنهارِ، لاعبٌ في الليلِ، يهيمُ في الشوارعِ كَمَا تهيمُ الكلابُ، طُولَ ليلِهِ في الشوارعِ وفي الأسواقِ التي يرتادُهَا النساءُ، يطاردُ النساءَ، ويغازِلُ النساءَ، أو يجلسُ على لَهْوٍ ولعبٍ ومشاهدةٍ لأفلامٍ خليعةٍ، أو على لَعِبِ الميسرِ والقمارِ، بِما يُسَمُّونَهُ بِلَعِبِ الوَرَقِ.

هذا شعورُ بعضِ الناسِ بشهرِ رمضانَ، عندَهُ أنَّهُ شهرُ إعطاءٍ للنفوسِ بِما تَشْتَهِي، وشهرٌ للراحةِ والغفلةِ والإعراضِ، ولَمْ يعلمْ أنَّ شهرَ رمضانَ شهرٌ للسهرِ في العبادةِ والصيامِ وتلاوةِ القرآنِ والذِّكْرِ، ليسَ شهرَ راحةٍ، وإنَّما هو شهرُ عبادةٍ، صيامٌ بالنهارِ وقيامٌ بالليلِ، وتلاوةٌ للقرآنِ، وذكرٌ للهِ عزَّ وجل.

هذا شهرُ رمضانَ عندَ أهلِ الإيمانِ، وهذا شهرُ رمضانَ عندَ أهلِ الحرمانِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واستدرِكُوا أوقاتَكُمْ قبلَ فَوَاتِها، فقدْ جاءَ في الأثَرِ: أنَّ هذهِ الأيامَ خزائنُ، يضعُ فِيها الإنسانُ أعمالَهُ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ فُتِحَتْ هذهِ الخزائنُ، فالمسلمُ يجدُ في خزائِنِهِ الرحمةَ والكرامةَ، والمُضيِّعُ يجدُ في خزائِنِهِ الحسرةَ والندامةَ.

قالَ اللهُ سبحانه وتعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٨-٢٤]، ﴿أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ يعني: الماضيةَ في الدنيا، هذا الجزاءُ لكُمْ بِسَببِ ما قدمتموهُ في الدنيا في أيامِكُمْ وأعمارِكُمُ الماضيةِ.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٥ـ٢٧]، يتمنَّى أنَّهُ لم يُبعثْ، وأنَّ الموتَ كانَ هو القاضيةُ فيكونُ تراباً ﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٧، ٢٨]، لوَ كانَ عندَهُ أموالُ الدُّنيا قال: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]، قالَ اللهُ جلَّ وعلاَ لملائكتِهِ: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٠ـ٣٥]، أي: صديقٌ، ليسَ لَهُ أحَدٌ يرحمُهُ ويناصِرُهُ ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وفكرُوا في أحوالِكُمْ، واستدرِكُوا أوقاتكُمْ قبلَ فَواتِها.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ..

إلخ الخطبة

* * *

في فَضْلِ مَنْ أدرَكَ مواسمَ الخَيرِ وعَمِلَ فيها عملاً صالحاً

الحمدُ للهِ، جعلَ لعبادِهِ مواسمَ للخيراتِ؛ ليكفرَ عنْهُمْ فيها السيئاتِ، ويرفعُ لهمْ فيها مِنَ الدرجاتِ، أحمدُهُ وأشكُرهُ، وأستعينُهُ وأستغفرُهُ، وأتوبُ إليهِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ في رُبُوبِيَّتِهِ وإلٰهِيَّتِهِ ومالَهُ مِنَ الأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أولُ سابقٍ إلى الخيراتِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذينَ كانتْ كُلُّ أوقاتِهِمْ عباداتٍ وطاعاتٍ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: إنَّ المسلمَ إنَّما يفرحُ بطولِ العُمُرِ؛ منْ أجلِ أنْ يصادِفَ هذهِ المواسمَ العظيمةَ، التي جَعَلَها اللهُ مواسمَ للخيرِ تمرُّ بعبادِهِ يوميًّا وأسبوعيًّا وسنويًّا، وذلكَ في الصلواتِ الخمسِ التي تتكررُ على المسلمِ في كُلِّ يومٍ وليلةٍ، وفي صلاةِ الجمعةِ التي تتكررُ على المسلمِ في كُلِّ أسبوعٍ، وفي شهرِ رمضانَ وحَجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، اللذيْنِ يتكررانِ على المسلمِ كُلَّ عامٍ. وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، كفارةٌ لما بينَهُنَّ، إذَا اجْتُنِبَتِ الكبائِرُ»[1]، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «والحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلا الجَنَّةُ»[2].

فهذِهِ مواسمُ عظيمةٌ، تتكررُ على المسلمِ، منْ أجلِ أنْ يستغلَّها فيما ينفعُهُ

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣) والترمذي (٢١٤).

(٢) الطبرانيُّ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما.

عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، وما يكون بينها مِنَ الأوقاتِ فإنهُ يكونُ زيادةَ خيرٍ للمسلمِ يستغلُّهُ في طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، فكُلُّ حياةِ المسلمِ بِما فِيها مِنَ الساعاتِ والأيامِ والشهورِ والسنينِ، كلُّها خيرٌ للمسلمِ إذا استغلَّها في طاعةِ اللهِ، قالَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحِجْر: ٩٩]، فليسَ في حياةِ المسلمِ فَرَاغٌ إذا وَفَّقَهُ اللهُ سبحانه وتعالى لاغتنامِها، فمنْ طالَ عُمُرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ، فهذا هوَ السعيدُ. وأمّا مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وساءَ عملُهُ، فهذا هو الشَّقِيُّ.

وقد قالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ»(١). والمسلمُ إنَّما يفرحُ بِطُولِ العمُرِ؛ منْ أجلِ أنْ يزدادَ منْ طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى. ذكرَ النبيُّ ﷺ أنَّ ثلاثةً ممّنْ كانُوا قَبلَنا مجتهدونَ في العبادةِ، يتسابقونَ إلى الخيراتِ بأنواعِ الطاعاتِ، فاستشهدَ اثنانِ منهمْ في سبيلِ اللهِ، وبَقِيَ الثالثُ بعدَهُما حتى أدركَ رمضانَ وصَامَهُ وقامَهُ، ثُمَّ تُوفِّي بعدَ ذلك، فرُئي سابِقاً لصاحِبَيْهِ في الجنةِ، فتَعَجَّبَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم! كيفَ الذي ماتَ على فراشِهِ يسبِقُ اللَّذيْنِ استشهدا في سبيلِ اللهِ، مَعَ ما للشهادةِ في سبيلِ اللهِ منَ الثوابِ العظيمِ، والأجرِ الجزيلِ؟ فقالَ النبيُّ ﷺ: «أَلَيْسَ قد عَاشَ بعدَهُما كذا وكذا» قالوا: بَلى يارسولَ اللهِ، قالَ: «أَلَيْسَ قَدْ صَلَّى بَعْدَهُما كذا وكذا» قالوا: بَلى يارسولَ اللهِ، قال: «أَلَيْسَ قد أَدْرَكَ شهرَ رمضانَ فصامَهُ وقامَهُ؟» قالوا: بَلى يارسول الله، فقال: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّ بينَهما كمَا بَيْنَ السماءِ والأرضِ»(٢).

فهذا يَدُلُّنا على أنَّ طولَ العُمُرِ إذا استُغِلَّ في طاعةِ اللهِ، يكونُ رفعةً لدرجاتِ صاحبِهِ يومَ القيامةِ، فمنْ مَنَّ اللهُ عليهِ وأدركَ هذا الشهرَ العظيمَ، شَهْرَ رمضانَ،

---

(١) تقدم قريباً بنحوه الحاكم عن جابر رضي الله عنه.

(٢) ابنُ ماجة وابنُ حِبان والبيهقي عن طلحة رضي الله عنه.

الذي سَيَحُلُّ بِكُمْ قريباً، وهو ضيفٌ كريمٌ، وموسمٌ عظيمٌ، نَوَّه اللهُ تعالى بشأنِهِ في كتابِهِ العظيمِ، فقالَ جلَّ وعلاَ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] الآية. وكانَ ﷺ يُبَشِّرُ أصحابَهُ بِقُدُومِ شهرِ رمضانَ، ويَذْكُرُ لَهُمْ فضائِلَهُ ومزاياهُ؛ منْ أجْلِ أنْ يَغْتَنِمُوهُ.

فالفَرَحُ بِدُخُولِ شهرِ رمضانَ فَرَحٌ بنعمةِ اللهِ وفَضْلِ اللهِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨]. فالفرحُ بفضلِ اللهِ، والفرحُ برحمةِ اللهِ فرحٌ محمودٌ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ إذْ لَيسَ المقصودُ أنَّ الإنسانَ يطولُ عُمُرُهُ ليتمتعَ بالشهواتِ، وإنَّما المقصودُ: أنْ يتزوّدَ منَ الطاعاتِ التي تقرّبُهُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وشهرُ رمضانَ فيه مزايا عظيمةٌ على غيرِهِ مِنَ الشهورِ:

أولاً: أنَّ اللهَ أَنْزَلَ فيهِ القرآنَ، بمعنى: أنَّ نُزُولَ القرآنِ الكريمِ اِبتدأَ في شهرِ رمضانَ، ثُمَّ توالَى على النَّبِيِّ ﷺ، ينزلُ مُنَجَّماً، بِحَسَبِ الوقائعِ والحوادِثِ إلى وفاتِهِ ﷺ، فإنزالُ القرآنِ في هذا الشهر يدلُّ على عظيمِ فَضْلِهِ، وأنَّ اللهَ خصَّه بهذهِ المَزِيَّةِ العظيمةِ، ولهذا كانَ لتلاوةِ القرآنِ في شهرِ رمضانَ مزيةٌ وزيادةٌ في الأجْرِ على تلاوةِ القرآنِ في غيرِهِ، وإنْ كانتْ تلاوةُ القرآنِ مطلوبةً كُلَّ وقتٍ، ولكنْ تلاوتَهُ في الشهرِ الذي أُنْزِلَ فيه فِيها زيادةُ أَجْرٍ، وفيها مضاعفةُ عملٍ، وكانَ جبريلُ عليهِ السلامُ ينزلُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ كُلَّ ليلةٍ مِنَ ليالي شهرِ رمضانَ يُدارِسُهُ القرآنَ، وكانَ ﷺ يتفرَّغُ لتلاوةِ القرآنِ في هذا الشهرِ، ولِذكرِ اللهِ وعبادتِهِ.

ومنْ فضائلِ هذا الشهرِ: أنَّ اللهَ أَوْجَبَ صيامَهُ على الأُمَّةِ، وجَعلَهُ رُكْناً مِن أركانِ الإسلامِ ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقالَ ﷺ:

«الإِسْلامُ : أنْ تَشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ مُحمداً رسولُ اللهِ، وتقيمَ الصَّلاَةَ، وتُؤْتِيَ الزكَاةَ، وتصومَ رَمَضَانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إليهِ سبيلاً»[1].

فجعلَ صيامَ شهرِ رمضانَ هو الركنُ الرابعُ منْ أركانِ الإسلامِ، وصيامَهُ فريضةً على كُلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، إذا كانَ بالغاً عاقلاً، فمنْ جَحَدَ وُجُوبَ صومِ رمضانَ فهو كافرٌ بإجماعِ المسلمينَ، ومنْ أَقَرَّ بوجُوبِهِ، ولكنَّهُ تَرَكَ صيامَهُ أو صيامَ شيءٍ منْهُ، فإنَّهُ مُرْتَكِبٌ لجريمةٍ عظيمةٍ، يُلْزَمُ بالصَّوْمِ ويُؤَدَّبُ ويُعزَّرُ تَعْزيراً بليغاً، حتى يتوبَ إلى اللهِ عز وجل، فلابدَّ منْ صيامِ شهرِ رمضانَ على المستطيعِ، إمَّا أداءً، وإمَّا قضاءً في حَقِّ المَعْذُورِ، قالَ تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فأوجبَ صيامَ رمضانَ على كُلِّ مسلمٍ، إمّا أداءً في حَقِّ الحاضرِ المقيمِ الصحيحِ، وإمَّا قضاءً في حَقِّ المريضِ والمسافرِ، فيفطرانِ ويقضيانِ، فدلَّ على أنَّهُ لابُدَّ منْ صيامِ هذا الشهرِ، وأنَّهُ رُكْنٌ منْ أركانِ الإسلامِ.

ومن مزايا شهرِ رمضانَ: أنَّ اللهَ جَعَلَ فيهِ ليلةً هيَ خيرٌ منْ ألفِ شهرٍ، قالَ تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر: ١ـ٥]. فهذهِ ليلةٌ عظيمةٌ، جَعلَ اللهُ العَمَلَ فيها بالطاعاتِ خيرٌ مِنَ العَمَلِ في ألفِ شهرٍ، لمنْ وَفَّقَهُ اللهُ، وهي في شهرِ رمضانَ قَطْعاً، فهي

---

(١) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٨).

منْ فضائِلِ هذا الشهرِ العظيمِ.

ومنْ فضائِلِ هذا الشهرِ: أنَّ النبيَّ ﷺ شَرَعَ لنا قيامَهُ بصلاةِ التراويحِ، فصلاةُ التراويحِ خاصَّةٌ برمضانَ، تُصلَّى جماعةً في المساجِدِ، كما صلاَّها رسولُ اللهِ ﷺ بأصحابِهِ ليالِيَ، ثُمَّ تأخَّر عنهم؛ خشيةَ أنْ تُفْرَضَ عليهِمْ، فلايستطيعونَها. ثُمَّ قامَ بها أصحابُهُ منْ بعدِهِ، وخلفاؤهُ الراشدونَ، فأقامُوا صلاةَ التراويحِ في المساجِدِ، وتوالَى عليها عملُ المسلمينَ إلى يومنا هذا، فهيَ سنةٌ مُؤَكَّدةٌ، وشعيرةٌ ظاهرةٌ مِنْ شعائِرِ الإسلامِ، وقد قالَ ﷺ: «مَنْ قامَ رَمضَانَ إيماناً واحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1]، وقالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ مَعَ الإمامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، كُتِبَ لَهُ قيامُ ليلةٍ»[2]، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيماناً واحْتِساباً، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[3].

فهذِهِ الأحاديثُ الشريفةُ تُؤَكِّدُ القيامَ في لَيَالي رمضانَ، ممّا يدلُّ على فَضْلِ هذا الشهرِ العظيمِ، وأنَّ اللهَ جَعَلَ قيامَ ليلِهِ تَطَوُّعاً، وجَعلَ صيامَ نهارِهِ فريضةً، فكُلُّهُ عَمَلٌ وكُلُّهُ خيْرٌ. فَاغتنموهُ ـ رحمكمُ اللهُ ـ بما خُصِّصَ لَهُ مِنَ الطاعاتِ والقُرُباتِ، وتخفَّفوا مِنْ أعمالِ الدنيا وأشغالِها؛ ليتوفَّر لَكُمْ وَقْتٌ تَغْتَنِمُونَهُ في هذا الشهرِ العظيمِ بأنواعِ الطاعاتِ، منْ ذِكْرِ اللهِ عزّ وجل، وتلاوةِ القرآنِ، والاعتكافِ في المساجِدِ، والإكثارِ منْ صلواتِ النوافِلِ، وغيرِ ذلكِ منْ أنواعِ الطاعاتِ والقرباتِ.

اغتنمُوا هذا الشهرَ، فقدْ لايَمُرُّ بكثيرٍ منكُمْ مرةً ثانيةً، فاغتنموهُ ـ رحمكم اللهُ ـ حيثُ مكَّنكُمُ اللهُ مِنْهُ، وهيَّأَ لَكُمْ أسبابَ الطاعةِ، وحَثَّكُمْ عَلَيْها، فاعرِفُوا لهذا الشهرِ قَدْرَهُ، وعظِّموهُ حَقَّ تعظيمِهِ، بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، وأكْثِرُوا منَ

---

(١) البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠)، وغيرهما. (٣) البخاري (١٩٠١).

الدعاءِ والاستغفارِ والتوبةِ إلى اللهِ، فإنَّ حُلُولَ هذا الشهرِ خيرٌ للمسلمِ، فإذا كانَ المسلمُ مجتهداً في طاعةِ اللهِ سائرَ السنةِ، فإنَّهُ يكونُ زيادةَ خَيْرٍ لَهُ. وإنْ كانَ المسلمُ مُقَصِّراً في سائرِ السنةِ فإنَّهُ يتوبُ إلى اللهِ، ويبدأُ حياتَهُ مِنْ جديدٍ، ويستمرُّ على الطاعةِ فيمَا بعدَ الشهرِ، وإنْ كانَ مُسْتَوْجِباً دخولَ النارِ؛ لارتكابِ كبائرَ أو موبقاتٍ، فإنَّهُ يتوبُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، فيُعْتِقَهُ اللهُ منَ النارِ، رويَ عنه ﷺ: أنه قال في شهر رمضان «شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وأَوْسَطُهُ مغفرةٌ، وآخِرُهُ عتقٌ منَ النارِ»(١).

فالمسلمُ لايُعدمَ الخيرَ في هذا الشهرِ: إمّا بأنْ يتزوَّدَ أعمالاً صالحةً على أعمالِهِ السالفةِ، كما كانَ السلفُ الصالحُ، وإمّا بأنْ يتوبَ منْ تقصيرِهِ ويُكَمِّلَ نقصَهُ، وإمّا بأنْ يتوبَ إلى اللهِ منْ موبقاتٍ أوجبتْ لَهُ دخولَ النارِ، فَأَعْتَقَهُ اللهُ مِنْها، فهو شهرٌ عظيمٌ، وموسمٌ كريمٌ، عظِّموهُ حَقَّ تعظيمِهِ، بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى: واعرفُوا لَهُ قَدْرَهُ.

أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [االبقرة: ١٨٣ـ١٨٥].

بارَكَ اللهُ لِي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

---

(١) جزءٌ من حديثٍ رواه ابنُ خزيمة وفيه ابن جدعان وهو ضعيف.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، مخلصينَ لَهُ الدينَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ رحمةً للعالمينَ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعينَ والتابعينَ، ومنْ تبعهمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واشكرُوهُ على مابلّغكمْ منْ حُلُولِ هذا الشهرِ المباركِ فمنَ الناسِ منْ يكونُ دخولُ هذا الشهرِ بركةً عليهِ، وخيراً لَهُ، ونجاةً لَهُ مِنَ النارِ، ورِفْعَةً في دَرَجاتِهِ؛ بما يستغلُّهُ منْ طاعاتِ اللهِ وعبادتِهِ.

ومنَ الناسِ: مَنْ يَدْخلُ عليهِ هذا الشهرُ وهو مُسْرِفٌ على نفسِهِ بالذنوبِ والسيئاتِ، ولايتوبُ إلى اللهِ، ولا يتنبَّهُ لهذا الشهرِ وما فيهِ منَ الخيراتِ والبركاتِ، وإنَّما يَمُرُّ عليهِ كَمَا يَمُرُّ غيرُهُ، فَيُحْرَمُ منْ بَرَكَاتِهِ، ويخرجُ عنهُ هذا الشهرُ كما دَخلَ، لمْ ينتفعْ منهُ بشيءٍ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨﴾ [النحل: ١٠٨]، ﴿كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩]، فلا يرفعُ بِهِ رأساً، ولايعرفُ لَهُ قدْراً ولاقيمةً، وهذا هو الحرمانُ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

ومن الناسِ منْ لايعرفُ هذا الشهرَ إلا أنَّهُ شهرُ تنويعِ المآكلِ والمشاربِ، والتوسُّعِ في المطاعِمِ، ومِلْءِ البطونِ، فيسرفُ في المشترياتِ والمأكولاتِ. ولمْ يعلمْ أنَّ هذا الشهرَ شهرُ الصيامِ، ليسَ شهرَ الشهواتِ، وإنَّما هو شهرُ الصيامِ، وشهرُ القيامِ، وشهرُ العباداتِ، ويتمتعُ منْ رزقِ اللهِ بما يُعينُهُ على طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

ومن الناس منْ هو شَرٌّ منْ ذلكَ، وهو الذي لايعرفُ شهرَ رمضانَ إلا أنَّهُ

شهرُ السهرِ بالليلِ على القِيلِ والقالِ، وعلى مشاهدةِ الأفلامِ الخليعةِ، والمناظرِ الكَريهةِ، وعلى لَعِب الوَرَقِ، وعلى اللهوِ واللعبِ، فإذا أقبلَ الفجرُ نامَ إلى أنْ تغربَ الشَّمْسُ، لايقومُ لصلاةٍ، ولايذكرُ اللهَ عز وجل. فعندَهُ أنَّ هذا الشهرَ شهرُ السهرِ بالليلِ، والنومِ في النهارِ، وتضييعِ الفرائِضِ والصلواتِ، وهذا دَأبُهُ منْ أولِ الشهرِ إلى آخِرِهِ. فأيُّ فائدةٍ يستفيدُهَا هؤلاءِ؟ بل إنَّهُمْ يكتسبون في هذا الشهرِ الآثامَ والأوزارَ والحسراتِ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

فعلى من ابتُلي بشيءٍ منْ هذهِ الأمورِ أنْ يتوبَ إلى اللهِ عز وجل، وأنْ يبادِرَ بالتوبةِ ويتداركَ نَفْسَهُ قَبْلَ الفواتِ؛ لأنَّهُ لَوْ كانتِ الخسارةُ في الأموالِ والأولادِ لهانَ الأمرُ، ولكنَّهُ يَخْسَرُ دينَهُ، ويَخْسَرُ نَفْسَهُ، والعياذُ باللهِ. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، تنبَّهوا لفضلِ هذا الشهرِ، واغتنموهُ بما ينفعُكُمْ ويقرِّبكُمْ إلى اللهِ عزّ وجل، واجعلُوه موسماً لرِفْعَةِ درجاتِكُمْ، وتكفيرِ سيئاتِكُمْ.

واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله.. إلخ الخطبة.

* * *

في بيانِ فضلِ شهرِ رمضانَ المباركِ

الحمدُ للهِ ذِي الفَضْلِ والإنْعامِ، أَهَلَّ علينَا شهرَ رمضانَ، وجَعلَ صيامَهُ أَحَدَ أركانِ الإسلامِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، شهادة مَنْ قال: رَبِّي اللهُ ثم استقام. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أفضلُ مَنْ صلّى وصامَ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البرَرَةِ الكرامِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واشكرُوهُ على ما منَّ بِهِ عليكُمْ منْ حلُولِ هذا الشهرِ المباركِ، واسألُوهُ أنْ يمكّنكمْ فيهِ مِنَ اغتنامِ أوقاتِهِ والأعمالِ الصالحةِ، وأنْ يَتقبَّلَهُ منكمْ، وأنْ يَجْعَلَهُ شاهِداً لَكُمْ عندَ اللهِ، بِما تقدِّمُونَهُ فيهِ مِنَ الخيراتِ، فإنَّهُ شهرٌ عظيمٌ، وموسمٌ كريمٌ، نوّهَ اللهُ بشأنِهِ في كتابِهِ، في قولِهِ سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أيّها المسلمونَ: إنَّهُ يَجبُ الفرحُ بِهذا الشهرِ أكْثَر مِنَ الفَرحِ في أيِّ شيءٍ، لأنَّهُ منْ أعظمِ النعمِ على هذهِ الأمّةِ، والفرحُ بالخيرِ منَ الفرحِ بفضلِ اللهِ ورحمتِهِ، وقد أمَرَ الله تعالى بِهِ في قولِهِ جل وعلا: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨]، فمنْ بلَّغهُ اللهُ هذا الشهرَ ومكَّنَهُ فيهِ منْ فعلِ الخيرِ، حُقَّ لَهُ أنْ يفرحَ بذلكَ. وأمّا الفرحُ في الدنيا وزينتِها، فإنَّهُ مذمومٌ، كما قالَ تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال في حَقِّ قارونَ الذي أُوتِيَ الأموالَ: ﴿ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [القصص: ٧٦].

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى بمنِّه وكَرَمِه، جعلَ لكمْ مواسمَ للعبادةِ، يضاعفُ فيها الحسناتِ، ويكفِّر فيها عنكمُ السيئاتِ، مواسمَ في اليومِ والليلةِ، خمسَ مراتٍ في الصلواتِ الخمسِ، التي يكفِّر اللهُ بِها الخطايا، ويرفعُ بِها الدرجاتِ. ومَوْسِمٌ في كُلِّ أسبوعٍ، وهوَ صلاةُ الجُمُعَةِ. ومَوْسِمٌ في كُلِّ سَنَةٍ، وهو شهرُ رمضانَ، وحَجُّ بيتِ اللهِ الحرام. وكُلُّها مُكَفِّراتٌ للذنوبِ إذا اجتُنبتِ الكبائرُ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، كَفّاراتٌ لما بينَهُنَّ، إذا اجْتُنِبَتِ الكبائِرُ**»(١).

فاشكروا اللهَ سبحانه وتعالى على هذهِ النِّعَمِ العظيمةِ، وقدِّروا لها قَدْرها، وتنبَّهوا فِيها، ولاتمرَّ عليكُمْ وأنتُمْ في غفلةٍ عنها، فتُحرَمُوا منْ ثوابِها وخيرِهَا.

إنَّ شهرَ رمضانَ لَهُ فضائلُ على غيرِهِ.

ومنْ أَعْظَمِ فضائِلِهِ: أنَّ اللهَ اختارَهُ لإنزالِ كتابِهِ الكريمِ، قالَ سبحانه ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] فلذلكَ تتأكدُ تلاوةُ القرآنِ في شهرِ رمضانَ أَكْثَرَ منْ غيرِهِ، كما كانَ النبيُّ ﷺ يفعلُ ذلكَ، وكما كانَ السلفُ الصالحُ يفعلونَ ذلكَ، فيكثرونَ منْ تلاوةِ القرآنِ في شهرِ رمضانَ أكثرَ منْ غيرِهِ.

ومنْ فضائِلِ هذا الشهرِ: أنَّ اللهَ خصَّهُ بليلةٍ واحدةٍ هيَ خيرٌ منْ أَلْفِ شهرٍ، وهيَ ليلةُ القَدْرِ، قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ١-٣]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٣، ٤]، وهذهِ الليلةُ في رمضانَ

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣)، والترمذي (٢١٤).

قَطْعَاً، ولكنِ اللهُ لَمْ يُبَيِّنْها في أيِّ ليلةٍ، فتحتملُ أنَّها في أَوَّلِ الشهرِ، أوْ في وَسَطِهِ، أوْ في آخِرِهِ؛ ليَجْتَهِدَ المسلمُ في كُلِّ ليالي رمضانَ، بالصلاةِ والدُّعاءِ والاجتهادِ؛ حتى يكْمُل لَهُ الأَجْرُ، فيحصلَ على قيامِ شهرِ رمضانَ الذي قالَ فيه ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً واحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1] وقال عليه الصلاة والسلامُ: «مَنْ قامَ مع الإمامِ حتى ينصرفَ كُتِبَ لَهُ قيامُ ليلةٍ»[2]، ويحصلُ كذلكَ على قيامِ ليلةِ القدرِ؛ لأنَّها لاشكَّ أنها مَرَّت بِهِ، فإذا قامَ كُلَّ ليالِي الشهرِ، فلا شكَّ أنها قد مرَّتْ عليهِ هذهِ الليلةِ، وحصل على خيرِها وبَرَكَتِها، فيكونُ قد اجتمعَ لَهُ قيامُ الشهرِ، وقيامُ ليلةِ القَدْرِ التي قالَ فيها ﷺ: «مَنْ قامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ لَهُ مَا تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ»[3].

أمّا منْ تكاسلَ عن قيامِ رمضانَ، وعنْ صلاةِ التراويحِ والتهجُّدِ في العَشْرِ الأواخِرِ، فإنَّهُ حَرِيٌّ أنْ يُحرمَ منْ هذا الخيرِ العظيمِ، وهو الذي حَرَمَ نَفْسَهُ، وظَلَمَ نَفْسَهُ.

ومنْ فَضَائِلِ هذا الشهرِ: أنَّ اللهَ سبحانه فَرَضَ صيامَهُ على الأُمَّةِ، كما قالَ جل وعلا: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ معنى شَهِدَ: حضر، فإذا دَخلَ شهرُ رمضانَ، والمسلمُ حاضِرٌ صحيحٌ، فإنَّهُ يجبُ عليه صَوْمُ رمَضَانَ، وهو رُكْنٌ منْ أركانِ الإسلامِ، منْ أَنْكَرَ وُجُوبَهُ كَفَرَ، ومَنْ تَرَكَ الصيامَ متكاسلاً مع إقرارِهِ بالوُجُوبِ، فقد فَعلَ كبيرةً منْ كَبَائِرِ الذُّنوبِ، وتركَ واجِباً عَظِيماً يستحق عليه الإثمَ والتعزيرَ والتأديبَ، ويجبُ عليه التوبةُ وقضاءُ ما أفطرَ.

أمّا مَنْ دَخلَ عَلَيهِ الشهرُ وهو مُسافرٌ، أو سافرَ في أثنائِهِ، فَلَهُ الفِطْر في

---

(١) البخاري (١٩٠٤). (٢) البخاري (٢٠٠٩). (٣) البخاري (١٩٠١).

سفرهِ، وكذلك من دَخلَ عليه الشهرُ وهو مريضٌ، أو مرضَ في أثناءِ الشهرِ مَرْضاً يَشُقُّ معهُ الصيامُ، فإنَّه يُفطرِ ويقْضِي منْ أيامٍ أُخَرَ ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ومَنْ دخَلَ عليه الشهرُ وهو لايقدرُ على الصيامِ، لا في الحاضرِ ولا في المستقبلِ، كالمريضِ المرضَ المزمنَ الذي لايُرجى لَهُ شفاءٌ، ولايستطيع معهُ الصيامَ، أو الكبيرُ الهَرِمُ، فإنه يَفْدِي عن كُلِّ يومٍ بإطعامِ مسكينٍ، قال جل وعلا: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

فَدَلَّ هذا على أنه لابد من صيام هذا الشهر، إمّا أداءً وإمَّا قضاءً، وإمّا بالفِدْية عن الصيام، وهذا يدل على عظمة هذا الشهر.

ومنْ فضائلِ هذا الشهرِ العظيمِ: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى شَرَعَ لنا فيهِ صلاةَ التراويحِ، وصلاةَ التهجُدِ، فصلاةُ التراويحِ خاصةً بهذا الشهرِ، وأمّا التهجُّد في آخرِ الليلِ فإنَّهُ عامٌّ في هذا الشهرِ وفي غيرِهِ. وصلاةُ التراويحِ هي مِنْ آكَدِ السُّنَنِ بعدَ الفرائِضِ، ولذلكَ تُشْرَعُ لَها الجماعَةُ في المساجِدِ، فقدْ صلاَّها النبيُّ ﷺ وصلَّى خَلْفَهُ أصحابُهُ ليالي منْ رمضانَ، ثم تأخَّرَ عنهُمْ، ولَمْ يخرجْ إليهِمْ؛ خشيةَ أنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، فتَأَخُّرُهُ ﷺ؛ لأجلِ ألاّ تُفْرَضَ عليهمْ صلاةُ التراويحِ فتشقَّ عليهمْ، وإلاّ فهيَ سنةٌ مُؤَكَّدَةٌ، ولذلكَ صلاّها أصحابُهُ مِنْ بعدِهِ، وصلاّها خلفاؤُهُ الراشدونَ، وصَلاَّها المسلمونَ في مُخْتَلَفِ العُصُورِ إلى يومِنا هذا، فهيَ سُنَّةٌ مؤكدةٌ، ولايَنْبَغِي للمسلمِ أنْ يَحْرِمَ نفسَهُ منْ صلاةِ التراويحِ، والتهجُّدِ في العَشْرِ الأوَاخِرِ معَ المسلمينَ؛ لِيَحْصُلَ على وَعْدِ اللهِ سبحانه لمنْ قامَ رمضانَ، ولمنْ قامَ ليلةَ القدرِ، إيماناً واحتساباً.

فيالَهُ منْ فَضْلٍ عظيمٍ على عَمَلٍ يسيرٍ، لمنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليهِ. وأمّا المحرومُ:

فإنَّهُ لاحيلةَ فيهِ، فالمريضُ لو قُدِّمتْ لَهُ أطْيبُ أنواعِ الطعامِ، فإنَّهُ لايشْتَهِيهِ؛ بِسَبَبِ المرضِ، بل قد يَكْرَهُهُ، يَكْرَهُ الطعامَ وإنْ كانَ منْ أَلَذِّ الطعامِ؛ لأنَّهُ مريضٌ. كذلكَ مريضُ القلبِ ـ والعياذُ باللهِ ـ يُقَدَّم لَهُ شهرُ رمضانَ، فيهِ الخيرُ الكثيرُ، وفيهِ الدرجاتُ، وفيهِ الخيراتُ، ولكنْ مَرَضُ قلبِهِ يَحُولُ دونَه ودونَ الانتفاعِ بِهذا الشهرِ، فلا حَولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيمِ!.

المحرومُ مَنْ حَرَمهُ اللهُ، والمَرْحُومُ مَنْ رَحِمَهُ الله ولكنْ للرحمةِ أسباب، وللحرمانِ أسباب، مِنْ قِبَلِ أنفُسِكُمْ، فَخُذُوا بأسبابِ الرحمةِ، وتجنَّبوا أسبابَ الحرمانِ، واتقوا اللهَ، وبادِرُوا بالتوبةِ قبلَ أن يُغلقَ بَابُها.

ومنْ فضائِلِ هذا الشهرِ الكريمِ: أنَّهُ تُفْتَحُ فيهِ أبوابُ الجِنانِ، وتُغَلقُ فيهِ أبوابُ النيرانِ، ويقالُ للمؤمنينَ: ياباغي الخيرِ أقْبلْ، ويقال للأشرارِ: ياباغيَ الشرِّ أَقْصِره. وللهِ عتقاءُ مِنَ النارِ، وذلكَ في كُلِّ ليلةٍ منْ ليالِي رمضانَ، فالمؤمنونَ يَحْبِسُ اللهُ عنهمُ الشياطينَ، فَيَنْشَطُون على العبادةِ ويفكون من أَسْرِ الشياطينِ، وأمَّا الأشرارُ: فإنَّهُمْ يَبْقُونَ في أسْرِ الشيطانِ، ولايتخلصونَ منْهُ.

فاحذرُوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ أنْ تكونُوا منْ هؤلاء، واتقوا اللهَ لعلَّكُمْ ترحمونَ.

بارَكَ اللهُ لِي ولكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ. واعلموا أنَّ الشيطانَ وأعوانَهُ يَنْشَطُونَ على أوليائِهِمْ منَ الفسّاقِ والأشرارِ، كما قالَ جل وعلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى

ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣]، فإنَّ أعداءَكُمْ يريدونَ أنْ يَصْرِفُوكُمْ عنْ دينكمْ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٩ـ١١٠].

إنَّهُمْ يَنْشَطُونَ في هذا الشهرِ بِبَثِّ البرامجِ التلفزيونيةِ مِنَ القنواتِ الفضائيةِ وغيرِها على الشاشاتِ، من المسرحياتِ والتمثيلياتِ، وكشفِ العوراتِ، واللعبِ والغفلةِ؛ لأجلِ أنْ يُغَفِّلُوا المسلمينَ عنْ دِينِهِمْ، ولأجلِ أنْ يُبْعِدُوهُمْ عنْ شهرِ رمضانَ. وهذهِ دَسِيسَةٌ، ليستْ عفويةً واللهِ إنَّها ليستْ عفويةً، وإنَّما هي خُطَّة مُحْكَمة؛ لأنهم ينشطونَ في رمضانَ أكثرَ منْ غيرِهِ، بعرضِ التمثيلياتِ والمسرحياتِ والهزلياتِ والمسابقاتِ، في أمورٍ تافهةٍ؛ منْ أجلِ أنْ يَصْرِفُوا المسلمينَ أو كثيراً منَ المسلمينَ عنْ هذا الشهرِ وخيراتِهِ وبركاتِهِ، فاحذرُوا منْ هؤلاءِ.

كذلكَ: مِنَ الصوارفِ يا عبادَ اللهِ عن شهرِ رمضان: أنَّ البيعَ والشراءَ ينشطُ في رمضانَ، وهذا مِنْ بابِ الفتنةِ، حيثُ تنشطُ حَرَكَةُ الأسواقِ، فكثيرٌ مِنَ الناس يذهبونَ إلى الأسواقِ، إمّا للبيعِ والشراءِ، وإمّا للفُرْجةِ والاطلاعِ على ما يُعْرَضُ فيها، وإمّا لِمَا هو أسوأُ، وهو مُلاحَقَةُ النساءِ، ومُغَازَلَةُ النِّساءِ، فكثيرٌ مِنْ الفتياتِ والشاباتِ، بَلْ والأُمَّهاتِ، لايَقَرْنَ في بُيُوتِهِنَّ، وإنما يخرجنَ ويتسلطنَ على الخروجِ في الشوارعِ، ويذهبنَ إلى الأسواقِ العصريةِ والأسواقِ المنظمةِ، ويحصلُ بذلكَ ضياعُ الوقتِ، ويحصلُ بذلكَ البُعْدُ عنْ ذِكْرِ اللهِ وعنْ صلاةِ الليلِ، ويحصلُ بذلكَ ماهو أشدُّ وهو: الفتنةُ، ووقوعُ الفواحشِ، وفسادُ الأعراضِ.

كثيرٌ من الناسِ يسهرونَ لياليَ رمضانَ مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ، لكنْ على ماذا يسهرونَ؟ على القيلِ والقالِ، والضحكِ والمزاحِ، أو مشاهدةِ هذه المعروضاتِ الخبيثةِ على هذهِ الشاشاتِ. فأينَ شهرُ رمضانَ ياعبادَ اللهِ؟ أينَ ذِكْرُ اللهِ؟ أيْنَ تلاوةُ القرآنِ؟ أين قيامُ الليلِ؟ أينَ التهجدُ في هذا الشهرِ العظيمِ؟.

إنَّ المسلمَ ينبغي لَهُ أنْ يَنْشَغِلَ بطاعةِ اللهِ، ولايَلْتفتَ إلى غَيْرِها، والصحابةُ والسلفُ الصالحُ والعلماءُ كانُوا إذا دَخَلَ شَهْرُ رمضانَ أَقْبَلُوا على تلاوةِ القرآنِ والصلاةِ والجلوسِ في المساجِدِ، ويتركونَ دُرُوسَ العِلْمِ، ويتركونَ حِلَقَ الذِّكْرِ التي كانُوا يقيمونَها في السنةِ، فَيَنْفِرُونَ منْ شيءٍ فاضلٍ، وهو طَلَبُ العِلْمِ وتعليمِ العِلْمِ، إلى شيءٍ أفضلَ منهُ، وهو حِفْظُ هذا الشهرِ، والتفرُّغُ فيه للأعمالِ الصالحةِ. والنبيُّ ﷺ - مع أنَّ الناسَ بحاجةٍ إليهِ، ويحبُّون مشاهدَتَهُ، وهو أحبُّ إليهم مِنْ أَنْفُسِهِمْ ومِنْ أموالِهِمْ وأولادِهِمْ والناسِ أجمعينَ - كان ﷺ يَخْلُو بِرَبِّه في شهرِ رمضانَ، خصوصاً في العَشْرِ الأوَاخِرِ، كانَ يعتكفُ في داخلِ حجرةٍ، أو في داخلِ حصيرٍ محتجزٍ ليخلُوَ بِرَبِّهِ عز وجل، وينقطعَ عَنِ الشواغِلِ، وقد غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ منْ ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ، ولكنَّهُ كانَ سبّاقا إلى الخيراتِ. فكيف بِنا نحنَ المقصِّرونَ المذنبونَ؟ ولاحولَ ولاقوة إلاّ باللهِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلموا أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . إلخ الخطبة.

* * *

في فَضْلِ الصِّيَامِ

الحمدُ للهِ الذي هدانا للإسلامِ، وفَرَضَ علينا الصيامَ، لتطهيرِ النفوسِ مِنَ الذُّنوبِ والآثامِ، أحمدَهُ على جزيلِ الفَضْلِ والإنعامِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، شهادةَ مَنْ قالَ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ استقامَ. واشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أفضلُ مَنْ صلّى وصَامَ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البَرَرَةِ الكرامِ، وسَلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واشكرُوهُ على ما منَّ بِهِ عليكمْ مِنْ بلوغِ شهرِ رمضَانَ، وتمكينكمْ مِنَ الصيامِ والقيامِ، والمسابقةِ في الأعمالِ الصالحةِ في هذه المواسِمِ العِظَامِ، فإنَّ هذا هو الذي يَفْرَحُ بِهِ المؤمنونَ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨]، ثَبَتَ في الصحيحينِ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يقولُ: «كُلُّ عَملِ ابنِ آدمَ لَهُ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِها إلى سَبْعِمئَةِ ضِعفٍ، إلاّ الصيامَ فإنَّهُ لي وأنَا أَجْزِي بِهِ، إنَّهُ تَركَ شَهْوَتَهُ وطعامَهُ وشَرَابَهُ مِنْ أَجْلي. للصائِمِ فرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عندَ فِطْرِهِ، وفَرْحَةٌ عِنْدَ لقاءِ رَبِّهِ. ولَخُلُوفُ فَمِ الصائِمِ أطْيبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ ريحِ المِسْكِ» ففي هذا الحديثِ الشريفِ أربعُ مسائِل:

المسألةُ الأُولى: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى استثنَى الصيامَ مِنْ بينِ سائِرِ الأعمالِ وذلكَ أنَّ الأعمالَ تُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها، كما قالَ تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وتضاعفُ إلى سبعمئةِ ضعفٍ، كما قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، إلا الصيامَ، فإنَّ مضاعفته لا تُحْصَرُ وإنَّما يُوَفَّى الصائمونَ أَجْرَهُمْ بغيرِ حساب؛ لأنَّ الصيامَ مِنَ الصَّبْرِ، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠]، فلا يَعْلمُ مضاعفةَ الصيامِ إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى.

فهذا فيهِ فضلُ الصيامِ على سائرِ الأعمالِ، وقيلَ: إنَّ معنَى الحديثِ: أنَّ اللهَ استثنَى الصيامَ مِنَ الأعمالِ الأُخرى؛ لأنَّ أعمالَ الإنسانِ يُوَازَنُ فِيها بينَ الحسناتِ والسيئاتِ، ويُكَفَّرُ بأعمالِهِ الصالحةِ ما لَهُ منَ السيئاتِ، ويؤدَّى مِنْها ما عَلَيْهِ مِنَ المظالِم للناسِ، فقد تَفْنَى حسناتُهُ وتَرْجُحُ سيئاتُهُ فَيَدْخُلَ النارَ، وقدْ يَأْخُذُ المظلومونَ حسناتِهِ كُلَّها حتى لاتَبْقَى لَهُ حسنةٌ فيُلْقَى في النارِ، إلا الصيامَ فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَحْفَظُهُ للمسلمِ، يَحْفَظُهُ ويدَّخرُهُ للمسلمِ، فيُدْخِلُهُ بِهِ الجنةَ، وليسَ للمظلومينَ والغرماءِ وصولٌ إليهِ، بلْ إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَحْفَظُهُ لصاحِبِهِ، ويَدْخِلُهُ بِهِ الجنةَ، فَكَفَى بِهذا فضيلةً للصيامِ.

المسألةُ الثانيةُ: قولُهُ سبحانه وتعالى: «إنَّهُ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وطَعَامَهُ وشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي» هذا فيه: أنَّ الإخلاصَ في الصيامِ أكثرُ مِنَ الإخلاصِ في غيرِهِ مِنَ الأعمالِ الصالحةِ؛ لأنَّ الصائمَ تَرَكَ شَهَواتِهِ التي تحبُّها نَفْسُهُ، والتي قدْ يَكُونَ محتاجاً إليها أَشَدَّ الحاجَةِ، تَرَكَهَا للهِ عز وجل، فَيُعَوِّضُهُ اللهُ عز وجل يومَ القيامةِ خيراً مِنْها؛ لأنَّ مَنْ تَرَكَ شيئاً للهِ عوَّضَهُ اللهُ خيراً مِنْهُ.

ولهذا كانَتِ الهجرةُ في سبيلِ اللهِ منْ أفضلِ الأعمال، كانتْ قرينةَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ عز وجل، والمهاجرونَ لهم مَيْزةٌ على غيرِهِمْ مِنَ المؤمنينَ؛ لأنَّهُمْ تَرَكُوا ديارَهُمْ وأموالَهمْ وأولادَهُمْ؛ طاعةً للهِ عز وجل ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ

﴿أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

فكذلكَ الصائمُ: تَرَكَ شهواتِهِ للهِ عز وجل، فعوَّضَهُ اللهُ خَيْراً منها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]، وَرَدَ أنَّ هذهِ الآيةَ نزلتْ في الصائمينَ، وأنَّ اللهَ يقولُ لَهُمْ يَوْمَ القيامةِ، والناسُ في الجُوعِ والعَطَشِ في المَحْشَرِ، يقول لَهُمْ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾، لمّا تركُوا الطعامَ والشرابَ في الدنيا للهِ عز وجل، عَوَّضَهُمُ اللهُ عَنْها بالدارِ الآخرةِ، وأكْرَمَهُمْ وأَظْهَرَ شَرَفَهُمْ على الخلائقِ، ينادَى عليهِمْ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾. بَلْ ثَبَتَ في صحيحِ مسلمٍ ـ رحمه الله ـ أنَّ في الجنةِ باباً يقالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منهُ الصائمونَ، لايَدْخُلُ مِنهُ غَيْرُهُمْ، فإذا دَخَلوا أُغْلِقَ. فذلكَ يَدُلُّ على فَضْلِ الصيامِ، وأنَّ الصائمينَ لمّا تركوا شهواتِهِمْ في هذه الدنيا، طاعةً للهِ، أكرَمَهُمُ اللهُ ومَيَّزَهم على أَهْلِ الجنةِ بأنْ خَصَّصَ لهم بَاباً مِنْ أبوابِ الجنّةِ يدخلون منه.

المسألةُ الثالثةُ: في قولِهِ ﷺ: «للصائمِ فرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وفَرْحَةٌ عندَ لِقَاءِ رَبِّهِ»، هكذا يقولُ اللهُ جل وعلا: «للصائمِ فرحتانِ: فرحة عِندَ فِطْرِهِ» بِما أباحَ اللهُ منْ تناولِ شهواتِهِ التي كانتْ مُحَرَّمةً عليهِ في نهارِ الصيامِ، لاسيما إذا كانتْ حاجتُهُ شديدةً إليها، فإذا أُبيحتْ لَهُ فإنَّهُ يفرحُ بذلكَ بطبيعةِ نفسِهِ. والفرحةُ الثانيةُ: «عِنْدَ لقاءِ رَبِّهِ» يومَ القيامةِ إذا قيلَ لَهُمْ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾، وإذا قيلَ لَهُمْ: ادْخُلوا مِنْ بابِ الصائمينَ، منْ بابِ الرَّيَّانِ، إلى جناتِ النعيمِ، فيفرحونَ بذلكَ فَرَحاً شديداً لايَعْدِلُهُ فَرَحٌ، وهذا هو الفَرَحُ المَحْمُودُ الذي قالَ اللهُ تعالى فيهِ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ

مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

المسألةُ الرابعةُ: في قولِهِ تعالى: «ولخُلُوفُ فَمِ الصائِمِ أَطْيَبُ عندَ اللهِ مِنْ ريحِ المِسْكِ» والخُلُوفُ: المرادُ به: الرائحةُ التي تَخْرجُ منْ أفواهِ الصائمينَ؛ بسبَبِ خُلُوِّ المَعِدةِ منَ الطعامِ، فإنَّهُ يتصاعَدُ مِنْ أفواهِهِمْ أنفاسٌ فيها رائحةٌ يَكْرهُهَا الناسُ، لكنَّ اللهَ يُحِبُّها، وهيَ عندَهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ المِسْكِ؛ لأنَّها ناشئةٌ عنْ طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، فيمتازُ الصائمونَ يومَ القيامةِ، وفي قبورِهِمْ، برائِحَةِ المِسْكِ تفوحُ مِنْهُمْ مِنْ أَثَرِ الصيامِ، كَمَا أنَّ الشهيدَ الذي يُقْتَلُ في سبيلِ اللهِ، يأتي يومَ القيامةِ يَثْعَبُ دَماً، لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ، ورائحتُهُ رائحةُ المِسْكِ، فَكُلُّ أَثَرٍ يَنْشَأُ عنْ طاعةِ اللهِ فإنَّ اللهَ يُحبُّهُ، ولذلكَ يُحبُّ اللهُ غُبارَ المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ، فغبارُ المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ ذَرِيرَةُ أهلِ الجنةِ؛ وذلكَ لأنَّ هذهِ الآثار لمّا نشأتْ عنْ طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، جَعَلَها اللهُ رائحةً طيبةً؛ إكراماً لأهْلِها.

فاحْمَدُوا اللهَ ـ أيّها المسلمون ـ على هذهِ النعمةِ العظيمةِ، حيثُ شَرَعَ لَكُمُ الصيامَ.

ومنْ فوائِدِ الصيامِ: أنَّهُ يَطْرُدُ الشيطانَ عن ابنِ آدمَ، فلا يتسلَّطُ عليهِ كَمَا يتسلَّطُ على المُفْطِرينَ؛ لأنَّ الشيطانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فيزيِّنُ لَهُ المحرماتِ والمعاصِي، ويبعدُهُ عنِ الطاعاتِ، ويُوَسْوِسُ لَهُ؛ لأنَّ الشيطانَ يُداخِلُ الإنسانَ، ويَجْرِي مِنْهُ مَجْرى الدَّمِ، فإذا تناولَ الإنسانُ شهواتِهِ، فإنَّهُ يَتَسلَّطُ عليهِ الشيطانُ فيغريهِ بالفواحِشِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق: ٦، ٧]، فإذا صامَ فإنّها تَضْعُفُ مجارِي الدَّمِ، وتَنْكَسِرُ حِدَّةُ الشهوةِ، فيبتعد عَنْهُ الشيطانُ، فلا يكونُ لَهُ إليهِ سبيلٌ، وكَفَى بذلكَ شرفاً للصائمينَ.

ولذلكَ تجدونَ الصائمينَ يختلفونَ عن غيرِهِمْ من المُفْطِرينَ، تجدونَ الصائمين أَقْرَبَ ما يكونون إلى الطاعةِ، وإلى ذِكْرِ اللهِ عز وجل، وتجدونَهُمْ أَلينَ الناسِ قُلُوباً، وتجدُونَهم أحْرَصَ الناسِ على الطاعاتِ؛ لأنَّ الشيطانَ قد ابتعدَ عَنهُمْ، فلمْ يتمكن مِن الوَسْوَسَةِ لهمْ وإغرائِهِمْ بالمعاصِي، وهذا منْ فضائِلِ الصيامِ.

ومنْ فضائِلِ الصيامِ: أنَّ اللهَ سوَّى فيهِ بينَ الغنيِّ والفقيرِ، وبينَ المَلِكِ والصُّعْلُوكِ، وبينَ جميعِ الناسِ باختلافِ طبقاتِهِمْ، كُلُّهُمْ يَصُومون للهِ عز وجل، ويتركونَ شهواتِهِمْ تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى، فيتذكرُ الأغنياءُ حاجَةَ الفقراءِ، فيعطفونَ عليهِمْ بالإحسانِ.

فللهِ دَرُّ الصيامِ! كمْ فيهِ مِنَ الفوائِدِ العظيمةِ التي لايَعْلَمُها إلاّ اللهُ! فالحمدُ للهِ على نِعْمَةِ الإسلامِ؛ إنَّ الإسلامَ بشرائِعِهِ وأحكامِهِ كُلَّهُ خيرٌ ورحمةٌ للمسلمينَ.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

باركَ اللهُ لِي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ، ونَفَعَنا بما فيهِ منَ الآياتِ البيناتِ والذِّكْرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كُلِّ ذنب، فاستغفروهُ وتُوبُوا إليه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ

لا إلٰهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ وسولُهُ، الداعي إلى رِضوَانِهِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى. واعلَمُوا أنَّ هذا الشَّهرَ العظيمَ كُلَّه خيراتٌ وبركاتٌ، فيه الصيامُ الذي هو أحَدُ أرْكان الإسلام، وفيه قيامُ الليلِ الذي هو أفضلُ أنْوَاعِ الطاعاتِ، فقدْ شَرَعَ فيهِ النبيُّ ﷺ لَكُمْ قيامَ ليالي هذا الشهر بصلاة التراويحِ والتهجد، قال ﷺ: «مَنْ قَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِهِ»[(١)]، وقال عليه الصلاة والسلام «من قامَ معَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ، كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ»[(٢)]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِهِ»[(٣)].

ففي هذه الأحاديثِ الحثُّ على قيامِ ليالي شهرِ رمضانَ المباركِ، وأن لا يُفَرِّطَ فيه المسلمُ، ويذهبَ إلى الكسلِ وإلى مطامعِ الدنيا، ويتركَ صلاةَ التراويحِ مع المسلمين، ويتركَ المساجِدَ التي هي بيوتُ اللهِ، ويذهبَ إلى شهواتِهِ أو إلى أشغالِهِ الدنيويةِ، مع أنَّ صلاةَ التراويح لا تأخذَ منه وقتاً طويلاً، ولا تُعَوِّقَهُ عن مصالحِهِ الدنيويةِ بل بإمكانِهِ أنْ يصلِّيَ صلاةَ التراويحِ ثم يذهب إلى أعمالِهِ، فيجمعَ بين الحسنيين، ويجمعَ بين مصالحِ الدنيا والدينِ.

ومن فوائدِ هذا الشهرِ: أنه شهرُ تلاوةِ القرآنِ، فأكثروا ـ رحمكم اللهُ ـ فيه من تلاوةِ القرآنِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، كان ﷺ يُقبل على تلاوة

---

(١) البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).
(٢) البخاري (٢٠٠٩) ومسلم ٧٥٩).
(٣) البخاري (١٩٠١).

القرآنِ في هذا الشهرِ، وكان جبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ ينزلُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ كُلَّ ليلةٍ من شهرِ رمضانَ يدارسُهُ القرآنَ، وكان السلفُ الصالحُ يُقبلونَ على تلاوةِ القرآنِ في هذا الشهرِ، ويجلسون في المساجدِ لتلاوةِ القرآنِ ولعبادةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

فاغتنموا هذه الأعمالَ الصالحةَ قبلَ فواتِهَا، واسألوا اللهَ سبحانه وتعالى القبولَ، واسألوا اللهَ سبحانه وتعالى أن يُعينكُم على ذِكْرِهِ وشُكْره وحُسْنِ عبادتِهِ، وأن يتقبلَ منكم أعمالكُم، وأن يجعلكُم ممن أدركَ هذا الشهرَ، واستكملَ الأجرَ، وفازَ بجائزةِ الربِّ.

ثم اعلموا أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في حقيقة الصيام وأحكامه

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ على فضلِهِ وإحسانِهِ، شَرَعَ لعبادِهِ الصيامَ؛ ليُطَهِّرَهُمْ بِهِ مِنَ الذنوبِ والآثامِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في رُبُوبيَّتِهِ وإلٰهيَّتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ العظامِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أفضلُ مَنْ صلّى وصامَ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البَرَرَةِ الكرامِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واشكرُوهُ على ما أَنْعَمَ عليكمْ بِهِ منْ نِعْمَةِ الإسلامِ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فَرَضَ اللهُ سبحانه وتعالى الصيامَ على هذهِ الأُمَّةِ كما فَرَضَهُ على الأُمَمِ السابِقَةِ؛ لأنَّهُ يُسَبِّبُ تَقْوَىٰ اللهِ سبحانه وتعالى، التي هيَ مناطُ كُلِّ خيرٍ، وهي الحِصْنُ مِنْ كُلِّ سوءٍ ومكْرُوهٍ.

إنَّ الصيامَ ـ يا عبادَ اللهِ ـ عبادةٌ عظيمةٌ، وصيامُ شهرِ رمضانَ يَجِبُ على كُلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقِلٍ. فأمّا الكافرُ فإنَّهُ لا يصحُّ منهُ الصيامُ؛ لأنَّهُ فاقِدٌ للأَساسِ الذي يُبْنَى عليهِ وهو الإسلامُ، وكُلُّ عَمَلٍ بدونِ الإسلامِ فإنَّهُ باطِلٌ، سواءٌ كانَ كافِراً أصليًّا، أو كافراً مرتدًّا، كالذي يتركُ الصَّلاةَ مُتَعَمِّداً، فإنَّ هذا مُرْتَدٌّ عن دين الإسلامِ، لا يصحُّ منهُ الصيامُ، ولا يصحُّ منه أيُّ عملٍ مِنَ الأعمالِ حتى يتوبَ إلى اللهِ عز وجلَّ، ويقيمَ الصلاةَ، ويؤدي بقيةَ أركانِ الإسلامِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

وأمّا الصبيُّ الذي هو دونَ البلوغ: فإنْ كانَ لايستطيعُ الصيامَ، كالذي دونَ التمييز، فإنَّهُ لايؤمرُ بهِ؛ لأنَّهُ لايطيقُهُ. أمّا إنْ كانَ مميزاً فإنَّهُ يُؤمَرُ بالصيامِ؛ ليتدربَ عليهِ، وليكونَ لَهُ نافلةٌ، ولوليِّهِ أجرٌ، كما أنَّهُ يُؤمَرُ بالصلاةِ لِسَبْعِ سنينَ، ويُضربُ عليها لِعَشْرِ سنينَ. وأمّا فاقدُ العقلِ: فإنَّهُ لايَجبُ عليهِ صيامٌ ولا أيُّ عبادةٍ، حتى يعقلَ؛ لقولِهِ ﷺ: «رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، الصَّغِيرِ حتى يَحْتَلِمَ والمَجْنُونِ حتَّى يَفِيقَ، والنَّائِمِ حتَّى يَسْتَيْقِظَ»(١).

إنَّ الصيامَ ـ يا عبادَ اللهِ ـ هو الإمساكُ عن المفطِّراتِ الحسيةِ والمعنويةِ، بنيَّةٍ منْ طُلُوعِ الفجرِ الثاني إلى غُرُوبِ الشمسِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فبدايةُ الصيامِ من طُلُوعِ الفجرِ الثاني، ونهايتُهُ بغروبِ الشمسِ، ويعرفُ طُلُوعَ الفَجْرِ وغروبَ الشَّمْسِ: إمّا بالمشاهدةِ، وإما بالعلاماتِ الدالةِ على ذلكَ، كأذانِ المؤذنينَ، وكَالنَّظَرِ في التقويمِ المَحَليِّ، فإذا طَلَعَ الفجرُ حَرُمَ على الصائِمِ تناولُ ما كَانَ مباحاً له قَبْلَ ذلكَ إلى أنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فإ ا غَرَبَتِ الشمسُ حَلَّ لَهُ ما كانَ محرَّماً عليهِ بالصيامِ إلى طُلُوعِ الفجرِ.

ومنْ هُنا يجبُ التَّنْبيهُ والتوكيدُ على المؤذنينَ ـ وفقهمُ اللهُ ـ أن يتأكَّدوا من طلوع الفجر وأن لايتأخروا عنِ الوقتِ المحددِ لطلوعِ الفجرِ، فإن بعض المؤذنين يتكَاسَلُ، ثم يَأْتي متأخِّراً ثم يؤذنُ، فَيَتْبَعُهُ الناسُ ويأكلونَ ويشربونَ ويجامعونَ، وقدْ طَلَعَ الفجرُ، فيكونُ متحملاً لِخطَئِهِمْ ومُوقِعاً لهم في الخَطَأ،

---

(١) أبو داود (٤٤٠٣)، والترمذيُّ (١٤٠٣)، وابنُ ماجة (٢٠٤١).

ولايجوزُ أنْ يؤذِّنَ قَبْلَ أنْ تَغْرُبَ الشمسُ ولو بِزَمنٍ يسيرٍ، ولو بثوانٍ أو دقائقَ، لايجوزُ لَهُ حتى يَعْلَمَ غُرُوبَ الشمسِ، إمّا بمشاهدَتِها وإمّا بالنَّظَرِ في العلاماتِ الدالةِ على الغُروبِ.

إنَّ المؤذنَ مُتَحَمِّلٌ لمسؤوليةٍ عظيمةٍ، يقلِّدُهُ الناسُ في صيامِهِمْ، وفي إفطارِهِمْ، وفي صَلَوَاتِهِمْ، ولهذا يقولُ ﷺ: «والمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ»[1]، فالمؤذنُ أمينٌ على دُخُولِ الوَقْتِ، لايجوزُ لَهُ أنْ يَتَسَاهَلَ فِيهِ، خُصُوصاً في هذا الشهرِ.

وكذلكَ: بعضُ الناسِ يَأْكُلُ ويشربُ إلى أنْ يفرغَ المؤذنُ مِنَ الأذانِ؛ لأنَّهُ - بِزَعْمِهِمْ - مادَامَ يؤذنُ فإنَّه مباحٌ لَهُ الأكلُ والشربُ. وهذا خَطَأٌ عظيمٌ، وإذا بَدَأَ المؤذنُ بالأَذانِ، وكانَ متقيِّداً بالوَقتِ، فإنَّهُ حينئذٍ يَحْرُمُ الأَكْلُ والشُّرْبُ؛ لأنه ما بدأ الأذانُ إلا بعدَما ترجَّحَ لديهِ طلوعُ الفجرِ.

أيُّها المسلمونَ: هناكَ مفطِّراتٌ يَجِبُ على المُسْلمِ أنْ يتجنَّبها، وهي قسمانِ: مفطراتٌ حسيةٌ ومُفَطِّراتٌ معنويةٌ.

أمّا المفطراتُ الحسيةُ، فهي: الأكلُ والشربُ مُتَعَمِّداً، فمنْ أَكَلَ أو شربَ متعمداً بَطَلَ صيامُهُ، أمّا إذا أَكَلَ أو شَرِبَ ناسِياً، فإنَّه لاحَرَجَ عليه، وصيامُهُ صحيحٌ، قال ﷺ: **«من نسي فأكلَ أو شربَ فليتمّ صومَهُ، فإنَّما أطْعَمَهُ اللهُ وسَقَاهُ»**[2].

ومن هذه المفطرات: الجماعُ في نهارِ رمضانَ، فالصائمُ إذا جامع بَطَلَ صيامُهُ، وصيامُ زوجتِهِ، وَوَجَبَ عليهِمَا التوبةُ إلى اللهِ سبحانَهُ وتعالى، ويجبُ عليهِماَ قضاءُ هذا اليومِ الذي أفسدَاهُ بالجماعِ، ويجبُ على كُلِّ واحِدٍ منهما

---

(١) أبو داود (٥١٧)، والترمذيُّ (٢٠٧).
(٢) البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

الكفارةُ المغلَّظةُ، وهي عتقُ رقبةٍ، فإنْ لَمْ يَجِدْ فإنَّهُ يصومُ، شهرينِ متتابعينِ، فإنْ لَمْ يستطعْ فإنه يُطْعِمُ ستينَ مسكيناً. وعلى الصائم أنْ يجتنب دواعِي الجماعِ وأسبابِ الجماعِ التي تجرُّه إليهِ، وخُصوصاً إذا كانَ مِنَ الشبّانِ، فعليهِ أنْ يتجنَّبَ النومَ مع زوجتِهِ في فراشٍ واحدٍ، إذا كانَ هذا منْ بابِ الشهوةِ؛ لأنَّ هذا مَظِنَّةٌ وسببٌ واضحٌ إلى الوقوعِ في المحظورِ. وكذلكَ: يتجنبُ لَمْسَ زَوْجَتِهِ بِشَهْوَةٍ، لايَلْمسُها بشهوةٍ، ولايقبِّلها بشهوةٍ؛ لأنَّ هذا سببٌ لوقوعِ الجماعِ مِنْهما، خصوصاً إذا كانا من الشبانِ، وكذلك لايكررُ النظرَ إلى زوجتِهِ بِشَهْوَةٍ، لأنَّ هذا قدْ يجرُّهُ إلى جماعِها، فهذا كُلُّه مِنَ الرفثِ الذي نهى اللهُ سبحانه وتعالى عنهُ، فالرفثُ هو: دواعي الجماعِ بجميعِ أنواعِها، فعلى المسلمِ أنْ يَتَجنَّبَ الأسبابَ التي تُوقِعهُ في المَحْذُور.

ومثلُ الأكلِ والشربِ، أيضاً: إدخالُ شيءٍ إلى الجوفِ من أيِّ مادةٍ كَانَ، بأيِّ وسيلةٍ كانَ، فإنَّ ما يدخلُ إلى الجوفِ يُبطلُ الصيامَ من أيِّ طريقٍ كانَ.

وكذلك: مما يبطلُ الصيامَ: الاستفراغُ، وهو: استخراجُ ما في الجوفِ عن طريقِ الفمِّ، كالذي يتقيَّأُ متعمداً، فالذي يتقيَّأُ متعمداً يَبْطُلُ صيامه، أما الذي يَغْلِبُه القيء، ويخرجُ بغيرِ اختيارِهِ، فصيامُهُ صحيحٌ، ولاحرجَ عليه.

وكذلك مِنَ المفطراتِ: استخراجُ الدمِ الكثيرِ مِنَ البدنِ، إما بحجامةٍ، وإما بسحبٍ بالطرائقِ الطبيةِ المعروفةِ الآنَ، سواءٌ سَحَبَ الدمَ للتبرعِ بِهِ لمصابٍ، أو للتبرعِ بِهِ للمستَشْفى، أو سَحَبَهُ منْ أجلِ الاستشفاءِ كالذي يسحبُ الدَّم أو يُفَصِّدُ الدَّمَ؛ منْ أجل الصحةِ، كالحجامةِ والفَصْدِ، فإن هذا من مبطلاتِ الصيامِ.

أمّا الدَّمُ اليَسِيرُ: فهذا لايُؤَثِّرُ، لكن على الإنسانِ أنْ يتجنَّبَهُ إلا عند الضرورة؛ لأنَّ اليسيرَ قد يفضي إلى الكثير. أمّا مَنِ انْجَرَحَ جِسْمُهُ بغير اختيارِهِ،

وَنزِفَ منهُ دَمٌ كثيرٌ، فإنَّ هذا لايؤثرُ عليه؛ لأنَّه بِغَيرِ اختياره، فإذا خلعَ ضِرْساً يتأذّى ببقائِهِ، وخرَجَ منهُ دَمٌ، فلا حَرَجَ عَليهِ، وكذلكَ: إذا عالجَ آفَةً في جِسْمِهِ، وخَرَجَ مِنْهُ دَمٌ، فإنَّهُ لايُؤَثِّرُ عليهِ؛ لأنَّهُ بغيرِ قَصْدٍ، ولأنَّهُ يَتَأذّى لو تُرِكَ هذا المؤذي فيهِ، ولو أخَّر هذا العلاجَ إلى الليلِ لكانَ أحسنَ وأحوَطَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ في صيامِكُمْ وحافِظُوا عليه.

وكذلكَ مِنَ المفطراتِ أيضاً: استعمالُ الإبرِ المُغَذِّيةِ، التي تُؤْخَذُ بَدَلَ الطعامِ والشرابِ، فإنَّها تفطِّرُ الصَّائِمَ؛ لأنَّها بمَعْنَى الأَكْلِ والشربِ، وكذلكَ الإبَرُ التي تُؤْخَذُ عنْ طريقِ الوَرِيدِ؛ فإنها تخالطُ الدَّمَ وتُنَشِّطُ الجسمَ وتَسْرِي في العُرُوقِ، فهي أيضاً مفطِّرةٌ. فتجنَّبوا هذه الأمور، ولاتلتفتوا إلى كثرةِ الفتاوى التي شوَّشتْ على الناسِ، وسبَّبتِ التساهلَ في الصيامِ.

حافِظُوا على صيامِكُمْ يا عباد اللهِ، فإنَّ كُلَّ مسلمٍ مسؤولٌ عن صيامِهِ، ومسؤولٌ عنْ نَفْسِهِ، ولايقولُ: قالَ فلانٌ، وقال فلانٌ. فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «البرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إليهِ النَّفْسُ وإنْ أفتاكَ الناسُ وأفْتَوْكَ»[1].

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ، حافظُوا على صيامِكُمْ مِنَ المفسداتِ والمنقصاتِ، فإنه لاصيامَ لمن لم يحافظْ على صيامِهِ، ولايصحّ منه إذا كانَ يتساهلُ في شأنه، وحافظوا على جميعِ عباداتكم.

نسألُ اللهَ عز وجل أنْ يَجْعَلَنا وإيَّاكُمْ مِنَ المقبولين في هذا الشهرِ، ومِنَ الصائمين القائمين، وأن يرزقنا وإياكم مِنَ نفحاتِ جُودِهِ، وأن يرزقَنَا وإياكم من برِّه وإحسانِهِ.

---

(١) رواه أحمد في مسند أبي ثعلبة رضي الله تعالى عنه.

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولجميعِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: عبادَ اللهِ: اتَّقوا الله تعالى، واعلمُوا أنَّ النوعَ الثانِي من المفطراتِ المعنويةِ التي نهى الرسولُ ﷺ عنها، وأخبرَ أنَّها تَجْرحُ الصيامَ، وقد تَذْهبُ بأجرِه كُلِّه، فيكونُ عليهِ التعبُ والجوعُ والعطشُ، وليس لَهُ عندَ اللهِ أَجْرٌ وثواب ومن هذه المفطراتِ المعنويةِ. الغيبةُ والنميمةُ وقولُ الزورِ والشتمُ والسبابُ. فعلى الصائم أنْ يَحفَظَ لسانه من الكلامِ المحرمِ؛ لأنه يَجْرحُ صيامَهُ، ويخْرِق صيامَهُ، حتى لو سابَّه أحَدٌ أو شاتَمَهُ أَحَدٌ، فإنَّهُ لايَرُدّ عليهِ بالمِثْلِ، بلْ عليهِ أنْ يقولَ: إني صائِمٌ، إني صائمٌ، قال ﷺ: «**فإنْ شَاتَمهُ أَحَدٌ أو قاتله، فليقل: إني امرؤٌ صائمٌ، إني امرؤٌ صائمٌ**»[1].

وكذلك على الصائِمِ: أنْ يَحفظَ نَظَرَهُ عمَّا حرَّمَ اللهُ، فلا ينظرُ إلى ما حَرَّمَ اللهُ، فلا ينظرُ إلى النساءِ، ولاينظر إلى الصورِ الخليعةِ، ولاينظرُ إلى الأفلامِ التي تُعرضُ على الشاشاتِ الفاتنةِ، وفيها الصورُ، وفيها الدعارةُ، وفيها الشرُّ الكثيرُ، فعلى المسلم ـ خصوصاً الصائمَ ـ أن يجنِّب نظرَهُ عن هذهِ المرَائي المحرَّمة؛ فإنها تؤثرُ على صيامِهِ، وقد تَجُرُّهُ إلى أنْ يَقَعَ في المحذُورِ العظيمِ، وهو الجماعُ

---

(١) رواه مسلم (١١٥١) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

في نهارِ رمضانَ.

على الصائم: أن يصونَ سَمْعَهُ عَمّا حرَّم الله، فلا يَسْتَمع إلى الغِيبةَ، ولا إلى النميمةِ، ولا إلى قول الزور، وعليهِ أنْ يصونَ سَمْعَهُ عن استماعِ الأغانِي والمزامير، عليه أنْ يصونَ سَمْعَهُ عنْ كُلِّ لغوٍ وكُلِّ باطلٍ؛ لأنَّهُ صائِمٌ، والصائمُ يصوم سمعُهُ ويصومُ بصرُهُ ويصومُ لسانُهُ عن كُلِّ ما حرَّمَ اللهُ، فقد يتكلّفُ الإنسانُ الصيامَ بتركِ الطعامِ، والشرابِ، ولكنَّهُ لايبالي بهذهِ الأمورِ، لايبالي بالسَّماعِ المحرَّمِ، والكلامِ المحرمِ، والنَّظرِ المحرم، وقد قالَ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به والجَهْلَ، فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ»[1].

إنَّ الصيامَ ليسَ هو مجردُ تركِ الأكلِ والشربِ، وإنَّما هو ـ مَعَ ذلكَ ـ ترك كلِّ ما حرَّمَ الله سبحانه وتعالى، وهذه أمورٌ محرَّمةٌ في جميعِ الأحوالِ، وفي جميعِ الأوقاتِ، ولكنَّها على الصائمِ أشدُّ تحريماً؛ لأنَّها تؤثرُ على صيامِهِ، وقد تَذْهَبُ بأجْرِهِ، فيكونُ مفطراً في المعنى، وإنْ كانَ صَائِماً في الظاهِرِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهَ في صيامِكُمْ، وحافِظُوا عليهِ من المُبْطِلاتِ والمؤثِّراتِ، فليسَ الصيامُ مجردَ تَرْكِ الطعامِ والشرابِ، ولكنَّهُ تَرْكُ كُلِّ ما حرَّمَ اللهُ على الصائِمِ.

ثم اعلَمُوا أنَّ الله سبحانه وتعالى أمَرَكُمْ بأمرٍ بدأ فيه بنفسِهِ حيث قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.. إلخ الخطبة.

* * *

(١) البخاريُّ (١٩٠٣)، وأبو داود (٢٣٦٢)، والترمذيُّ (٧٠٧).

في بيانِ أحكامِ الصيامِ

الحمدُ للهِ ذي الفَضْلِ والإحسانِ، اختصَّ شهرَ رمضانَ بفريضةِ الصيامِ وإنزالِ القرآنِ، وجعلَهُ موسماً للرحمةِ والمغفرةِ والعِتْقِ مِنَ النيرانِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، شهادةَ الحقِّ والإيمانِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ أيّها الناسُ: اتقوا ربَّكُمْ، وعظِّموا شهرَكُمْ.

عبادَ اللهِ: ممّا خَصَّ اللهُ بِهِ هذا الشهرَ: فريضةَ الصيامِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والصيامُ هو: الإمساكُ ـ بنيّةٍ ـ عنِ المفطراتِ الحسيّةِ والمعنويّةِ، وذلكَ ابتداءً من طلوع الفجر الثاني كُلّ يومٍ، إلى غُرُوبِ الشمسِ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فجعلَ سبحانهُ مدّةَ الصيامِ اليوميِّ من طُلُوعِ الفجرِ الثاني إلى غُرُوبِ الشمسِ، وطلوعُ الفجرِ يُعرفُ بالمشاهدةِ، أو بالاعتمادِ على القرائِنِ التي تُغلِّب على الظنِ طلوعَ الفجرِ، كالتوقيتِ المحلِّي المعتمد وأذانِ المؤذِّنين.

ومنْ هنا يجبُ على المؤذنينَ ـ وفقهمُ اللهُ ـ أنْ يتقيَّدُوا بالتوقيتِ، فلا يتأخروا عنه؛ لئلا يَغرُّوا الناسَ؛ لأنَّ الناسَ يعتمدونَ على أذانِهِمْ، فإذا تأخَّرَ المؤذنُ عنْ طلوعِ الفجرِ، كان سبباً في أنَّ بعضَ الناس لايصومُ إلا بعدَ طلوعِ الفجرِ، فيكونُ صومُهُ غيرَ صحيحٍ، ويكون إثمُ ذلكَ على المؤذنِ الذي غرَّهُ إذا لَمْ

يَعلَمْ هو أنَّهُ تأخَّرَ. أمّا إذا علمَ أنَّ المؤذنَ قد تأخَّر، فلا يجوزُ لَهُ الاعتمادُ عليهِ، فالأذانُ أمانةٌ، قالَ ﷺ: «المؤذنُ مُؤْتَمَنٌ»(١) فهو مُؤْتَمَنٌ على دخولِ الوقتِ، سواءً في رمضانَ أو في غيرِ رمضانَ، وربما إذا قدَّم الأذانَ عن التوقيتِ ولا يؤذن مرة ثانية عند طلوع الفجر أنه يُصلّي بعضُ الناسِ الصلاةَ قَبْلَ وَقْتِها في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ.

فعلى المؤذِّنينَ ـ وَفَّقَهُمُ اللهُ ـ أنْ يتقيَّدوا بالتوقيتِ الصحيحِ، إلا إن كانُوا يشاهدونَ طُلُوعَ الفجرِ بأنفسِهِم، فإنهمْ يعتمدونَ على المشاهدةِ، وإن كانُوا لايشاهدونَ طلوعَ الفجرِ، فإنَّهمْ يعتمدونَ على التوقيتِ المعتمدِ الذي اعتمدَهُ أهلُ هذهِ البلادِ، فلا يتقدَّمُون عليه؛ لئلاّ يُصلِّي ويصومَ الناسُ قَبْلَ دخولِ الوقتِ، ولايتأخرَوُا عنهُ؛ لئلا يصومَ الناسُ بعدَ دخولِ الوقتِ، فَهُمْ دائماً وأبداً مَحَلُّ الأمانةِ، وَفَّقَهُمُ اللهُ وأعانَهُمْ، فإن بعضَ المؤذنينَ يتساهلُ في هذا الأمرِ، ولايَهُمُّهُ التقيُّدُ بالوَقْتِ، وإنما يُؤَذِّنُ في وقتِ تَنَبُّهِهِ للأذانِ، وهذا فيه خطورةٌ عظيمةٌ على عباداتِ المسلمينَ، وهو المسؤولُ عنْها أمامَ اللهِ سبحانه وتعالى، ومَنْ عَلِمَ بتلاعُبِ بعضِ المؤذِّنينَ، فإنَّهُ لايجوزُ لَهُ الاعتمادُ عليهِم.

وأمّا نهايةُ الصيامِ فهيَ بغروبِ الشمسِ، غروبُ الشمسِ في الأفقِ، قال ﷺ: «إذا أَقْبَلَ الليلُ من هَا هُنا (يعني من المشرق) وأدبر النهارُ من ها هنا (يعني من المغرب) وغَرَبَتِ الشمسُ فقد أفطَرَ الصائمُ»(٢). واللهُ جل وعلا يقول: ﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ ويبينُ ذلكَ حديثُ الرسولِ ﷺ، فعلَى المؤذنينَ أيضاً أنْ يَتَأَكَّدُوا منْ وُقُوعِ الأذانِ في الوقتِ المحددِ منْ غُروبِ الشمسِ. إمَّا أن يُشَاهِدُوها فَلْيَعْتَمِدُوا على مشاهدتِهِمْ وإلاّ فَلْيَعْتَمِدُوا على التوقيتِ المحلِّي

---

(١) أبو داود (٥١٧)، والترمذي (٢٠٧).
(٢) البخاريُّ (١٩٤١)، ومسلم (١١٠٠)، وكذا أبو داود والترمذيُّ.

المعتبرِ، ولا ينفردُ المؤذنُ عن المؤذنينَ الآخرينَ بتقدمٍ أو تأخرٍ.

ثم اعلمُوا ـ عبادَ اللهِ ـ أنَّ للصيامِ مبطلاتٍ ومنقصاتٍ:

أمّا المبطلاتُ: فإنَّ الصومَ يُبْطُلُ بإدخالِ شيءٍ إلى الجَوْفِ، أو بإخْراجِ شيءٍ منهُ اختياراً ممّا يُتَغَذَّى بِهِ. أمّا إدخالُ الأشياءِ إلى الجَوْفِ، فمثلُ الأكلِ والشربِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، فجعلَ نهايةَ الأكلِ والشربِ والجماعِ بطلوعِ الفجرِ، فمنْ أكَلَ أو شَرِبَ متعمداً بَعْدَ طلوعِ الفجرِ لَمْ يَصِحَّ صومُهُ؛ لأنَّهُ لم يتقيَّد بأمْرِ اللهِ سبحانه وتعالى. أمّا مَنْ أكَلَ أو شَرِبَ ناسياً فإنَّهُ لايَضُرُّهُ، وصومُهُ صحيحٌ، لقولِهِ تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، ولقولِهِ سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ فَأكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فإنَّما أَطْعَمَهُ اللهُ وسَقَاهُ»[1] ومثلُ الأكلِ والشربِ في التفطير: كُلُّ ما ينفذُ إلى الجَوْفِ ممّا يَتَغَذَّى بِهِ الإنسانُ، أو يَسْرِي في العروقِ، وذلكَ مِثْلُ الإبرِ المغذيةِ؛ لأنَّها تقومُ مقامَ الطعامِ والشرابِ، وكذلكَ الإبرُ التي تُؤْخَذُ عنْ طريقِ الوَرِيدِ، ولَوْ لَمْ تَكُنْ مُغَذِّيَةً، بل كانتْ للدواءِ؛ لأنَّها تَسْرِي في العُرُوقِ، وتَنْتَشِرُ في الجِسْمِ، وتسيرُ مَعَ الدَّمِ كما يسيرُ الغذاءُ وكذلكَ تناولُ حُبُوبِ الدواءِ، أو السوائِلِ الدوائيةِ في وقتِ الصيامِ؛ لأنَّ كُلَّ هذهِ الأمورِ بمعنى الأكْلِ والشربِ، فتبطلُ الصيامَ. وأما الإفطارُ بإخراجِ شيءٍ مِنَ الجسمِ، فمثلُ الاستفراغِ، أي: استفراغُ ما في المَعِدَةِ عنْ طريقِ الفمِ، وهو مايسمَّى بالتَّقَيُّؤ فمنَ تقيّأ متعمداً بَطلَ

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٣) ومسلم (١١٥٥).

صومُهُ، أما مَنْ غَلَبَهُ القَيْءُ بغيرِ اختيارِهِ فإنَّ صومَهُ صحيحٌ.

وكذلكَ مِنَ الاستفراغِ الذي يبطلُ الصومَ: سَحْبُ الدمِ الكثيرِ مِنَ الجِسْمِ، إمّا بحجامَةٍ؛ لقولِهِ ﷺ: «أفطَرَ الحاجِمُ والمَحْجُومُ»[1] أو بِما يقومُ مقامَ الحجامَةِ مِنَ السَّحبِ بالطرقِ الطبيةِ المعروفةِ الآنَ؛ لأجلِ التبرعِ بالدمِ، أو لأجلِ إسعافِ المريضِ بالدَّمِ، أو الفَصْدِ الذي ينزفُ منهُ دَمٌ كثيرٌ، فإنَّ هذا يبطلُ الصيامَ؛ لأنَّهُ بمعنى الحجامَةِ أمّا مَنِ انْجرحَ وخَرَجَ منهُ دَمٌ فإنَّهُ لايَضُرُّ صَوْمَهُ؛ لأنَّ ذلكَ بغيرِ اختيارِهِ، فنزيفُ الدمِ الذي يخرجُ بِسَبَبِ الجراحَةِ لايضرُّ الصيامَ؛ لأنَّهُ بغيرِ اختيارِ الإنسانِ، وأمّا الفَصْدُ والحجامةُ وسحبُ الدَّمِ، فهذا يبطلُ الصيامَ؛ لأنَّهُ فَعَلَهُ باختيارِهِ، واستخرجَ منْ جِسْمِهِ ما يُضْعِفُهُ.

وكذلكَ: مِنَ الاستفراغِ الذي يُبْطِلُ الصيامَ: الجماعُ في نهارِ رمضانَ، فإنَّهُ يبطلُ الصيامَ: لقولِهِ جل وعلا: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ﴾، فَجَعلَ نهايةَ الجماعِ والأكلِ والشربِ بطلوعِ الفجرِ، فمنْ جامَعَ بعدَ طُلُوعِ الفَجْرِ بَطَلَ صومُهُ، فيجبُ عليهِ التوبةُ إلى اللهِ عز وجل، ويجب عليه قضاءُ ذلكَ اليومِ، ويجبُ عليه أَمْرٌ ثالثٌ، وهو: كفارةٌ مُغَلَّظَةٌ، وهي عِتْقُ رَقَبَةٍ مؤمنةٍ، فإنْ لَمْ يَجِدْ فإنَّهُ يصومُ شَهْرَينِ متتابعينِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإنهُ يطعمُ ستينَ مِسْكيناً كما جاءَ ذلكَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ في قِصَّةِ الرجلِ الذي وَقَعَ على امرأتِهِ وهو صائِمٌ.

ومِنْ ثَمَّ: يَجبُ على الصائِمِ أنْ يتجنَّبَ اللَّغْوَ والرَّفثَ، والرَّفَثُ هو: الجماعُ ودواعِيهِ، فيتجنبُ الصائمُ ما يثيرُ الشهوةَ، مِنَ النظرِ المحرمِ، وإذا أَنْزَلَ الإنسانُ وهو صائِمٌ بِسَبَبٍ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، فإنَّهُ يَبْطُلُ صومُهُ؛ لأنَّ هذا استفراغٌ للمني بشهوةٍ، كالذي يفعلُ العادةَ المحرّمةَ هي العادةُ السريةُ وهو صائِمٌ، فإنه

---

(١) أبو داود (٢٣٦٧)، وابن ماجة (١٦٧٩)، وغيرُهما.

يبْطُلُ صومُهُ، وعليه التوبةُ إلى اللهِ عز وجل، لأنه فَعَلَ محرّماً، وعليهِ أنْ يَقْضِيَ هذا اليومَ الذي أفْسَدَهُ.

ومِنَ الاستفراغِ الذي لايصحُّ معهُ صومٌ: الحيضُ والنفاسُ، فلا يجوزُ للحائضِ والنفساءِ الصومُ، ويجبُ عليهما القضاءُ.

فهذه جُمْلَةُ مبطلاتِ الصيامِ باختصارٍ، فعلى المسلمِ أنْ يحافِظَ على صيامِهِ، وأن يتجنبَ ما يبطُلُهُ منْ هذهِ الأمورِ وغيرِها.

وفقَ اللهُ الجميعَ لصالحِ القولِ والعملِ، إنَّهُ سميعٌ مجيبٌ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

باركَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله سبحانه وتعالى، واعلموا أنَّهُ كما يجبُ عليكمْ تَرْكُ المفطِّراتِ الظاهرةِ، فإنَّهُ يجبُ عليكمْ أيضاً تركُ المفطِّراتِ الباطنةِ، وهي: كُلُّ ما حَرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى، فيجبُ على الصائِمِ أنْ يَتجنَّبَ المَحرَّماتِ، كالنظرِ إلى الحرامِ، كالنظرِ إلى النساءِ بشهوةٍ، والنظرِ إلى الأفلامِ الخَليعَةِ والصُّوَرِ الماجِنَةِ، والسماعِ المحرَّمِ، كاستماعِ الأغاني والمزامِيرِ، والكلامِ المحرّمِ، كالغِيبَةِ والنَميمَةِ، والشتمِ وقولِ الزورِ، وكُلِّ ماينطقُ بِهِ

اللسانُ منَ الكلامِ المحرمِ، وكذلكَ بقيةُ المحرَّماتِ التي نَهى اللهُ عنها ورسولُهُ.

فإنَّ المسلمَ يصومُ عَنِ المحرماتِ في كُلِّ حياتِهِ بمعنى أنَّهُ يَتْركُها في كُلِّ حياتِهِ، ولكنَّ الصائِمَ يتأكَّدُ في حَقِّه ذلكَ، فالصائِمُ عليهِ صومانِ، صومٌ عن المحرَّماتِ، وصومٌ عن المباحاتِ منَ الأكلِ والشربِ وسائرِ المفطِّراتِ. أمّا غيرُ الصائِمِ فعليهِ صومٌ واحِدٌ دائمٌ أبداً وهوَ الصومُ عمّا حرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى، فقدْ يصومُ الإنسانُ ظاهراً بتَرْكِ الأَكْلِ والشُّرْبِ والمفطِّراتِ الحسيةِ، لكنَّهُ لا يصومَ باطِناً عَنِ الغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ، والشَّتْمِ وقَوْلِ الزُّورِ، وغيرِ ذلكَ مِنَ المحرماتِ فلا يكونُ لَهُ أَجْرٌ في صيامهِ، بلْ يتكلَّفُ الجوعَ والعطشَ، وليسَ لَهُ أجرٌ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، كما قالَ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ والجَهْلَ، فَلَيْسَ للهِ حَاجةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ»[1]، فقدْ يعملُ الإنسانُ العملَ الظاهِرَ، ويتقيدُ بالأوامِرِ في الظاهِرِ، لكنَّهُ لَيسَ لَهُ أجْرٌ في ذلكَ؛ لأنَّهُ لَمْ يتجنَّبْ ما يضادّ ذلكَ ويُفْسِدُهُ مِنَ المحرّماتِ التي تَحْرُمُ عليهِ كُلَّ حينٍ وأوانٍ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على صيامِكُمْ مِنْ كُلِّ مُفْسِدٍ ومؤثِّرٍ، حتى يكونَ لَكُمْ ذُخراً عندَ اللهِ، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يقولُ: «الصَّوْمُ لِي، وأنَا أَجْزِي بِهِ، إنَّهُ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وطَعَامَهُ وشَرَابَهُ مِنْ أَجْلي، ولَخُلُوفُ فَمِ الصائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، للصَّائِمِ فَرْحَتانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وفَرْحَةٌ عندَ لقاءِ رَبِّه»[2].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، حافِظُوا على صيامِكُمْ؛ ليكونَ لَكُمْ ذُخراً عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، ولا يكونُ تعباً بلا فائدةٍ.

واعْلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

---

(١) البخاريُّ (٦٠٥٧).

(٢) رواه مسلم (١١٥١) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

في أحكام الصّيام

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، جَعلَ شَهْرَ رمضانَ أفضَلَ شهورِ العامِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، تباركَ اسمُ رَبِّكِ ذي الجلالِ والإكرامِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أفضَلُ مَنْ صَلَّى وصامَ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البَرَرَةِ الكرامِ، وسلم تسليمًا كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقو اللهَ تعالى، واشكروهُ على ما خصَّكُمْ بِهِ مِنَ الفضائِلِ والنِّعَمِ العظيمةِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فصيامُ شهرِ رمضانَ فَرْضٌ على هذهِ الأمةِ، وهو أَحَدُ أركانِ الإسلامِ، فيجبُ صومُهُ على كُلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ، ليسَ بهِ مايمنعُ مِنَ الصومِ، وقد بيَّنَ اللهُ سبحانه وتعالى بدايةَ الصومِ ونهايتَهُ في كُلِّ يَوْمٍ، قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾، فَجَعَلَ وقتَ الصيامِ ما بينَ طلوعِ الفجرِ الثانِي إلى غروبِ الشمسِ.

ومن هنا: يجبُ على المؤذنينَ ـ وفقهمُ اللهُ وأعانَهُم ـ أنْ يتأكَّدُوا مِنْ بدايةِ الصيامِ ونهايتِهِ، فلا يؤذِّنُوا إلا عندَ طُلُوعِ الفَجْرِ، ولايؤذِّنُوا إلا عندَ غروبِ الشمسِ، ومنْ أذَّنَ قبلَ طُلُوعِ الفجرِ، فعليهِ أنْ يؤذِّنَ أذاناً ثانياً عندَ طلوعِ الفجرِ، ولايقتصرُ على أذانِهِ الأولِ؛ لئلاَّ يَغُرَّ الناسَ. وكذلكَ لايجوزُ للمؤذنِ أنْ يؤخِّرَ أذانَهُ عنْ طلوعِ الفجرِ؛ لئلاَّ يَمُرَّ فترةٌ مِنَ النهارِ والناسُ يأكلونَ ويشربونَ بسببِ

أذانِهِ، فهو مُؤْتَمَنٌ على الوقتِ، عليهِ أنْ يتقيَ اللهَ في أمانَتِهِ، فيَتَقَيَّدُ بالتوقيتِ الشرعيِّ لبدايةِ الصيامِ ونهايتِهِ، وليعلمْ أنَّ الناسَ سيعملونَ بأذانِهِ، ويعتمدونَ عليهِ، فإنْ تأخَّرَ عنِ الفجرِ؛ لنومٍ أو نسيانٍ أو غير ذلكَ، فإنَّهُ لايؤذنُ، بل يكتفي بأذانِ الآخرينَ؛ لأنَّهُ إذا تأخَّرَ أذانُهُ عنْ طلوعِ الفجرِ غَرَّ الناسَ بذلكَ، فعليهِ مسؤوليةٌ عظيمةٌ، وكمْ حَصَلَ منَ الخللِ في صيامِ الناسِ بسببِ أخطاءِ المؤذنينَ وعدمِ مبالاتِهِمْ، وتساهُلِهِم بتوقيتِ الأذانِ على الوجه الصحيحِ.

أيها المسلمونَ: إنَّ الصيامَ هو الإمساكُ بنيَّةٍ عنِ المفطِّرياتِ منْ طلوعِ الفجرِ الثاني إلى غروبِ الشمسِ، فالصائمُ يمتنعُ عنِ المفطِّراتِ في هذهِ الفترةِ، والمفطِّراتُ تنقسمُ إلى قسمين: مفطِّراتٌ ظاهرةٌ، ومفطراتٌ معنويةٌ.

فالمفطراتُ الظاهرةُ هي: الأكلُ والشربُ عمداً، فمنْ أَكَلَ أو شَرِبَ متعمداً في أثناءِ الصيامِ، بطَلَ صيامُهُ، وعليهِ التوبةُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وعليهِ أنْ يُمْسِكَ بقيةَ اليومِ وأنْ يقضيَهُ مِنْ أيامٍ أُخَرَ مَعَ التوبةِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، أمّا مَنْ أَكَلَ أو شَرِبَ ناسياً، فلا حَرَجَ عليهِ وصيامُهُ صحيحٌ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «مَنْ أَكلَ أو شَرِبَ ناسِياً فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فإنَّما أَطْعَمَهُ اللهُ وسقَاهُ»[١].

ومثلُ الأكلِ والشربِ ما في معناهُما مِنَ الإبَرِ المُغذِّيَةِ، أو التي تُؤْخَذُ عنْ طريقِ الوَرِيدِ؛ لأنَّها تَنْفُذُ إلى الجَوْفِ وتُؤَثِّرُ بالجسمِ، وكذلكَ تناولُ الحبوبِ الدوائيةِ وابتلاعُها، وابتلاعُ أنواعِ الدواءِ، كُلُّ ذلكَ بمعنى الأَكلِ والشربِ؛ لأنَّهُ يذهبُ إلى الجوفِ، ويعملُ في الجِسْمِ، فعلى الصائِمِ أنْ يتجنَّبَ تَنَاوُلَ الإبَرِ، وتناولَ الأدويةِ، في أثناءِ النهارِ، ويؤخِّرَ ذلكَ إلى الليلِ، وإنْ كانَ محتاجاً إلى

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٣) ومسلم (١١٥٥).

أَخْذَ الدواءِ في النهارِ فإنَّهُ يعتبرُ مريضاً، فيتناولُ الدواءَ ويَقْضِي هذا اليومَ؛ لقولِهِ تعالى ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. أمّا أنْ يتناولَ الدواءَ ويظنُّ أنَّ صيامَهُ باقٍ وصحيحٌ، فهذا غَلَطٌ، فَكُلُّ ما يَدْخُلُ إلى الجَوْفِ منْ طعامٍ أو شرابٍ ـ وما بمعناهُما ـ متعمداً، فإنَّهُ يُفسدُ الصيامَ.

ومنَ المفطِّراتِ: مايخرجهُ الصائمُ منَ الجوفِ ممّا بِهِ يتقوَّى البَدَنُ ويتغذّى بِهِ، ذلكَ مثلُ التقيُّؤِ، وهو الاستفراغُ، فإذا تعمَّد الصائِمُ وتقيّأَ ما في جوفِهِ، فإنَّهُ يَبْطُلُ صيامُهُ، أمّا إذا قاءَ بغيرِ اختيارِهِ، بَلْ غَلَبَهُ القيءُ وخرجَ منهُ، فلا حرجَ عليهِ، وصيامُهُ صحيحٌ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أَمَرَ منْ تقيّأَ أنْ يَقْضِيَ صومَهُ.

وكذلكَ من المفطِّراتِ بسببِ إخراجِ شيءٍ منَ المُغَذِّي: الحِجَامَةُ، وهي: استخراجُ الدَّمِ منَ الجسمِ، فإنَّ الحجامةَ تفطِّرُ الصائِمَ، بالنصِّ عن الرسولِ ﷺ، فقدْ رَأَى ﷺ رَجُلاً يحتجمُ وهو صائمٌ، فقال ﷺ: «أَفْطَرَ الحَاجِمُ والمَحْجُومُ»[1]، وذلكَ لأنَّ الحجامةَ تخرجُ الدمَ الذي بِهِ يتقوَّى البدنُ ويتغذّى به، فلايجوزُ للصائِمِ أنْ يَحْتَجِمَ وهو صائِمٌ، وبمعنى الحجامةِ: سَحْبُ الدمِ الذي يُسْحَبُ للتبرعِ، أو لإسعافِ مريضٍ؛ لأنَّهُ مثلُ الحجامةِ سواء، وكذلكَ مَنْ فَصَدَ عِرْقاً فَخَرَجَ منهُ دمٌ كثيرٌ، فإنَّهُ مثلُ الحجامةِ، يفطِّرُ الصائِمَ.

ومنْ أنواعِ المخرجاتِ التي تفطر الصائِمَ: الجماعُ في نهارِ رمضانَ؛ لأنَّ اللهَ جل وعلا حَرَّمَ على الصائِم مباشرةَ زوجتِهِ وهو صائِمٌ، فمنْ جامَعَ في نهارِ رمضانَ، فإنَّهُ يكونُ قد فعلَ محرّماً، ومُفسداً للصومِ فعليهِ التوبةُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وعليهِ أنْ يقضيَ هذا اليومَ الذي جامَعَ فيهِ، وعليهِ الكفارةُ المغلَّظةُ، وهي عتقُ رقبةٍ، فإنْ لَمْ يَجِدْ فإنَّهُ يصومُ شهرينِ متتابعينِ، فإنْ لَمْ يسْتَطِعْ فإنَّهُ

---

(١) رواه أبو داود (٢٣٦٧) وابن ماجة (١٦٧٩) وغيرهما.

يطعمُ ستينَ مِسكيناً، مَعَ التوبةِ إلى اللهِ.

والمرأة التي جُومِعَتْ غير مكرهة يَبْطُلُ صيامُها، وعليها الكفارةُ مثلَ الرَّجُلِ، إلا إذا كانتْ مكرهةً، بأنْ أجْبَرَهَا ولَمْ يَكُنْ لها اختيارُ بلْ غَلَبَها وجَامَعَها، فإنَّ الكفارةَ تكونُ عليهِ هوَ وليسَ عليها شيءٌ؛ لأنَّها مكرهةٌ، قد قال النبيُّ ﷺ: «عُفِيَ لأُمَّتي عَنِ الخَطَأ والنِّسيانِ وما استُكرِهُوا عليهِ»(١).

فعل الصائِمِ أنْ يتجنَّبَ ما يسبِّبُ لَهُ الوقوعَ في هذا المحظورِ، أنْ يتجنَّبَ الأسبابَ التي تَجُرُّهُ إلى الجماعِ في نهارِ رمضانَ، ويبتعدَ عنْ ذلكَ غايةَ الابتعادِ، حفاظاً على صومِهِ.

ومِنَ المفطِّراتِ: خروجُ الدمِ بالحيض أو النفاس، فالحائِض والنُّفَسَاءُ تُفْطرانِ، ولا يَصحُّ منهما الصومُ، ويقضيانِ منْ أيامٍ أُخَرَ؛ لقولِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: «كُنَّا نَحِيضَ على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاء الصَّوْمِ، ولانُؤْمَرُ بِقَضاءِ الصَّلاةِ».

وأمّا مَنِ انْجَرَحَ وخَرَجَ منهُ دَمٌ، أو خَلَعَ ضِرْساً يُؤْلِمُهُ، ولا يستطيعُ الانتظارَ إلى الليلِ، وخرجَ منْهُ دَمٌ كثيرٌ، فإنَّهُ لايُؤَثِّرُ على صيامِهِ؛ لأنَّ ذلكَ بغيرِ اختيارِهِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على صيامِكُمْ مِنَ المُفْسِداتِ والمبْطلاتِ، وتحفَّظُوا عليهِ؛ لأنَّهُ رُكْنٌ منْ أركانِ الإسلامِ، وقد أباحَ اللهُ لَكُمْ في الليلِ ما تحتاجونَ إليهِ وما تشتهونَهُ ممّا أباحَ اللهُ لَكُمْ، قال تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ

---

(١) ابن ماجة (٢٠٤٣) وغيره عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

باركَ اللهُ لِي ولكم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واعلموا أنَّ هناكَ مفطِّراتٍ معنويةً، بمعنى أنَّها تُبْطِلُ ثوابَ الصائِمِ، فلا يَبْقَى لَهُ أَجْرٌ في صيامِهِ، أو تَنْقُصُهُ نَقْصاً ظاهِراً، وذلكَ في كُلِّ ما حَرَّم اللهُ سبحانه وتعالى، فإنَّ المحرَّمات يجبُ تجنُّبُها دائِماً وأبداً، ولكنَّها في حالِ الصيامِ أشَدُّ؛ لأنها معَ كونِها محرَّمةً ومؤثِّمةً، تؤثرُ على الصيامِ، وذلكَ كالغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ، وقولِ الزُّورِ، واللَّغْوِ، والنَّظَرِ إلى ما حرَّمَ والاستماعِ إلى ما حَرَّمَ اللهُ مِنَ المَلاَهِي والمزاميرِ، كُلُّ هذهِ الأمورِ تؤثرُ على الصيامِ، وقدْ تذهبُ بأجرِ الصائِمِ، فيكونُ حَظُّهُ من صيامهِ الجوعُ والعَطَشُ، وليسَ لَهُ أَجْرٌ عندَ اللهَ، قالَ ﷺ: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعملَ بِهِ، والجهلَ؛** (يعني: التطاولَ على الناسِ بالأذى) **فليسَ للهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ»**، وقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: **«الصَّوْمُ جُنَّةٌ** (يعني: سُتْرةٌ بينَ المسلمِ وبينَ النارِ) **فإذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ ولايَفْسُقْ، فإنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أوَ شَاتَمَهُ فليَقُلْ: إنِّي صائِمٌ، إنِّي صائِمٌ»**.

فالصائِمُ كَمَا يصومُ بطنُهُ عن الأكلِ والشربِ، ويصومُ فَرْجُهُ عنِ الوقاعِ، كذلكَ تَصومُ جميعُ جوارِحِهِ عما حَرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى، فليسَ الصيامُ هو

مجردُ تركِ الأكلِ والشربِ والجماعِ والمفطراتِ الظاهرةِ، ولكنَّهُ معَ ذلكَ: تركُ كُلِّ ما حَرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى. وقد يصومُ الإنسانُ ولايصومُ، يصومُ عما أحلَّ اللهُ منَ الأكلِ والشربِ، والجماعِ، ويفطرُ على ماحرَّم اللهُ مِنَ الغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ والشَّتمِ وقَوْلِ الزورِ.

فالواجبُ على المسلمِ: أنْ يَتَّقِيَ اللهَ سبحانه وتعالى في صيامِهِ، وأنْ يحافِظَ عليهِ، وأنْ يَتَجَنَّبَ مانهاهُ اللهُ عَنْهُ دائماً وأبداً في كُلِّ حياتِهِ وفي حالِ صيامِهِ آكَدُ وأحْرَى.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهَ في صيامِكُمْ، وحافِظُوا عليهِ، ولاتَعْبَثُوا بِهِ، أو تسلِّطُوا عليهِ أَلْسِنَتَكُمْ وأعمالكمْ، فيصبحَ تعباً بلا فائدةٍ، ويصبحَ صياماً في الظاهرِ، وليسَ هو صياماً في الباطِنِ.

واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . إلخ الخطبة.

* * *

في الحثّ على صلاةِ التراويحِ وتلاوةِ القرآنِ

الحمدُ للهِ ذي الفَضْلِ والإحسانِ، أَهَلَّ علينا شهرَ رمضانَ، وجَعَلَهُ مَيْداناً لِتَسَابُقِ أهلِ الإيمان، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحَدَهُ لاشريكَ لَهُ، شهادةً تُورِثُ قائِلهَا بصدقٍ وإخلاصٍ أعاليَ الجِنَانِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ المؤيَّدُ بالمعجزاتِ والبرهانِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ذَوي الفضائِلِ والإحسانِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. واعلَمُوا أنَّ مِمّا شَرَعَهُ اللهُ في هذا الشهرِ المباركِ: قيامُ لَيْلِهِ، قالَ ﷺ: «مَنْ قامَ رمضانَ إيماناً واحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1]، وقيامُ رمضانَ يحصلُ بصلاةِ التراويحِ مَعَ الإمامِ، قالَ ﷺ «مَنْ قَامَ مَعَ الإمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَة»[2]، فصلاةُ التراويحِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدةٌ، صَلاَّها النبيُّ ﷺ بأصحابِهِ في المَسْجِدِ ليالي مِنْ رمضانَ، ثُمَّ تأخَّرَ عنهم، وأَخْبَرَهُمْ أنَّهُ لَمْ يَتَأَخَّرْ عنهمْ إلا خشيةَ أنْ تُفرضَ عيلهمْ، فيعجَزُوا عنْها، فالنبيُّ ﷺ أَثْبَتَ شَرْعِيَّتَها بصلاتِهِ في أصحابِهِ، ثم إنَّهُ نَفَى وُجُوبَها بتأخُّرِهِ ﷺ، فتأخُّرُهُ؛ ليُعْلِمَهُمْ أنَّها ليستْ واجبةً، وإنَّما هي مستحبةٌ.

فحافِظُوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ على صلاةِ التراويحِ، كَمَا حافظتْ عليها أُمَّةُ محمدٍ ﷺ، فقدْ كانَ المسلمونَ يُصَلُّونَها في المسجدِ أوزاعاً متفرقينَ، كُلُّ جماعةٍ خلفَ إمامٍ، واستمرَّ العملُ على ذلكَ في خلافةِ أبي بكرٍ، وصَدْراً منْ خلافةِ عُمَرَ، فلمّا خرجَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ إلى المسجدِ في بَعْضِ الليالي، وَجَدَ الناسَ

---

(١) البخاري (١٩٠٤) ومسلم ١١٥١). (٢) البخاري (٢٠٠٩) ومسلم (٧٥٩).

يصلونَ جماعاتٍ متفرقةً، فَهمَّ رضيَ اللهُ عنه أنْ يَجْمَعَهُم على إمامٍ واحدٍ، ثم عَزَمَ على ذلكَ، وَجَمَعَهُمْ على أُبيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله تعالى عنهُ، فصارُوا يصلونَها جماعةً واحدةً في المسجدِ، ثم استمرَّ عَمَلُ المسلمينَ على ذلكَ، فهي سنةٌ مؤكدةٌ، وهي مِنْ خصائِصِ شهر رمضانَ وفضائِلِهِ.

فليحرصْ أَئِمَّةُ المساجِدِ ـ وفقهمُ اللهُ ـ على ترغيبِ الناسِ في صلاةِ التراويحِ، وعَدَمِ تنفيرِهِمْ عنها، عليهم أنْ يصلُّوها كَمَا كانَ المسلمونَ يُصَلُّونَها في مختلفِ العُصُورِ بِصفَتِها وركعاتِها، وأنْ يتجنَّبوا الاجتهاداتِ الفرديةَ والاختياراتِ المُحْدثَةَ، التي تخلُّ بالعبادةِ وتنفِّرُ الناسَ عنْ صلاةِ التراويحِ، عليهمْ أنْ يَتَوَسَّطُوا في صلاةِ التراويحِ بين التطويلِ المملِّ، والتخفيفِ المخلِّ، فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**أَيُّكُمْ أَمَّ النَاسَ فَلْيُخفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الكَبِيرَ والضَّعِيفَ وذا الحَاجَةِ، فَإِذا صَلَّى أَحَدكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيطَوِّلْ مَا شَاءَ**»[1]، فعلى الأئمةِ ـ وفقهمُ اللهُ ـ أنْ يُراعوا أحوالَ المأمومينَ في صلاةِ التراويحِ وفي غيرِهَا مِنَ الصلواتِ، فلا يخفِّفوا الصلاةَ تخفيفاً يَحْرِمُ المصلينَ مِنَ الإتيانِ بالأذكارِ المشروعةِ، والطمأنينةِ التي هي ركنٌ منْ أركانِ الصلاةِ، ولا يطيلُوا عليهم إطالةً تشقُّ عليهِمْ، بلْ عليهِمُ التوسُّطُ والاعتدالُ، فإنَّ خيرَ الأُمورِ أوْسَطُها، وعليهِمْ أنْ يُسمِعُوا المأمومينَ كتابَ اللهِ منْ أوَّلِهِ إلى آخرِه في صلاة التراويحِ، بأن يبدأُوهُ منْ أوَّلِ الشهرِ، ويختموهُ في آخرِ الشهرِ؛ حتى يَمُرُّوا على القرآنِ كُلِّهِ، فينتفعونَ وينفعونَ مَنْ وراءَهُمْ، عليهِمْ أنْ يعتدلُوا في القراءةِ بينَ الهذِّ والهَذْرَمَةِ، وبين التمديدِ والتمطيطِ الذي يخرجُ القراءةَ عنْ أصلها، ويشقُّ على المأمومينَ وبين

---

(١) البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧) وغيرُهما.

السرعة المخلة في القراءة.

كذلكَ على الأئمةِ أنْ لاتخرجَ أصواتُهُمْ خَارِجَ المسجِدِ منْ خلالِ مكبِّراتِ الصوتِ، ومنْ على المنائِرِ في صلاةِ التراويحِ وفي غيرها؛ لأنَّ هذا يشوِّشُ على جيرانِ المسجِدِ، ويشوِّشُ على المساجِدِ الأُخرى، والمطلوبُ مِنَ الإمامِ أنْ يُسمِعَ منْ وراءَهُ، ليسَ المطلوبُ منهُ أنْ يسمعَ الحاراتِ والشوارعَ، ويشوِّشَ على المساجِدِ، هذا محرَّمٌ؛ لما فيهِ مِنَ الأذَى، ولما يُخشى فيهِ مِنَ الرِّياءِ والسُّمْعَةِ، فقد خرجَ النبيُّ ﷺ على أصحابِهِ ذاتَ ليلةٍ، وهمْ يصلونَ في المسجدِ صلاةَ التهجُدِ، كُلٌّ لِنَفْسِهِ، ويرفعونَ أصواتَهُمْ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**كُلُّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ**»[1]، فيجبُ على الأَئِمةِ أنْ يَتَّقوا اللهَ، وأنْ يَتْرُكُوا هذهِ العادةَ السيئةَ التي اسْتَفْحَلَتْ وكَثُرتْ بدونِ تأمُّلٍ في عواقِبِها.

كذلكَ ـ أيها المسلمونَ ـ عليكمْ ـ في هذا الشهرِ ـ بالإكثارِ منْ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ؛ لأنَّ تلاوةَ القرآنِ في هذا الشهرِ الكريم لها خَاصِّيَّةٌ، فقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فإنزالُ القرآنِ في هذا الشهرِ يجعلُ لتلاوتِهِ فيهِ خاصيةً على غيرِهِ، ولهذا كانَ جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ينزلُ كُلَّ ليلةٍ منْ شهرِ رمضانَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فَيُدَارِسُهُ القرآنَ، وكانَ السَّلَفُ الصالحُ يُقْبِلونَ على تلاوةِ القرآنِ في هذا الشهرِ، ويتركونَ مجالِسَ العِلمِ، ومجالِسَ الفِقْهِ، ويتفرغونَ لتلاوةِ القرآنِ في المساجِدِ، ممّا يَدُلُّ على فَضْلِ التلاوةِ في هذا الشهرِ.

وتلاوةُ القرآنِ فيها فضلٌ عظيمٌ في رمضان وفي سائِرِ الشهورِ، قال ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ١٣٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٣٩).

«مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها، لاَ أَقُولُ: «آلم» حَرْفٌ، ولكنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، ولاَمٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ»(١)، ففي كُلِّ حَرْفٍ حَسَنةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها، فهذا فَضْلٌ عظيمٌ لتلاوةِ هذا القرآنِ في هذا الشهرِ وفي غيرِه.

وقالَ ﷺ: «الماهِرُ بالقرآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكرامِ البَرَرَةِ، والذي يقرأُ القرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيهِ، وهو عليهِ شاقٌّ لَهُ أجرانِ»(٢).

فَدلَّ على أنَّهُ مطلوبٌ مِنَ المسلمِ أنْ يقرأَ القرآنَ، بحَسَبِ استطاعَتِهِ، حتى ولَوْ كانَ بالتهجِّي، ولو كَانَ يتعتعُ فيهِ، فَلَهُ أجرانِ: أجرُ التلاوةِ، وأجرُ المشقةِ التي يَلْقَاهَا في تلاوتِهِ، وليسَ مِنَ اللازمِ أنْ لايقرأَ القرآنَ إلا مَنْ كانَ يَحفَظُهُ كُلَّهُ، فإنَّ بَعْضَ الناسِ إذا كانُوا لايحفظونَ القرآنَ، أولا يُحْسِنُونَ قَراءتَهُ كُلَّهُ منَ المصحفِ، يتركونَ تلاوةَ ما يحفظونَهُ منَ السُّوَرِ وهذا غَلَطٌ عظيمٌ، فعلى المسلمِ أنْ يَتْلُوَ منَ القرآنِ ماتيسَّرَ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] فعلى المسلمِ أنْ يقرأَ ما يستطيعُ مِنَ القرآنِ، إنْ قَرَأهُ كُلَّهُ فهذا أفضَلُ وأتَمُّ، وإلا فإنَّهُ يقرأُ ما يحفظُ مِنَ السورِ، ومايُحْسِنُ قراءتَهُ منَ السُّوَرِ؛ ليَحْصُلَ على هذا الأجْرِ العظيمِ.

وللتلاوةِ آدابٌ:

أوَّلُها: أنْ يستعيذَ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ، عندَ بَدْءِ التلاوةِ، قالَ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨].

ومنْ آدابِ التلاوةِ: أنْ يقولَ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، في بدايةِ السورةِ؛

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٢).

(٢) البخاريُّ (٤٩٣٧)، ومسلمٌ (٧٩٨).

لأنَّ اللهَ افتتحَ السور ببسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، فيجهرُ بالبسملةِ إنْ شاءَ، وإنْ شاءَ أتى بها سِرّاً، إلا في الصلاةِ فإنَّهُ لايجهرُ بِها، وإنَّما يأتِي بها سرًّا؛ لأنَّ هذا هو فِعْلُ الرسولِ ﷺ في الصلاةِ، وفعلُ خلفائِهِ، ما كانُوا يَجْهَرُونَ بِبِسْمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ، وإنَّما كانُوا يبدؤونَ الصلاةَ بـ(الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ)، يعني: أولُ مايُسْمَعُ منهم: الحمدُ للهِ، وهو أولُ لفاتحةِ، فدلَّ على أنَّهُمْ لايجهرونَ بِبِسْمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ.

ومن آدابِ التلاوةِ: ما دَلَّ عليه قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، فيجبُ الاستماعُ للقرآنِ، ولايجوزُ التَّشاغُلُ والقرآنُ يُقْرَأُ بَلْ يُسْتَمَعُ لكلامِ اللهِ سبحانه وتعالى؛ لأنَّهُ يخاطِبُهُ ويَدْعُوهُ، يَأْمُرُهُ وينهاهُ فلا يُعْرِضُ عنْ سماعِ القرآنِ لقوله ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ والإنْصاتُ قَطْعُ الحَرَكَةِ، يستمعُ إليه وهو يَمْشي، أو يستمعُ إليه وهو في عَمَلِهِ، لكنْ مَعَ السكونِ والطمأنينةِ؛ منْ أجلِ أنْ يحصلَ على هذا الوَعْدِ الكريمِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ منْ أجلِ أن يحصلَ على الرحمةِ، فمنْ لَمْ يستمعْ للقرآنِ إذا تُلِيَ، أو لاينصتُ للقرآنِ إذا تُلِيَ، فإنَّهُ يكونُ محروماً منْ هذهِ الرحمةِ التي وَعَدَ اللهُ تعالى بِها منَ استمعَ وأنصتَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وبادِرُوا الأوقاتِ قَبْلَ فواتِها، واغْتَنِموا الفضائِلَ قَبْلَ انقضائِها، فإنَّها تمرُّ وتزولُ، ولا يَبْقَى لَكُمْ إلا ما أدَّخَرْتُموهُ واغْتَنَمْتُمُوهُ من فضائِلِها.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ

ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ١٨ـ٢١].

بارَكَ اللهُ لِي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. واعلموا أنَّ ممّا يُشْرَعُ في هذا الشهرِ المباركِ: الإكثارُ مِنَ الدُّعاءِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤]، وقال سبحانه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فأكثِرُوا مِنَ الدعاءِ في صلواتِكُمْ، وأكثِرُوا مِنَ الدعاءِ خارجَ الصلواتِ، في أوقاتِ هذا الشهرِ المباركِ؛ لأنَّهُ حَرِيٌّ بالإجَابَةِ، وقد قالَ ﷺ: «دعوةُ الصائِمِ مستجابةٌ»[١]، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «للصائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لا تُرَدُّ»[٢]، فَأَكْثِرُوا مِنَ الدُّعاءِ، ولاسيَّما في حالة الصيامِ؛ ليكونَ ذلكَ أحْرَى بالإجابَةِ،

---

(١) بمعناهما الترمذي (٣٥٩٢)، وابن ماجة (١٧٥٢).

(٢) الترمذيُّ (٤٦٤) وكذا رواه أبو داود والنسائيُّ وابنُ ماجة.

وأسْرَعَ في القَبُولِ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى.

ومنَ الدعاءِ المشروعِ: دعاءُ القنوتِ في الوِتْرِ، فإنَّهُ دعاءٌ مشروعٌ، علَّمه النبيُّ ﷺ لأصحابِهِ، كَمَا يُعَلِّمَهُمُ السورةَ مِنَ القرآنِ، كما رواهُ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ تعالى عنه عنْ جَدِّهِ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهُ علَّمهُ دُعاءَ القنوتِ: «**اللهمَّ اهْدِني فيمنْ هَدَيْتَ، وعافِني فيمنْ عافيتَ، وتَوَلَّني فيمنْ تولَّيتَ، وقِني شَرَّ ما قَضَيْتَ، إنَّكَ تَقْضِي ولايُقْضَى عليكَ، إنَّهُ لايَذِلُّ مِنْ وَالَيتَ، ولايَعزُّ مَنْ عادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنا وتعالَيْتَ**»(١). وما تيسر بعد ذلك مِنَ الدعاء.

وعلى الأئمةِ ـ وفقهمُ اللهُ ـ ألاّ يُطيلُوا دعاءَ القنوتِ إطالةً تَشُقُّ على المأمومينَ، وعليهمْ أنْ لا يُحْدِثوا في دعاءِ القنوتِ أدعيةً لَمْ ترِدْ عن النبيِّ ﷺ، وأنْ لايتكلَّفُوا في دعاءِ القنوتِ بالنحيبِ والشهيقِ والبكاءِ؛ لأنَّ ذلكَ لَمْ يَكُنْ منْ هدي النبيِّ ﷺ، وفيهِ تشويشٌ على الناسِ، وفي تَطْوِيلِ القُنُوتِ مشقةٌ على الناسِ، فعلى الإمامِ أنْ يَدْعُوَ الدعاءَ الواردَ، وأنْ لايطيلَ، ويتحرَّى الأدعيةَ الجامِعَةَ لخيرَي الدنيا والآخرةِ، ويكونُ ذلكَ في دقائقَ معدودةٍ؛ رحمةً بالناسِ، وتخفيفاً على الناسِ.

ثم اعلموا ـ عباد اللهِ ـ أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.

* * *

---

(١) الترمذيُّ (٤٦٤) وكذا رواه أبو داود والنسائيُّ وابنُ ماجه.

في العَشْرِ الأَوَاخِرِ من رَمَضَانَ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، فضَّلَ بَعْضَ مخلوقاتِهِ على بَعْضٍ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨]، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور: ٤٤]، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، المصطفى المختارُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، المهاجرينَ منهمْ والأنصارِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ: أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واسْتَبِقُوا الخيراتِ قَبْلَ فواتِها، فها أنتُمُ الآنَ في العَشْرِ الأَواخِرِ منْ شهرِ رمضانَ، التي هي أفْضَلُ أيامِ الشهرِ، والتي هي مَوْسِمُ الإعتاقِ منَ النارِ، فاجْتَهِدُوا فيها بصالحِ الأعمالِ، اقتداءً بنبيِّكُمْ ﷺ، فقدْ جاءَ في صحيحِ مسلمٍ عنهُ ﷺ: أنَّهُ كانَ يجتهدُ في هذه العَشْرِ مالايجتهدُ في غيرِها. وهذه العشرُ لها خصائصُ عظيمةٌ:

الأُولى: أنَّها هي العَشْرُ التي تُرجَى فيها ليلةُ القدرِ أكْثَرَ مِنْ غيرِها، فقد كانَ ﷺ يتحرّى هذهِ الليلةَ الشريفةَ في هذه الليالي المباركةِ، وهي ليلةٌ خيرٌ منْ ألفِ شهرٍ، منْ وُفِّقَ لَهَا وقامَها إيماناً واحتساباً؛ غُفِرَ لَهُ ماتقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ.

ومنْ خصائِصِ هذهِ العَشْرِ المباركةِ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يعتكفُ فيها، والاعتكافُ معناهُ: المُكْثُ في المسجدِ لعبادةِ اللهِ، والاعتزالُ عنِ الناسِ، والتخلِّي لذكرِ اللهِ سبحانه وتعالى، وتَرْكُ أشغالِ الدنيا، والإقبالُ على أعمالِ الآخرةِ. والاعتكافُ لايكونُ إلا في مسجدٍ. أما الاعتكافُ الذي يكونُ في غيرِ مسجدٍ، فإنَّهُ اعتكافٌ باطلٌ؛ لأنَّهُ يَعْزِلُ المسلمَ عنِ الجُمُعَةِ والجَمَاعَةِ، وقد قيلَ

لابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهما: إنَّ رَجُلاً يقومُ الليلَ ويصومُ النهارَ، ولكنَّهُ لايَشْهَدُ الجُمُعَةَ والجَمَاعَةَ، فقال: هوَ في النَّار.

ولهذا قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ فخصَّ الاعتكافَ في المساجدِ التي تُؤدَّى فيها صلاةُ الجماعةِ، منْ أجلِ ألاّ ينقطعَ المسلمُ عنْ حُضُورِ صلاةِ الجماعةِ.

ومنْ خصائصِ هذهِ العشرِ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا دَخَلَتْ هذهِ العَشْرُ جَدَّ واجْتَهَدَ، وشَدَّ المِئْزَر، وأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وأحْيَا لَيْلَهُ، عليهِ الصلاةُ والسلامُ، فكانَ يَجْتَهِدُ في الأعمالِ الصالحةِ في هذه العَشْرِ أَكْثَرَ ممّا كانَ يَجْتَهِدُ في أولِ الشهرِ. ومعنى «شَدَّ المِئْزَرَ»: أنَّهُ ﷺ يجتهدُ في العبادةِ اجتهاداً بَالِغاً «وأَيْقَظَ أَهْلَهُ» أيْ: أَهْلَ بيتِهِ؛ لِيُصَلُّوا هذه الليالِيَ ويُحْيُوهَا بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى «وأحْيَا لَيْلَهُ»[1]، كانَ ﷺ يُحْيِي هذهِ الليالِي المباركةَ بالتَّهَجُّدِ وصلاةِ الليلِ، وكانَ يطيلُ القيامَ، وكذلكَ كانَ أصحابُهُ رضيَ اللهُ عنهمْ، كانُوا يحيونَ هذهِ الليالي بالتجهدِ وطولِ القيامِ، إضافةً إلى ما كانَ في أولِ الليلِ مِنْ صلاةِ التراويحِ، فكانُوا يُحْيُونَ هذهِ الليالي، أوَّلها: بصلاةِ التراويحِ، وآخِرَهَا: بالتهجدِ. هكذا سنةُ رسولِ الله ﷺ، ماكانَ يُحْيِي هذهِ الليالي بالسهرِ على القيلِ والقالِ وإضاعةِ الوقتِ، وإنَّما كانَ يُحْيِيها، ويُحْيِيها أصحابُهُ، بالتراويحِ في أولِ الليلِ، والتهجدِ في آخرِ الليلِ، وبِذِكْرِ اللهِ وتلاوةِ القرآنِ.

هذهِ سنةُ الرسولِ ﷺ، وهذهِ سنةُ خلفائِهِ الراشدينَ، وصحابَتِهِ الأكرمينَ.

أمّا مَنْ يقولُ مِنْ بعضِ مُدَّعي العِلْمِ: إنَّ الرسول ﷺ لايزيدُ في هذه العَشْرِ

---

(١) البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

عمّا كانَ في أولِ الشهرِ. فهذا قولٌ باطلٌ، بلْ كانَ يزيدُ ﷺ، حتى إنَّهُ كانَ يُحْيِي الليلَ كُلَّهُ. وفي روايةٍ: «لَمْ يذقْ غَمْضاً»، فهذا يدلُّ على شِدَّةِ اجتهادِهِ في هذه العشرِ وتهجُّدِهِ، وصلاتِهِ، وتضرُّعِهِ، وذكرِهِ للهِ عز وجل.

ومنْ خصائصِ هذهِ العَشْرِ المباركةِ: أنَّها ليالي الإعتاقِ مِنَ النارِ، وذلكَ بأنَّ أقواماً قد اسْتَحَقُّوا دخولَ النارِ، بارتكابِهِمْ لكبائِرِ الذنوبِ، فيُوَفِّقُهُمُ اللهُ جل وعلا للتوبةِ النصوحِ في هذهِ العَشْرِ، فيعتقهمُ اللهُ بذلكَ من النارِ، بعدَ أنْ استحقوا دخُولَها. فيالَها مِنْ عشرٍ مباركةٍ، فَمَنْ كان مجتهداً في أولِ الشهرِ، وسابِقاً إلى الطاعاتِ والقرباتِ، فإنَّهُ يضيفُ إلى ذلك مَزيدَ اجتهادٍ في هذهِ العَشْرِ؛ ليكونَ ذلكَ زيادةَ خيرٍ إلى خيرٍ. ومنْ كانَ غافلاً في أولِ الشهرِ مُتكاسِلاً في أولِ الشهرِ، فإنَّهُ يستدركُ مافاتَهُ في هذِهِ العَشْرِ، فيغفرَ لَهُ، ويَحْصُلَ على خيرٍ كثيرٍ، لأنَّ الأعمالَ بالخواتِيمِ. ومنْ كانَ مُسْرفاً على نَفْسِهِ بالمعاصِي والذنوبِ والمخالفاتِ، فإنَّهُ يستيقظُ في هذهِ العَشْرِ، ويتوبُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى توبةً نصوحاً، فيغفرَ اللهُ بِها ذنوبَهُ جميعاً، ويُعْتِقَهُ بِها منَ النارِ. فيالَها مِنْ عَشْرٍ عظيمةٍ.

فعليكمْ ـ عبادَ اللهِ ـ بالجِدِّ والاجتهادِ في هذهِ العَشْرِ، وحضورِ المساجدِ، ومشاركةِ المسلمينَ في صلاةِ التراويحِ، وصلاةِ التهجدِ والقيامِ؛ لتشارِكُوا المسلمينَ في هذا الأجْرِ العظيمِ، ولتدَّخِرُوا لأنفسِكُمْ خيراً تَجِدُونَهُ عندَ اللهِ خَيْراً وأعْظَمَ أجْراً. لايَأْخُذَنَّكُمُ الكَسَلُ والبَطَالَةُ، أو الاقتداءُ بالكُسَالى، فتمرَّ عليكُمْ هذهِ العَشْرُ المباركةُ وأنتمْ أَسْرى لشهواتِكُمْ، وأنتمْ أسْرى لَعدُوِّكُمْ، خَلِّصُوا أَنْفُسَكُمْ منْ أَسْرِ الشهواتِ وأَسْرِ الشيطانِ، فإنَّ اللهَ جَلَّ وعلا قدْ أتاحَ لَكُمُ الفرصةَ، وهيَّأَ لَكُمُ الإمكانيةَ، فاغتنمُوها، رحمكمُ اللهُ.

ثم لنعلمْ أَنَّهُ ليسَ عملُ المسلمِ يكونُ مقصوراً على أيامٍ معينةٍ، وإنَّما عملُ المسلمِ يستمرُّ طولَ حياتِهِ، قالَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩ ﴾ [الحِجْر: ٩٩]، فلمْ يجعلْ للعملِ الصالحِ غايةً دونَ الموتِ، وإنَّما هذهِ العَشْرُ وأمثالُها مُوقظَاتٌ، وفيها زيادةٌ خيراتٍ يَغْتَنِمُها المسلمُ، زيادةً على أعماله الصالحةِ، فبادِرُوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ الأوقاتِ قَبْلَ فواتِها.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝١٣٦ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ـ١٣٦].

باركَ اللهُ لِي ولكمْ في القرآنِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ والشكرُ لهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الداعي إلى رِضْوانِهِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقو اللهَ تعالى، وبادِرُوا إلى الخيراتِ، واغْتَنِمُوا الأوقاتِ، فإنَّها تَمُرُّ بسرعةٍ، وهي من أعمارِكُمْ إنَّ هذهِ الليالي والأيامَ هيَ منْ أعمارِكُمْ، تُطْوَى مرحلةً مرحلةً، وهي خزائنُ لكمْ عندَ اللهِ، تُودِعُونَ فيها أعمالَكُمْ، فهي تُطْوى على أعمالِكُمْ منْ خيرٍ أو شرٍّ، وسَتُفْتَحُ هذهِ الخزائنُ يومَ

القيامةِ لأصحابِها، فالمؤمنونُ يجدونَ في خزائِنِهِمُ العزةَ والكرامةَ، والمضيِّعونَ يجدونَ في خزائنهمُ الحسرةَ والندامةَ.

إنَّ هذهِ الليالي والأيامَ في تقلُّبِها وانقضائِها عبرةٌ لأُولي الأبصارِ، يتيقَّظونَ ويستيقظونَ، ويبادرونَها قبلَ أن تفوتَ عليهمْ، فيخسروهَا. وقالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ـ٣]، أقسمَ بالعصرِ، وهو: الزمانُ المكوَّنُ منَ الليلِ والنهارِ، وهو لايقسمُ إلا بشيءٍ عظيمٍ: فدلَّ على أنَّ هذا الزمانَ لَهُ شأنٌ عظيمٌ، وأنَّهُ إنْ حَفِظَهُ الإنسانُ فيما ينفعُهُ ويفيدُهُ، صارَ خيراً لَهُ، وصارَ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، وإنْ ضيَّعَهُ صارَ منَ الخاسرينَ، الذين تكونُ حياتُهُمْ وَبَالاً عليهِمْ وخسارةً عَلَيْهِمْ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعرِفُوا قيمةَ الوَقْتِ، وأدرِكُوا الفضائِلَ قبلَ فَوَاتِها، فإنَّ الإنسانَ لايَدْري ما مُقَامُهُ في هذهِ الحياةِ، فقد تمرُّ عليهِ وهو غافِلٌ، ثم يَفْجَؤُهُ الموتُ على غيرِ استعدادٍ، فيندمَ ويتحسَّرَ، ولاتَ ساعةَ مَنْدَمِ.

ثم اعْلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . إلخ الخطبة.

* * *

في فَضْلِ العَشْرِ الأوَاخِرِ منْ رمضانَ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أَمَرَ عبادَهُ المؤمنينَ بالمسارَعَةِ إلى الخَيراتِ، واغتنامِ الأوقاتِ، قبلَ الفواتِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، يُوالي على عبادِهِ مواسمَ الخيراتِ والبركاتِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أوَّلُ مسارِعٍ إلى الخيراتِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: عبادَ اللهِ: تذكَّروا بمُرُورِ الليالي والأيامِ سُرْعَةَ انقضاءِ الأعمارِ، والانتقالِ إلى دارِ القرارِ، فقد مضى أكثرُ شهرِ رمضانَ، وبقيَ منهُ القليلُ، فاغتنموهُ وبادِرُوه قبلَ الفواتِ، فإنَّ هذه الليالِيَ والأيامَ خزائنُ، تُودِعُونَ فيها أعمالَكُمْ، وستفتحونَها يومَ القيامةِ، فالمؤمنونَ يَجدُونَ في خزائِنِهِمُ العزَّ والكرامةَ، والمذنبونَ يَجدونَ في خزائنهمُ الحسرةَ والندامةَ، يومَ يُقالُ للمؤمنينَ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]، ويومَ يقولُ المُضَيِّعُ: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٩]، ويقولُ: ﴿يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٤ـ٢٦].

أيّها المسلمونَ: إنَّكُمْ في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْ رمضانَ، وهيَ أفضلُ مافيهِ، فإنَّها عَشْرٌ تَخْتَصُّ بخصائصَ كثيرةٍ، ميَّزها اللهُ بها ولذَلكَ كانَ النبيُّ ﷺ يخصُّ هذهِ العَشْرَ بما لَمْ يَخُصَّ بِهِ غيرَها مِنَ الأيامِ، فقدْ ثَبَتَ في الصحيحينِ[1] عنهُ

---

(١) رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

ﷺ: أنهُ كانَ إذا دَخلَتِ العَشْرُ الأوَاخِرُ، شَدَّ المِئزَرَ، وأحْيَا لَيْلَهُ، وأيقَظَ أَهْلَهُ.

فَشَدُّ المِئزَرِ عبارَةٌ عَنِ الجدِّ والاجتهادِ منهُ ﷺ، وأنَّهُ كانَ يجتهدُ في هذهِ العَشْرِ في الأعمالِ الصالحةِ مالايجتهدُ في غيرِها، وإنْ كانتْ كُلُّ أيامِهِ ﷺ جِدّاً وعملاً، وخيراً وبركةً، ولكنَّهُ كانَ يَخُصُّ هذهِ العَشْرَ بما لم يَخُصَّ بِهِ غيرَها، وإحياءُ الليلِ معناهُ: أنَّهُ ﷺ كانَ يُكْثِرُ التهجدَ في لياليَ هذهِ العَشْرِ المبارَكَةِ، وكانَ يطيلُ القيامَ، حتى رُبَّما كانَ لايذوقُ غَمْضاً، يعني: لاينامُ في هذهِ الليالي، وقيلَ: معنى «أحْيَا لَيْلَهُ» أيْ: أَحْيَا غَالِبَهُ بالصلاةِ والقيامِ: وينامُ قليلاً مِنَ الليلِ.

فعلى كُلِّ حالٍ: هذا يدلُّ على أنَّ هذهِ العَشْرَ المباركةَ تُخَصُّ بالقيامِ الكثيرِ، أكثرَ مِنَ القيامِ في أوَّلِ الشهرِ؛ لأنَّهُ ﷺ كانَ في العشرينَ الأُوَلِ يُصَلِّي وينامُ، أمَّا في العَشْرِ الأوَاخِرِ فكانَ يُحْيِي لَيْلَهُ، إمَّا كُلَّه، وإما غَالِبَهُ.

وكانَ السلفُ الصالحُ يحتَذُونَ حَذْوَهُ ﷺ، فكانُوا يُطيلونَ القيامَ والتهجدَ في هذهِ العشرِ، حتى إنَّهم كانُوا يقرءُونَ بالمِئِينَ، وكانُوا يَرْبُطونَ الحبالَ بينَ السوارِي، ويتعلَّقونَ بِها مِنْ طولِ القيامِ، وكانُوا يعتمدونَ على العِصِيِّ، وكانُوا لاينصرفونَ مِن القيامِ إلا عندَ السُّحورِ؛ اقتداءً بالنَّبِيِّ ﷺ، بخلافِ البطّالينَ الذينَ يقولونَ: إنَّ هذهِ العَشْرَ لاتمتازُ بقيامٍ أكثر مِنَ القيامِ في أولِ الشهرِ، فهذا مِنْ جَهْلِهِمْ وغَلَطِهِمْ، فإنَّ سنةَ الرسولِ ﷺ واضحةٌ في أنَّهُ كانَ يزيدُ مِنَ القيامِ والتهجدِ في هذهِ العَشْرِ.

وكانَ السلفُ الصالحُ يَقْتَدُونَ بِهِ ﷺ في ذلكَ، فكانُوا يُحْيُونَ لَيْلَهُمْ أو غَالِبَ الليلِ إلى قُبَيْلِ طُلُوعِ الفَجْرِ، بحيثُ لايفوتُهُمُ السُّحورُ، وفي قولِهِ: «**وأَيْقَظَ أهله**» دليلٌ على أنَّهُ يَتَأَكَّدُ في حَقِّ الوالدينِ وأصحابِ البيوتِ أنْ يوقِظُوا أهْلَ بيوتِهِمْ للتهجدِ والقيامِ في هذهِ الليالي المباركةِ، وأنْ لايتركُوهُمْ مُفْلِسينَ مضيِّعِينَ،

يهيمونَ في الشوارعِ وفي الأسواقِ، أو يسهرونَ على قيلَ وقالَ وعلى سيءِ الأعمالِ، فيتأكدُ في حقِّ أولياءِ أمورِ البيوتِ أنْ يوقظُوا أَهْلَ بيوتِهِمْ للمشارَكةِ في قيامِ هذهِ العَشْرِ المباركةِ، كما كانَ النبيُّ ﷺ يُوقِظُ أَهلَهُ، وهذا شيءٌ يَغْفُلُ عنهُ كثيرٌ منَ الناسِ اليومَ، فلا يهتمونَ بهذهِ العَشْرِ، بلْ يضيِّعونَ هذهِ الليالِي المباركةَ فيمَا يعودُ عليهمْ بالضَّررِ.

وكانَ ﷺ يخصُّ هذهِ العَشْرَ بالاعتكافِ، والاعتكافُ معناه: البقاءُ في المسجدِ ليلاً ونهاراً، ولايَخرُجُ إلاّ لحاجَتِهِ التي لابدَّ لَهُ مِنْها، ثُمَّ يَرْجِعُ ويَبْقَى في المَسْجدِ؛ ليتفرغَ للعبادَةِ وتلاوةِ القرآنِ وصلواتِ النوافلِ، وذِكْرِ اللهِ عز وجل كانَ يتفرغُ مِنْ أشغالِ الدنيا عليهِ الصلاةُ والسلامُ، ويَخْلُو بِرَبِّهِ عز وجل في هذهِ العَشْرِ، فمازالَ ﷺ يَعْتكفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ من رمضانَ حتى فارقَ الدنيا.

وكانَ المسلمونَ يقتدونَ بِهِ في إحياءِ هذهِ السُّنَّةِ، فيعتكفُونَ في المساجدِ ويطلبونَ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى خَيْرَهُ وبِرَّهُ؛ لأنَّ هذا هو مَوْسِمُ الجنةِ الذي يفوتُ إذا ضُيِّعَ، فكانُوا يعتكفونَ في المساجِدِ، أو على الأقل يكثرونَ مِنَ الجلوسِ فيها إذا سَنَحَتْ لَهُمْ فرصةٌ، فإنَّهُمْ يُمْضُونَ غالبَ وقتِهِمْ في المساجدِ لتلاوةِ القرآنِ، ولذكْرِ اللهِ، وللصلواتِ، والعباداتِ، وينقطعونَ عَنِ الناسِ والانشغالِ بأمورِ الدنيا، وماهيَ الاّ أيامٌ قلائلُ يحصلونَ فيها على خيراتٍ كثيرةٍ وأجورٍ عظيمةٍ.

ومنْ خصائِصِ هذه العَشْرِ المباركةِ: أنَّها أَرْجَى ماتكونُ فِيها ليلةُ القدْرِ التي قالَ اللهُ سبحانه وتعالى فيها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٣، ٤]، أخبرَ سبحانه أنَّهُ أنزَل القرآنَ في هذهِ الليلةَ، وهذا يدلُّ عَلَى شَرَفِها، حيث خَصَّها اللهُ بإنزالِ القرآنِ الكريمِ، ثُمَّ وَصَفَها بأنَّها مباركةٌ، والرَّبُّ جل وعلا إذا وَصَفَ الشيءَ بأنَّهُ مباركٌ، فإنَّهُ لانهايةَ لبَرَكَتِهِ وخيراتِهِ.

وأخبرَ سبحانه أنَّهُ: يُفْرَقُ فيها كُلُّ أَمْرٍ حكيمٍ. أيْ: تُقَدَّرُ فيها أُمورُ السَّنةِ وما يَجْري في السَّنةِ؛ وذلكَ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَأْمُرُ الكَتَبةَ أنْ يَكْتُبُوا ما يَجْرِي في السَّنةِ، نَقْلاً مِنَ اللوحِ المحفوظِ الذي كَتَبَ اللهُ فيه كُلَّ شيءٍ.

وقالَ سبحانه وتعالى: بسم اللهِ الرحمٰن الرحيم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر ١ ـ ٥]، ذَكَرَ في هذهِ السورةِ صفاتٍ عظيمةً لهذهِ الليلةِ:

أولاً: أنَّهُ سمّاها لَيْلَةَ القَدْرِ، أي أنَّها ذاتُ قَدْرٍ عندَ اللهِ، وقيل: لَيْلَةُ القَدْرِ؛ لأنَّها تُقَدَّرُ فيها الآجالُ والأعمارُ والأرزاقُ وما يَجْرِي في السَّنةِ.

ثم فخَّم مِنْ شَأْنِها وعظَّمَ فقالَ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ هذا تفخيمٌ لها وتعظيمٌ لَهَا.

ثم قال جل وعلا: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ أي: العَمَلُ في هذهِ الليلةِ خيرٌ مِنَ العَمَلِ في ألفِ شهرٍ. وألفُ الشهرِ إذا حُسِبَتْ بالسِّنِينَ، فإنَّها تكونُ ثلاثةً وثمانينَ عاماً وأربعةَ أَشْهُرٍ، إذا أَمْضَاها المُسْلِمُ في العَمَلِ الصالحِ كُلَّها لايَفْتُرُ فِيها، فإنَّ العَمَلَ في ليلةٍ واحدةٍ، هي ليلةُ القَدْرِ، لمنْ وَفَّقَهُ اللهُ، خَيْرٌ منَ العَمَلِ في هذهِ المدةِ الطويلةِ والعُمُرِ المديدِ. ومنْ يَزْهدُ في هذا الثوابِ العظيمِ إلاَّ مَنْ حَرَمَهُ اللهُ.

وقالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَاناً واحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1]. وهذهِ الليلةُ لاشَكَّ أنَّها في شهرِ رمضانَ، وهي في العَشْرِ الأَوَاخِرِ آكَدُ، فقد كانَ

---

(١) البخاري (١٩٠١).

النبيُّ ﷺ يتحرّاها ويأمُرُ بتحرِّيها في هذهِ العَشْرِ، وكانَ يخصُّ هَذِهِ العَشْرِ بأعمالٍ ماكانَ يَعْمَلُها في سابقِ الليالي ممّا يدُلُّ على آكَدِيَّةِ تحرِّي ليلةِ القَدْرِ فِيها. فمن صادَفَها، ولا يصادِفُها إلا مَنْ قامَ ليالِيَ رمضانَ كُلَّها، ولاسيَّما العَشْرَ، أمّا مَنْ قامَ بَعْضَ الليالي، فإنَّهُ قَدْ تفوتُهُ ليلةُ القَدْرِ، أمّا مَنْ قامَ كُلَّ الليالي منْ أَوَّلِ الشهرِ إلى آخِرِهِ فإنَّهُ يكونُ قَدْ صَادَفَها، فَحَصَلَ على هذا العَمَلِ العظيمِ، العملِ الذي هو خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ في ألفِ شهرٍ، وفضلُ اللهِ جل وعلا ليس لَهُ حَدٌّ، فاللهُ جل وعلا كريمٌ يُعْطِي بِلا حساب.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحرِصُوا على الجِدِّ والاجتهادِ في هذهِ العَشْرِ، فإنَّها ختامُ الشهرِ، والأعمالُ بالخواتيم، فمنْ كانَ مُحْسِناً في أولِ الشهرِ ومحافِظاً على الأعمالِ الصالحةِ ومجتهداً فيها في أولِ الشهرِ، فليختمْ بالعَمَلِ في هذهِ العَشْرِ، زيادةً على أعمالِهِ الصالحةِ، فتكونُ زيادةَ خيرٍ إلى خيرٍ ومنْ كانَ متساهلاً ومفرِّطاً في أولِ الشهرِ، فليتبْ إلى اللهِ، ولْيَستَدْرِكْ في هذهِ العَشْرِ، فإنَّ مَنْ تابَ، تابَ اللهُ عليهِ، والأعمالُ بالخواتيمِ.

ومِنْ فضائِلِ هذه الليالي والأيامِ المباركةِ: أنَّها ليالي الإعتاقِ من النارِ، لقوم اسْتَوْجَبُوا دُخُولَ النارِ، فمنّ اللهُ عليهمْ، فأقْبَلُوا على اللهِ وتابُوا إلى اللهِ، واجْتَهَدُوا في هذه العَشْرِ، فتابَ اللهُ عليهمْ، ومَحَا عنهمْ سيِّئَاتِهِمْ وأَعْتَقَهُمْ مِنَ النارِ، وأدْخَلَهُمُ الجنةَ.

إنها عَشْرٌ عظيمةٌ، ومواسمُ جليلةٌ، ينبغي للمسلمينَ أنْ يَغْتَنِمُوها، وأنْ يبادِرُوا إليها، وأنْ يتركُوا الكَسَلَ وأنْ يَتْرُكُوا أشغالَ الدنيا التي هم لَيْسُوا بحاجةٍ إليها، أو يُقَلِّلوا مِنْ أعمالِهِمُ الدنيويةِ، ويهتَمُّوا بهذهِ الليالي وأيامِها لعلَّ اللهَ سبحانه وتعالى أنْ يكتبَ لَهُمْ خَيْرَها وأَجْرَها وبِرَّها.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

باركَ اللهُ لي ولَكُمْ في الأعمالِ الصالحةِ، ونفعَنا وإيَّاكُمْ بالقرآنِ العظيمِ، وما فيهِ منَ الآياتِ والذِّكْرِ الحكيمِ، أقولُ قَوْلي هذا وأسْتَغفِرُ اللهَ لي ولكُمْ ولجميعِ المسلمينَ مِنْ كُلِّ ذنبٍ، فاستغفرُوهُ، إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الداعي إلى رضوانِهِ صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. إنَّ الناسَ في هذا الشهرِ وفي هذهِ العَشْرِ مختلفونَ تمامَ الاختلافِ:

فمنهمْ مَنْ مَنَّ اللهُ عليهِ فحافَظَ على شهرِهِ صامَهُ وقامَهُ، وأكْثَرَ مِن الخيراتِ والأعمالِ الصالحةِ فيهِ، فكانَ لَهُ أجراً ومغنماً عندَ اللهِ سبحانه وتعالى.

ومنَ الناسِ مَنِ اجتهدَ في أولِ الشهرِ فنراهُمْ يملؤونَ المساجِدَ في أَوَّلِ الشَّهْرِ، ثم يَنْحَسِرونَ في آخرِ الشهرِ حتى عنْ أداءِ الفرائِضِ، فنراهُمْ يقلُّونَ في آخِرِ الشهرِ ويفترونَ، فهؤلاءِ في الحقيقةِ يَمَلُّونَ مِنَ الخيرِ، ويطولُ عليهمُ الأَمَدُ، فيكسُلُونَ ويتكاسلونَ عمّا بدؤوهُ في أولِ الشهرِ، وكانَ الواجبُ أنْ يزيدَ اجتهادُهُمْ، وأنْ يزيدَ عَمَلُهُمْ في آخِرِ الشهرِ عمّا كانَ في أَوَّلِهِ، ولكنَّ واقِعَهُمْ هو العَكْسُ.

ومنِ الناسِ منَ لايبالي بهذا الشهرِ، ولابفضائِلِهِ، وهو عندَهُ كغيرِهِ مِنَ

الشهورِ، لايزالُ مُكِبّاً على الشهواتِ والغَفَلاتِ والإعراضِ عنْ ذِكْرِ اللهِ عز وجل، فهذا هو الشَّقِيُّ، وقد قالَ جبريل للنبي ﷺ: «**مَنْ أَدْرَكَهُ شَهْرُ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَمَاتَ فَدَخَلَ النارَ. قُلْ: آمينْ، فقلتُ: آمينْ**»[1]. فَمَنْ دَخلَ عليهِ هذا الشهرُ وانتَهى، وهو مقيمٌ على حالِهِ السيئةِ وإعراضِهِ عنْ ذِكْرِ اللهِ، وعنْ طاعةِ اللهِ، مُضَيِّعٌ لفرائِضِ اللهِ، مرتكبٌ لمحارِمِ اللهِ، فهذا هو المحرُومُ، وهذا هو الخائِبُ الخاسِرُ، والعياذُ باللهِ، مَعَ أَنَّهُ يَدَّعي أَنَّهُ عاقِلٌ، وينطقُ بالشهادَتَيْنِ، ويتسمَّى بالإسلامِ، ولكنَّ الإسلامَ لَيْسَ مُجَرَّدَ انتسابٍ وانتماءٍ، الإسلامُ حقيقةٌ وأقوالٌ وأَعمالٌ واعتقادٌ. فالواجِبُ على هؤلاءِ: أَنْ يَتُوبُوا إلى اللهِ سبحانه وتعالى، فالرسولُ ﷺ والسَّلَفُ الصالِحُ يُحيونَ ليالِيَ هذهِ العَشْرِ بالجِدِّ والاجتهادِ والطاعاتِ، وهؤلاءِ يُحيونَ هذه اللياليَ والتي قَبْلَها باللَّهْوِ واللَّعِبِ والغَفلاتِ، والسَّهَرِ على ما لاتُحْمَدُ عُقْبَاهُ. نسألُ اللهَ أَنْ يَهْدِينَا وإِيَّاهُمْ، وأَنْ يوفِّقنا وإياهم للتوبةِ قَبْلَ الفَواتِ.

ثم اعلَمُوا ـ ياعبادَ اللهِ ـ أَنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . إلخ الخطبة.

* * *

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (رقم ٥٩٢٢) وهو حديث حسن.

في القيامِ في رمضان في آخرِ الليلِ

الحمدُ للهِ ذِي الفضْلِ والإنعامِ، خَصَّ شهرَ رمضانَ بفريضةِ الصيامِ، وفضيلةِ القيامِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لهَ في رُبُوبِيَّتِهِ وإلٰهِيَّته وصفاته وأسمائه العظام. وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، نَبِيٌّ غُفِرَ لَهُ ماتَقَدَّمَ مِنْ ذنبِهِ وما تأَخَّرَ، فقامَ شكراً للهِ على قَدَمَيْهِ الشريفتَيْنِ حتى تَفَطَّرتَا منْ طولِ القيامِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البَرَرَةِ الكرامِ: وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، واعلَمُوا أنَّ قيامَ الليلِ في رمضانَ وفي غيرِهِ فيهِ فَضْلٌ عظيمٌ، وثوابٌ جزيلٌ، قالَ اللهُ تعالى في صِفَةِ المتقينَ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾. [الذاريات: ١٧، ١٨]. وقال ﷺ: «أَفْضلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلاَةُ اللَّيْلِ»[١]، وتزدادُ هذهِ الفضيلةُ وتتضاعفُ في شهرِ رمضانَ، قال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ قامَ رَمَضَانَ إيمَاناً واحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ ماتقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٢]، وقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «منْ قامَ معَ الإمامِ حتى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»[٣]، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَاناً واحْتِساباً، غُفِرَ لَهُ ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ»[٤].

ويتجلَّى ذلكَ في صلاةِ التراويحِ وصلاةِ التهجُّدِ، فصلاةُ التراويحِ سُنَّةٌ سَنَّها رسولُ اللهِ ﷺ، فقد قامَ بأصحابِهِ في رمضانَ ليالي: ثلاثاً أو أربعاً، ثم تخلَّفَ عنهمْ في الليلة الثالثةِ أو الرابعةِ، وذكَرَ لَهُمْ أنَّهُ ما تخلَّفَ عنهمْ إلا خشيةَ أنْ

---

(١) مسلم (١١٦٣)، وكذا رواه أصحاب السنن الأربعة.
(٢) البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١). (٣) البخاري (٢٠٠٩) ومسلم (٧٥٩).
(٤) البخاري (١٩٠١).

تُفرضَ عليهمْ، فَبَقِيَ الصَّحابةُ رضيَ اللهُ عنهمْ يصلونَها في عَهْدِ النبيِّ ﷺ، وفي عَهْدِ أبي بكرٍ وأوَّلِ خلافةِ عُمَرَ، يصلُّونَها أفراداً وجماعاتٍ، متفرقينَ، فلما كانَ في خلافةِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ، رَأَى أنْ يَجْمَعَهُمْ على إمامٍ واحِدٍ، كما كانَ ذلكَ في عهدِ النبيِّ ﷺ، حيثُ كانُوا يصلونَ خلفَ النبيِّ ﷺ جماعةً واحدةً، فَجَمَعَهُمْ على أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضيَ اللهُ عنه، فكانَ يُصَلِّي بِهِمْ ثلاثاً وعشرينَ ركعةً، عُشْرونَ رَكْعَةً للتراويحِ، ورَكْعَتَانِ للشَّفْعِ، ورَكْعَةٌ للوَتْرِ، فكانَ المجموعُ ثلاثاً وعشرينَ ركعةً، صَلَّوْها في مسجدِ النبيِّ ﷺ بِمَحْضَرٍ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ، في خلافَةِ عُمَرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ.

وكانَ النبيُّ ﷺ لايزيدُ في رمضانَ ولاغيرِه على إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، وفي روايةٍ: لايزيدُ على ثلاث عشرةَ ركعةً، ولكنهُ ﷺ كان يصلي وحده وكان يطيلُ القيامَ، ويطيلُ الركوعَ، ويطيلُ السجودَ، وقد وصفَ لنا حذيفةُ بنُ اليمانِ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ صلاةَ رسولِ اللهِ ﷺ في الليلِ، حينما قامَ مَعَهُ ليلةً مِنَ الليالِي، قال: افتتحَ البقرةَ، فقلتُ: يركَعُ عندَ المئةِ، ثم مضى حتى ختمها، ثم افتتح النساءَ، ومضى حتى أكملَها، ثم افتتح آلَ عمرانَ ومضى حتى أكملَها، لا يمر بآيةٍ فيها رحمةٌ إلا وقفَ وسألَ، ولا بآيةٍ فيها عذابٌ إلا وقفَ وتعوذَ. قرأ السورَ الثلاثَ الطِوالَ التي تبلغُ خمسةَ أجزاءٍ ورُبُعَ الجُزءِ تقريباً في ركعتينِ، مَعَ طُولِ القيامِ، وطولِ الركوعِ حيث كانَ رُكُوعُهُ نحواً مِنْ قيامِهِ، وكانَ سُجُودُهُ نحواً مِنْ رُكُوعِهِ، عليهِ الصلاةُ والسلامُ.

هذهِ صفةُ قيامِ النبيِّ ﷺ وتهجُّدِهِ في الليلِ. وكانتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تقولُ: كانَ ﷺ يُصلِّي أربعاً، فلا تسألْ عنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثم يُصلي أربعاً فلا تسألْ عن حُسْنِهِنَّ وطولِهِنَّ، ثم يُوتِرُ بثلاثٍ هذهِ صفةُ صلاةِ النبيِّ ﷺ.

لكنْ لمّا كانَ الصحابةُ لايطيقونَ قيامَ النبيِّ ﷺ، حتى إنَّ حذيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ لمّا قام معهُ قال: لَقَدْ هَمَمْتُ بسوءٍ. قالُوا: وماهممتَ؟ قال: هَمَمْتُ أنْ أجلسَ وأَدَعَهُ. فلمّا كانَ الصحابةُ لايطيقونَ قيامَ النبيِّ ﷺ، خَفَّفُوا الصلاةَ، وزادُوا في العَدَدِ إلى ثلاثٍ وعشرينَ؛ رفقاً بالناسِ، وعملاً بقولِهِ ﷺ: «أيُّكُمْ أَمَّ الناسَ فَلْيُخَفِّفْ، فإنَّ فيهمُ الكَبيرَ والضَّعِيفَ وذا الحاجَةِ، وإذا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ، فليطوِّلْ ما شاء»[١].

فالإمامُ يُراعي أحوالَ المأمومينَ، فلا يثقلُ عليهمْ ويشقُّ عليهمْ، ولهذا قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمهُ اللهُ: إنَّ صلاةَ التراويحِ ليسَ لَها عَددٌ معيَّنٌ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لَمْ يُحَدِّدْ لها عَدَداً معيناً، وإنّما كانَ يرغِّب في قيامِ الليلِ، من غيرِ أنْ يحددَ عدداً، ولكنْ مَنْ أرادَ أنْ يُطيلَ القيامَ والركوعَ والسجودَ، فليقلِّلْ من الركعاتِ، كما فعلَ النبيُّ ﷺ، ومَنْ أرادَ أنْ يخفِّفَ القيامَ والركوعَ والسجودَ، فليكثرْ منْ عَدَدِ الركعاتِ، كما فعلَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم.

هذا هو السُّنَّةُ، وهذا هوالاعتدالُ، فمنْ أرادَ أنْ يقتديَ بالنبيِّ ﷺ وكانَ يُصَلِّي وَحْدَهُ، فليصلِّ مثلَ ما صلَّى النبيُّ ﷺ. وأمّا مَنْ كان إماماً يُصَلِّي بجماعةٍ، فإنَّهُ يخفِّفُ صِفَةَ الصلاةِ، ويزيدُ في عددِ الركعاتِ، كما فَعَلَ الصحابةُ رضيَ اللهُ تعالى عنهم، والكلُّ سُنَّةٌ، سُنَّةُ الرسولِ ﷺ بالتطويلِ لمنْ صَلَّى وَحْدَهُ، وسنة الخلفاء الراشدين وهي التخفيفُ لمنْ صلَّى بجماعةٍ وصارَ إماماً، فإنَّهُ يراعي أحوالَ المأمومينَ.

هذهِ هيَ صلاةُ التراويحِ وَعَددُ ركعاتِها، ويقتصرُ عليها في العِشْرينِ الأُوَلِ.

فإذا جاءتِ العَشْرُ الأواخرُ فإنَّهُ يضافُ إلى صلاةِ التراويحِ: صلاةَ التهجُّدِ؛

---

(١) رواه البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧) وغيرهما.

اغتناماً لفضيلةِ العَشْرِ، وقدْ كانَ ﷺ يزيدُ اجتهادَهُ في العَشْرِ الأواخِرِ، أكْثَرَ منْ اجتهادِهِ في العشرينَ الأُوَلِ، «كانَ ﷺ إذا دَخَلَتِ العَشْرُ شَمَّرَ، وشدَّ المِئْزَرَ، وأيْقَظَ أَهْلَهُ، وأحْيَا لَيْلَهُ»[١] عليهِ الصلاةُ السلامُ. وفي روايةٍ: «لم يَذُقْ غَمْضاً».

فيستحبُّ للمسلمينَ في العَشرِ الأواخرِ أنْ يزيدُوا على صلاةِ التراويحِ في أوَّلِ الليلِ صلاةَ التهجدِ، كما كانَ الصحابةُ يتهجَّدونَ في آخرِ الليلِ، وكانوا لايَنْصَرِفُونَ إلا عندَ طُلُوعِ الفَجْرِ، حتى يَخْشَوا أنْ يَفُوتَهُمُ السُّحورُ اقتداءً بالنبيِّ ﷺ، لكنْ هناكَ مَنْ يقولُ الآنَ، مِمّنْ يدَّعونَ أنَّهُمْ يَعْرِفُونَ السُّنَّةَ وهمْ عنها بَعيدٌ، يقولونَ: نحنُ لانزيدُ في العَشرِ الأواخرِ، ولانصلِّي إلاّ إحدى عشرةَ ركعةً نصليها في أوَّلِ الليلِ أوْ في آخِرِ الليلِ، ويحرمونَ جماعتَهُمْ مِن اغتنامِ هذهِ الأيامِ.

ونقولُ لهمْ: صلاةُ النبيِّ ﷺ لاتطيقُونَها، ولايطيقُها غيرُ النبيِّ ﷺ، ولكنْ رَاعُوا أحوالَ المأمومينَ، ولاتحرموهُمْ منْ فَضْلِ اللهِ وثوابِهِ في هذهِ الأيامِ، صلّوا أوَّلَ الليلِ التراويحَ، وصَلُّوا التهجدَ آخِرَ الليلِ، في العَشْرِ الأواخِرِ؛ لأجلِ أنْ يَحْصُلَ المسلمونَ على فَضْلِ قيامِ هذا الشهرِ، وفَضْلِ هذهِ العَشْرِ المبارَكَةِ، فلا تَحْرِمُوهُمْ ـ بآرائِكُمْ وفِقْهِكُمُ المَنْقُوصِ ـ مِنَ التهجدِ، وتقولونَ: إنَّ النبيَّ ﷺ لايزيدُ في العَشْرِ الأوَاخِرِ، بلْ كانَ يزيدُ في هذا العشر، وكانَ لايذوقُ غَمْضاً، كانَ يُحْيي لَيْلَهُ كلَّهُ.

فاتقوا اللهَ في المسلمينَ؛ لأنَّ الإمامَ ضامنٌ، قال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «الإمَامُ ضَامِنٌ، والمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ»، وقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «يصلونَ لَكُمْ (يَعْني الأَئِمَّةَ) فإنْ أَحْسَنُوا فَلَكُمْ ولَهُمْ، وإنْ أساؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»[٢]، فالإمامُ

---

(١) البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٢) البخاريُّ (٦٩٤).

مُحَمَّلٌ مسؤولية عليه أنْ يتقيَ اللهَ، وأنْ ينصحَ للمسلمينَ، وأن لايَحْرِمَهُمْ من ثوابِ هذهِ العَشْرِ المباركةِ، ويقولُ: أنا لا أُصلي إلا إحْدى عَشْرةَ ركعةً. يَنْقُرُها في دقائقَ مِنْ أوّلِ الليلِ أو في آخِرِ الليلِ. هذا ليسَ هو سنةُ الرسولِ ﷺ، وليسَ هذا هو الأمانةُ التي حَمَّلكَ اللهُ إياها.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واغتَنِمُوا هذهِ الأوقاتِ قبلَ فواتِها.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ـ١٩].

باركَ اللهُ لِي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانِهِ، والشكرُ لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إِلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، تعظيماً لشأْنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. واعلمُوا أنّكُمْ في عَشْرٍ مباركةٍ، هي العَشْرُ الأواخرُ مِنْ رمضانَ، وقد كانَ ﷺ يجتهدُ في هذهِ العَشْرِ أكْثَرَ ممّا كانَ يجتهدُ في أوّلِ الشهرِ، وكما سَمِعْتُمْ أنّهُ ﷺ كانَ إذا دَخَلتِ العَشْرُ شمّرَ، وشدَّ المِئْزَرَ، وأيْقَظَ أهْلَهُ، وأحْيَا لَيْلَه، عليهِ الصلاةُ والسلامُ. وكانَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهمْ يتهجّدونَ في هذهِ العَشْرِ، وكانوا لاينصرفونَ إلا قَدْرَ ما يَتَسَحّرونَ قبلَ الفجرِ، حتى قالَ قائلُهُمْ: كنّا نَخْشَى أنْ يَفُوتَنَا الفلاحُ يعين: السُّحورَ. يُحيونَ الليلَ كُلَّه في هذهِ العَشْرِ، أو يُحيونَ أَغْلبَ الليلِ.

فاغتنمُوهَا رحمكمُ اللهُ، فإنَّهُ ﷺ كانَ يخصُّ هذه العشرَ بخصائصَ لَمْ تكُنْ

في أوَّلِ الشهرِ: كانَ إذا دَخَلتْ فإنَّهُ يُحْيي لَيَالِيَها بالصلاةِ والتهجُّدِ، والاستغفارِ والتضرعِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وكانَ ﷺ يَعْتَكِفُ في هذهِ العَشْرِ، بمعنى: أنَّهُ كانَ يَبْقى في المَسْجِدِ ليلاً ونهاراً؛ لِيَخْلُوَ بربِّهِ عز وجل. وذلكَ يدلُّ على فضيلةِ هذهِ العَشْرِ، حيثُ خصَّها النبيُّ ﷺ بالاعتكافِ، وممَّا يدلُّ على فَضْلِها أيضاً: أنَّها الليالي التي تُرْجَى فيها ليلةُ القَدْرِ أكثرَ مِنْ غيرِها، فقد كانَ النبيُّ ﷺ ليتحرَّى لَيْلَةَ القَدْرِ في هذهِ الليالي العَشْرِ أكثرَ مِنْ غيرِها، ولأَجْلِ ذلكَ كانَ يعتكفُ، وكانَ ﷺ يحيي الليلَ بالتهجُّدِ والتضرُّعِ والاستغفارِ؛ طلباً لليلةِ القَدْرِ، التي قالَ اللهُ جل وعلا فيها: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣].

فاجتهدُوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ في هذهِ العَشْرِ، وفي جميعِ الأوقاتِ، ولكنْ في هذهِ العَشْرِ بالذاتِ؛ لأنَّها مَوْسِمٌ عظيمٌ. ولكنْ ماذا نقولُ وبعضُ المصلينَ لايحضرونَ الفريضةَ إلا بَعْدَ مايُصَلِّي الإمامُ، وتفوتُهُمْ صلاةُ الجماعةِ؟.

فعلى المسلمِ: أنْ يتوبَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وألاّ يضيِّعَ نَفْسَهُ، قالَ الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩﴾ [الحشر: ١٩].

واعلَمُوا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في ختام الشهر

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِهِ تتمُّ الصالحاتِ، وبِفَضْلِهِ تُنالُ الكراماتُ والدرجاتُ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحْدَهُ لاشريكَ لَهُ في الرُّبُوبِيّةِ والإلٰهيّةِ والأسماءِ والصفاتِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أوّلُ سابقٍ إلى الخيراتِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ذوي المناقِبِ والكراماتِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالى، واعتبروا بِسُرْعَةِ مُرورِ الليالِي والأيامِ، كنتمْ في الأمسِ القريبِ ترقبونَ قدومَ شَهْرِ رمضانَ، واليَوْمَ تُودِّعُونَهُ مُرْتَحِلاً عنكُمْ بِما أَوْدَعْتُمُوهُ، شاهِداً عليكمْ بما قدَّمتموهُ، فمنْ كانَ مُحْسِناً فليزدَدْ منْ إحسانِهِ، ومنْ كانَ مُسِيئاً فليتبْ إلى اللهِ، وليختمْ شَهْرَهُ بالتوبةِ، فإنَّ الأعمالَ بالخواتيمِ.

عبادَ اللهِ: إنَّ شَهْرَكُمْ قدِ ارْتَحَلَ بِما أَوْدَعْتُمُوهُ، فعليكُمْ أنْ تُتْبِعُوهُ بصالحِ الأعمالِ، فإنَّ عملَ المسلمِ لاينتهي بشهرِ رمضانَ، وإنّما يستمرُّ إلى المماتِ، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩٩]، فمنْ كانَ يظنُّ أنهُ يكفيهِ شَهْرُ رمضانَ، ويسيءُ في بقيةِ أيامِهِ، ويعودُ إلى المعاصِي بعدَ شهرِ رمضانَ، فإنَّهُ قَدْ هَدَمَ ما بَنَى. قيلَ لبعضِ السلفِ: إنَّ قَوْماً يجتهدونَ في شهرِ رمضانَ، فإذا خَرَجَ شَهْرُ رمضانَ عادُوا إلى المعاصِي. فقال بِئْسَ القومُ! لايَعْرِفونَ اللهَ إلا في رمضانَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلموا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى شَرَعَ لَكُمْ في خِتامِ هذا

الشهرِ أعمالاً جليلةً تُتبِعُونَهُ بِها:

أولاً: الاستغفارُ؛ فإنَّ الاستغفارَ تُختَمُ بِهِ الأعمالُ الصالحةُ، يختمُ بِهِ قيامُ اللَّيلِ، كمَا قالَ تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، تختمُ بِهِ الصَّلواتُ الخَمْسُ، فقد كانَ النبيُّ ﷺ إذا سلَّم مِنَ الصلاةِ يقولُ: وهو مستقبلٌ القبلةَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أستغفرُ اللهَ، أستغفرُ اللهَ. والاستغفارُ تُخْتَتَمُ بِهِ المجالسُ، ويُخْتَمُ بِهِ العُمُرُ، فالاستغفارُ مطلوبٌ في كُلِّ وقتٍ، وهو طَلَبُ المغفرةِ عمّا يَصْدُرُ مِنَ الإنسانِ مِنْ تقصيرٍ أوْ إساءةٍ.

شُرِعَ لكمْ في ختامِ هذا الشهرِ: التكبيرُ. قالَ تعالى ﴿ وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويبدأ التكبيرُ منْ غُروبِ الشمسِ ليلةَ العيدِ، ويستمرُّ إلى خُروجِ الإمامِ إلى المُصَلَّى، وصِفَتُهُ أنْ يقولَ: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰهَ إلاّ اللهُ. واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحَمْدُ. يُكَرِّرُ ذلكَ، ويَرْفَعُ بِهِ صوتَهُ في المساجِدِ، وفي الأسواقِ، وفي البيوتِ.

ومما شَرَعَهُ اللهُ في ختام هذا الشهرِ: صَدَقَةُ الفِطْرِ، التي هي زكاةٌ للبَدَنِ، وطُهْرٌ للصائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ، وطُعْمَةٌ للمَسَاكِينِ، فَرَضَها رسولُ اللهِ ﷺ على الذَّكَرِ والأُنْثَى، والحُرِّ والعَبْدِ، والصَّغِيرِ والكبيرِ، مِنَ المسلمينَ. وتجبُ بغروبِ الشمسِ ليلةَ الفِطْرِ، ويجوزُ إخراجُها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومينِ، وإخراجُها قبلَ صلاةِ العيدِ أفضلُ، ولايؤخِّرُها عنْ صلاةِ العيدِ، فإنْ أخَّرها متعمِّداً فإنَّهُ يأثَمُ، ولابدَّ منْ إخراجِها ولوْ بَعْدَ صلاةِ العيدِ، ولو بَعْدَ يوم العيدِ، فيخرجُها قضاءً؛ لأنَّها دَيْنٌ في ذِمَّتِهِ. ومقدارُها: صاعٌ: بالصاعِ النَّبَوِيِّ الذي مقدارُهُ بالكيلو المعروفِ الآنَ: ثلاثةُ كيلواتٍ. وتُخرجُ مِنْ غالبِ قُوتِ البَلَدِ،

وقد فَرَضَها رسولُ ﷺ صاعاً منْ بُرٍّ، أو صاعاً منْ تَمْرٍ، أو صاعاً من شَعِيرٍ، أو صاعاً منْ زَبِيبٍ، أو صاعاً منْ أقْطٍ، ويُجزئ كُلُّ طعامٍ يُقتاتُ في البلد، منْ هذهِ الأصنافِ الخمسةِ وغيرِها. يدفَعُها الإنسانُ عنْ نَفْسِهِ وعمَّنْ يقومُ بالنفقةِ عليهِ، وتُدفعُ إلى الفقراءِ والمساكينِ، بأن تُدفعَ إليهم بأيديهمْ، أو تدفعَ إلى وكلائِهِمْ.

ولايجوزُ إخراجُ القيمة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ شَرَعَها في الطعامِ، ولَمْ يَشْرَعْها في النُّقودِ، وكانتِ النقودُ موجودةً في عهدِ النبيِّ ﷺ، ولم يَأْمُرْ بإخراجِهامِنَ النقودِ، وإنَّما أَمَرَ بإخراجها مِنَ الطعامِ فيجبُ التقيُّدُ بما أَمَرَ به النبيُّ ﷺ ولا يكفي دَفْعُها إلى الجمعياتِ؛ لأنَّ الجمعياتِ قدْ لاتهتمُّ بِها، وقدْ تُكدِّسُها عندَها، وتؤخِّرُ إخراجَها عنْ وقتِهِ، وقد تطلبُ منكَ نقوداً، وقدْ لا تعرف مُسْتَحِقِّيها، فهي دينٌ واجِبٌ في ذمَّتِكَ أيهاالمسلمُ، حَقٌّ للهِ، فلايجوزُ أنْ تتساهلَ في ذلكَ، وأنْ تُلقيَ بالمسئوليةِ على هذهِ الجمعياتِ، فإنَّ هذهِ الجمعياتِ غيرُ مسؤولةٍ عما في ذمتك، فعليكَ أنْ تتقيَ اللهَ، وأنْ تحرصَ على إخراجِ هذهِ الصدقةِ كما أَمَرَكَ اللهُ وأمَرَكَ رسولُهُ ﷺ، تتقيَّد بالمقدارِ وهو: الصاعُ، ثلاثةُ كيلواتٍ، وتتقيَّدُ بالنَّوعِ وهو: القوتُ، قوتُ البلدِ ويستحبُّ أنْ تخرجَ منْ أَطْيَبِ ماتجدُ، ويجبُ منَ المتوسِّطِ، ولايجوزُ أنْ تُخرِجَ الرديءَ الذي لا ينتفعُ بِهِ أو لايُقبلُ، قالَ اللهَ سبحانه: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، فيخرجُ الإنسانُ منْ أَطْيَبِ مايَجدُ، هذا هو المستحبُّ، أو مِنَ المتوسِّطِ، وهذا هوالواجبُ، ولايجزئ ولايجوزُ إخراجُها مِنَ الرديءِ.

فاتقوا اللهَ في هذهِ العبادةِ العظيمةِ؛ لأنَّ بعضَ الناسِ يتساهلونَ في شَأْنِها، إمّا بأنْ يُخْرِجُوها نقوداً، ويخالِفُوا بذلكَ ما أَمَرَ بِهِ النبيُّ ﷺ؛ لأنَّ النقودَ أَسْهَلُ

عليهِمْ، كَمَا يزعمونَ. وإمّا بأنْ يَدْفَعُوها إلى مَنْ لايقومُ بتوصِيلها إلى الفقراءِ والمساكِينِ، ولايبالِي بِها، فتَبْقَى في ذِمَّةِ صاحِبها إلى أنْ تَصِلَ إلى مُسْتَحِقِّيها في وَقْتِها. والناسُ لايتحمَّلونَ عنكَ ما وَجَبَ عليكَ، إلا إذا وَجَدتَ مَنْ تثقُ بِهِ مِمَّنْ يَتَحَمَّلُها ويُؤَدِّيها إلى مُسْتَحِقِّيها في وَقْتِها، فلا بَأسَ أنْ توكِّلَهُ في دَفعِها عنكَ.

ومِمّا شَرَعَهُ اللهُ لكمْ في ختامِ هذا الشهرِ: صلاةُ العيدِ، وهي شعيرةٌ عظيمةٌ مِنَ شعائِرِ الإسلامِ، أمرَ النبيُّ ﷺ بالخروجِ إليها، حتى إنَّهُ أَمَرَ العواتقَ مِنَ النساءِ، يعني: الخَفَرات وأَمَرَ الحيَّضَ، أنْ يَخْرُجْنَ ويَعْتَزِلْنَ المُصَلَّى، ويشهدنَ دَعْوَةَ المسلمينَ. فينبغي الحِرْصُ على حُضُورِ صلاةِ العيدِ والخروجِ إليها، فهي مظهرٌ عظيمٌ منْ مظاهِرِ الإسلامِ، وشعيرةٌ منْ شعائِرِ الإسلامِ، وهي ختامٌ لهذا الشهرِ العظيمِ، وشكرٌ للهِ سبحانه وتعالى على توفيقِهِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واختموا شهرَكُمْ بصالحِ الأعمالِ والأقوالِ، وتوبُوا إلى اللهِ مِنْ جميعِ الذنوبِ، واستمروا على فعلِ الخيرِ.

أعوذ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

بارك اللهُ لِي ولكمْ في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ رسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى. واعلَمُوا أنَّ مِمّا شَرَعَهُ اللهُ لَكُمْ أيضاً في ختامِ هذا الشهرِ: إتْباعُهُ بصيامِ سِتَّةِ أيامٍ مِنْ شوالٍ، قالَ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمضَانَ،

وأتْبَعَه سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، فكأنَّما صَامَ الدَّهْرَ»[1]، فيستحبُّ صيامُ هذهِ الستةِ، إمّا مِنْ أولِ الشهرِ، وإمّا في وَسَطِهِ، وإمّا في آخرِهِ، وكُلّمَا بادَرَ بها المسلمُ فهوَ أحْسَنُ.

أيُّها المسلمونَ: إنَّ شَهْرَ رمضانَ قدِ انتَهى ورَحَلَ، وهو شاهِدٌ لكمْ عندَ اللهِ جل وعلا بما أودعتُمُوهُ منْ صالحِ العملِ، أو شاهدٌ عليكمْ بما ضيَّعتُمُوهُ وما أَهْمَلْتُمُوهُ مِمّا يجب عليكمْ في هذا الشهرِ، ولكنَّ بابَ التوبةِ مفتوحٌ، والاستغفارُ يَمْحُو ما كانَ مِنْ سيءٍ، ويزيدُ في الحسناتِ، وفلا تيأسُوا منْ رحمةِ اللهِ، ولاتَقْنَطُوا منْ رحمةِ اللهِ، عليكمْ بمواصَلَةِ الأعمالِ الصالحةِ، يامَنْ تعوَّدتُمْ قيامَ الليلِ في هذا الشهرِ، وَاصِلُوا قيامَ الليلِ في بقيةِ السنةِ بما تيسَّرَ لَكُمْ منْ قيامِ الليلِ، ولو قَلَّ، فإنَّ أحبَّ العَملِ إلى اللهِ أدْوَمُهُ وإنْ قَلَّ. يامنْ تعوَّدتُمُ الصيامَ في هذا الشهرِ، صومُوا مِنَ السنةِ ماشَرَعَ لَكُمُ النبيُّ ﷺ صيامَهُ، مِنْ صيامِ الاثنينِ والخميسِ، وثلاثةِ أيامٍ منْ كُلِّ شهرٍ، وصومِ شهرِ اللهِ المحرمِ، وآكَدُهُ: التاسعُ والعاشرُ. يا منْ تعوَّدتُمُ الإنفاقَ والصدقاتِ في هذا الشهرِ، استمرُّوا على ذلكَ وأحسنُوا، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المحسنينَ.

وقدْ رَأيْنَا أنَّ اللهَ شَرَعَ لنَا في ختامِ هذا الشهرِ أعمالاً جليلةً نُتْبِعُهُ إيَّاها، فلْنُتْبِعْهُ بصالحِ الأعمالِ، ولنواصلْ أعمالَنا في بقيةِ أعمارِنَا.

إنَّ بعضَ الناسِ يشعرُ أنَّهُ إذا خرجَ رمضانُ انحلَّ قَيدُهُ، وخرجَ منْ سِجْنِهِ، فبادَرَ إلى المعاصِي والمحرَّماتِ والغَفَلاتِ، وضيَّع الجُمَع والجماعاتِ، وما هذا شأنُ المسلمِ الذي يخافُ اللهَ سبحانه وتعالى.

بعضُ الناسِ يُتْبِعونَ شهرَ رمضَانَ بأنواعٍ مِنَ اللَّهْوِ المحرَّمِ منْ دَقِّ الطبولِ

---

(١) رواه مسلم (١١٦٤)، وكذا أصحاب السنن الأربعة.

والمزاميرِ والأغاني والحفلاتِ الساهرةِ، واختلاطِ الرجالِ بالنساءِ، وينْصبونَ لذلكَ السرادقاتِ والمخيماتِ، فَيُشَبِّهونَ عيدَ الفِطْرِ بعيدِ المَوْلِدِ وغيرِهِ مِنَ الأعيادِ المُبْتَدَعَةِ الجاهليةِ، يُشَبِّهون العيدَ الشَّرْعِيَّ الإلٰهيَّ بالأعيادِ البدعيَّةِ الشيطانيةِ. رأى بَعْضُ السَّلَفِ قوماً يضحكونَ في يومِ العيدِ، فقالَ: إنْ كانَ هؤلاءِ تُقُبِّلَ منهمْ، فما هذا فِعْلُ الشاكرينَ. إنْ كانَ هؤلاءِ لَمْ يُتَقَبَّلْ منهم، فما هذا فِعْلُ الخائفينَ.

إن الواجِبَ على المسلمِ: أنْ يكونَ عَبْداً للهِ في كُلِّ وَقْتٍ وفي كُلِّ حينٍ، وما شهرُ رمضانَ إلا زيادةٌ في حسناتِ المؤمنِ، وإلا فإنَّهُ مطلوبٌ منْهُ العملُ في سائرِ أيّامِهِ ولياليهِ، خصوصاً المحافظةُ على الفرائِضِ، في مواقيتها في بيوتِ اللهِ سبحانه وتعالى، مع جماعةِ المسلمينَ، فإنَّ بعضَ الناسِ ـ أو كثيراً منَ الناسِ ـ يرتادونَ المساجِدَ في شهرِ رمضان فقطْ، فإذا انتهى رمضانُ قَبَعُوا في بُيُوتِهِمْ، ولايخرجونَ إلى المساجِدِ إلا إذا جاءَ رَمضانُ الآخَرُ إن أدركوهُ، وما هذا فِعْلُ الصالحينَ، ولا فِعْلُ المؤمنينَ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأتْبِعُوا شَهْرَكُمْ بالحسناتِ، وأتبعُوا شَهْرَكُمْ بالاستغفارِ والتوبةِ إلى اللهِ، والخوفِ أنْ تُرَدَّ عليكُمْ أعمالُكُمْ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

واعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

في ختامِ الشهرِ المباركِ أيضا

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِهِ تتمُّ الصالحاتُ، أهَلَّ شهرَ رمضانَ على عبادِهِ، ليغتَنِمُوا مواسمَ الخيراتِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ في رُبُوبِيَّتِهِ وإلٰهِيَّتِهِ ومالَهُ منَ الأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اعْتَبِرُوا بمرُورِ الليالي والأيامِ، واعلَمُوا أنَّها مِنْ أعْمارِكُمْ، وأنها تُقَرِّبكُمْ، مِنْ آجالِكُمْ، وأنَّها خزائنُ لَكُمْ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى بِما تودعونَهُ فيها مِنْ خَيرٍ أو شرٍّ. بالأمسِ تستقبلونَ شهرَ رمضانَ، واليوم تودِّعونَهُ، وتطوون صحائفه، وهكذا الدنيا: حلول وارتحال، سُئِلَ نوحٌ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، وقد لَبِثَ في قَومِهِ ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً، كيفَ وجدتَ الدنيا؟ فقال: كَمَنْ دَخلَ مِنْ بابٍ وخَرَجَ منْ بابٍ آخر.

فهكذا الإنسانُ، يدخلُ هذه الدنيا يوم ولادَتِهِ منْ بابٍ، ويخرج يوم وفاتِهِ من البابِ الآخَرِ، ولكنَّ العِبْرَةَ بما خَرَجَ بِهِ. فمِنَ الناسِ منْ يَخْرُجُ بالسعادةِ والأعمالِ الصالحةِ والزادِ الطَّيب، ومنَ الناسِ مَنْ يَخْرُجُ مُفْلسَاً مِنَ الأعمالِ الصالحةِ، مُحَمَّلاً بالأوزارِ والذنوبِ، ولامناصَ لَهُ ولارجوعَ لَهُ ليصلحَ ما أفسد، فيندمَ حينَ لاينفعُهُ النَّدم، ويتأسَّف إذا زلَّت بِهِ في القيامةِ القَدَمُ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتذكَّروا أحوالَكُمْ ومَصِيرَكُمْ، وأصْلِحُوا أعمالَكُمْ. إنَّ شهرَ رمضانَ قد عزمَ على الرحيلِ والانصرامِ، وإنَّهُ شاهدٌ لَنَا أو شاهدٌ علينَا بتصرفاتِنا فيهِ، فمنْ كَانَ مُحْسِناً: فليحمدِ اللهَ، ولْيَسْأَلْهُ القبولَ، وليستمرَّ في

الأعمالِ الصالحةِ إلى المماتِ. وما أقربَ المماتِ! ومنْ كانَ مفرِّطاً ومضيِّعاً: فعليهِ بالتوبةِ، وعليهِ بالمبادرةِ بالتوبةِ قبلَ فواتِ الأوانِ، وليختمْ شَهْرَهُ بخيرِ ختامٍ، فإنَّ الأعمالَ بالخواتيمِ. ولا تُهمِلُوا أنْفُسَكُمْ، وتنْسَوْا أعمالَكُمْ، وتضيِّعُوا مصيرَكُمْ ومستقبلَكُمْ، فإنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «الكيِّسُ (يعني: العَاقِلُ) منْ دَانَ نَفْسَهُ (يعني حاسَبَها) وعَمِلَ لما بعْدَ الموتِ، والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هواهَا، وتمنَّى على اللهِ الأمانِي»[1]. فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ في أنفُسِكُمْ، وتوبُوا إلى ربِّكُمْ.

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى شَرَعَ لكم في ختامِ هذا الشهرِ أعمالاً صالحةً تُوَدِّعونَهُ بها:

منْ ذلكَ: الاستغفارُ، فأكثرُوا مِنَ الاستغفارِ، فإنَّ الاستغفارَ تُخْتَمُ بِهِ الأعمالُ الصالحةُ، تختمُ بِهِ صلاةُ الفريضةِ، فقدْ كانَ ﷺ إذا سَلَّم منَ الفريضةِ قال ـ وهو مستقبلٌ القِبْلَةَ ـ: اسْتَغْفِرُ اللهَ، استغفرُ اللهَ، أستغفرُ اللهَ. ثلاث مراتٍ، ويختمُ بِهِ قيامَ الليلِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ ويختمُ بِهِ العُمُرَ، قالَ اللهُ تعالى لِنَبيِّه ﷺ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ـ٣]. وهذه علامةٌ أعطاهَا اللهُ لِنَبيِّهِ يعرفُ بها نهايةَ عُمُرِهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ يعني فَتْحَ مكةَ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ فإنَّ هذا دليلٌ على نهايةِ عُمُرِ الرسولِ ﷺ؛ لأنَّهُ أدَّى مُهِمَّتَهُ، وبلَّغَ رِسَالتَهُ، ونَصَحَ أُمَّتَهَ، حتى أتاهُ اليقينُ مِنْ رَبِّهِ عز وجل ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾.

---

(١) الترمذيُّ (٢٤٦١)، وابنُ ماجة (٤٢٦٠).

والحكمةُ في خَتْمِ الأعمالِ والأعمارِ بالاستغفارِ: أنَّ الأعمالَ والأعمارَ لاتَخْلُو مِنْ تقصيرٍ وخطأٍ، فالاستغفارُ يُرَقِّعُ ما بها من الأخطاءِ.

والحكمةُ أيضاً: أنَّ الإنسانَ لايَغْتَرَّ بأعمالِهِ، بلْ يعتبرَ نَفْسَهُ مُقَصِّراً في حَقِّ اللهِ سبحانه وتعالى، مَهْمَا عملَ، فلذلك يستغفرُ اللهَ مِنَ التقصيرِ. هذا وهو يعملُ الأعمالَ الصالحةَ، يستغفرُ اللهَ، فكيفَ بالذي يعملُ الخطايا والذنوبَ ولايستغفرُ؟! ولاحولَ ولاقوةَ إلا باللهِ.

شرعَ اللهُ سبحانه وتعالى في ختامِ هذا الشهرِ: التكبيرَ ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥]، والتكبيرُ يُشْرَعُ إذا ثبتَ هلالُ شوالٍ ليلة عيدِ الفِطْرِ، يستمرُّ المسلمونَ في التكبيرِ، مِنْ ثُبُوتِ الهلالِ إلى أنْ يُصَلُّوا صلاةَ العيدِ، وهم يكبِّرون اللهَ، في المساجِدِ، وفي البيوتِ، وفي الطرقات، يكبِّرونه على ماهداهم ووفقهم.

ومما يختمُ بِهِ هذا الشهرُ مِنَ الأعمالِ الصالحةِ: إخراجُ صَدَقَةِ الفِطْرِ، وتسمّى: زكاةَ الفِطْرِ، وهيَ فريضةٌ على كُلِّ مسلمٍ، صغيراً كانَ أو كبيراً، ذَكَراً كان أو أنثى، حُرًّا كانَ أو عَبْداً، يكونُ عندَهُ ما يستطيعُ بِهِ أنْ يخرجَ زكاةَ الفطرِ فاضلاً عنْ كفايتِهِ وكفايةِ مَنْ يُمونُهُ، يومَهُ ولَيْلَتَهُ.

وهي طُهْرةٌ للصائِمِ، وطُعْمةٌ للمساكينِ، فَرَضَها رسولُ الله ﷺ صاعاً مِنْ طعامٍ، أو صاعاً من شَعِيرٍ، أو صَاعَاً منْ تمرٍ، أو صاعاً منْ زبيبٍ، أو صاعاً منْ أقطٍ. على الغنيِّ والفقيرِ، والذكرِ والأُنثى، والحُرِّ والعَبْدِ، فهي فريضةٌ واجبةٌ على مَنْ يستطيع إخراجها فاضلة عن كفايته وكفاية من يمونه يومه وليلته، وهي ختامٌ لهذا الشهر، وهي تطهيرٌ للصائِمِ مِمّا قد يَقَعُ مِنْهُ مِنَ الأخطاءِ في صيامِهِ، أو مِنَ الأخطاءِ في شَهْرِهِ، فهي زكاةٌ، والزكاةُ مَعْنَاها: التطهيرُ والإتمامُ.

فهي شعيرةٌ ظاهرةٌ، وسنةٌ ماضيةٌ، فرَضَها رسولُ اللهِ ﷺ على أُمَّتهِ، وبيَّنَ النوعَ الذي تُخْرَجُ مِنْهُ، وهو الطعامُ والتَّمْرُ والزَّبيبُ والأَقْطِ؛ لأن الناسَ يختلفونُ في أقواتِهِمْ، فنوَّعها ﷺ؛ لأجلِ أنْ يُخرج كُلُّ أَهْلِ بَلَدٍ مايعتادون أَكْلَهُ في بلدِهِمْ، وكذلكَ مايؤكلُ مِنْ سائرِ الأطعمةِ، كالرُّزِ، والدخن، والذرة، إذا كانت هي قوت البلد، فإنَّهم يَخْرُجُونَ مما يَطْعَمونَ، ويُطْعِمون ﴿ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩]، فيخرجُ الوسطَ مِنَ الطعامِ، وإنْ أَخْرَجَ الجَيِّدَ فهوَ أفضلُ، وأمّا إخراجُ الرديءِ، فإنَّهُ لايجزىءُ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ومقدارُها صاعٌ كما نَصَّ عليهِ النَّبيُّ ﷺ بالصاعِ النَّبويِّ الذي يَتحرَرُ الآنَ بثلاثةِ كيلواتٍ منَ الطعامِ تقريباً، ولايجوزُ إخراجُ القيمةِ؛ لأنَّها خلاف ما أمَرَ بهِ النَّبيُّ ﷺ، وكانتِ النقودُ موجودةً في عَهْدِ النبي ﷺ، ولكنهُ تَرَكَها وأمَرَ بإخراجِ الطعامِ، وقدَّرَهُ بالصَّاعِ، فلايجوزُ إخراجُ القيمةِ، ومنْ أخْرَجَها فإنَّها لاتجزىءُ عنهُ، فعليهِ أنْ يَدْفَعَ بدَلَها طعاماً.

كما أمرَ النبيُّ ﷺ، تُدفَعُ للفقراءِ، فقراءِ البلد المحتاجينَ، سواء كانوا مِنْ أهلِ البلدِ الأصليينِ، أو كانُوا من القادمينَ عليه، ولا تُدفَعُ إلى الجمعيات التي لا تتقيدَ بالنظام الشرعيِّ، وتُكدِّسُ الفِطْرَ عندها والزكوات، وتتساهل فيها ولاتوصِّلُها إلى أهْلِها في الوَقْتِ المحدَّدِ؛ لأنَّ صَدقةَ الفِطْرِ لَهَا وقتٌ محددٌ، منْ غُروبِ الشمسِ ليلةَ الفِطْرِ إلى خُروجِ الناسِ لصلاة العيدِ، وإن قَدَّمها قبلَ ذلكَ بيومٍ أو يومين، جازَ ولايستحبُّ، والوقتُ المختارُ هوَ مِنْ غُروبِ الشمسِ لَيْلَةَ عيدِ الفِطْرِ إلى أنْ يخرجَ الناسُ إلى المصلَّى، فالوقتُ ضَيِّقٌ، ولاتتمكنُ غالبُ

هذهِ الجمعياتِ منْ إخراجِ صدقاتِ الناسِ في هذا الوقتِ.

فعلى المسلمِ أنْ يخرجَ صدقتَهُ بنفسِهِ، أو بوكيلِهِ المأمونِ؛ لتَبْرَأَ ذِمَّته بذلكَ، ولا يتكاسَلُ في هذا الأمرِ، أو يتساهلُ فيهِ، ولا يكلِ الأمْرَ إلى غيرِهِ، ممّن لا يُوثَقُ بِهِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، تقيَّدُوا بِما أَمَرَكُمُ اللهُ؛ لتكونَ أعمالُكُمْ صحيحةً ونافعةً ومُجْزِئَةً عندَ اللهِ سبحانه وتعالى.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

باركَ الله لِي ولَكُمْ في القرآن العظيمِ، ونفعنا بما فيه من البيانِ والذكرِ والحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميعِ المسلمينَ، فاستغفروهُ، إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فَضْلِهِ وإحسانِهِ، والشكر لَهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا الله تَعالى، يا منْ تعوَّدتم على العبادةِ والطاعةِ في هذا الشهرِ الشريفِ، واصِلُوا أعمالَكُمْ في بقيةِ أعمارِكُمْ وفي جميع أيامِكُمْ، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى رقيبٌ عَلَيْكُمْ في جميعِ الأوقاتِ. إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى حَيٌّ لايموتُ، فإذا انتهى شهرُ رمضانَ، فإنَّ عَمَلَ المسلمِ لاينتهي إلا بالموتِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحِجْر: ٩٩].

يا منْ تعوَّدتُمْ على ارتيادِ المساجِدِ، والتردُّدِ عليها، والجلوسِ فِيها، داوِمُوا على هذا العملِ الجليلِ في سائِرِ سَنَتِكُمْ، فإنَّ المَساجِدَ بيوتُ اللهِ، جُعِلتْ لكمْ؛

لتؤدُّوا فيها عبادَاتِكُمْ، وتَسْتَريحُوا فيها منْ أشغال الدنيا بأعمالِ الآخرةِ، فلتكونُوا من عُمّارِ المساجِدِ، الذين قالَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

يامنْ تعوَّدتُمْ تلاوةَ القرآنِ العظيمِ في هذا الشهرِ، داومُوا على تلاوةِ القرآنِ في سائرِ أيامِ السنةِ وشهورِها، فإنَّكُمْ بحاجةٍ إلى هذا القرآنِ العظيمِ، الذي هو نورٌ لَكُمْ، وطريقٌ لَكُمْ إلى الجنةِ، وهو حَبْلُ اللهِ المتينُ، فلا تُفْلِتْ أيديكمْ منْ هذا القرآنِ، داومُوا على تلاوتِهِ، ليجعلَ المسلمُ لَهُ حِزْباً مِنَ القرآنِ كُلَّ يومٍ لايتركُهُ، حتى يختمَ القرآنَ في شهرٍ أو أقلَّ من ذلكَ.

ما منْ تعوَّدتُمْ على الصَّدَقاتِ، داومُوا على بَذْلِ الصدقاتِ والإحسانِ، فإنَّ المحاويجَ موجودونَ في رمضانَ وغيرِ رمضانَ.

يا منْ تعوَّدتُمْ على قيامِ الليلِ، اجْعَلُوا لَكُمْ نصيباً مِنْ قيامِ الليلِ طولَ السنةِ، ولو قلَّ، ولاتفرِّطُوا في ذلكَ، فإنكمْ بحاجةٍ إلى قيامِ الليلِ، وأحبُّ العملِ إلى اللهِ أدْوَمُهُ وإنْ قلَّ.

واللهُ جل وعلا لايَمَلُّ حتى تَملُّوا، فكيفَ الإنسانُ يزرعُ زَرْعاً، ويجتهدُ فيهِ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ يموتُ ولايستفيدُ مِنْهُ؟ كذلكَ الذي اجتهدَ في هذا الشهرِ وزَرَعَ زَرْعاً، فلمّا خَرَجَ الشهرُ قطَعَ عنهُ الماءَ وتَرَكَهُ يموتُ، ولَمْ يَسْتَفِدْ منْهُ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وواصلُوا الأعمالَ الصالحةَ، فإنَّكُمْ بحاجةٍ إليها، وتوبُوا إلى اللهِ مِنْ جميعِ ذنوبِكُمْ وخطاياكُمْ وتقصيرِكُمْ.

ثم اعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

في فَضْلِ أشْهُرِ الحَجِّ
تلقــى في أول شــوال

الحمدُ للهِ ذي الفَضْلِ والإنعامِ، مازالَ يوالي علينا مواسمَ الخيرِ والاغتنامِ، فما انتهى شهرُ رمضانَ المباركُ حتى أَعْقَبَهُ بأشهرِ الحجِّ إلى بيتِهِ الحرامِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، تباركَ اسمُ رَبِّكَ ذِي الجلالِ والإكرامِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بدينِ الإسلامِ إلى جميعِ الأنامِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البررةِ الكرامِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيها الناسُ: اتقو اللهَ تعالى، واشكروهُ على نِعَمِهِ، وأعْظَمُها: نعمةُ الإسلامِ، الذي مَنَّ اللهُ تعالى بِهِ علينا، وأكْمَله لَنَا، قالَ سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، إنَّ هذا الإسلامَ يَنْبَنِي على خَمْسَةِ أركانٍ، بيَّنَها رسولُ اللهِ ﷺ، وهي: شهادةُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحَجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ، مَن استطاعَ إليه سبيلاً.

فأمّا الرُّكْنُ الأوَّلُ، وهوالشهادتانِ، فهو الأساسُ الذي ينبني عليه الدينُ، فشهادةُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ تتضمَّنُ الإخلاصَ لَهُ بالعبادةِ وتركَ عبادَةِ ما سواهُ، وهذا هو التوحيدُ. وشهادةُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ: تتضمنُ الإقرارَ برسالتِهِ، ظاهراً وباطِناً، واتباعَ ما جاءَ بِهِ، والعَمَلَ بِسُنَّتِهِ، مع مَحَبَّتِهِ وطاعتِهِ، وتصديقِهِ في كُلِّ ما أخْبَرَ بِهِ وتركِ البدَعِ التي نهى عنها وحذر منها وهي كل ما أحدث في الدين وليس عليه دليل من الكتاب والسنة.

وأمّا الصلاةُ: فهي عَمُودُ الإسلامِ. وأمّا الزكاةُ: فإنَّها طُهْرَةٌ للمُزَكِّي، ومواساةٌ للمحتاجِ، وتنميةٌ للأموالِ. وأمّا الصيامُ: فإنَّهُ انتصارٌ على النفسِ الأمّارةِ بالسُّوءِ، حيثُ يقدمُ الصائمُ طاعَةَ رَبِّهِ على شَهْوَةِ نَفْسِهِ. وأمّا الحجُّ: فإنَّ المُسْلِمَ يتحمَّلُ فيهِ الأتعابَ والأسفارَ والنفقاتِ، ويواجهُ الأخطارَ في أدائِهِ؛ طاعةً للهِ سبحانه وتعالى.

إنها أركانٌ عظيمةٌ، يَنْبَنِي عليها هذا الدينُ العظيمُ، وليسَ الإسلامُ مقصوراً على هذهِ الأركانِ، ولكنَّ هذه أساساتُهُ وقواعدُهُ، وإلاَّ فَكُلُّ الطاعاتِ والخيراتِ كُلُّها مِنَ الإسلامِ، وتَرْكُ المحرّماتِ هو مِنَ الإسلامِ.

عبادَ اللهِ: والحجُّ هذهِ أيامُهُ، وهذهِ أشْهُرُهُ عبادةٌ عظيمةٌ، ممّا يَدُلُّ على عظمتِهِ: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى جَعلَ لَهُ أشهراً يؤدَّى فِيها، قالَ اللهُ جل وعلا: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهذهِ الأشْهُرُ المعلوماتُ هي: شوالٌ وذو القعدةِ وعَشْرةُ أيامٍ من ذي الحجَّةِ. هذهِ أشهرُ الحَجِّ التي لايَصِحُّ الإحرامُ بالحجِّ إلا فِيها، فلوْ أَحْرَمَ بالحَجِّ في آخِرِ يَوْمٍ منْ رمضانَ، لَمْ يصحَّ إحرامُهُ بِهِ؛ لأنَّهُ أَحْرَمَ بالحَجِّ قبلَ دُخولِ وقتِهِ، كَمَا لَو أَحْرَمَ بالصَّلاَةِ قَبْلَ دُخُول وَقْتِها، فإنَّها لاتَصِحُّ؛ لأنَّ اللهَ جَعلَ لهذا الحَجِّ مواقيتَ زمانيةً ومواقيتَ مكانيةً:

فأمّا المواقيتُ الزمانيةُ: فهي هذهِ الأشهرُ.

وأمّا المواقيتُ المكانيةُ: فهي المواقيتُ الأرضيَّةُ التي وقَّتها رسولُ اللهِ ﷺ، وهي: ذُو الحليفةِ لأهلِ المدينةِ، والجُحفةُ لأهلِ الشامِ والمغربِ ومصرَ، ويَلَمْلَمُ لأهلِ اليمنِ، وقرنُ المنازِلِ لأهلِ نَجْدٍ ومَنْ جاءَ عَنْ طريقِهِمْ، وذاتُ

عِرْقٍ لأهلِ العراقِ ومَنْ جاءَ مِنْ طريقِهِمْ. فلا يجوزُ لمَنْ أرادَ الحجَّ أوِ العمرةَ أنْ يتجاوزَ هذهِ المواقيتَ إلاّ وهو مُحْرِمٌ، سواءٌ كانَ يسيرُ في الأرضِ، أو يطيرُ في الجَوِّ، أو يَمْشي مَعَ البَحْرِ، إذا حاذَاها: فإنَّهُ يُحْرِمُ مِنْ مُحاذَاتِها. وهذا ممّا يَدُلُّ على عَظَمةِ هذا الحَجِّ، وأنَّ اللهَ جَعلَ لَهُ هذهِ المواقيتَ الزمانيةَ والمكانيةَ.

وممّا يدلُّ على عَظَمَةِ الحَجِّ: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى حَرَّم القتالَ مِنْ أجْلِهِ، حتى يَتَمَكَّنَ الناسُ مِنْ أدائِهِ؛ لأنَّهُمْ كانُوا في الجاهليةِ يَتَقاتَلُونَ دائماً، ويُغيرُ بَعْضُهُمْ على بعضٍ، ويَقْطَعُونَ الطُّرُقَ، إلا أنَّهم يعترفونَ بالحجِّ ويحجُّون، فحرَّمَ اللهُ عليهمُ القتالَ في أربعةِ أشهرٍ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦]، فجَعَلَ منها أربَعَةَ حُرُماً وهي: ذُو القعدَةِ وذُو الحِجَّةِ والمُحَرَّمُ ورَجَبٌ. ثلاثة سرد، وواحِدٌ فَرْدٌ، فهذهِ الثلاثةُ المتواليةُ: ذو القعْدَةِ، وذوالحجةِ، والمحرمُ، حَرُمَ القتالُ فِيها؛ لأجلِ أنْ يتمكَّن الناسُ مِنْ أداءِ الحَجِّ، فَقَبْلَهُ شَهْرٌ وهو ذُو القعدَةِ؛ منْ أجلِ أن يتمكنَ المسافرونَ منْ أماكنَ بعيدةٍ منْ أنْ يصلُوا إلى الحجِّ وشهر يؤدى فيه، وشهرٌ بَعْدَهُ وهو المحرمُ؛ من أجلِ أنْ يعودُوا إلى بلادِهمْ في أمانٍ.

فلما جاءَ الإسلامُ، وانتشرَ الأمنُ، نَسَخَ اللهُ هذا الحُكْمَ، وشرعَ الجِهادَ في سبيلِهِ، في كُلِّ وَقْتٍ، وزالَ أمرُ الجاهليةِ، والحمدُ للهِ، وأمِنَ الناسُ في طُرُقَاتِهِمْ وفي أسفارِهِمْ.

وقيل: إنَّ حُرْمَةَ القتالِ في هذهِ الأشهر لَمْ تنسخْ. وعلى كُلِّ حالٍ فهِيَ لها على غيرها مِنَ الشهورِ مزيَّةٌ وفضيلةٌ..

وأمّا شهرُ رَجَبٌ: فإنَّ اللهَ حَرّمَ القتالَ فِيه؛ منْ أجلِ أنْ يتمكَّنَ الناسُ منْ أداءِ

العُمرةِ، فحرّمَ اللهُ القتالَ في هذهِ الأشهرِ الأربعةِ؛ لأجلِ أداءِ المناسكِ، وذلك حينَ كانَ الناسُ لا يتمكّنونَ مِنْ أدائِها، بسببِ الغاراتِ والثاراتِ، وقَطْعِ الطُّرقِ. فلمّا منَّ الله عليهمْ بالإسلامِ والأمانِ، نسَخَ هذا الحُكْمَ، على الصحيحِ من قَوْلَي العلماءِ، وبقيَ الجهادُ في سبيلِ اللهِ مستمراً إلى أنْ تقومَ الساعةُ.

وهذهِ الأشهرُ لها فضائِلُ:

أمّا شهرُ شوالٍ: فمنْ فضائِلهِ: أنّهُ هو أولُ أشهرِ الحجِّ. ومن فضائِلهِ: أنَّ فيهِ السِّتَّةُ التي تُصامُ بَعْدَ صيامِ شهرِ رمضانَ، قال ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضانَ وأَتْبَعَهُ ستًّا مِنْ شوالٍ فكأنّما صَامَ الدَّهْرَ»[1].

وأمّا شهرُ ذي القعدةِ: فهو شَهْرٌ حَرَامٌ، وأيضاً كانتْ عُمَرُ النبيِّ ﷺ كُلُّها فيهِ، فقد اعتمرَ فيهِ ثلاثَ مراتٍ، والعمرةُ الرابعةُ كانتْ في شوالٍ، حينَما رَجَعَ ﷺ من غزوةِ حنينٍ، فأَحْرَمَ مِنَ الجِعرّانَةِ، فكانتْ ثلاثُ عُمرٍ للنبيِّ ﷺ كُلُّها في ذي القعدةِ، مما يدلُّ على فَضْلِ هذا الشهرِ، مع أنّهُ شهرٌ حرامٌ.

وأمّا شهرُ ذي الحجةِ ففضائِلُهُ كثيرةٌ: أولاً: أنّهُ شهرٌ حرامٌ. وثانياً: أنَّ في أوّلهُ عَشْرَ ذي الحجّةِ التي قالَ فيها النبيُّ ﷺ «مَا مِنْ أيامِ العَمَلُ أَحبُّ فيهنَّ إلى اللهِ مِنْ هذهِ الأيامِ العَشْرِ» قيل: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ قال: «ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلا مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ ومالِهِ ولَمْ يَرْجِعْ من ذلك بشيءٍ»[2] وهي الأيام المعلومات التي قال الله فيها: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، وهي العَشْرُ التي أقْسَمُ اللهُ جل وعلا بها في القرآنِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]. وفيهِ يومُ عَرَفَةَ، خيرُ أيامِ السنةِ، وفيهِ يومُ النَّحْرِ الذي هو يومُ الحجِّ الأكْبرِ، وفيهِ أيامُ

(١) رواه مسلم (١١٦٤)، وكذا أصحاب السنن الأربعة.

(٢) رواه أبو داود (٢٤٣٨)، والترمذي (٧٥٧)، وابن ماجة (١٧٢٧)، وكذا رواه البخاري.

التشريقِ التي هي أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذكرٍ للهِ عز وجل، وهي الأيام المعدودات التي قال الله تعالى فيها: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

فهذه أشهرُ كُلُّها فضائِلُ وكلُّها تَمرُّ في عُمُرِ المُسْلِمِ، حتى ولَوْ لَمْ يحج، فإِنَّهُ يجبُ عليهِ أنْ يعظِّمَها، هي وبقِيةَ أشهرِ السنةِ قالَ جَل وعلاَ: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾، وظُلْمُ النَّفْسِ يَكُونُ بالمَعَاصِي، فيتجنَّب المسلمُ المعاصي دائماً وأبداً، ولكنْ في الأشهرِ الفاضِلَةِ، والأمْكِنَةِ الفاضِلَةِ، يتأكَّدُ عليهِ ذلكَ، ولهذا يقولُ جل وعلا: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠]، والنبيُّ ﷺ لما خَطَبَ الناسَ في مِنَى قالَ لهمْ: «أيُّ يوم هَذَا؟!» قالوا: اللهُ ورسولُهُ أَعْلمُ. قالَ: «أيُّ شهرٍ هَذَا؟!» قالوا: اللهُ ورسولُهُ أَعْلمُ قال: «أيُّ بلدٍ هذا؟!» قالوا: (اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ)، ثم قال ﷺ: «ألَيْسَ هذا شهرُ ذي الحجةِ؟!» قالوا: بلى، قال: «أليسَ اليومَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قالوا: بلى، قال: «أليسَ هذا البَلَدُ مكة؟!» قالوا: بلى، قال: «إنَّ دِمَاءَكُمْ وأموالَكُمْ وأعراضَكُمْ عليكُمْ حرامٌ كحُرمةِ يومِكُمْ هذا، في شهرِكُمْ هذا، في بلدِكُمْ هذا. ألا هلْ بَلَّغْتَ؟ اللهم اشهدْ»(١).

فدلَّ على تعظيمِ حُرُماتِ اللهِ سبحانه وتعالى، ولكنَّ الغافلَ والجاهلَ تمرُّ علَيْهِ هذه المواسمَ، وهو لايزالُ سادِراً في غَيِّه، متمادياً في معاصِيهِ، ليسَ للأيامِ ولا للشهورِ قيمةٌ عندَه؛ لأنهُ كالسبعِ الضاري، لا يهمُّهُ إلاّ الاعتداءُ والافتراسُ؟ أمّا المؤمنُ: فإِنَّهُ دائماً وأبَدَاً يعظِّمُ حُرُماتِ اللهِ عز وجل، ودائِماً وأبداً يَحْرِصُ على وَقْتِهِ، فَيَعْمُرُهُ بطاعةِ اللهِ عزّ وجلِ؛ لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّهُ ليسَ لَهُ مِنْ هذهِ الدنيا إلا ما قدَّمَ من عملٍ صالحٍ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وعظِّمُوا ما عَظَّمَهُ اللهُ ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرحيم: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ

---

(١) البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشكرُهُ على نِعَمِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى في جميع أحوالِكُمْ، وتُوبُوا إليهِ مِنْ جميعِ ذُنُوبِكُمْ، وخُذُوا حِذْرَكُمْ، احذرُوا منَ الفِتَنِ التي تَصْرِفُكُمْ عن طاعةِ اللهِ، وتَشْغَلُكُمْ عنِ ذِكْرِ اللهِ عز وجل، وقد تكونُ في ظاهِرِهَا أنَّها خيرٌ، ولكنَّها في الحقيقةِ وفي الباطِنِ ضَرَرٌ عليكمْ، فتنبَّهوا لأنْفُسِكُمْ، فالمالُ فتنةٌ، والأولادُ فتنةٌ ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٥، ١٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩]، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

فخافُوا منْ هذا اليومِ العظيمِ، وقدِّمُوا لَهُ منْ صالحِ الأعمالِ ما تجدونَهُ مدَّخراً عندَ اللهِ سبحانه وتعالى.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله.. إلخ الخطبة.

التحذيرُ مِنَ الفتنِ

الحمدُ للهِ الَّذي لَهُ ما في السمواتِ وما فِي الأرضِ ولهُ الحمدُ في الآخرةِ وهُوَ الحكيمُ الخبيرُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ. خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكُمْ أيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العزيزُ الغفورُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذيرُ. والسراجُ المنيرُ. صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه وسلَّم تسليماً كثيراً. . . أمَّا بَعْدُ:

أيُّها الناسُ اتَّقوا اللهَ تعالى وامتثلوا قولَهُ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ٦]، واحذروا الفتَنَ الصارِفةَ عَنِ اتباعِهِ واسمعوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: [١ـ٣]، والفتنةُ يا عبادَ اللهِ هي الابتلاءُ والامتحانُ. يجري اللهُ الفتنَ على عبادِهِ ليتبينَ المؤمنُ الصادِقُ مِنَ المنافِقِ المخادِعِ، وليتبينَ قويُّ الإيمانِ مِنْ ضعيفِ الإيمانِ. فإذا جاءت الفتنُ فمِنَ الناسِ من يتبينُ نفاقُهُ وعدمُ إيمانِهِ. كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٨ـ ٩]، ومِنَ الناس من يكونُ مؤمناً ضعيفَ الإيمانِ يرتدُّ عَن دينِهِ كما قالَ تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾ [الحج: ١١]، والفتنُ تنقسمُ إلى قسمين: فتنُ شبهاتٍ وفتنُ شهواتٍ ـ ففتنُ الشبهاتِ تكونُ في العقيدةِ وتجرُّ إلى

الكفرِ والشركِ باللهِ كفتنةِ الغُلُوِّ فِي الأنبياءِ والأولياءِ والصالحين والغلوِّ فِي القبورِ. وكم وقع في هذه الفتنةِ من أممٍ في الماضِي والحاضِرِ ـ وهذه أخطرُ الفتنِ. وقد خافها إبراهيمُ الخليلُ على نفسهِ فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ـ ٣٦]، وقال نبيُّنا محمدٌ ﷺ: «اللهمَّ يا مقلبَ القلوبِ ثَبِّتْ قَلْبي على دِينِكَ» فقِيل لَهُ في ذلك فَقَالَ: «وَمَا يؤمنني وقلوبُ العبادِ بينَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرحمن. إذَا أرادَ أن يقلبَ قلبَ عبدٍ قَلَبَهُ»[١] وفي دعاءِ الراسِخِين في العلمِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. وأما فتنةُ الشهواتِ فإنَّها تؤثرُ على الأخلاقِ والسلوكِ والأعراضِ كشهوةِ الفرجِ وشهوةِ البطنِ وشهوةِ جمعِ المالِ ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «لا يزنِي الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ. ولا يَسْرق السارِقُ حِين يسرقُ وَهُوَ مؤمنٌ. ولا يشرب الخمرَ حِين يشرَبُها وهو مؤمنٌ»[٢] بمعنى أنَّ ارتكابَ هذه الجرائِم ينقصُ إيمانُهُ ويضعفُهُ إضعافاً بيناً وقد يزيلُهُ بالكليةِ ويجرُّهُ إلى الكفرِ. وكذلك حبُّ المالِ قد يجر صاحِبَهُ إلى ارتكابِ الكبائِرِ مِنَ الكذبِ والغش والأيمانِ الفاجرةِ وأكل الربا، بل ربما يتخلى عن دينه بالكلية، لأجل الحصولِ على المالِ. كما قال النبي ﷺ: «بَادِرُوا بالأعمالِ فِتَناً كقطعِ الليلِ المظلمِ. يصبحُ الرجلُ مؤمِناً ويُمْسِي كافِراً. ويُمْسِي مؤمناً ويصبحُ كافراً. يبيعُ دينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدنيا»[٣]. وكذلك إطلاقُ النَّظرِ إلى ما حرَّم اللهُ مِنَ النَّظرِ إلى النساءِ الكاسِيَاتِ العارياتِ في الأسواقِ أو غيرِها أو النظرِ إلى الصورِ

(١) ابنُ ماجة (١٩٩)، وكذا رواه الحاكم في مُستدركه.
(٢) البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧).
(٣) رواه مسلم (١٨٨)، والترمذي (٢١٩٦).

الماجنةِ الفاتنةِ في الصحفِ والمجلاتِ وشاشاتِ الفضائياتِ والفيديو والإنترنت، والاستماعُ إلى ما حرَّمَ اللهُ مِنَ الأغاني الماجنةِ وآلاتِ اللهوِ. كل ذلك يجرُّ إلى الوقوعِ في الفاحشةِ، ولهذا حَذَّرَنَا اللهُ من ذلك فقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣٠ـ ٣١] الآية. وكذلك فتنةُ اللسانِ وما يجرُّ على صاحِبِهِ مِنَ الآثام بسببِ لغوِ القولِ والكلامِ المحرَّمِ مِنَ السَّبِّ والشتمِ والغيبةِ والنميمةِ وقول الزورِ. وربَّ كلمةٍ واحدةٍ تزلُّ بِصَاحِبِهَا في النَّارِ أبعد مما بين المشرق والمغربِ. يكتبُ اللهُ بها غَضبَهُ على صاحِبِها إلى يومِ يَلقاهُ.

ولهذا قال سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [قَ: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥]، وقال ﷺ: «وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ على وجوهِهِم أو قَالَ على مناخِرِهِم إلا حصائِدُ ألسِنَتِهِمْ»(١).

عبادَ اللهِ ـ واعلموا أنَّ الأولادَ والأزواجَ فتنةٌ كما قَالَ تَعالىَ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، وقَالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]، وَذَلِكَ أنَّ الوالدين مكلَّفان بحفظِ أولادِهِم مِنَ الانحرافِ والفسادِ ويجب عليهما أمرهم

---

(١) الترمذيُّ (٢٦١٩)، وابنُ ماجة (٣٩٧٣) كلاهما عن معاذٍ رضي الله تعالى عنه.

بطاعةِ اللهِ ونهيهم عن معصيةِ اللهِ. وإبعادهم عن وسائِلِ الفتنةِ.

والأزواجُ مكلفون بحفظِ زوجاتِهم عمَّا حرَّم اللهُ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٤]، وَمِنْ أعظمِ القوامَةِ على النساءِ القوامةُ الدينيةُ بإلزامِ النساءِ بطاعةِ اللهِ ومنعهن مما حرَّمَ اللهُ. فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وقوموا بمسؤولياتكم نحو أنفسكُم ونحو أولادِكم وزوجَاتِكم «فكُلُّكُم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِهِ». بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين. مَنِ استعان بِهِ أَعَانَهُ. وَمَنْ تَوَكَّلَ عليه كَفَاهُ. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ولا نعبدُ إلا إيَّاهُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ. صلى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاَهُ. وسلَّم تسليماً كثيراً. أمَّا بَعْدُ:

أيُّها الناسُ اتَّقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ هذه الفتنِ التي أخبرَ عنها وحذرنَا منها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم لها دعاةٌ مِنْ شياطينِ الإنسِ والجنِّ يروِّجُونَها ويَبثُّونها بين الناسِ في وسائِلِ الإعلامِ المختلفةِ من صحافةٍ وإذاعاتٍ وقنواتٍ فضائيةٍ قد وَصَفَهُم لنا رسولُ اللهِ ﷺ بأنهم دعاةٌ على أبوابِ جهنَّمَ مَنْ أطاعَهُم قَذَفُوه فِيهَا. قِيل صِفْهم لَنَا يا رسولَ اللهِ، قال: «هُمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا ويتكلَّمُون

بألسنتِنَا»[١]. واللهُ تعالى أخبرَ أنَّ الشيطان يدعو حِزْبَهُ ليكونوا مِنْ أصحابِ السعيرِ. وقال عَنِ الكفارِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقد يظهرُ دعاةُ الفتنةِ بمظهرِ العلماءِ ويحللون للناسِ ما حرَّم اللهُ. وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّه في آخِرِ الزمانِ يكذبُ الرجلُ الكذبةَ فتبلغُ المشارقَ والمغاربَ. وماذاك ـ واللهِ أعلم إلا بواسطةِ وسائِلِ الإعلامِ الحديثَةِ، وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «إنَّ أخوفَ ما أخافَ على أمَّتِي الأئمةَ المُضِلِّين»[٢].

واعلموا أنَّه لا ينجي مِنَ الفتنِ إلا التمسكَ بكتابِ الله عز وجل. قالَ ﷺ: «أنَّها ستكون فتنةٌ»: قيل وما المخرجُ منها يا رسولَ اللهِ؟ قال: «كتابُ اللهِ»[٣] وكذلك التمسُّك بما كان عليه سلفُ هذه الأمةِ كما قال الإمام مالكٌ رحمَه اللهُ: لا يصلحُ آخرُ هذه الأمةِ إلا ما أصْلَحَ أوَّلها. وكذلك مما ينجي مِنَ الفتنِ كثرةُ الدعاءِ والالتجاءِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الممتحنة: ٥].

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بِكَ مِنْ عذابِ جهنَّم ومِنْ عذابِ القبرِ. ومن فتنةِ المحيَا والمماتِ ومن فتنةِ المسيحِ الدجال، اللهمَّ قِنَا شرَّ الفتنِ ومضلَّاتِ الفِتَنِ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ. ثم اعلموا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.. إلخ الخطبة.

* * *

---

(١) البخاريُّ (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧)، وابنُ ماجه (٣٩٧٩).
(٢) أحمد والطبرانيُّ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه.
(٣) الترمذيُّ (٢٩٠٨) عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه.

فهرس الموضوعات